

تلقى النبى
ص ألفاظ القرآن
عبدالسلام مقبل المجيدي

بسم الله الرحمن الرحیم

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن

کاتب:

عبد السلام مقبل المجيدى

نشرت فى الطباعة:

مؤسسة الرساله

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن

اشارة

نام كتاب: تلقى النبى ص ألفاظ القرآن

نويسنده: عبد السلام مقبل المجيدى

موضوع: وحى

تاريخ وفات مؤلف: معاصر

زبان: عربى

تعداد جلد: ۱

ناشر: مؤسسة الرساله

مكان چاپ: بيروت

سال چاپ: ۱۴۲۱ / ۲۰۰۰

نوبت چاپ: اوّل

تقديم فضيلة الشيخ العلامة/ عبد المجيد بن عزيز الزندانى «۱»

بسم اللّه الرّحمن الرّحيم إن الحمد للّه نحمده، و نستعينه، و نستغفره، و نعوذ باللّه من شرور أنفسنا، و سيئات أعمالنا، من يهده اللّه فلا مضل له، و من يضلل فلا هادى له، و أشهد أن لا إله إلا اللّه وحده لا شريك له، و اشهد أن محمدا عبده و رسوله.

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقاتِهِ وَ لا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ "آل عمران/ ۱۰۲."

يا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ وَ خَلَقَ مِنْها زَوْجَها وَ بَثَّ مِنْهُما رِجالًا كَثِيراً وَ نِساءً وَ اتَّقُوا اللَّهَ الَّذِى تَسائَلُونَ بِهِ وَ الْأَرْحامَ إِنَّ اللَّهَ كانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً "النساء/ ۱."

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَ قُولُوا قَوْلًا سَدِيداً (۷۰) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمالَكُمْ وَ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَ مَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ فَقَدْ فازَ فَوْزاً عَظِيماً الأحزاب/ ۷۰- ۷۱.

(أما بعد:) فيسرنى أن أقدم لأبناء أمتنا الإسلامية هذا الكتاب الذى يتحدث عن تلقى الرسول صلى اللّه عليه و سلم لألفاظ القرآن الكريم عن جبريل عليه السلام، عن رب العزة سبحانه و تعالى، و الذى قدم فيه الباحث- الذى أسأل اللّه عزّ و جل له التوفيق و أن يجعله من العلماء الأتقياء العاملين- فصولا شيقة، و بحوثا رصينة، جمع فيها ما تفرق فى الكتب المختصة فى بحث هذه القضايا .... (۱) رئيس جامعة الإيمان، و رئيس هيئة الإعجاز العلمى فى القرآن الكريم و السنة النبوية برابطة العالم الإسلامى سابقا.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۲

فبدأ الباحث بحثه فى فصله الأول عن أول سلسلة البلاغ عن اللّه- جل ذكره- المتمثلة بجبريل عليه السلام و مؤهلاته التى هيأته لنقل كلام اللّه عزّ و جل بأعلى درجات الحفظ، ثم و اصل فى فصله الثانى البحث فى كيفية اتصال جبريل عليه السلام بالرسول صلى اللّه عليه و سلم، و تهيئة جبريل عليه السلام و الرسول صلى اللّه عليه و سلم لتحقيق ذلك الاتصال بين معلّم من عالم الملائكة و رسول من عالم البشر، و قرّب ذلك بالأمثلة المفيدة ... ثم فصل فى الفصل الثالث كيفية تلقى الرسول صلى اللّه عليه و سلم لألفاظ القرآن الكريم، و الهيئة التى تم بها ذلك التلقى، و كيفية مجىء جبرئيل عليه السلام، و كيفية إلقاء الوحى على قلب النبى صلى اللّه عليه و سلم، و ضرب لذلك الأمثلة التى تقرب للأذهان فهم ما نقل لنا من كيفية تلقى النبى صلى اللّه عليه و سلم لألفاظ القرآن الكريم عن

جبريل عليه السلام.

ثم ناقش ما يتصل بذلك ما يتعلق بحالة النبى صلى اللّه عليه و سلم وقت التلقى، و حرصه على الحفظ، و ما كان يعالج من الشدة من التنزيل، و يتعجل فيه من الحفظ، و تولى اللّه سبحانه و تعالى لرسوله صلى اللّه عليه و سلم، و إمداده بالقدرة على تلقى ألفاظ القرآن، و حفظه، و تفاصيل ترتيله، و هيئات أدائه، و المدارسة التى كان يتعهد بها جبرئيل عليه السلام رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم فى كل عام.

و عرض لنا فى الفصل الرابع ما كان بين جبريل عليه السلام و الرسول صلى اللّه عليه و سلم من صحبة و ألفة، و هما يقومان بمهمة نقل كلام اللّه إلى خلقه و عباده.

و استعرض الباحث فى الفصل الخامس بعض جهالات الجاهلين، و شبهات المبطلين التى ... ما فتئت تلقى بها قلوب الشياطين فى قلوب الكافرين و المفتونين ... و دحضها بما فتح اللّه عليه من حجج و براهين.

و قد تضمن هذا البحث لفتات جديدة تثرى هذا الموضوع، و تستفيد من معطيات العصر، فى تقريب حدوث الوحى بين عالم الملائكة و عالم البشر، و فى رصد الوقائع العملية التى تم بها حفظ ذلك الوحى.

أسأل اللّه تعالى أن ينفع بهذا البحث طلاب العلم و المهتمين بعلوم القرآن، و قضايا الإيمان و العقيدة، و أن يجزى صاحبه خير الجزاء.

و الحمد للّه رب العالمين.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۳

تقدم فضيلة الأستاذ الدكتور / أحمد بن على الإمام «۱»

بسم اللّه الرّحمن الرّحيم الحمد للّه الذى هدانا بالقرآن الكريم ذى الذكر، و جعل قرّاءه أهل اللّه و خاصته، قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَ بِرَحْمَتِهِ فَبِذلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ "يونس/ ۵۸، "و صلوات اللّه المباركات، و تسليماته الزاكيات على سيدنا محمد عبد اللّه و رسوله خاتم الأنبياء و المرسلين، من نزل عليه القرآن العظيم فتلقاه لفظا و أداء، فأدى الأمانة، و نصح الأمة، و علّم أصحابه، فاتصل سند التعليم هم فى الأجيال، و سيبقى محفوظا بحفظ اللّه تعالى أبدا إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَ إِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ الحجر/ ۹.

(ثم أما بعد:) فلقد سعدت فى جامعة القرآن الكريم و العلوم الإسلامية بمعرفة الباحث عبد السلام مقبل المجيدى من خلال إشرافى على بحثه لنيل درجة التخصص الأولى (الماجستير) فى التفسير و علوم القرآن الكريم بعنوان (تلقى النبى صلى اللّه عليه و سلم ألفاظ القرآن الكريم)، و هى دراسة تأصيلية لكيفية تلقى النبى صلى اللّه عليه و سلم ألفاظ القرآن الكريم عن جبريل عليه السلام عن اللّه عزّ و جل.

و قد ساعد الباحث حفظه للقرآن الكريم و تجويده، و إتقانه، و جمعه للقراءات القرآنية، و مقدرته البحثية، و همته العالية، وجده فى التحصيل، و تفرغه لذلك فى حبّ، (۱) مستشار رئيس جمهورية السودان لشئون التأصيل و التخطيط الاستراتيجى، و مدير جامعة القرآن الكريم و العلوم الإسلامية فى أمدرمان سابقا.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۴

و شوق، و أدب ... ذلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشاءُ وَ اللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ "الحديد/ ۲۱، الجمعة/ ۴."

أما الدراسة فقد خلصت إلى توثيق النص القرآنى، و ذلك داخل فيما ضمن اللّه تعالى من حفظ كتابه العزيز: لا يصيبه تحريف فى لفظه، و لا فى أدائه.

كما تناول البحث مراتب اللفظ القرآنى، و توقيفية نقل ألفاظ القرآن الكريم أصلا و أداء، و أحسن الباحث استخدام مصادر بحثه فى دوائر واسعة من العلوم فى أصول الدين، و التفسير، و علوم القرآن، و السنة، و أصول الحديث، و الفقه و أصوله، و اللغة العربية ....

هذا و قد أجيز البحث، و نال درجة الامتياز، مع التوصية بطباعته.

و نسأل اللّه تعالى أن ينفع بالكتاب و كاتبه المسلمين، و يوفقه لما يستقبل من عمل، و أن يجعل عملنا و إياه صالحا، و لوجهه خالصا متقبلا عنده.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۵

إهداء و شكر

الربيين من أهل القرآن ... يتصدر محرابهم القانت: شيخى/ الشيخ المجاهد المجدد: عبد المجيد بن عزيز الزندانى، و شيخى/ شيخ الإقراء: إسماعيل عبد العال أحمد الشرقاوى «۱»، و شيخى/ الأستاذ الدكتور: أحمد على الإمام «۲» ...

جعل نور السموات و الأرض فى قلوبكم نورا ... تقتفون به آثار رسولكم صلى اللّه عليه و سلم: نبيلا- إثر نبيل، على صراط علىّ مستقيم، تغدق عليكم بينات الصحف المطهرة هداها، فإذا سيركم قد حسم بحسام الفرقان، و سيف العزم، فبارك اللّه ذلك المسعى، فهدى، ثم بارك فيه فزاد فيه زيدا صالحا محمّدا طيبا مباركا فيه كرتين، فى زمن قرح و بأساء و ضراء، يتربص فيه بدينكم الدوائر ... فما وهنتم لما أصابكم فى سبيل اللّه، و ما ضعفتم، و ما استكنتم ... فارتقيتم أوج الربانية؛ إذ كل منكم عبد اللّه، فإذا أنتم عباده المخلصون، تسعون فى كمال النعمة بعد إذ تمت بكمال الدين ... رياضكم: دمعة فى محراب الماجدين من المتهجدين، و نغمتكم: تهاليل السفائن الفاتحة للمدائن، و سميركم: تراتيل التنزيل، و غوثكم المساعد: السكنة المنزلة- دوما- على المؤمنين، و سائقكم ابتسامة رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم مخترقة الحجب الساترة ... أمّيا أمين القافلة، و رقيبها، و عاصمها: فحب هو ... وليد الهيام بالعودة لأيام الفاروق ... و فقه النعمان «۳»، و شوق إلى ميسان فى أفنان الجنان ... و إن لقيتم فى سفر الدنيا نصبا، ففيصل رؤاكم الكلية- جلال الدنيا و جمالها-:

وَ ما كانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمانَكُمْ البقرة/ ۱۴۳. (۱) شيخ الباحث الذى تلقى منه ألفاظ القرآن الكريم بقراءاته العشر من طرق الشاطبية و الدرة و الطيبة.

(۲) أحسبهم كذلك، و اللّه حسيبهم ... و لا أزكى على اللّه أحدا.

(۳) أبو حنيفة- رحمه اللّه تعالى، و هو إشارة إلى أئمة السلف عموما، و النعمان أقدم الأربعة- رحمهم اللّه تعالى-.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۶

المقدمة

اشارة

"اللهم إنا نحمدك أقصى مدى الحامدين، و نعترف بآلائك كما أوجبت على المطيعين، من عبادك المعترفين، و نسألك أن تصلى على نبيك المرتضى محمد و آله الطاهرين، و صحبه الراشدين، و أن تحسن العون و التسديد على ما أجمع فيه القربة إليك، بما يحظى بالزلفة لديك، و أن تجعل العمل لك، و الاتصال بك، و المطالب مقصورة على مرضاتك، و إن قصرت الأفعال عن مفروضاتك، وصلتها برأفتك، و جعلتها مما شملته بركات رحمتك «"۱».

(و بعد:) فقد تمت كلمات اللّه صدقا و عدلا «۲»، و كان مما تم أنه: لا مُبَدِّلَ لِكَلِماتِهِ "الأنعام/ ۱۱۵ "تأكيدا على أهمية الحفاظ على لفظ القرآن؛ إذ هو المعبر الوحيد، و السبيل الفريد لتأويل معناه، و سبر غوره، و إدراك مغزاه ... و أى تبديل فى لفظه، أو تحريف فى أدائه، ملبس لمعناه بما اكتنفته عقول البشر من معان.

و إذا كانت الآية جاءت على سبيل الخبر؛ فإن الفهم العملى القائم على أسس البناء الفقهى ارتكازا على تقريرات أصول الفقه فى باب الخبر و الأمر- يحتم جعل هذه الحقيقة الإلهية فى إطارها الواقعى، و من ثم تكوين أدوات التنفيذ لإحالة هذه الحقيقة إلى واقع، مع اليقين بأن حدوث ذلك أمر قد ركونى ... للضمان الإلهى (۱) بتصرف من استهلال الإمام أبى الفتح بن جنى فى كتابه (المحتسب فى تبيين وجوه شواذ القراءات و الإيضاح عنها) تحقيق: على النجدى ناصف و آخرون، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية- لجنة إحياء كتب السنة- القاهرة ۱۴۱۵ ه- ۱۹۹۴ م.

(۲) إشارة إلى قوله تعالى: وَ تَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقاً وَ عَدْلًا " ...الأنعام/ ۱۱۵."

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۷

الظاهر فى الآية السابقة ... فتكوين الأدوات الواقعية لحفظ ألفاظ القرآن الكريم إنما هو تناغم مع الحقيقة الإلهية الحتمية ... كما يجتمع النفى فى آية الأنعام المتقدمة مع الإثبات فى آية الحجر إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَ إِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ "الحجر/ ۹ "ليظهر السياج الإلهى المتين الذى حفظ لفظ القرآن الكريم من أن يطرأ عليه أدنى تغيير، أو أن تعتريه شائبة تطوير من ساه أو من متعمد.

و إذا كان اللفظ هو سبيل المعنى فإن أداء اللفظ هو سبيل إخراجه، و إبانته هو طريق إدراكه، فالقدح فى اللفظ قدح فى المعنى، و الخلل فى أداء اللفظ خلل فى اللفظ ذاته. فقد اجتمع من هذا الارتباط: أهمية كل واحد من الثلاثة (المعنى، اللفظ، أداء اللفظ) للآخر، و شدة تعلق كل بالآخر، و المطّلع على مفاهيم اللغة، و دلالات الألفاظ، يعلم اعتراء التغير فيها بمجرد تغير أدائها، فكيف تغير لفظها؟ «۱».

و كانت الجهود الكثيفة التى وجهت للاعتناء بلفظ القرآن الكريم، و طريقة أدائه مكونة الإطار الواقعى لحقيقة الحفظ الإلهى قد بدئت من لدن جبريل عليه السلام الذى علم النبى صلى اللّه عليه و سلم أضرب الوحى يقدمها الوحى القرآنى، و بقيت هذه الجهود متتابعة إلى أيامنا، نقلا للفظ القرآن، و طريقة أدائه، و هيئات ضبطه، و سبل رسم ألفاظه، و دروب الوقف و الابتداء فى آياته، و عدد تلك الآيات، و أزمنة حفظه، و مراجعته، و قراءته، و إقرائه ...

و هذه و نحوها جهود من حيث المحافظة على اللفظ. (۱) و هذا على تفصيل فى أنواع الأداء: إذ منه ما يرجع إلى الصفات الذاتية للفظ، فلا يستقيم اللفظ بدونها كالاستعلاء، و الاستفال، و الجهر، و الشدة ... و منه ما يرجع إلى الصفات العارضة كالتفخيم، و الترقيق، و الفتح، و الإمالة، إذ هى راجعة إلى الاستعلاء، و الاستفال ... فلا يتأثر أصل اللفظ بأدائه هنا، بل إن الدراسات الصوتية، و الملاحظات العابرة لهيئات أداء الكلمات، و نطق الجمل، قد أثبتت تغير المعنى بتغير الهيئات الفرعية للأداء، كتغير النبر، و هو من الهيئات الموغلة فى الفرعية من حيث نطق الألفاظ، انظر: د. يوسف الخليفة أبو بكر: البحث التربوى و اللغوى فى مجال تعليم القرآن الكريم، بحث منشور فى مجلة جامعة القرآن الكريم و العلوم الإسلامية، العدد الأول، ذو القعدة ۱۴۱۵ ه.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۸

و أساس الأسس فى الأدوات الواقعية للمحافظة على اللفظ و أدائه هو المشافهة (التلقى) ... و ما زال المسلمون يقرون- لذلك- أن القراءة سنة يتلقاها الآخر عن الأول «۱»، لا- يدخلها اجتهاد بشرى، و لا قياس عقلى، و رسخ فيهم ذلك حتى صار معلوما من الدين بالضرورة، فاتفقوا على أن أول شروط نقل القرآن التلقى المسند من الشيخ إلى الطالب، و إن اختلفوا فى بقية الشروط بعد ذلك، و أصل أصول هذا التلقى: هو التلقى الذى نقل القرآن من السماء إلى الأرض؛ و هو تلقى النبى صلى اللّه عليه و سلم من جبرئيل عليه السلام، و دراسته تضع الدارس على أصل أصول الأسس المنهجية فى الهيئة التعليمية لألفاظ القرآن الكريم، و تمكنه من تحليل ما يتناقله المسلمون من تلك الهيئات.

لذا استحق هذا الموضوع الجليل إفراده بالبحث و الدراسة ليعلم من خلاله كيف كان تلقى الرسول صلى اللّه عليه و سلم ألفاظ القرآن من جبريل عليه السلام، و كيف كان أداء جبريل عليه السلام، لتلك الألفاظ عند تعليمه للنبى صلى اللّه عليه و سلم كما قال تعالى: وَ

إِنَّکَ لَتُلَقَّی الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَکِیمٍ عَلِیمٍ "النمل/ ۶ «۲"»؛ و من أهم دواعی ذلک غیر الاطمئنان السابغ علی حقیقة الحفظ الإلهی لألفاظ القرآن الکریم أن تتخذ التفصیلات المنهجیة فی طریقة تلقین جبریل علیه السلام سبیلا منهجیا فی الخطة التعلیمیة لألفاظ القرآن یرجع إلیها، و یتحاکم عند الاختلاف إلی متضمناتها، ما دامت موضوعة ضمن دائرة الأسوة و الطاقة البشریة. (۱) انظر لمعرفة بعض الآثار الدالة علی ذلک: (ابن الجزری) أبو الخیر محمد بن محمد بن محمد: منجد المقرئین و مرشد الطالبین ص ۲۰- دار زاهد المقدسی، تفضل بقراءته بعد طبعه: الشیخ محمد حبیب اللّه الشنقیطی، و الشیخ أحمد محمد شاکر.

(۲) راجع: (الطاهر بن عاشور): التحریر و التنویر ۱۹/ ۲۲۳، لم تذکر الطبعة، و لا الناشر، و (الآلوسی) محمود شکری البغدادی ت ۱۲۷۰ ه: روح المعانی فی تفسیر القرآن العظیم و السبع المثانی ۱۹/ ۲۳۷، دار الفکر، بیروت، ۱۴۱۷ ه- ۱۹۹۷ م- قرأه و صححه: محمد حسین العرب؛ إذ رجحا ککثیر من المفسرین أن الملقی المراد فی الآیة هو جبریل علیه السلام و أن صفتی العلم و الحکمة إلیه ترجع.

تلقی النبی ص ألفاظ القرآن، ص: ۹

و یصبح طرق هذا الموضوع فی حیز الضرورة فی آن تعالت فیه أصوات الانهزام أمام الضغط الثقافی المستعلی الوافد، فنادت بعدم التزام اللفظ، و أنکرت التزام الأداء من حیث الأصل «۱»، بل حاولت فیها أن تجعل القرآن کأی بناء لغوی منطوق یکوّن صورة أدائیة، تتغیر بتغیر الزمن، و لا یعوق هذا التغییر عوامل التقدیس «۲» ...

فهاهنا أصلان استلزما البحث فی هذا الموضوع

إیجابی: و هو معرفة أصل أصول الأسس المنهجیة فی الخطة التعلیمیة لألفاظ القرآن الکریم، و التأکید الواقعی لحقیقة الحفظ الإلهی لألفاظ القرآن الکریم و أدائه.

سلبی: و هو التأکید علی المتضمنات الذاتیة التی ضمتها عملیة تلقی النبی صلی اللّه علیه و سلم ألفاظ القرآن الکریم من جبریل علیه السلام مما یظهر معها تهافت أی طرح غریب فی میدان تلقی اللفظ القرآنی.

اقتضی ذلک کله أن تدرس- بالتفصیل- هیئة إلقاء جبریل علیه السلام ألفاظ القرآن الکریم، و هیئة تلقی النبی صلی اللّه علیه و سلم لها، و تقعّد قواعدها، و تبیّن محکماتها؛ إذ ذلک أصل أصول الکلیات العلمیة الإسلامیة، کما هو قاطع لمختلف الأقوال، و متنازع التأویلات فی الجوانب التی تتعلم فی القرآن الکریم من حیث لفظه، و دخول طریقة أدائه فی ذلک التعلیم. (۱) انظر: مثال ذلک فی کتاب: الفرقان لمن رمز لاسمه بابن الخطیب، و هو محمد محمد عبد اللطیف، الطبعة لم تذکر- دار الکتب العلمیة- بیروت، و قد طبع هذا الکتاب، و مما زعمه أن القرآن حفظ بمعناه لا بلفظه، و أن القرآن لا یجب تلقیه من القراء، فأصدر شیخ الأزهر بعد طبعه قرارا بتشکیل لجنة من ثلاثة من العلماء لمناقشة ما جاء فیه، فوضعت اللجنة تقریرها المتضمن ذکر أباطیله عام ۱۹۴۸ م، و صودر الکتاب، و اختفی من أیدی الناس علی أن مصیره کان الإهمال قبل ذلک، و هو کذلک بعد ذلک. و انظر: غانم قدوری الحمد: رسم المصحف دراسة لغویة تاریخیة، ط ۱، ۱۴۰۲ ه- ۱۹۸۲ م، ص ۲۱۲.

(۲) انظر: (عرجون) الشیخ محمد الصادق (عمید کلیة أصول الدین): بحث علمی لنقد مزاعم حول قراءات القرآن فی رسالة: (أصوات المد فی القرآن الکریم) بکلیة الآداب- جامعة الإسکندریة، جامعة الأزهر، اتحاد الطلاب بکلیة أصول الدین، اللجنة الاجتماعیة ۱۳۸۶ ه- ۱۹۶۶ م.

تلقی النبی ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۰

و یلاحظ فی منهج البحث ما یلی

۱- الجمع بين الأقوال المختلفة فى اللفظ عند عدم التنافى، مع دلالة السياق، أو غيره على إرادة الجمع «۱»، و ذلك عند بحث مسائل الكتاب العلمية ... و ما حال كثير من الأقوال الواردة فى المسألة الواحدة إلا كما قال الإمام أبو إسحاق الشاطبى- رحمه اللّه تعالى-: إذا تعددت الجهات زال التدافع، و ذهب التنافى، و أمكن الجمع «۲».

۲- قد يسمى الباحث بعض النصوص بتسميات خاصة من حيث تعلقها بالبحث نسبة و تمييزا و اختصارا، اجتهادا منه لا لنص خاص ورد فيها، كالتسمية بآية طه، فيرجع عند الإحالة إلى الآية المخصوصة التى وردت فى ثنايا البحث من سورة طه، و لا تكون التسمية إلا لما تكرر دورانه فى البحث.

۳- يكرر الباحث استعمال عبارة: (كما هو المعمول به عند المسلمين) فى أدق الدقائق فى نقل لفظ القرآن الكريم، و تلاوته كمسألة كيفيات الترتيل، أو الوقت المستغرق للمد أو الغنّ ... تحقيقا لأمرين:

أ- ليكون دليلا عمليا متواترا عاما يأخذ صفة نقل الأمم عن الأمم، و يقمع زبدا من الأفكار التى تحاول الطفو فى واقع المسلمين، زاعمة أن أسلوب نقل القرآن إنما هو اجتهاد من بعض القراء لا غير؛ إذ إيقاف المتقول أمام هذه الحقيقة الصارخة يجعله أمام أمرين لا بد له من أحدهما: (۱) و هو نهج المحققين من العلماء، انظر مثلا: (ابن القيم) أبو عبد اللّه شمس الدين محمد بن أبى بكر بن أيوب الزرعى (۶۹۱ ه- ۷۵۱ ه-): تهذيب مدارج السالكين ۱/ ۳۹، عند الكلام على قوله تعالى: وَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُما أَبْكَمُ ... النحل/ ۷۶، ط ۵، ۱۴۱۴- ۱۹۹۴ م، و هذبه: عبد المنعم صالح العلى العزى- مؤسسة الرسالة، بيروت.

(۲) (الشاطبى) أبو إسحاق إبراهيم بن موسى اللخمى ت ۷۹۰ ه-: الموافقات فى أصول الشريعة ۱/ ۳۱۳، توزيع عباس أحمد الباز، الطبعة لم تذكر.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۱

إما التسليم بذلك و نبذ فكرته، و إما معارضتها بدليل يبرزه، و هو أسلوب فى الحوار مأخوذ من مفهوم قوله تعالى ... قُلْ هاتُوا بُرْهانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ "النمل/ ۶۴" ...

ب- ليستبين به مقدار الحفظ الإلهى لكتاب اللّه الكريم على هيئة إجماعية للأمة فى كل ما يتعلق باللفظ القرآنى، حتى فى أدق التفاصيل، و هو أمر يدعو للدهشة ليس له تفسير إلا أن الحفظ للكتاب الكريم إلهى.

۴- و لأن الكلام فى هذا البحث دائر حول أمر سمعى لا عقلى، فالشأن فيه يرجع إلى النقل، و مجال العقل الاستنباط وفق قواعد و أصول الاستنباط، و لذا يلتزم الباحث بإيراد نصوص القرآن الكريم و صحاح عند الاستدلال للحقيقة أو تقعيد القاعدة فيما يتعلق بالموضوع، و لكن قد يرد- فى النادر- حديث ضعف عند بعض صيارفة الحديث فيما كان سبيله الاستئناس لا التقعيد و التأصيل ... و هذا منهج مقبول على تفصيل معلوم عند علماء الحديث و أصول الفقه.

الهيكل العام للبحث

يتكون البحث من خمسة فصول:

و وجه هذه القسمة: أن (تلقى النبى صلى اللّه عليه و سلم ألفاظ القرآن) يستلزم الإحاطة العلمية ب (التلقى)، و (المتلقى) و هو النبى صلى اللّه عليه و سلم، و (الملقى) و هو جبريل عليه السلام، و (الملقى) و هو القرآن، و (الخاص من ذلك، و هو ألفاظ القرآن) ... فتلك خمسة محاور، تفصّل فى خمسة فصول إيماء و إشارة، أو تبينا بالقصد الأصلى، و صريح العبارة، و بيان ذلك أن يقال:

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۲

لما كان البحث دائرا حول كيفية تعليم جبريل عليه السلام؛ فقد لزم أن تعرف مؤهلات المعلم من حيث هو معلم خاص من عالم غيبى؛ فتظهر من خلال ذلك صورة تفرغه لهذه المهمة الجليلة، و جدارته القائمة على إعداده الإلهى، و استعداده الخلقى، و الخلقى

(المهارى)؛ فكان الفصل الأول منعقدا لهذه الغاية، و عنوانه: مؤهلات المعلم.

و لأن العلم الملقى ينتمى من حيث جنسه إلى عالم الغيب بالنسبة للبشر، و ذا يقتضى عدم قدرة الإنسان فى أحواله الطبيعية على الالتقاء بعالم غيبى أو الاتصال به؛ فقد لزم أن يعلم تفصيل السبل التى جعلت الاتصال بين المعلم جبريل عليه السلام و المتعلم و هو النبى صلى اللّه عليه و سلم ميسورا بل أكثر يسرا من اتصال البشر بالبشر ... فتخبت عند ذاك قلوب الذين أوتوا العلم بأن جبريل عليه السلام كان يأتى النبى صلى اللّه عليه و سلم فى كل لحظة زمانية، فى أى حيز مكانى ليؤدى مهمته التعليمية إنشاء، أو متابعة ... و ذلك مفصل فى الفصل الثانى، و عنوانه: اتصال جبريل عليه السلام بالنبى صلى اللّه عليه و سلم للوحى القرآنى.

و لما كان ما سبق تقدمة لغاية البحث الأساسية: و هى بيان أوجه تعليم جبريل عليه السلام لفظ القرآن، و متعلقات ذلك، و تلقى النبى صلى اللّه عليه و سلم ألفاظ القرآن منه، فقد كان الفصل الثالث منعقدا لتلك الغاية، و عنوانه: هيئة تلقى النبى صلى اللّه عليه و سلم ألفاظ القرآن الكريم من جبريل عليه السلام بما يحتويه من مباحثه التسعة.

و إذ توجد فى كل موضوع جوانب تقريب من محور البحث عرضا أو غرضا؛ فقد كان الفصل الرابع منعقدا لهذه الغاية، و عنوانه: الأصول العامة فى تعليم جبريل عليه السلام القرآن من حيث اللفظ، و هو يرمى لتحقيق هذا الهدف لا لغيره، كما أن فيه بيان لمظاهر الصحبة المتميزة بين جبريل عليه السلام و النبى صلى اللّه عليه و سلم، و الارتباط الوثيق بينهما، و العلاقة الحميمة التى تمثل أوج الروابط بين مقرئ ملقى، و قارئ متلقى.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۳

و لأن محور البحث و هو (التلقى) قد يجابه بجملة انتقادات فى دقته، أو بقدح فى هيئته، و يرشح ذلك غرابة الاتصال بين مخلوقين من مستويين فيزيائيين مختلفين، و خصوصيته بين طرفى العملية التعليمية التلقينية؛ فقد انعقد الفصل الأخير لمعالجة جانب السلب فى موضوع البحث، بعد أن سبقته الفصول الأربعة بمعالجة جوانب الإيجاب فيه- و لذا كان الفصل الخامس، و عنوانه: دمغ الباطل، و فيه يذكر الباحث بعض الشبهات المقدوح بها فى دقة تلقى النبى صلى اللّه عليه و سلم ألفاظ القرآن الكريم، دامغا باطلها بحقائق التلقى اليقينية التى حفت العملية التعليمية بين النبى صلى اللّه عليه و سلم و جبريل عليه السلام، و لذا فتناولها سيكون من هذه الزاوية لا غير.

و لأن البحث دائر حول منهج يعلم و يتعلم تلقيا فقد ألحق بالبحث مناقشة علمية حول ماهية المنهج المتلقى (القرآن الكريم) من حيث حدوده اللفظية كنوع من المعرفة لمذاهب العلماء حول الحدود الفاصلة فى تعريف القرآن الكريم، و للتأكيد على أن اختلاف ألفاظهم فى تعريفه ... إن هو إلا زيادة تأكيد منهم على بدهية حدوده اللفظية عند المسلمين، و المنهج التلقينى فى تعلمه و تعليمه ليعلم أن التلقى صفة ذاتية للقرآن الكريم.

و قد حذف الباحث من هذه الطبعة بعض المباحث، و التراجم، و الحواشى التى لم يرها ضرورية فى النشر العام «۱»، و كانت من أصل الرسالة، كما أن الباحث يعتذر عن الطبيعة الجدلية التى كانت تسوق إليها طبيعة المسألة المبحوثة سوقا.

و من اللّه- وحده- يلتمس التوفيق و السداد، و الحمد للّه رب العالمين. (۱) أصل هذا البحث رسالة علمية قدمت لنيل درجة التخصص الأولى (الماجستير) من قسم التفسير و علوم القرآن فى جامعة القرآن الكريم و العلوم الإسلامية فى السودان تحت إشراف فضيلة الأستاذ الدكتور/ أحمد على الإمام مدير جامعة القرآن الكريم سابقا و مستشار الرئاسة لشئون التأصيل، و نالت درجة ممتاز مع التوصية بطباعتها.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۴

الفصل الأول مؤهلات المعلم الملقى

اشارة

عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوى يتألف هذا الفصل من مقدمة و أربعة مباحث:

فالمقدمة لبيان جلية الأمر فى ألفاظ القرآن الكريم و أنها ألفاظ رب العزّة سبحانه و تعالى و كلامه، و ليس لجبريل عليه السلام فيها سوى صفة المرسل المعلّم، و ليس للنبى صلى اللّه عليه و سلم فيها سوى صفة المرسل المبلّغ.

و المبحث الأول يتكلم عن أهمية الحديث عن موضوع جبريل عليه السلام فى بعده التاريخى و أهدافه المنهجية.

و المبحث الثانى يفصل صفات جبريل عليه السلام التى صار بموجبها جديرا بتحمل الوحى القرآنى، و تعليمه للنبى صلى اللّه عليه و سلم فى طبيعته الخلقية، و سجاياه الخلقية.

و المبحث الثالث يتحدث عن كون جبريل عليه السلام هو المختار الوحيد من بين الملائكة ليكون أمين وحى اللّه عزّ و جل لأهل السماء و المبحث الرابع يتحدث عن نتيجة ذلك و هو أن جبريل عليه السلام هو الأمين على وحى اللّه عزّ و جل لأهل الأرض، كما يتكلم هذا المبحث عن المقتضى المنهجى لذلك، و هو سد ذريعة القدح فى الوحى.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۵

مقدمة: من الموحى بالقرآن؟ من المتكلم به؟:

و هى أهم مسالة منهجية يرتكز عليها البحث على الرغم من صغر الحيز المحدد لها، و لن تجيب الدراسة على هذا السؤال بل إن الإجابة التى فى القرآن الكريم كافية بعد اطراح ما اعترى علماء الكلام من خلل و دخل؛ إذ يقول اللّه تعالى: كَذلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَ إِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ "الشورى/ ۳، "و حسبك عظمة أن المتكلم بالقرآن هو اللّه الذى من عظمته تَكادُ السَّماواتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ "الشورى/ ۵، "فليس لأعلى رجل فى البشر و هو النبى صلى اللّه عليه و سلم مقدار قطمير فيه وَ كَذلِكَ أَوْحَيْنا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنا ما كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتابُ وَ لَا الْإِيمانُ "الشورى/ ۵۲، "و يبقى بعد ذلك تحديد أطر المحافظة على القرآن بعد وصوله إلى البشر ليبقى متلوا كما تكلم به اللّه، و مقروءا كما أنزله اللّه، بما أنزله اللّه لفظا و أداء، لم يطرأ عليه تغيير لفظى، و لم يشبه زيف من تطوير لغوى، أو تحريف لهجى إلا فى الحدود التى أرادها اللّه- تعالى ذكره- و أول هذه الأطر: أن الذى تولى أمر المحافظة عليه هو اللّه سبحانه و تعالى منزله كما قال تعالى مثبتا الحفظ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَ إِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ "الحجر/ ۹، "و قال عزّ و جل نافيا طروء أدنى تغيير لا مُبَدِّلَ لِكَلِماتِهِ "الأنعام/ ۱۱۵، "فهذا فى كلامه من حيث هو كلام مقول، و أما فيه من حيث هو كلام مكتوب فقد قال- جل ذكره- إثباتا للحفظ و نفيا لإمكان التغيير: وَ إِنَّهُ لَكِتابٌ عَزِيزٌ (۴۱) لا يَأْتِيهِ الْباطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ لا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ "فصلت/ ۴۱- ۴۲."

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۶

و الحفظ هنا ينصرف انصرافا أوليا إلى حفظ الألفاظ؛ لأنه قد علم أن المعنى غير منضبط إلا بضبط لفظه له، فحفظ اللفظ مقتض لحفظ المعنى، و حفظ المعنى مستلزم لحفظ اللفظ.

و إذا كان ذلك كذلك، فما نوع نسبة القرآن فى قوله- تعالى ذكره- إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ "الحاقة/ ۴۰، التكوير/ ۱۹؟."

لا يشك من له علم فى كلام العرب، و تصاريف أنواع خطابه، بل من يعاصر الأقوام فى عاداتهم الكلامية أن النسبة إلى جبرئيل عليه السلام نسبة أداء، لا نسبة إنشاء، و هو لازم وصفه بالرسالة، لأنه واسطة فيه، و ناقل له عن مرسله، و هو اللّه- تعالى ذكره-، إذ إضافة القول إلى الرسول إنما هو لأدنى ملابسة لأن جبريل عليه السلام يبلغ ألفاظ القرآن إلى النبى صلى اللّه عليه و سلم فيحكيها كما أمره اللّه عزّ و جل، فهو قائلها أى صادرة منه ألفاظها، لا أنه منشئ ألفاظها، لذا قال القرطبى- رحمه اللّه تعالى- فى تفسير سورة التكوير: و أضاف الكلام إلى جبريل عليه السلام ثم عداه عنه بقوله تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعالَمِينَ "الحاقة/ ۴۳، "ليعلم أهل التحقيق فى التصديق أن الكلام للّه عزّ و جل «۱»، و بذلك صرح سائر العلماء «۲»، فقوله تعالى لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ "التكوير/ ۱۹ "معناه لقول الرسول أى لقوله

المبلغ له عن اللّه سبحانه و تعالى، فقرينة ذكر الرسول تدل على انه إنما يبلغ شيئا أرسل به؛ فالكلام كلام اللّه سبحانه و تعالى:
ألفاظه، و معانيه، و جبريل عليه السلام مبلغ عن اللّه، و بهذا الاعتبار نسب القول له «۳». (۱) (القرطبى) أبو عبد اللّه محمد بن أحمد الأنصارى القرطبى: الجامع لأحكام القرآن ۹/ ۲۴۰، ۱۴۰۵ ه- ۱۹۸۵ م، دار إحياء التراث العربى- بيروت.
(۲) انظر: تفسير الجلالين، و بهامشه حاشية الصاوى ۴/ ۳۸۹، دار الفكر بيروت ۱۴۱۴ ه- ۱۹۹۳ م، قدم له و أشرف على تصحيحه: صدقى محمد جميل، و التحرير و التنوير ۳۰/ ۱۵۵، مرجع سابق، و روح المعانى ۳۰/ ۱۰۴.
(۳) (الشنقيطى) محمد الأمين بن محمد المختار الجكنى: أضواء البيان فى إيضاح القرآن بالقرآن ۷/ ۷۰۳، عالم الكتب- بيروت، فالقول الذى ينزل به على قلب النبى صلى اللّه عليه و سلم ليس قوله من حيث الحقيقة كما تقدم، بل يأخذ فيه صفة الرسالة،
تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۷
فنسبة كلام اللّه- تعالى ذكره- لجبريل عليه السلام نسبة أداء (أى تبليغ الرسول ما أمره اللّه سبحانه و تعالى بتبليغه) لا نسبة إنشاء.
و كذلك يقال فى آية الحاقة بالنسبة للرسول صلى اللّه عليه و سلم، فالنطق نطق القارى، و الكلام كلام البارى، كما يقال هذا قرآن ابن مسعود رضى اللّه عنه، أو قرآن على بن أبى طالب رضى اللّه عنه، أو قراءة فلان ... عنوا به أنه خارج بصوته لا أنه كلامه. قال فى التحرير و التنوير ۳۰/ ۱۵۵، مرجع سابق: و فى التعبير عن جبريل يوصف رسول إيماء إلى أن القول الذى يبلغه هو رسالة من اللّه مأمور بإبلاغها كما هى.
تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۸

المبحث الأول: أهمية موضوع تعليم جبريل عليه السلام:

اشارة

يتحدث هذا المبحث عن أهمية موضوع تعليم جبريل عليه السلام النبى صلى اللّه عليه و سلم فى إطاره التاريخى، و تعلق ذلك بألفاظ القرآن الكريم، و ما تحققه دراسة هذا الموضوع من أهداف، ذاك بأن هذا الموضوع هو الوجه الآخر لموضوع تلقى النبى صلى اللّه عليه و سلم ألفاظ القرآن الكريم من جبريل عليه السلام.
و يتألف هذا المبحث من مطلبين:
المطلب الأول: البعد التاريخى و الموضوعى للاهتمام بهذا الموضوع.
المطلب الثانى: أهداف دراسة هذا الموضوع.

المطلب الأول: البعد التاريخى و الموضوعى للاهتمام بهذا الموضوع:

إذا كان جبريل عليه السلام هو الذى بلغ رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم القرآن الكريم، و علمه إياه فإن جبريل عليه السلام قد جعل بأمر اللّه شيخا للنبى صلى اللّه عليه و سلم، و معلما له بصريح قوله سبحانه و تعالى عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوى النجم/ ۵، "فقد بات حتما على متتبعى علوم القرآن الكريم أن يتتبعوا تفصيلا كيفية تعليم جبريل عليه السلام القرآن الكريم؛ إذ يأخذ حيز الأهمية الأولى فى دراسة العلوم الإسلامية الشرعية، و من هاهنا اهتم العلماء بهذا الموضوع اهتماما بالغا، فإن كان الأمر كذلك؛ فليس الباحث بدعا فى اهتمامه بذا الموضوع، بل كان هذا الموضوع كما لم يزل على رأس قائمة المفردات العلمية و الشرعية التى يمارس درايتها أولوا النهى من المسلمين فضلا عن أرباب الحجى من العلماء.
تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۹

و أول من أثاره: الصحابة تعبدا و ازديادا فى طمأنينة قلب، فقد روت عائشة- رضى اللّه تعالى عنها- أن الحارث بن هشام رضى اللّه عنه سأل رسول اللّه، فقال: يا رسول اللّه! كيف يأتيك الوحى؟ ... الحديث «۱».

قال السندى- رحمه اللّه تعالى-: ظاهره أن السؤال عن كيفية الوحى نفسه، لا عن كيفية الملك الحامل له، و يدل عليه أول الجواب، لكن آخر الجواب يميل إلى أن المقصود بيان كيفية الملك الحامل، فيقال يلزم من كون الملك فى صورة الإنسان كون الوحى فى صورة مفهوم متبيّن أول الوهلة، فبالنظر إلى هذا اللازم صار بيانا لكيفية الوحى، فلذلك قوبل بصلصلة الجرس، و يحتمل أن المراد للسؤال عن كيفية الحامل أى كيف يأتيك حامل الوحى «۲».

و لم تنقله عائشة- رضى اللّه تعالى عنها- ثم من بعدها إلا لجلالته عندهم، فليست المسألة فضول قول، و نافلة كلم.

و قد قال الواقدى- فيما حكاه عنه ابن سعد-: حج أمير المؤمنين هارون الرشيد فورد المدينة فقال ليحيى بن خالد: ارتد لى رجلا عارفا بالمدينة و المشاهد، و كيف كان نزول جبريل عليه السلام على النبى صلى اللّه عليه و سلم و من أى وجه كان يأتيه ... «۳».

و جعل ابن حبان- رحمه اللّه تعالى- مسألة بدء الوحى و كيفية تلقيه أول أنواع يحتاج إلى معرفتها من أخبار النبى صلى اللّه عليه و سلم، حيث قال: و أما أخبار النبى صلى اللّه عليه و سلم عما احتيج إلى معرفتها، (۱) يأتى بتمامه- إن شاء اللّه تعالى- فى الفصل الثانى- المبحث الثالث.

(۲) (السندى) أبو الحسن نور الدين عبد الهادى ت ۱۱۳۸ ه: حاشية السندى ۲/ ۱۵۰، مراجعة: عبد الفتاح أبو غدة، ۱۴۰۶ ه- ۱۹۸۶ م، مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب.

(۳) (ابن سعد) محمد بن سعد بن منيع البصرى الزهرى (۱۶۸ ه- ت ۲۳۰ ه): الطبقات الكبرى، دار صادر بيروت.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۰

فقد تأملت جوامع فصولها، و أنواع ورودها، لأسهل إدراكها على من رام حفظها، فرأيتها تدور على ثمانين نوعا: النوع الأول: إخباره صلى اللّه عليه و سلم عن بدء الوحى و كيفيته «" ...۱».

بل هو رأس المفردات الأصولية، و يظهر هذا فى صنيع الإمام البخارى- رحمه اللّه تعالى- فى صحيحه؛ إذ جعل كتاب بدء الوحى أول كتب الصحيح، و إنما فعله دليلا على المنهج العلمى المسلوك عند المسلمين فى عد العلوم النافعة، مما يطمئن إلى صواب هذا الفقه فى أهمية موضوع جبريل عليه السلام، و فى وصف ابن عباس رضى اللّه عنه لقراءة النبى صلى اللّه عليه و سلم إثر تعليم جبريل عليه السلام له بأنه (قرأه- أى القرآن- كما قرأه) داع للعلماء عموما، و للمتخصصين فى علوم القرآن خصوصا ليتعرفوا على كنه تعليم جبريل عليه السلام للنبى صلى اللّه عليه و سلم القرآن من حيث لفظه؛ إذ يتوقف عليه معرفة هيئة نقل أصل الأصول الإسلامية.

و ما للتعليل لأهمية هذا المبحث يذهب هذا المذهب فى الاستدلال على أمر وضوحه جلى كالشمس، و قد كان كافيا ما يظهر من كثرة الآيات التى تتحدث عن جبريل عليه السلام و تعليمه للنبى صلى اللّه عليه و سلم ألفاظ القرآن دليلا على صحة هذا المرام؟.

المطلب الثانى: أهداف دراسة هذا الموضوع:

اشارة

تحقق دراسة تعليم جبريل عليه السلام النبى صلى اللّه عليه و سلم ألفاظ القرآن الأهداف التالية:

۱- غرس الاهتمام بالأصول الكلية فى هذه الشريعة المطهرة

؛ إذ عنها تنبثق بقية جزئياتها، و لذا تكرر موضوع تعليم جبريل عليه السلام ألفاظ القرآن فى القرآن، حتى ذكر إنزال القرآن على قلب

الرسول صلى اللّه عليه و سلم مرتين، و هى جزئية صغيرة من جزئيات هذا (١) (ابن حبان) محمد بن حبان بن أحمد التميمى البستى ت ٣٥٤ ه- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان ١/ ١٣١، مراجعة: شعيب الأرناءوط، ١٣٩٩ ه- ١٩٧٩ م، مؤسسة الرسالة، بيروت.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ٢١

الموضوع، مع أن الوضوء بجميع متعلقاته من حيث هو وضوء لأهم ركن عملى فى الإسلام لم يذكر فى القرآن إلا مرة واحدة.

٢- بيان الطريقة المنهجية التى علم بها جبريل عليه السلام

و تعلم بها النبى صلى اللّه عليه و سلم ألفاظ القرآن، و تأصيلها، ثم اتخاذها منهجا فى تعلم ألفاظ القرآن، ما دامت فى حدود الطاقة البشرية الفردية، و توزيعها على الأمة إن استدعى صبغها بالجماعية.

٣- الاستشعار النفسى لما اعترى عملية نقل الكلام الإلهى

القرآنى من السماء إلى الأرض من مثبتات للحفظ، و مؤيدات لمنع شوائب الدخل، و هذا يكون مقدمة لرفع الإجلال الذاتى المصبوغ بالصبغة العقائدية فى نفس المسلم لكلام اللّه عزّ و جل.

۴- أن تحاول الأمة بمجموعها جعل جهودها لحفظ كتاب اللّه

أداة من الأدوات الواقعية لحقيقة الحفظ الإلهية تقارب ما بذله طرفا الاتصال السماوى و الأرضى لأجل ذلك، و كما رعى اللّه- تعالى ذكره- طرفى الاتصال فى هذا السبيل سيرعى اللّه عزّ و جل الأمة فى السبيل ذاته ... و قد فعل سبحانه و تعالى.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ٢٢

المبحث الثانى: صفات جبريل عليه السلام:

اشارة

سيقتصر الباحث هاهنا على الصفات التى ترتبط بموضوع البحث، و هى الصفات التى حبا اللّه بها جبريل عليه السلام ليقوم بهذه المهمة الجليلة، و هى ما أعده اللّه عزّ و جل فيه من السجايا الخَلقية و الخُلقية من حيث أنه الرسول الذى يحمل الوحى، و يعلمه للرسول الذى يعلمه لأهل الأرض، و كلامنا عن هذه الصفات مقتصر عليها من حيث أن جبريل عليه السلام هو الناقل للقرآن من السماء إلى الأرض، و ينقسم هذا المبحث إلى مطلبين من حيث عودة هذه الصفات إلى الطبيعة الخَلقية، أو إلى السجايا الخلقية، و قد يتداخلان:

المطلب الأول: صفاته من حيث طبيعته الخُلقية:

١- عظمة الخلقة:

فعن ابن عباس رضى اللّه عنه أن النبى صلى اللّه عليه و سلم سئل: يا محمد كيف يأتيك الذى يأتيك؟ يعنى جبرئيل عليه السلام، فقال رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم: (يأتينى من السماء جناحاه لؤلؤ، و باطن قدميه أخضر) «١»، و يؤيده: ما رواه عبد اللّه بن مسعود رضى اللّه عنه قال: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم: (رأيت جبريل عليه السلام عند سدرة المنتهى و عليه ستمائة جناح ينثر من

ريشه تهاويل الدر و الياقوت «۲». و تهاويل الدر و الياقوت قال ابن الأثير- رحمه اللّه تعالى- فى تفسيرها ":أى الأشياء المختلفة الألوان، و منه يقال لما يخرج فى الرّياض من ألوان الزّهر التهاويل، و كذلك لما يعلّق على الهوادج من ألوان العهن و الزّينة، و كأن واحدها تهوال، و أصلها مما يهول الإنسان و يحيّره «"۳». (۱) (ابن أبى عاصم) أبو بكر أحمد بن عمرو بن الضحاك الشيبانى ت ۲۸۷ ه: الآحاد و المثانى ۳/ ۴۵۶، مراجعة: د.

باسم فيصل أحمد الجوابرة، ۱۴۱۱ ه- ۱۹۹۱ م، دار الراية الرياض.

(۲) صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان ۱۴/ ۳۳۷، مرجع سابق، و قال الشيخ شعيب الأرناءوط ":إسناده حسن."

(۳) (ابن الأثير) المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم أبو السعادات الجزرى ت ۶۰۶ ه: النهاية فى غريب الأثر ۵/ ۲۸۲، النهاية فى غريب الأثر تحقيق: طاهر أحمد الزاوى و محمود محمد الطباخى، ۱۳۹۹ ه-، ۱۹۷۹ م، دار الفكر- بيروت.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۳

و لجبريل عليه السلام القدرة على التشكل إلى أجسام أخرى، و لكنه كان أكثر ما كان يأتيه فى صورة الصحابى الجليل (دحية الكلبى) ... فعن جابر رضى اللّه عنه أن رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم قال:

(عرض على الأنبياء ... و رأيت جبريل، فإذا أقرب من رأيت شبها دحية بن خليفة) «۱»، و إنما جعلت هذه الصفة أول الصفات لارتباطها بالقدرة التى أودعها اللّه فى جبريل عليه السلام ليأتى النبى صلى اللّه عليه و سلم فيعلمه القرآن بإطلاق الزمان و المكان، و على أى هيئة كان، و تأتى أمثلة على ذلك- إن شاء اللّه تعالى- «۲».

و هل كان النبى صلى اللّه عليه و سلم يرى جبريل عليه السلام فى خلقته الأصلية دائما؟

الجواب: لم يره كذلك إلا مرتين فقد ثبت فى صحيح مسلم عن عائشة- رضى اللّه تعالى عنها- مرفوعا: (لم أره يعنى جبريل عليه السلام على صورته التى خلق عليها إلا مرتين) «۳»، و بين أحمد فى حديث ابن مسعود أن الأولى كانت عند سؤاله إياه أن يريه صورته التى خلق عليها، و الثانية عند المعراج «۴».

و الأمر لا يستدعى البحث بدقة فى عدد المرات التى رأى النبى صلى اللّه عليه و سلم فيها جبريل عليه السلام؛ إذ المراد بيان أن رؤيته لجبريل عليه السلام مرة تحقق جملة أمور من حيث نقل القرآن: (۱) صحيح مسلم ۱/ ۱۵۳، مرجع سابق، و راجع: (الدينورى) عبد اللّه بن مسلم بن قتيبة ت ۲۷۶ ه: تأويل مختلف الحديث، مراجعة: محمد زهرى النجار، ۱۹۷۲ م- ۱۳۹۳ ه، دار الجيل- بيروت، ففيه رد على من استنكر وجود خلق له قدرة على التشكل، و قد أتى هذا المستنكر من كبر فى نفسه ما هو ببالغه، و أول كلام ابن قتيبة- رحمه اللّه تعالى "-:و لم يأت أهل التكذيب بهذا و أشباهه، إلا لردهم الغائب عنهم إلى الحاضر عندهم، و حملهم الأشياء على ما يعرفون من أنفسهم، و من الحيوان، و الموات، و استعمالهم حكم ذوى الجثث فى الروحانيين." ...

(۲) انظر: الفصل الثانى- المبحث الثانى.

(۳) مسلم ۱/ ۱۵۳، مرجع سابق.

(۴) (ابن حنبل) أبو عبد اللّه أحمد بن حنبل الشيبانى ت ۲۴۱ ه: مسند الإمام أحمد ۳/ ۱۲۰- مؤسسة قرطبة- مصر. و للترمذى من طريق مسروق عن عائشة- رضى اللّه تعالى عنها-: (لم ير محمد جبريل فى صورته إلا مرتين: مرة عند سدرة المنتهى، و مرة فى أجياد).

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۴

منها: إيقاع الطمأنينة فى قلب النبى صلى اللّه عليه و سلم برؤيته لعظيم قدرة اللّه عزّ و جل تتجلى فى جبريل عليه السلام من جهة، و من جهة أخرى لطمأنته، و تثبيت قلبه على قدرة جبريل عليه السلام على نقل القرآن، و تبليغ رسالة ربه دون توان، و زادت هذه الطمأنينة تأكيدا برؤيته له مرة أخرى.

و منها: دفع توهم أن الذى يأتيه شيطان لا من قلبه فقط، بل من قلب غيره.

۲- أنه ملک:

و الملک واحد الملائکهٔ، و هو فی الأصل جمع ملاک ثم حذفت همزته لکثرهٔ الاستعمال فقیل ملک، و قد تحذف الهاء فیقال ملائک، و قیل أصله مالک بتقدیم الهمزهٔ من الألوک الرسالهٔ، ثم قدّمت الهمزهٔ و جمع «۱»، فالرسالهٔ طبیعهٔ ذاتیهٔ ملازمهٔ لکون الملک ملکا، و هذه الرسالهٔ هی ما یصدر إلی الملائکهٔ من أوامر فیؤدونها أدق أداء، و أتمه؛ لأن الرسالهٔ طبیعهٔ ذاتیهٔ فیهم، و لیس یخفی أن هذه هی أولی وسائل الیقین فی نقل القرآن، إذ کون الرسالهٔ طبیعهٔ ذاتیهٔ فی الملائکهٔ یستلزم: الأمانهٔ فی نقلها، و إتقان النقل، و یعضد هذا أنهم المختارون لیکونوا وسائط بین اللّه عزّ و جل و خلقه، و لذا فقوله تعالی لا یَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَ هُمْ بِأَمْرِهِ یَعْمَلُونَ "الأنبیاء/ ۲۷،" إیضاح لحال الملائکهٔ، و لیس بتأسیس لصفهٔ جدیدهٔ بعد نعتهم بالملائکهٔ، و اقتضی هذا الإیضاح دحض تخرصات الشرک و أهله فی طبیعهٔ الملائکهٔ.

۳- الروح:

و قد وردت هذه اللفظهٔ علی خمس معان فی القرآن الکریم «۲»، و لا خلاف بین المفسرین و غیرهم فی أن المراد بها فی قوله تعالی نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِینُ "الشعراء/ ۱۹۳ "هو جبریل علیه السلام «۱»، و یسمی جبریل علیه السلام روح القدس لأنه خلق من طهارهٔ «۲». (۱) النهایهٔ فی غریب الأثر ۴/ ۳۵۸، مرجع سابق، و فیه ":و فی حدیث جریر: علیه مسحهٔ ملک، أی أثر من الجمال لأنهم أبدا یصفون الملائکهٔ بالجمال. "و هذه صفهٔ خلقیهٔ أخری إلا أنه لا یتعلق بها کبیر أمر هنا.

(۲) (ابن القیم) شمس الدین محمد بن أبی بکر بن أیوب الزّرعی الدمشقی، الروح لابن القیم ص ۲۰۶- عالم الکتب بیروت، و ذکر ابن حجر- رحمه اللّه تعالی، نقلا عن ابن التین فی معنی لفظ الروح حیث ورد فی القرآن الکریم تسعهٔ معان، و أما حقیقتها فقد ذکر أنهم اختلفوا فیها علی أکثر من مائهٔ قول، و ذا تکلف جلی فیما لا طائل من تحته.

تلقی النبی ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۵

و هذه الصفهٔ الجلیلهٔ لجبریل علیه السلام ورد مدحه بها فی معرض التأکید علی سلامهٔ نقل القرآن، و بیان خصائص لفظه من سورهٔ الشعراء، و ذلک دال علی مبلغها من جلالهٔ القدر فی نقل القرآن من السماء إلی الأرض، و لعل من أسرارها فی هذا الباب أن الروح فیه معنی الحیاهٔ و الحرکهٔ، و یومئ ذلک إلی أن تلقی جبریل علیه السلام للقرآن من اللّه سبحانه و تعالی تلق حی لا یعروه شائبهٔ کسل، أو موات؛ إذ کون الناقل مخلوقا واحدا و هو جبریل علیه السلام مدعاهٔ لأن یشکک فی نقله أقوام اعتادوا الجدل و ألفوه. «۱»

و یزید هذا المعنی إیضاحا أن لفظهٔ (روح) لا ترد فی القرآن الکریم إلا للأمور التی استأثر اللّه عزّ و جل بها بأحد أنواع الاستئثار علما (کروح الإنسان)، أو قولا (کالقرآن) ...

و لذا ذکر اللّه سبحانه و تعالی خلق آدم، و عظّم خلقه عند ما بین أنه نفخ فیه من روحه وَ نَفَخْتُ فِیهِ مِنْ رُوحِی "ص/ ۷۲ «"۲» و هی المنقبهٔ التی یذکرها له الناس یوم القیامهٔ فی حدیث الشفاعهٔ الکبری ... و هذا یثبت ما ذکر من علاقهٔ سلامهٔ نقل القرآن من السماء إلی الأرض، و دقهٔ نقله کما قاله اللّه عزّ و جل، بوصف جبریل علیه السلام بالروح.

کما أن من أهم مقتضیات کونه روحا: إمکانیهٔ الاتصال المطلق، مع خفاء ذلک علی من حوله، و ذاک یمکنه من المجیء إلی النبی صلی اللّه علیه و سلم دون أن یشعر به أحد، و ذلک لأن الروح تطلق علی ما خفی «۳».

۴- السرعهٔ و الفوریهٔ فی النزول بالوحی القرآنی:

حتى لو كان جبريل عليه السلام نازلا بهيئته الشديدة على النبى صلى اللّه عليه و سلم، و ذلك عند الاقتضاء إنشاء أو استدراكا، و هذه

(۱) و عند (ابن سعد) أبو عبد اللّه محمد بن سعد بن منيع البصرى الزّهرى (۱۶۸- ۲۳۰): الطبقات الكبرى ۱۹۴/ ۱، دار صادر- بيروت: عن قتادة فى قوله تعالى وَ أَيَّدْناهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ "البقرة/ ۸۷، "قال ":هو جبريل."

(۲) النهاية فى غريب الأثر ۴/ ۲۳، مرجع سابق.

(۳) انظر: المبحث الثانى من الفصل الثانى.

الصفة إحدى التطبيقات للصفات الأخرى كالقوة، و الأمانة، و ليذكرها هنا نموذجان عن هذه السرعة من حيث البلاغ العام، و البلاغ القرآنى:

فنموذج البلاغ العام: ما قاله صهيب رضى اللّه عنه: (يا رسول اللّه! ما سبقنى إليك أحد، و ما أخبرك إلا جبريل) «۱». و هذا فى الأحداث الواقعية، فكيف يكون الشأن فى أمر يتعلق بالوحى القرآنى الإلهى، و قد اتخذت له كل الوسائل الإلهية المحضة، و البشرية المعانة إعانة إلهية ليقرأه كما أنزله اللّه و هو البلاغ الخاص؟، و نموذج ذلك: ما رواه سهل بن سعد الساعدى رضى اللّه عنه أنه قال: رأيت مروان بن الحكم جالسا فى المسجد، فأقبلت حتى جلست إلى جنبه فأخبرنا أن زيد بن ثابت أخبره أن رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم أملى عليه ... لا يَسْتَوِي الْقاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَ الْمُجاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوالِهِمْ وَ أَنْفُسِهِمْ "النساء/ ۹۵-" قال-: فجاء ابن أم مكتوم و هو يمليها علىّ، فقال: يا رسول اللّه! لو أستطيع الجهاد لجاهدت، و كان رجلا أعمى، فأنزل اللّه سبحانه و تعالى على رسوله صلى اللّه عليه و سلم و فخذه على فخذى، فثقلت على حتى خفت أن ترض فخذى، ثم سرّى عنه ... فأنزل اللّه عزّ و جل غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ «۲». (۱) المستدرك على الصحيحين ۳/ ۴۵۲، مرجع سابق، عن صهيب قال: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم: (أريت دار هجرتكم سبخة بين ظهرانى حرة، فإنما أن تكون هجرا، أو تكون يثرب)، قال: و خرج رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم إلى المدينة و خرج معه أبو بكر رضى اللّه عنه، و كنت قد هممت بالخروج معه فصدنى فتيان من قريش فجعلت ليلتى تلك أقوم و لا أقعد فقالوا: قد شغله اللّه عنكم ببطنه، و لم أكن شاكيا. فقاموا فلحقنى منهم ناس بعد ما سرت بريدا ليردونى، فقلت لهم: هل لكم أن أعطيكم أواقى من ذهب و تخلون سبيلى و تفون لى؟. فتبعتهم إلى مكة فقلت لهم: احفروا تحت أسكفة الباب فإن تحتها الأواق و اذهبوا إلى فلانة فخذوا الحلتين. و خرجت حتى قدمت على رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم قبل أن يتحول منها- يعنى قباء- فلما رآنى قال: (يا أبا يحيى ربح البيع) ثلاثا. فقلت: يا رسول اللّه! ما سبقنى إليك أحد و ما أخبرك إلا جبريل عليه السلام. و قال الحاكم ":هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه."

(۲) صحيح البخارى ۳/ ۱۰۴۲، مرجع سابق.

۵- القوة:

كما قال تعالى ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوى النجم/ ۶ "أى هو صاحب جسم "فى قوة و قدرة عظيمة على الذهاب فيما أمر به، و الطاقة لحمله فى غير آية النشاط و الحدة، كأنه ذو مزاج غلبت عليه الحدة «۱»، فهو صعب المراس، ماض فى مرارته، على طريقة واحدة على غاية من الشدة لا توصف «"۲».

و يأتى تفصيلها فى المطلب الثانى- إن شاء اللّه تعالى-.

على أنه ينبغى التنبيه من خلال الاستعراض لمظاهر قوة جبريل عليه السلام الخلقية أن هذه الخلقة العظيمة التى هيأه اللّه- تعالى ذكره-

بها تحمل فی طیاتها تهیئته بحمل الأجهزة التکوینیة المناسبة لحفظ کلام الجبار سبحانه و تعالی عند استماعه، ثم نقله له کما هو إلی النبی صلی اللّه علیه و سلم بالسرعة المطلوبة فی الوقت المعین ... و لذا کان جبریل علیه السلام، أول من یقوم من الصعق عند ما یتکلم اللّه عزّ و جل بالوحی- کما سیأتی إن شاء اللّه تعالی- «۳».

المطلب الثانی: صفاته علیه السلام، من حیث سجایاه الخلقیة:

۱) کریم:

کما فی قوله سبحانه و تعالی إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ کَرِیمٍ "التکویر/ ۱۹، "و هی صفة تقتضی نفی المذام کلها، و إثبات صفات المدح اللائقة به «۴»، و فی تفسیرها یقول الآلوسی- رحمه اللّه تعالی "-:عزیز علی اللّه سبحانه و تعالی «"۵»، و قال ابن کثیر- رحمه اللّه (۱) المراد الجد و القوة، و لیس الغضب.

(۲) انظر: (البقاعی) برهان الدین أبو الحسن إبراهیم بن عمر (ت ۸۸۵ ه): نظم الدرر فی تناسب الآیات و السور ۱۹/ ۴۴، ۱۴۱۳ ه، ۱۹۹۲ م، ط ۳، المکتبة التجاریة، مکة المکرمة.

(۳) انظر: المبحث الثالث من هذا الفصل.

(۴) البحر المحیط ۸/ ۴۳۴، مرجع سابق.

(۵) روح المعانی ۳۰/ ۱۰۴، مرجع سابق.

تلقی النبی ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۸

تعالی "-:ملک حسن الخلق بهی المنظر «"۱»، و فی التحریر و التنویر فی معنی کریم أنه:

"النفیس فی نوعه «"۲».

فقد جمعت له کلمة "کریم "کل المحامد، کما أظهرت تمیزه بخصائص لا توجد لسواه من الملائکة، فهو نفیس بین الملائکة.

۲) ذو قوة:

اشارة

"أی شدید، و قیل: المراد القوة فی أداء طاعة اللّه سبحانه و تعالی، و ترک الإخلال بها من أول الخلق إلی آخر زمان التکلیف، و قیل: لا یبعد أن یکون المراد قوة الحفظ، و البعد عن النسیان، و الخلط «"۳».

و لا یستبعد شمول وصف ذِی قُوَّةٍ "التکویر/ ۲۰ "لذلک کله؛ إذ یقتضی ذلک إطلاقها، و عدم تقیید النکرة قُوَّةٍ بشیء! بل ذلک هو الأظهر، و یستظهر هذا المعنی حتی یصیر فی حیز الحقیقة المقررة: بمجیء کلمة (قوة) مجموعة فی قوله عزّ و جل ... شَدِیدُ الْقُوی النجم/ ۵، "و من حیث خصوص مناط البحث فإنه یظهر من خلال هذا الوصف قوته فی أداء هذه الأمانة الشاملة لکل أنواع القوة.

و المراد الکلی من هذا الوصف: قدرته علی أداء مهمته التعلیمیة، ف- ذِی قُوَّةٍ یعنی أن جبریل علیه السلام، ما کلّف به من أمر غیر عاجز «۴».

و یدخل فی هذه القوة دخولا أولیا:

أ- قوة الحفظ.

ب- و قوة الوصول إلى الرسول من البشر.

(۱) ابن كثير ۴/ ۴۰۹، مرجع سابق.

(۲) انظر: التحرير و التنوير ۳۰/ ۱۵۳، مرجع سابق.

(۳) روح المعانى ۳۰/ ۱۰۴، مرجع سابق.

(۴) انظر: تفسير الطبرى ۳۰/ ۸۰، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۹

ج- و تلطف المجىء

، له بما يحتاج من خصال يحتاجها الملك، ليعوض بها ضعف البشر عن إدراك الملأ الغيبى؛ لذا قال الشوكانى ":ذى قوة شديدة فى القيام بما كلف به «"۱».

د- و قوة البدن المتعددة المناحى

لازمة للتنقل بين هذه المسافات الهائلة فى وقته الذى أمر بالتبليغ فيه بشكل دقيق، قال الصاوى- رحمه اللّه تعالى- ذاكرا بعض قوته": فكان من قوته: أن اقتلع قرى قوم لوط من الماء الأسود «۲»، و حملها على جناحه فرفعها إلى السماء، ثم قلبها، و أنه صاح بثمود صيحة فأصبحوا جاثمين، و أنه يهبط من السماء إلى الأرض، ثم يصعد فى أسرع من رد الطرف «۳».

و هذا الأخير الذى ذكره الصاوى هو المراد، و ما قبله خادم للإيراد، و تناقل المفسرون هذا المعنى فى أداء الرسالة التى كلف بها جبريل عليه السلام، على أتم وجه و أتقنه، بل جعل ذلك الإتقان هو طبيعة جبريل عليه السلام، فقوله كَرِيمٍ يحتمل أن تكون الصفة المشبهة تدل على الطبيعة و السجية الذاتية لا المتكلفة «۴ "،فالقوة حقيقتها مقدرة الذات على الأعمال العظيمة التى لا يقدر عليها غالبا، و تطلق مجازا على ثبات النفس على مرادها، و الإقدام على رباطة الجأش قال عزّ و جل يا يَحْيى خُذِ الْكِتابَ بِقُوَّةٍ "مريم/ ۱۲" خُذُوا ما آتَيْناكُمْ بِقُوَّةٍ "البقرة/ ۶۳، "فوصف جبريل عليه السلام ب ذِي قُوَّةٍ يجوز أن يكون شدة المقدرة، كما وصف بذلك فى قوله ذُو مِرَّةٍ، و يجوز أن يكون من القوة المجازية، و هى الثبات فى أداء ما أرسل به، كما قال سبحانه و تعالى عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوى النجم/ ۵؛ "لأن (۱) فتح القدير ۵/ ۴۸۱، مرجع سابق.

(۲) لعله يعنى البحر الميت؛ إذ هو موضعهم ... أو النفط الأسود؛ إذ أن موضعه غائر فى الأرض أكثر من الماء ... فعبر بموضعه دلالة على اجتثاث القرى من أصلها فى الأرض.

(۳) حاشية الصاوى ۴/ ۳۸۹، مرجع سابق.

(۴) كما فى فقيه من فقه بضم القاف.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۳۰

المناسب للتعليم هو قوة النفس، و لذا وصف فى النجم ب شَدِيدُ الْقُوى و المراد ب الْقُوى استطاعته تنفيذ ما أمر اللّه سبحانه و تعالى به من الأعمال العظيمة القلبية و الجسمانية، فهو الملك الذى ينزل على الرسل بالتبليغ، و قوته شملت قوة العقل، إضافة إلى قوة الجسم و قوة أداء المهمة، و إتقانها؛ و لذا وصف بقوله ذُو مِرَّةٍ، و المرة تطلق على الذات، و تطلق على متانة العقل، و أصالته، و هو المراد هنا، و اتفق المفسرون على أن المراد جبريل عليه السلام «"۱».

فإذا جمع هذا مع ما قرره أبو حيان- رحمه اللّه تعالى- فى معنى صـفة كَرِيمٍ و هو أنها صـفة تقتضـى نفسـى المذام؛ اتضحت إصرارية تثبيت قوة الحفظ و شدة الملكة التى بها يبلغ وحى ربه، و تعليمه رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم القرآن الكريم تفصيلا لكل حرف، و تبيانا لكل كلمة، من غير أن يقال أن ذلك مبالغ فيه، أو أنه ليس فى مقدرة جبريل عليه السلام من حيث الحركة، أو من حيث الحفظ.

۳) مُطاعٍ "التكوير / ۲۱:"

فهو مطـاع فى ملائكـة اللّه المقربين يصـدرون عن أمره، و هو مؤكـد لحقيقـة ائتمـارهم بأمره، و من أسـباب ذلك أنه أمين الوحى فى السـماء لأهـل السـماء- و يرد تفصـيل ذلك إن شاء اللّه تعالى- «۲» ...، و من صور طاعـة الملائكـة لجبريل عليه السـلام، طاعـة خازن السماء له، كما فى حديث الإسراء «۳»، و ذلك كله مؤثر فى الشـعور بمقدرة هذا المعلم. (۱) التحرير و التنوير ۳۰/ ۱۵۵، مرجع سابق، و انظر: البحر المحيط ۸/ ۱۵۴، مرجع سابق، و قـد ذكر فيه عن الحسن أن "شديد القوى "هو اللّه، و اسـتبعده، و كذا تفسـير الشوكانى ۵/ ۱۳۰، مرجع سابق، و أورد ابن كثير ۴/ ۲۱۰ قولا لابن عباس و قتادة ":منظر حسن، "ثم قال ":و لا منافاة بين القولين."

(۲) فى المبحث الثالث من هذا الفصل.

(۳) ففيه: قال النبى صلى اللّه عليه و سلم: فلما جئت إلى السماء الدنيا، قال جبريل عليه السلام، لخازن السماء: افتح. قال: من هذا؟ قال: هـذا جبريل عليه السـلام قال: هل معك أحد؟ قال: نعم! معى محمد صـلى اللّه عليه و سـلم فقال: أرسل إليه؟ قال: نعم. فلما فتح علونا السماء الدنيا ...) الحديث ... صحيح البخارى ۱/ ۳۰۰، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۳۱

۴) أَمِينٍ "التكوير / ۲۱:"

اشارة

فهو أمين الأمانة التى تقتضـى القيام بالتبليغ الذى يصل إلى درجة من الدقة حتى فى هيئات الألفاظ الداخلية و الخارجية، و قد اتخذت هذه الأمانة طابعين:

أ- طابع العموم فى كل ما اؤتمن عليه:

قال الطبرى "أمين عند اللّه على وحيه، و رسالته، و غير ذلك مما ائتمنه عليه «"۱».

ب- طابع الدقة و التفصيل:

إذ يتسع أفق فهمها ليشمل هيئات الألفاظ الداخلية فذلك مقتضى الإطلاق فى وصفه بالأمانة هنا.

و أمانته من حيث الأصالة تتسم بسمتين:

فهی ملکة دائمة ثابتة، و سجیة متجددة: إذ الأمین هو الذی یحفظ ما عهد له به حتی یؤدیه دون نقص، و لا تغییر.

و أمین (فعیل) إما بمعنی مفعول: أی مأمون من أمنته علی کذا، و إما صفة مشبهة من أمن بضم المیم، إذا صارت الأمانة سجیته «۲».

و سر الإتیان بقوله تعالی ثَمَّ بین هاتین الصفتین (مطاع، أمین) فی قوله عزّ و جل مُطاعٍ ثَمَّ أَمِینٍ: أن ثَمَّ ظرف مکان للبعید، و المراد أنه موصوف بـذلک فی السـماء، و هو یوحی بلزوم اکتفائکم بهـذه الأوصاف المطمئنة القاذفة للیقین بسـلامة الرسالة، و دقتها، و أنها کما أرادها اللّه سـبحانه و تعالی، و کما قالها فهی قرآن لم تطرأ علیها بارقـة تغییر من أحد من المخلوقین؛ إذ الکلام عن غیب ما أدراکم به أنتم؟ فلتسـمعوا وصـفه من مرسله، و خالقه، و حسبکم أنه بهذه المکانة فی ذلک المکان الأعلی، و لو شاء اللّه عزّ و جل ما تلا علیکم ما أمر بتبلیغه، و لذا قال الآلوسی ":و المقام یقتضی تعظیم الأمانة؛ لأن دفع کون القرآن (۱) تفسیر الطبری ۳۰/ ۸۰، مرجع سابق.

(۲) التحریر و التنویر ۳۰/ ۱۵۷، مرجع سابق، و کذا روح المعانی ۳۰/ ۱۰۴، مرجع سابق.

افتراء منوط بأمانة الرسول «"۱» ... کیف و قد قال عزّ و جل: وَ لَوْ تَقَوَّلَ عَلَیْنا ...

"الحاقة/ ۴۴؟، "و قرئ ثم (بالضم) تعظیما لوصف الأمانة، و تفضـیلا علی سائر الأوصاف «۲»، فالعطف بها للتراخی فی الرتبة؛ لأن ما بعدها أعظم مما قبلها «۳»، و قال الزمخشری ":و قرئ ثم تعظیما للأمانة و بیانا؛ لأنها أفضل صفاته المعدودة «"۴».

و لهذه الأمانة مقتضاها العملی الهام فی جهتین:

– جهة فی ذاته:

بأن یکون فی أعلی درجات الخشـیة اللّه تعالی، و المراقبـة له: و هـذه و إن کانت سـجیة دائمـة ملازمة للملک من حیث هو ملک، إلا أنها فی جبریل علیه السـلام ظاهرة التمیز، فعن جابر قال: قال رسول اللّه صـلی اللّه علیه و سـلم: (مررت لیلة أسـری بی بالملإ الأعلی، و جبریل علیه السلام کالحلس البالی من خشیة اللّه تعالی) «۵».

– جهة فی غیره:

و هو أن یکون جبریـل علیه السـلام إذ اتصف بهـا: مقبول القول، یصـدق فیمـا یقول، مؤتمن علی مـا یرسل به من وحی، و امتثال أمر، مؤدیـا لمـا اؤتمن علیه أحسن الأـداء، و أدقه فـدخل فی ذلک أن یؤدی لفظ القرآن أحسن أداء، و أتقنه ... بل أن ینقله علی أقوم هیئة أمر بها ... فأعظم ما اؤتمن علیه تأدیة ألفاظ القرآن. (۱) روح المعانی ۳۰/ ۱۰۵، مرجع سابق.

(۲) انظر: تفسیر أبی السعود ۵/ ۴۸۹، مرجع سابق، و القراءة المذکورة قراءة شاذة.

(۳) انظر: فتح القدیر ۵/ ۴۸۱، مرجع سابق.

(۴) الکشاف ۴/ ۱۹۱، مرجع سابق.

(۵) رواه الطبرانی فی الأوسـط ۲/ ۱۳۴، (الطـبرانی) مسـند الـدنیا أبو القـاسم سـلیمان بن أحمـد بن أیوب ت ۳۶۰. المعجم الأوسـط، مراجعة: محمود الطحان، ۱۴۰۵– ۱۹۸۵، مکتبة المعارف– الریاض، و صـححه الألبانی فی صـحیح الجامع رقم ۵۸۶۴، انظر: (الألبانی) محمد ناصـر الدین: صـحیح الجامع الصـغیر و زیادته، أشرف علی طبعه: زهیر الشاویش، ط ۳ ۱۴۰۸ ه– ۱۹۸۸ م، المکتب الإسلامی– بیروت.

۵) عِنْدَ ذِی الْعَرْشِ مَكِينٍ "التكوير/ ۲۰:"

أی هو ذو مكانة رفيعة عند اللّه العظيم جل جلاله، ف مَكِينٍ (فعيل) من مكن إذا علت رتبته عند غيره، يعنى هو ليس من أفناد الملائكة، بل هو من السادة الأشراف معتنى به انتخب لهذه الرسالة العظيمة، و عدل عن اسم الجلالة إلى (ذى العرش) بالنسبة لجبريل عليه السلام لتمثيل حال جبريل عليه السلام و مكانته عند اللّه سبحانه و تعالى بحالة الأمير الماضى فى تنفيذ أمر الملك، و هو بمحل الكرامة لديه «۱».

و مما يتفطن للتأمل فيه فى قوله عزّ و جل فى وصف جبريل عليه السلام: ذِی قُوَّةٍ عِنْدَ ذِی الْعَرْشِ مَكِينٍ "التكوير/ ۲۰: "توسط عِنْدَ ذِی الْعَرْشِ بين ذِی قُوَّةٍ و مَكِينٍ، (و سر ذلك): ليتنازعه كلا الوصفين على وجه الإيجاز، أى هو ذو قوة عند اللّه عزّ و جل، أى جعل اللّه سبحانه و تعالى مقدرة جبريل عليه السلام تخوله أن يقوم بعظيم ما يوكله اللّه عزّ و جل به مما يحتاج إلى قوة القدرة، و قوة التدبير، و هو ذو مكانة عند اللّه و زلفى.

۶) اقتصار مهمته فى المحتوى العام على أنه رسول:

اشارة

فليس له من أمر مضمون الرسالة شىء، بل هو مبلغ له، كما أمر قال القرطبى ":إنه لقول رسول عن اللّه، كريم على اللّه «"۲».

أ فيحل لقائل أن يقول:

يمكن أن يجتهد البشر فى قول اللّه عزّ و جل، و قد منع منه جبريل عليه السلام؟!.

۷) تمرسه على الرسالة التى تماثل هذا النوع:

إذ يظهر من وصفه بقوله:

رَسُولٍ هذا التمرس على الرسالة، و ذلك بدلا من أن يقول لقول ملك كريم، و يتأكد هذا بأنه هو الذى كان ينزل على الأنبياء، كما قال ورقة بن نوفل ":هذا (۱) التحرير و التنوير ۳۰/ ۱۵۶، مرجع سابق.

(۲) تفسير القرطبى ۱۹/ ۲۴۰، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۳۴

الناموس الذى أنزل على موسى «"۱»، و كما قال سبحانه و تعالى فَأَرْسَلْنا إِلَيْها رُوحَنا "مريم/ ۱۷، "و لا خلاف أنه جبريل عليه السلام هنا، و لذا جاء فى تفسير التحرير و التنوير عند الكلام على سورة النجم ":و تخصيص جبريل عليه السلام بهذا الوصف يشعر بأنه الملك الذى ينزل بفيوضات الحكمة على الرسل و الأنبياء، و لذلك لما ناول الملك رسول اللّه ليلة الإسراء كأس لبن و كأس خمر، فاختار اللبن قال له جبريل عليه السلام: (أخذت الفطرة و لو أخذت الخمر غوت أمتك «"۲)».

فإن اعترض معترض بالقول: قد وصف بهذا الوصف النبى صلى اللّه عليه و سلم فى سورة الحاقة و بالصيغة ذاتها، و لمّا يكن متمرسا على الرسالة– بعد–، فلا يستقيم هذا الاستنباط.

فالجواب: لا نسلم أنه لم یکن متمرسا، إذ ما غشیه من تهیئة لتبلیغ الرسالة، قائم مقام ذلک، و سیأتی من هذه التهیئة ما یجلی ذا المعنی «۳».

و یقال تنزلا: هناک فرق بین جبریل علیه السلام و النبی صلی اللّه علیه و سلم من حیث قیام القرینة الحالیة فی کل علی هذا التمرس أو عدمه.

و من أجل هذا التمرس یعهد لجبریل علیه السلام بالمهمات الجلیلة، و منها- بعد الوحی- نقل النبی صلی اللّه علیه و سلم فی عالم السماء لیلة الإسراء: فعن أنس بن مالک رضی اللّه عنه قال: کان أبو ذر یحدث أن رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم قال: (فرج عن سقف بیتی و أنا بمکة فنزل جبریل علیه السلام ففرج صدری، ثم غسله بماء زمزم، ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حکمة و إیمانا، فأفرغه فی صدری، ثم أطبقه، ثم أخذ بیدی، فعرج بی إلی السماء الدنیا، فلما جئت إلی السماء الدنیا، قال جبریل (۱) صحیح البخاری ۱/ ۴، مرجع سابق.

(۲) التحریر و التنویر ۲۶/ ۹۵، مرجع سابق، و الحدیث المذکور أخرجه الشیخان: البخاری ۶/ ۳۰۸، مرجع سابق، و مسلم ۱/ ۱۲۵، مرجع سابق.

(۳) انظر: الفصل الثانی- المبحث الأول.

تلقی النبی ص ألفاظ القرآن، ص: ۳۵

علیه السلام لخازن السماء: افتح. قال: من هذا؟ قال: هذا جبریل علیه السلام قال: هل معک أحد؟ قال: نعم! معی محمد صلی اللّه علیه و سلم فقال: أرسل إلیه؟. قال: نعم. فلما فتح علونا السماء الدنیا ...) الحدیث «۱».

۸) حکیم علیم:

کما قال سبحانه و تعالی: وَ إِنَّکَ لَتُلَقَّی الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَکِیمٍ عَلِیمٍ "النمل/ ۶؛ "إذ الأکثر علی أنها فی نعت جبریل علیه السلام فالمعلم الملقی لا یلقی شیئا إلا بعلمه، و لیس دوره دورا آلیا فی النقل، بل یعلمه من حیث الجملة و التفصیل، و یعلمه من حیث الأداء، و أصل اللفظ، کما یتسم بالحکمة التی بها یضع الأمور فی مواضعها، و من ذاک وقت تعلیم الألفاظ و مکانه.

فهذه صفات جبریل الخلقیة و الخلقیة التی تمنحه القدرة الأمینة الدقیقة علی تعلیم ألفاظ القرآن فی وقتها الذی أمر اللّه سبحانه و تعالی به بأمانة و دقة و حسن تأت.

فإن اعترض معترض علی الاستطراد فی ذکر صفات الرسول الذی حمله و لیس یرجع ذا إلی لب البحث؛ فالجواب: فی ذلک من الحکم:

الثناء علی الرسول الملقی للقرآن، و المبلّغ له إلی الأرض أولا، و فیه تنویه بالقرآن، و تأکید لصدقه و عظمته من حیث عظمة من قام بتبلیغه ثانیا، و فیه تأکید علی الصفات التی جعلت هذا الرسول المتحمل أهلا لأدائه لفظا و أداء ثالثا، و فیه تحدید لحجم الاجتهاد البشری فیه من حیث حجم اجتهاد الملک فیه رابعا، و بیان لأصلیة التوقیف فی لفظه و فرعیته من حیث مؤهلات هذا الرسول المعنویة، و إمکاناته الحسیة علی نقل القرآن، و متابعة بدقة؛ إذ منعه من إدخال اجتهاده مع عظیم مکانته من اللّه سبحانه و تعالی، منع لغیره من ضعفة المخلوقین من باب أولی، و هذا خامسا.

و لذا کان قسم اللّه سبحانه و تعالی فی سورة التکویر بقوله فَلا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ (۱۵) الْجَوارِ الْکُنَّسِ " ...التکویر/ ۱۵ " ...لبیان صدق الوحی القرآنی، و تمت هذه الغایة صدقا (۱) صحیح البخاری ۱/ ۳۰۰، مرجع سابق.

تلقی النبی ص ألفاظ القرآن، ص: ۳۶

و عدلا بالثناء علی طرفی الاتصال، و النقل القرآنی بین السماء و الأرض إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ کَرِیمٍ (۱۹) ذِی قُوَّةٍ عِنْدَ ذِی الْعَرْشِ " ...

التكوير ١٩، "...فإجراء أوصاف الثناء على الرسول للتنويه به أيضا، و للكناية على أن ما نزل به صدق؛ لأن كمال القائل يدل على صدق القول «۱»، و انظر كيف زاد فى ذكر صفات جبريل عليه السلام إذ هو خبر عما عنده سبحانه و هو غيب عنهم، فكثرة صفاته أدعى لطمأنتهم، ثم أخبرهم عمن عندهم بما يوفونه فلا يحتاج إلى مزيد كلام ... و مما جاء فى حواشى الكشاف تعليقا على تأويل آيات التكوير ":إنما ذكر جبريل عليه السلام: بتلك الصفات و اقتصر على نفى الجنون عن النبى صلى اللّه عليه و سلم لأن جبريل عليه السلام مجهول «"۲» أى عند البشر. (۱) التحرير و التنوير ۳۰/ ۱۷۵، مرجع سابق.

(۲) محمد عليان المزروقى الشافعى: حاشية على الكشاف ۴/ ۶۹۱، دار المعرفة- بيروت.

المبحث الثالث: أمين الوحى فى السماء لأهل السماء:

فى هذا المبحث تتضح المكانة الخاصة لجبريل عليه السلام من ربه سبحانه و تعالى، بعد أن اتضحت المكانة العامة له من خلال المبحث السابق، إذ هو أمين الوحى الإلهى مطلقا، و أول ذلك أنه أمين الوحى فى السماء لأهل السماء، و تلك من أسباب جدارته الفائقة لأمانة الوحى النازل لأهل الأرض.

فعن النواس بن سمعان رضى اللّه عنه قال: سمعت رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم يقول: (إن اللّه إذا أراد أن يأمر بأمر تكلم به، فإذا تكلم به أخذت السماء رجفة، أو قال رعدة شديدة فإذا سمع بذلك أهل السماء، صعقوا فيخرون سجدا، فيكون أول من يرفع رأسه جبريل عليه السلام فيكلمه اللّه من وحيه بما أراد فيمر به جبريل عليه السلام على الملائكة، فكلما مر بسماء سألته ملائكتها: ما ذا قال ربنا؟ قال جبريل عليه السلام: قال ربكم الحق و هو العلى الكبير. فيقولون كلهم كما قال جبريل عليه السلام فينتهى جبريل عليه السلام بالوحى حيث أمر من سماء و أرض) «۱».

فجبريل عليه السلام هو أمين الوحى الإلهى سواء كان هذا الوحى أرضيا، و موضوع (تلقى النبى صلى اللّه عليه و سلم) يشكل أنموذجه، أو سماويا كما فى حديث أبى هريرة رضى اللّه عنه عن النبى صلى اللّه عليه و سلم قال: (إذا أحب اللّه العبد نادى جبريل: إن اللّه يحب فلانا فأحبه، فيحبه جبريل، فينادى جبريل (۱) (الطبرانى) أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب، مسند الدنيا، ت ۳۶۰ ه: مسند الشاميين ۱۹۸۴ م- ۱۴۰۵ ه، مؤسسة الرسالة، بيروت، مراجعة: حمدى بن عبد المجيد السلفى، و أصل هذا الحديث عند ابن حبان ۱/ ۲۲۴، مرجع سابق، بلفظ: (إذا تكلم اللّه بالوحى سمع أهل السماء للسماء صلصلة كجر السلسلة على الصفا، فيصعقون، فلا يزالون كذلك حتى يأتيهم جبريل، حتى إذا جاءهم جبريل، فزع عن قلوبهم- قال- فيقولون: يا جبريل! ما ذا قال ربك؟ فيقول: الحق. فيقولون: الحق الحق).

فى أهل السماء: إن اللّه يحب فلانا، فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول فى الأرض) «۱»، و قال صلى اللّه عليه و سلم: (إن العبد ليلتمس مرضاة اللّه، و لا يزال بذلك فيقول اللّه عزّ و جل لجبريل: إن فلانا عبدى يلتمس أن يرضينى، ألا و إن رحمتى عليه، فيقول جبريل: رحمة اللّه على فلان، و يقولها حملة العرش، و يقولها من حولهم حتى يقولها أهل السماوات السبع، ثم تهبط له إلى الأرض) «۲».

و قد روى ابن مردويه من حديث ابن مسعود رفعه: (إذا تكلم اللّه بالوحى يسمع أهل السماوات صلصلة كصلصلة السلسلة على الصفوان فيفزعون و يرون أنه من أمر الساعة و قرأ حَتَّى إِذا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ ... الآية) «۳»، و قد وقع فى بعض روايات حديث النواس ابن سمعان السابق ما نصه: (أخذت أهل السماوات منه رعدة خوفا من اللّه و خروا سجدا فيكون أول من يرفع رأسه جبريل، فيكلمه اللّه بما أراد، فيمضى به على الملائكة، من سماء إلى سماء)، و فى حديث ابن عباس رضى اللّه عنه عند ابن خزيمة و ابن مردويه:

(كمر السلسلة على الصفوان، فلا يتنزل على أهل السماء إلا صعقوا، فإذا فزع عن قلوبهم إلى آخر الآية، ثم يقول: يكون العام كذا، فيسمعه الجن ...)، و عند ابن مردويه من طريق بهز بن حكيم عن أبيه عن جده رضى اللّه عنه: (ما نزل جبريل بالوحى، فزع أهل السماء لانحطاطه، و سمعوا صوت الوحى، كأشد ما يكون من صوت الحديد على الصفا فيقولون: يا جبريل بما أمرت ...) «۴» الحديث. (۱) صحيح البخارى ۳/ ۱۱۷۵، مرجع سابق.

(۲) مسند الإمام أحمد بن حنبل ۵/ ۲۷۹، مرجع سابق.

(۳) فتح البارى ۸/ ۷۲۱، مرجع سابق، و قال ":و أصله عند أبى داود و غيره، و علقه المصنف موقوفا.

(۴) انظر هذه الروايات و غيرها: فى فتح البارى ۸/ ۷۲۱، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۳۹

و قد لا يكون الوحى أمرا إليها لأحد من المخلوقين، بل هو حديث بين الجبار جل جلاله و بين جبريل عليه السلام، فعن أبى هريرة رضى اللّه عنه أن رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم قال: (لما خلق اللّه الجنة، قال لجبريل: اذهب، فانظر إليها. فذهب، فنظر إليها، ثم جاء، فقال: أى رب، و عزتك، لا يسمع بها أحد إلا دخلها، ثم حفها بالمكاره، ثم قال: يا جبريل اذهب، فانظر إليها. فذهب، فنظر إليها، ثم جاء، فقال: أى رب، و عزتك لقد خشيت أن لا يدخلها أحد.- قال- فلما خلق اللّه النار، قال: يا جبريل اذهب، فانظر إليها. فذهب، فنظر إليها، ثم جاء. فقال: أى رب، و عزتك لا يسمع بها أحد فيدخلها، فحفها بالشهوات، ثم قال: يا جبريل اذهب، فانظر إليها. فذهب، فنظر إليها، ثم جاء، فقال: أى رب و عزتك، لقد خشيت أن لا يبقى أحد إلا دخلها) «۱».

و قد أريد من التفصيل السالف أن تبيّن مكانة جبريل عليه السلام من الملك جل و عز، و يربط بين ذلك و بين قوله تعالى عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوى النجم/ ۵، "فيستبين جلالة تعليم لفظ القرآن، و أنه ليس مجرد لفظ يرمى من فم لفم، بل لو ادعى مدع أن تلقى النبى صلى اللّه عليه و سلم للفظ القرآن من جبريل عليه السلام اعتراه من التوقيف، و منع الاجتهاد أكثر مما اعترى معناه لما بعد عن إصابة سهم فكره لعين الحقيقة، و ذلك واضح من حيث أن عتاب اللّه عزّ و جل لنبيه فى القرآن الكريم إنما هو لصواب فى أمر غير ما ذهب إليه فى فهم معنى معين، بخلاف اللفظ، فليس له فيه إلا ما لقّنه، و قد حاول الاجتهاد فى هيئة التلقى فمنع من ذلك «۲».

و ما سبق من أدلة توصلنا إلى نتيجة على قدر جليل من الأهمية هى: أن جبريل عليه السلام هو الوسيط بين اللّه سبحانه و تعالى و أنبيائه، و هو المبحث التالى: (۱) صحيح ابن حبان ۱۶/ ۴۰۶، مرجع سابق، و المستدرك ۱/ ۷۹، مرجع سابق.

(۲) انظر: حديث المعاجلة: الفصل الثالث- المبحث السادس.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۴۰

المبحث الرابع: اختيار جبريل عليه السلام ليكون الوسيط بين اللّه عزّ و جل و رسله:

اشارة

و يتفرع هذا المبحث إلى ثلاث جهات:

جهة من حيث عموم الرسالات السماوية، و جهة من حيث خصوص رسالة النبى صلى اللّه عليه و سلم، وجهة من حيث خصوص الخصوص و هو كون جبريل عليه السلام، هو مقرئ النبى صلى اللّه عليه و سلم و تلك الجهات تشكل ثلاثة مطالب للمبحث:

المطلب الأول: من حيث عموم الرسالات السماوية.

المطلب الثانى: من حيث خصوص رسالة النبى صلى اللّه عليه و سلم.

المطلب الثالث: من حيث خصوص الخصوص و هو الإقراء.

المطلب الأول: من حيث عموم الرسالات السماوية:

اشارة

و من أدلتها غير ما تقدم قول اللّه سبحانه و تعالى: إِنَّا أَوْحَيْنا إِلَيْكَ كَما أَوْحَيْنا إِلى نُوحٍ وَ النَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ "النساء/ ۱۶۳، "و من ذلك حديث عائشة رضى اللّه عنه فى بدء الوحى: فقال له ورقة: (هذا الناموس الذى نزل اللّه على موسى) «۱».

فقد قال البخارى فى معناه ":الناموس صاحب السر الذى يطلعه بما يستره عن غيره «"۲»، و قال ابن الأثير ":فى حديث المبعث «۳»: (إنه ليأتيه النّاموس الأكبر) الناموس صاحب سرّ الملك، و هو خاصّه الذى يطلعه على ما يطويه من غيره من سرائره ... و أراد (۱) صحيح البخارى ۱/ ۴ مرجع سابق.

(۲) صحيح البخارى ۳/ ۱۲۴۱، مرجع سابق.

(۳) يعنى الحديث الذى رواه البخارى عن عائشة عن أول بعثته و فيه: قال ورقة بن نوفل: هذا الناموس الذى نزل اللّه على موسى ...

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۴۱

به جبريل عليه السلام، لأن اللّه تعالى خصّه بالوحى و الغيب اللذّين لا يطّلع عليهما غيره «"۱»، و قال شارح الطحاوية فى قوله عزّ و جل نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ "النجم/ ۱۹۴ "هو جبرائيل عليه السلام، سمى روحا لأنه حامل الوحى الذى به حياة القلوب إلى الرسل من البشر صلوات اللّه عليهم أجمعين» «۲».

و أهمية هذه النتيجة فى هذه الدراسة:

كامنة فى: أن انفراد ملك واحد من عالم الغيب ليكون الوسيط بين اللّه سبحانه و تعالى و بين نبيه صلى اللّه عليه و سلم فى نقل كلام اللّه عزّ و جل يزيل كل وسوسة يقذفها الشيطان فى نفس الإنسان، تشككك فى أنه يحتمل أن أحد الشياطين المتصورة فى صورة معينة قد ألقى كلاما على رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم، وعده رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم وحيا، و هو ما يدفع عاملا خطيرا و منطقيا من عوامل التشكيك فى نقل كلام اللّه سبحانه و تعالى، و قد أدرك الإمام السيوطى أهمية هذا المسألة، فألف رسالة بعنوان "لبس اليلب فى الجواب عن إيراد أهل حلب، "قال ":لما وصل كتاب الأعلام إلى حلب- وقف عليه واقف فرأى فيه قولى أن جبريل عليه السلام هو السفير بين اللّه سبحانه و تعالى و بين أنبيائه، لا يعرف ذلك لغيره، فكتب على الهامش، بل قد عرف ذلك لغيره من الملائكة، فأجاب فأجبت ... الخ «"۳».

المطلب الثانى: من حيث خصوص رسالة النبى صلى اللّه عليه و سلم:

اشارة

يكفى دليلا فى التصريح بأن جبريل عليه السلام هو الوسيط بين اللّه تعالى و بين نبيه صلى اللّه عليه و سلم قوله عزّ و جل قُلْ مَنْ كانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيْهِ وَ هُدىً وَ بُشْرى لِلْمُؤْمِنِينَ "البقرة/ ۹۷، "و قوله سبحانه و تعالى عَلَّمَهُ شَدِيدُ (۱) النهاية فى غريب الأثر ۵/ ۱۱۹، مرجع سابق.

(۲) شرح العقيدة الطحاوية ۳۱۵، مرجع سابق.

(۳) (حاجى خليفة) مصطفى بن عبد اللّه القسطنطينى الرومى الحنفى ت ۱۰۶۷ ه: كشف الظنون عن أسامى الكتب و الفنون ۲/ ۱۵۴۷، ۱۹۹۲ م- ۱۴۱۳ ه، دار الكتب العلمية- بيروت-.

تلقی النبی ص ألفاظ القرآن، ص: ۴۲

القُوی النجم/ ۵، "فإن ادعی أن إطلاقها قدی خصّ بنزول جبریل علیه السلام بنوع من الوحی دون غیره، اکتفی بالقول ردا علی ذلک: ذاک عارض یفتقر الدلیل، فإن وجد، و إلا فهو علیل، فلا یرتضی بمجرد التخمین، و من احتج بالعموم للملائکة بقول النبی صلی اللّه علیه و سلم (و أحیانا یتمثل لی الملک ...) «۱» الحدیث، ی جاب علیه: بأن أداة التعریف فیه للعهد لا للاستغراق، بقرینة التصریح بجبریل علیه السلام فی روایة ابن سعد «۲». و قد کان جبریل علیه السلام معلم الدین أصولا و فروعا؛ فعن أبی هریرة رضی اللّه عنه قال: قال رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم: (هذا جبریل علیه السلام یعلمکم دینکم) ثم ذکر مواقیت الصلاة «۳»، و نحوه حدیث جبریل علیه السلام، المشهور عن عمر ابن الخطاب عند البخاری و مسلم «۴»، و مثله عن أبی هریرة رضی اللّه عنه عند مسلم «۵».

و مما یدل علی قرب جبریل علیه السلام، و متابعته، و کونه الواسطة التعلیمیة للنبی صلی اللّه علیه و سلم:

ما جاء عن أنس رضی اللّه عنه قال: بلغ عبد اللّه بن سلام مقدم رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم المدینة، فأتاه، فقال: إنی سائلک عن ثلاث لا یعلمهن إلا نبی: ما أول أشراط الساعة؟، و ما أول طعام یأکله أهل الجنة؟، و من أی شیء ینزع الولد إلی أبیه؟، و من أی شیء ینزع إلی أخواله؟. فقال رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم: (خبرنی بهن آنفا جبریل علیه السلام) فقال عبد اللّه: ذاک عدو الیهود من الملائکة ... الحدیث «۶». (۱) انظر: تخریجه فی الفصل الثانی- المبحث الثالث.

(۲) طبقات ابن سعد ۱/ ۱۹۷، مرجع سابق، و انظر فتح الباری ۱۲/ ۴۴۲، مرجع سابق.

(۳) (البیهقی) أبو بکر أحمد بن الحسین بن علی بن موسی (۳۸۴ ه- ت ۴۵۸ ه): سنن البیهقی الکبری، مراجعة: محمد عبد القادر عطا، ۱۹۹۴ م- ۱۴۱۴ ه، مکتبة دار الباز- مکة المکرمة.

(۴) رواه البخاری ۱/ ۱۵، مرجع سابق، و مسلم ۱/ ۴، مرجع سابق.

(۵) رواه مسلم ۱/ ۴۹، مرجع سابق.

(۶) صحیح البخاری ۳/ ۱۲۱۱، مرجع سابق.

تلقی النبی ص ألفاظ القرآن، ص: ۴۳

کما أن جبریل علیه السلام هو واسطة النبی صلی اللّه علیه و سلم التعلیمیة الوحیدة إلی عالم الغیب:

اشارة

فلا یتعرف علی العالم الغیبی إلا بواسطة جبریل علیه السلام.

و من ذلک أن جبریل علیه السلام واسطته التعلیمیة إلی أهم عالمین غیبین یوازیان عالم البشر:

عالم الملائکة، و عالم الجن:

فأما عالم الملائکة:

فعن عائشة رضی اللّه عنه زوج النبی صلی اللّه علیه و سلم أن النبی صلی اللّه علیه و سلم قال فی حدیث ذهابه إلی ثقیف: (فلم أستفق

إلا و أنا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي، فإذا أنا بسحابة قد أظلتنى، فنظرت، فإذا فيها جبريل عليه السلام فنادانى، فقال: إن اللّه قد سمع قول قومك لك، و ما ردوا عليك، و قد بعث اللّه إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فنادانى ملك الجبال، فسلم على، ثم قال: يا محمد! فقال: ذلك فيما شئت. إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين؟ فقال النبى صلى اللّه عليه و سلم: بل أرجو أن يخرج اللّه من أصلابهم من يعبد اللّه وحده لا يشرك به شيئا) «۱».

و من ذلك تعرفه على ملائكة السماء و خزنتها فى حادثة الإسراء فقد كانت واسطته هى جبريل عليه السلام.

و أما عالم الجن:

فعن عبد اللّه بن مسعود رضى اللّه عنه قال: إن رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم ليلة الجن و هو مع جبريل عليه السلام، و أنا معه، فجعل النبى صلى اللّه عليه و سلم يقرأ، و جعل العفريت يدنو، و يزداد قربا، فقال جبريل عليه السلام للنبى صلى اللّه عليه و سلم: (أ لا أعلمك كلمات تقولهن فيكب العفريت لوجهه، و تطفىء شعلته؟ قل أعوذ بوجه اللّه الكريم، و كلماته التامات التى لا يجاوزهن بر، و لا فاجر من شر ما ينزل من السماء، و ما يعرج فيها، و من شر ما ذرأ فى الأرض، و ما يخرج منها، و من فتن الليل و النهار، و من شر طوارق الليل و النهار، إلا طارقا يطرق بخير يا رحمن. فكب العفريت لوجهه و انطفأت شعلته) «۲». (۱) صحيح البخارى ۳/ ۱۱۸۰، مرجع سابق.

(۲) (النسائى) أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب ت ۳۰۳ ه: السنن الكبرى ۶/ ۲۳۷ مراجعة: د. عبد الغفار سليمان البندارى و سيد كسروى حسن، ۱۴۱۱ ه-/ ۱۹۹۱ م دار الكتب العلمية- بيروت، و قد جاء فى رواية: (علمنيهن جبريل و زعم أن عفريتا يكيدنى).

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۴۴

و لهذا التفريع فائدة منهجية

بديعة فيما نحن بصدد جمع شتاته، من حيث واقع وجود عالمين معروفين غير مرئيين من عوالم الغيب هما: عالم الملائكة، و عالم الجن، تتمثل فى حمايته من أن يتطرق إليه الشك عند ما يبلغه غير جبريل عليه السلام من الملائكة الوحى، فيلقى الشيطان أنه ليس ملكا، و حمايته من الشياطين أن يفكروا بالتلبيس عليه «۱».

كما هو أيضا واسطته إلى غيب خارج ذلك:

فعن أبى هريرة رضى اللّه عنه قال: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم: (أتانى جبريل عليه السلام فأخذ بيدى فأرانى باب الجنة الذى تدخل منه أمتى) «۲».

و بناء على أن جبريل هو الوسيط بين اللّه و رسله: فهل كانت هيئات الوحى إلى النبى صلى اللّه عليه و سلم كما كانت إلى الأنبياء السابقين على ما يظهر من قوله تعالى: إِنَّا أَوْحَيْنا إِلَيْكَ كَما أَوْحَيْنا إِلى نُوحٍ وَ النَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ "النساء/ ۱۶۳؟ "و الجواب: لا! فلا ريب فى اشتراكهم فى أصل الوحى، أما ما بعد ذلك فليس عندنا ما يشير إلى الهيئات التفصيلية لوحى الأنبياء السابقين حتى تتم المقارنة، و لا دليل فى الآية على ترجيح أحد الأمرين إذ لو كانت تشبيها، فإن التشبيه لا يقتضى أن يكون المشبّه مساويا للمشبّه به، و إن كانت إخبارا فهل المراد التفصيل أو القبيل؛ و لا دليل ثم على أحدهما، و ما تطرق إليه الاحتمال سقط به الاستدلال، و على ضوء هذا التقرير يفهم قول ابن حجر- رحمه اللّه تعالى- فى شرح هذه الآية ":و لما كان فى الآية أن الوحى إليه نظير الوحى إلى الأنبياء قبله ناسب

تقـدیم مـا یتعلق بهـا، و هو صـفهٔ الوحی، و صـفهٔ حامله إشارهٔ إلی أن الوحی إلی الأنبیاء لا تباین فیه «"۳». (۱) و نقل القاضـی عیاض الإجماع علی عصـمته صـلی اللّه علیه و سـلم فی الشـفاء ۲/ ۱۴۱، و لکن ذلـک إجمـاع یفتقر إلی المسـتند، فلیکن ذا فی طریـق ذاک المستند.

(۲) المستدرک ۳/ ۷۷، مرجع سابق.

(۳) فتح الباری ۱/ ۵، مرجع سابق.

و إنمـا أورد هـذا الکلاـم هاهنـا لئلا یفترض أن القرآن نزل کما نزلت التوراهٔ وحیا مکتوبا، لم تحتـج إلی تلقین اسـتدلالا بهـذه الآیـهٔ، فیجاب بما سبق، و یضاف إلیه أن لیس ثم تفصیل عن الهیئهٔ التی تم بها إیحاء التوراهٔ بدقهٔ إلا قوله عزّ و جل: وَ کَتَبْنا لَهُ فِی الْأَلْواحِ مِنْ کُلِّ شَـیْءٍ مَوْعِظَهً وَ تَفْصِـیلًا لِکُلِّ شَیْءٍ "الأعراف/ ۱۴۵ "و هی لاـ تنفی التلقین صـراحهٔ، علی أنهـا تبین المقـدار الکبیر فی التغایر بین إیحاء التوراهٔ و القرآن من حیث أن التوراهٔ کتبت لموسـی علیه السلام کتابهٔ و لم تتلقن تلقینا، و القرآن سمی قرآنا علما علیه أشهر من اسم کتاب مع کونه الاسم الثانی له فی الشـهرهٔ، دلالهٔ علی اجتماع القراءهٔ و الکتابهٔ فی الحفاظ علی القرآن الکریم، لکن التلقین یسبق الکتابهٔ عند ذکر أسالیب تعلم القرآن الکریم کما یسـبق اسم (القرآن) اسم (الکتاب)، و هو الجاری عند المسـلمین فی مشارق الأرض و مغاربها.

و جماع القول أن جبریل علیه السـلام قـد بلغ أخص مبلغ فی مکانته عنـد اللّه سـبحانه و تعالی من بین الملائکهٔ، و لذا أسـند إلیه تعلیم النبی صلی اللّه علیه و سلم لفظ القرآن، فصار کل ما سبق خادما لنقل القرآن الکریم.

المطلب الثالث: من حیث خصوص الخصوص:

اشارهٔ

أی من حیث کون جبریل علیه السلام.

هو المقرئ الوحید للنبی صلی اللّه علیه و سلم من الملائکهٔ، فإن أبا حیان یعرّف جبریل علیه السلام فیقول ":جبریل اسم ملک علم له، و هو الذی نزل بالقرآن علی رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم، و هو اسم أعجمی ممنوع من الصرف للعلمیهٔ و العجمهٔ «"۱».

و جبریل علیه السلام هو المقرئ له صراحهٔ:

فعن ابن عباس رضی اللّه عنه حدثه أن رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم قلل:، (أقرأنی جبریل علی حرف، فراجعته، فلم أزل أستزیده و یزیدنی حتی انتهی إلی سبعهٔ أحرف) «۲». (۱) البحر المحیط ۱/ ۳۱۶، مرجع سابق.

(۲) صحیح البخاری ۴/ ۱۹۰۹، مرجع سابق.

و لأنه الملقی للنبی صلی اللّه علیه و سلم ألفاظ لقرآن الکریم:

اشارهٔ

فقد باتت مسألة التلقى منه مصدر مرجعى بدهى فى أواسط الأمة: يرجع إلى طرقها عند الاختلاف، و يحتج بثبوت النقل عنها عند التعليم، فعن الأعمش قال: سمعت الحجاج بن يوسف يقول و هو يخطب على المنبر: ألفوا القرآن كما ألفه جبريل عليه السلام السورة التى تذكر فيها البقرة، و السورة التى تذكر فيها النساء، و السورة التى يذكر فيها آل عمران، قال: فلقيت إبراهيم «۱»، فأخبرته بقوله، فسبه، ثم قال: حدثنى عبد الرحمن بن يزيد أنه كان مع عبد اللّه بن مسعود، فأتى جمرة العقبة، فاستبطن الوادى، فاستعرضها، فرماها من بطن الوادى بسبع حصيات يكبر مع كل حصاة، فقلت: يا أبا عبد الرحمن، إن الناس يرمونها من فوقها، فقال: هذا– و الذى لا إله غيره– مقام الذى أنزلت عليه سورة البقرة «۲».

و (التأليف) فى قول الحجاج:

هل هو الترتيب كما هو أصل معنى الكلمة، أم أنه تسمية السور كما يظهر من السياق؟ و على كل فإن كان هذا فى محله، أو فى تسمية سوره، فكيف فى وضعه و هيئات نطقه؟ و الشاهد واضح من الإسناد إلى جبريل عليه السلام.

فإن اعترض معترض بآيتى خاتمة البقرة؛ إذ أنزلهما ملك غير جبريل عليه السلام؟ فعن ابن عباس رضى اللّه عنه قال: بينما جبريل عليه السلام قاعد عند النبى صلى اللّه عليه و سلم سمع نقيضا من فوقه، فرفع رأسه، فقال:

(هذا باب من السماء فتح اليوم، لم يفتح قط إلا اليوم، فنزل منه ملك، فقال: هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل قط إلا اليوم، فسلم، و قال: أبشر بنورين أوتيتهما، لم يؤتهما نبى قبلك، فاتحة الكتاب، و خواتيم سورة البقرة، لن تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته) «۳».

فالجواب: إما أن يكون أنزلهما بعد نزولهما، أى تكرر النزول للاهتمام أو الأمر آخر، و إما أن النزول كان للفضل لا للإنزال ذاته، و يدل لهذا أنه لا مراء فى نزول الفاتحة قبل (۱) يعنى: إبراهيم النخعى.

(۲) رواه مسلم ۲/ ۹۴۲، مرجع سابق.

(۳) السنن الكبرى للنسائى ۵/ ۱۲، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۴۷

ذلك فى مكة، و واضح أن الحادثة فى المدينة إذ قد صرح متتبعوا النزول بأن نزول البقرة كان فى المدينة «۱».

و وجه ثالث هو أن الواسطة بين الملك و الرسول صلى اللّه عليه و سلم

كان جبريل عليه السلام فيرجع الوحى هنا إليه، كحادثة الإسراء، و هذا الوجه يتعدى هذه الحادثة إلى كل حادثة جاء فيها ملك آخر مع جبريل عليه السلام كحديث طوفانه صلى اللّه عليه و سلم فى ليلة على بعض المعذبين من أمته «۲».

عداوة جبريل عليه السلام مقياس مطلق لعداوة اللّه– تعالى ذكره–:

و لما سبق كان التشديد، و الإفزاع الأكيد للعقل و العاطفة من مجرد التفكير فى الكلام على جبريل عليه السلام، أو عدائه؛ إذ صار مقياسا مطلقا لعداوة اللّه و رسوله و ملائكته، و لذا كان قوله عزّ و جل مَنْ كانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَ مَلائِكَتِهِ وَ رُسُلِهِ وَ جِبْرِيلَ وَ مِيكالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكافِرِينَ "البقرة/ ۹۸ "عقب قوله سبحانه و تعالى مَنْ كانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ "البقرة/ ۹۷، "فعداوتهم للّه عزّ و جل بمنزلة المقدمة الكبرى؛ لأنها العلة فى المعنى عند التأمل، و عداوتهم لرسوله جبريل عليه السلام بمنزلة المقدمة الصغرى لأنها السبب الجزئى المثبت «۳».

و قوله تعالى مَنْ كانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ لا يظهر فيها أن قوله نَزَّلَهُ عَلى قَلْبِکَ جواب الشرط، لما تقرر فى علم العربية أن اسم الشرط لا بد أن يكون فى الجواب ضمير يعود عليه، و قوله نَزَّلَهُ عَلى قَلْبِکَ ليس فيه ضمير يعود على من، و قد صرح بأنه جزاء للشرط الزمخشرى و هو خطأ لما ذكرناه من عدم عود الضمير، و لمعنى فعل التنزيل، فلا يصح أن تكون الجملة جزاء، و إنما جزاء محذوف لدلالة ما بعده عليه، (۱) انظر: الإتقان ۱/ ۲۰، مرجع سابق، إتقان البرهان فى علوم القرآن ۱/ ۳۷۸، مرجع سابق.

(۲) رواه البخارى ۶/ ۳۱۲۲، مرجع سابق، و نحو ما رواه البخارى فى صحيحه ۳/ ۱۱۸۲ عن سمرة قال: قال النبى صلى اللّه عليه و سلم: (رأيت الليلة رجلين أتيانى ... قالا: الذى يوقد النار مالك خازن النار، و أنا جبريل و هذا ميكائيل). و ظاهر أن المعرّف هو جبريل عليه السلام.

(۳) انظر: التحرير و التنوير ۱/ ۶۲۳، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۴۸

و التقدير: فعداوته لا وجه لها، أو ما أشبه «۱»، كذا قال أبو حيان- رحمه اللّه تعالى- و لو كان التقدير: فهو عدو للّه أو فهو كافر بالوحى ... لكان أظهر، و أولى، و أنسب لقوله فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ فأشار بأن إنزال اللّه جبريل عليه السلام بالقرآن قامع لكل من تسول له نفسه عداوة جبريل عليه السلام. و قد صرح أبو حيان بتقديرين قريبين من هذا- بعد-، و هو إنما أورد أولا عين ما قاله الزمخشرى فى التقدير «۲»، و قال الآلوسى: فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلى قَلْبِکَ "جواب الشرط إما نيابة، أو حقيقة، و المعنى من عاداه منكم فقد خلع ربقة الإنصاف، أو كفر بما معه من الكتاب بمعاداته إياه لنزوله عليك بالوحى «۳"». و موضع الاستشهاد من هذا الإيراد ربط جبريل عليه السلام بإنزال القرآن الكريم «۴»، و قد ذكر عبارة عَلى قَلْبِکَ، و هو ينصرف انصرافا أوليا للقرآن الكريم، و جعل هذا كله خادما للاطمئنان على نقل القرآن، و إيصال كلام اللّه إلى الأرض، و هو زاجر بالإشارة، و بصريح العبارة عن الطعن فيه بعد ذلك أيضا.

إنه جبريل عليه السلام ... إنه القرآن الكريم ... إنه رسول اللّه الأمين صلى اللّه عليه و سلم ... فأين أنت يا حافظ الذكر المبين؟ ...:

أيها الشادى بقرآن كريم!* و هو فى ركن من البيت مقيم

قم! و أبلغ نوره للعالمين قم! و أسمعه البرايا أجمعين

من له من ثروة الهادى نصيب فهو من جبريل فى الدنيا قريب

(۱) انظر: البحر المحيط ۱/ ۳۱۹، مرجع سابق.

(۲) الكشاف ۱/ ۸۴، مرجع سابق، و كذا فعل الشوكانى فى فتح القدير ۱/ ۱۵۰، مرجع سابق.

(۳) روح المعانى ۱/ ۲۲۰، مرجع سابق.

(۴) إذ إن الضمير المنصوب فى فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عائد للقرآن: إما لأنه تقدم فى قوله وَ إِذا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِما أَنْزَلَ اللَّهُ "البقرة/ ۹۱، "و إما لأن الفعل لا يصلح إلا له هنا على حد ... حَتَّى تَوارَتْ بِالْحِجابِ "ص/ ۳۲ "فَلَوْ لا إِذا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ "الواقعة/ ۸۳ "انظر: التحرير و التنوير ۱/ ۶۲۱، مرجع سابق، و إليه ذهب الكشاف ۱/ ۸۴، مرجع سابق، و قال ":إضماره فخامة لشأن صاحبه حيث يجعل لفرط شهرته كأنه يدل على نفسه، و يكتفى عن اسمه الصريح بذكر شيء من صفاته." ...

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۴۹

الفصل الثانى اتصال جبريل عليه السلام بالنبى صلى اللّه عليه و سلم لتلقينه الوحى القرآنى و فيه ثلاثة مباحث

اشارة

يبحث هذا الفصل عن هيئة اتصال جبريل عليه السلام بالنبى صلى اللّه عليه و سلم، و مدى ذلك الاتصال زمانا و مكانا، و وقت

امتناعه، و کیفیة مجیء جبریل علیه السلام بالوحی القرآنی من حیث عموم المجیء، لا من حیث تفصیل هیئة المجیء، و اقتضی ذلک أن ینقسم هذا الفصل إلی ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تهیئة النبی صلی اللّه علیه و سلم للوحی القرآنی و الاتصال بالملک.

المبحث الثانی: إمکانیة الاتصال المطلق.

المبحث الثالث: هیئات مجیء الملک بالوحی القرآنی (من حیث العموم).

تلقی النبی ص ألفاظ القرآن، ص: ۵۰

المبحث الأول: تهیئة النبی صلی اللّه علیه و سلم للوحی، و الاتصال بالملک:

اشارة

اقتضت بشریة الرسول، و ملکیة الملک أن یهیأ النبی صلی اللّه علیه و سلم لإمکانیة لقاء الرسول الملک فی أی وقت، علی أی حال من حیث اختلاف الطبیعة فی کل منهما، و قصور قدرة البشر طبیعة عن إدراک الملک أو غیره من العوالم الغیبیة، کما أن من أهم أهداف هذه التهیئة إعداد النبی صلی اللّه علیه و سلم لیستوعب کلام اللّه سبحانه و تعالی، و یصیر فی مقام حمله و تبلیغه، و لیکون جهده لوحده فی ذلک مساویا لجهد الأمة فی حفظ کلام اللّه عزّ و جل بحفظ اللّه سبحانه و تعالی له، کما سیأتی فی حادثة شق الصدر الأولی، و تفرعت هذه التهیئة إلی فرعین هما مطلبا هذا المبحث، و هما:

المطلب الأول: التهیئة الإلهیة للوحی.

المطلب الثانی: التهیئة البشریة للوحی.

المطلب الأول: التهیئة الإلهیة للوحی:

اشارة

تمثلت فیه هذه التهیئة فی ستة مظاهر، و أولها:

الممهدات التی قیضها اللّه لنبیه صلی اللّه علیه و سلم: و ممن صرح بأن ثمت ممهدات للوحی ابن حجر- رحمه اللّه تعالی- حیث قال: و بدئ بذلک لیکون تمهیدا، و توطئة للیقظة ثم مهد له فی الیقظة أیضا برؤیة الضوء، و سماع الصوت، و سلام الحجر «۱»، و من أهم مظاهر هذه التهیئة:

۱- حادثة شق الصدر:

اشارة

و قد وقعت مرتین: أما المرة الأولی: فعن أنس رضی اللّه عنه أن رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم أتاه جبریل علیه السلام و هو یلعب مع الغلمان، فأخذه فصرعه، فشق قلبه فاستخرج منه (۱) فتح الباری ۱/ ۲۳، مرجع سابق.

تلقی النبی ص ألفاظ القرآن، ص: ۵۱

علقة فقال: هذا حظ الشیطان منک، ثم غسله فی طست من ذهب بماء زمزم ثم لأمه، و أعاده فی مکانه، و جاء الغلمان یسعون إلی

أمه- يعنى ظئره- فقالوا: إن محمدا قد قتل، فاستقبلوه و هو ممتقع اللون، قال أنس: و قد كنت أرى أثر ذلك المخيط فى صدره «۱»، و فى لفظ [قلبه فاستخرج القلب ثم شق القلب فاستخرج ...].

و أما المرة الثانية عن أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة رضى اللّه عنه قال: قال النبى صلى اللّه عليه و سلم: (بينا أنا عند البيت بين النائم و اليقظان، و ذكر يعنى رجلا- بين الرجلين، فأتيت بطست من ذهب ملىء حكمة و إيمانا، فشق من النحر إلى مراق البطن، ثم غسل البطن بماء زمزم ثم ملئ حكمة و إيمانا، و أتيت بدابة أبيض دون البغل، و فوق الحمار يقال له: البراق فانطلقت مع جبريل حتى أتينا السماء الدنيا ...) «۲» الحديث.

و فى معنى الحكمة يقول النووى- رحمه اللّه تعالى "-:العلم المشتمل على المعرفة باللّه، مع نفاذ البصيرة، و تهذيب النفس، و تحقيق الحق للعمل به، و الكف عن ضده، و الحكيم من حاز ذلك «"۳».

و عقب عليه ابن حجر- رحمه اللّه تعالى- قائلا ":و قد تطلق الحكمة على القرآن، و هو مشتمل على ذلك كله، و على النبوة كذلك، و قد تطلق على العلم فقط، و على المعرفة فقط «"۴»، و يدل على صحة وجهة ابن حجر- رحمه اللّه تعالى- فى دلالة الحكمة على القرآن قوله صلى اللّه عليه و سلم: (لا حسد إلا فى اثنتين: رجل آتاه اللّه القرآن ...، و فى لفظ: رجل آتاه اللّه الحكمة، فهو يقضى بها و يعلمها) «۵». (۱) صحيح مسلم ۱/ ۱۴۷، مرجع سابق.

(۲) صحيح البخارى ۳/ ۱۱۷۳، مرجع سابق.

(۳) فتح البارى ۱/ ۴۶۱، مرجع سابق.

(۴) فتح البارى ۱/ ۴۶۱، مرجع سابق.

(۵) البخارى ۶/ ۳۲۱۲، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۵۲

فقد وقعت حادثة الشق مرتين، لتحقيق غرضين مختلفين:

فالمرة الأولى: كان هدفها نزع حظ الشيطان:

و بين ذلك أبو حاتم بن حبان- رحمه اللّه تعالى- بقوله ":شق صدر النبى صلى اللّه عليه و سلم و هو صبى يلعب مع الصبيان، و أخرج منه العلقة، و لما أراد اللّه عزّ و جل الإسراء به أمر جبريل عليه السلام بشق صدره ثانيا، و أخرج قلبه فغسله، ثم أعاده مكانه مرتين فى موضعين، و هما غير متضادين «"۱».

و فى الديباج على صحيح مسلم ":فإن قيل: إنما وقع شق الصدر و هو صغير؟

فالجواب كما قال السهيلى: إنه وقع مرتين، الثانية عند الإسراء تجديدا للتطهير «"۲».

قال ابن حجر- رحمه اللّه تعالى "-:قوله ففرج صدرى هو بفتح الفاء و الجيم أيضا أى شقه، و رجح عياض- رحمه اللّه تعالى- أن شق الصدر كان و هو صغير عند مرضعته حليمة، و تعقبه السهيلى بأن ذلك وقع مرتين و هو الصواب، و محصله إن الشق الأول كان لاستعداده لنزع العلقة التى قيل له عندها هذا حظ الشيطان منك، و الشق الثانى: كان لاستعداده للتلقى الحاصل له فى تلك الليلة «"۳».

و الظاهر أن الشق الأول تعدت أهدافه ما ذكر ابن حجر- رحمه اللّه تعالى- إلى استعداده صلى اللّه عليه و سلم للقاء الملك، و إيداع قلبه كلام اللّه، و النفى المبكر لحظ الشيطان من قلبه حتى لا يشوش وجوده على تحقيق هذه الأهداف، و يدل على أن هذا التقرير هو التحقيق فى المسألة بقية حديث الشق الأول ففيه: مسألة الوزن، فعن أبى ذر الغفارى رضى اللّه عنه قال: قلت يا رسول اللّه! كيف علمت أنك نبى حين استنبت؟ فقال: (يا أبا ذر! أتانى ملكان و أنا ببعض بطحاء مكة فوقع أحدهما على الأرض، و كان الآخرين بين

السماء و الأرض، فقال أحدهما (۱) صحیح ابن حبان ۱۴/ ۲۴۲، مرجع سابق.

(۲) الدیباج علی صحیح مسلم ۱/ ۲۰۶، مرجع سابق.

(۳) فتح الباری شرح صحیح البخاری، مرجع سابق.

تلقی النبی ص ألفاظ القرآن، ص: ۵۳

لصاحبه: أ هو هو؟ قال: نعم! قال: فزنه برجل، فوزنت به فوزنته، ثم قال: فزنه بعشرة فوزنت بهم، فرجحتهم، ثم قال: زنه بمائة فوزنت بهم فرجحتهم، ثم قال: زنه بألف، فوزنت بهم، فرجحتهم کأنی انظر إلیهم ینتثرون علی من خفة المیزان، قال: فقال أحدهما لصاحبه: لو وزنته بأمّه لرجحها) «۱».

و هذا یدل علی أن جهده صلی اللّه علیه و سلم فی تلقی الوحی القرآنی و حفظه، ینبغی أن یساوی جهد الأمة فی ذلک، و قد ساواه و زاد بحمد اللّه سبحانه و تعالی.

أما المرة الثانیة: فمن أهدافها:

استعداده للتلقی الحاصل فی تلک اللیلة من حیث عظم ما أخذ إلیه صلی اللّه علیه و سلم من الصعود إلی السموات، و رؤیة الآیات الکبری فی سرعة لا تخطر علی قلب بشر، و ذاک أمر بحاجة إلی تهیئة لا تکفی فیها التهیئة الأولی.

و قد ورد ما یدل علی أن شق الصدر وقع أکثر من مرة، فقد قال صلی اللّه علیه و سلم: (فأردت أن أرجع، فإذا أنا به و بمیکائیل، قد سدا الأفق فهبط جبریل علیه السلام فبقی میکائیل بین السماء و الأرض فأخذنی جبریل علیه السلام فسلقنی بحلاوة القفا، ثم شق عن قلبی، فاستخرجه، ثم استخرج منه ما شاء اللّه أن یستخرج، ثم غسله فی طست من ذهب بماء زمزم، ثم أعاده مکانه، ثم لأمه، ثم أکفأنی کما یکفأ الأدیم أو الآنیة، ثم ختم فی ظهری حتی وجدت مس الخاتم فی قلبی، ثم قال: اقرأ! قلت: ما قرأت کتابا قط. فلم أدر ما اقرأ! ثم قال: اقرأ. فقلت ما أقرأ؟ فقال اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّکَ الَّذِی خَلَقَ (۱) خَلَقَ الْإِنْسانَ مِنْ عَلَقٍ (۲) اقْرَأْ وَ رَبُّکَ الْأَکْرَمُ (۳) ... حتّی انتهینا إلی خمس آیات منها، فما نسیت شیئا بعد، ثم وزننی برجل، (۱) (الدارمی) أبو محمد عبد اللّه بن عبد الرحمن ت ۲۵۵ ه: سنن الدارمی ۱/ ۲۱، تحقیق: أحمد فواز زمرلی، خالد السبع العلمی، ۱۴۰۷ ه، دار الکتاب العربی- بیروت. و قد جاء التصریح بأن الوزن جاء عقب الشق الأول فی عدد من الروایات منها ما أخرجه ابن سعد ۱/ ۱۵۰، مرجع سابق.

تلقی النبی ص ألفاظ القرآن، ص: ۵۴

فوزنته ثم وزننی بآخر فوزنته، حتی وزنت بمائة رجل، فقال: میکائیل من فوقه: أمة و رب الکعبة، ثم أقبلت فجعلت لا یلقانی حجر، و لا شجر إلا قال السلام علیک یا رسول اللّه! حتی دخلت علی خدیجة فقالت: السلام علیک، یا رسول اللّه!) «۱».

قال ابن حجر- رحمه اللّه تعالی "-:و مناسبته ظاهرة «"۲». و لم یتکلم علی إسناده فیکون حسنا أو صحیحا عنده علی ما شرطه فی المقدمة «۳».

و المقتضی الفعلی لهذا الإعداد للقلب قد ترتب علیه أمور جلیلة، بعد أن کانت هذه التهیئة له، لعل أهمها: نزول القرآن علی قلبه، و قدرته علی استیعابه و تحمله، و من صورها المحسوسة أن قلبه لا ینام و إن کانت عینه تنام.

۲- ثم بدأ یتعدی القوی البشریة القاصرة:

فکان یری ما لا یستطیع البشر رؤیته، و یسمع ما لا یستطیعون سماعة، و أخبر صلی اللّه علیه و سلم عن ذلک فقال: (إنی أری ما لا ترون، و أسمع ما لا تسمعون، أطت السماء، و حق لها أن تئط، ما فیها موضع إصبع إلا ملک ساجد ...)

الحديث «۴». (۱) (الهيثمى) الحافظ نور الدين: بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث ص ۲۳، للحارث بن أبى أسامة، تحقيق د. حسين أحمد صالح الباكرى، ۱۴۱۳ ه- ۱۹۹۲ م، مركز خدمة السنة و السيرة النبوية- المدينة المنورة.

(۲) قال ابن حجر- رحمه اللّه تعالى- ۱/ ۴۶۴، مرجع سابق ":و قد روى الطيالسى و الحارث فى مسنديهما من حديث عائشة- رضى اللّه تعالى عنها- أن الشق وقع مرة أخرى عند مجىء جبريل له بالوحى فى غار حراء، و اللّه أعلم. و روى الشق أيضا و هو ابن عشر، أو نحوها فى قصة له مع عبد المطلب أخرجها أبو نعيم فى الدلائل، و روى مرة أخرى خامسة و لا تثبت."

(۳) (ابن حجر) أحمد بن على حجر العسقلانى: هدى السارى مقدمة فتح البارى ص ۵، حقق أصولها: عبد العزيز بن باز رقم كتبها و أبوابها و أحاديثها محمد فؤاد عبد الباقى ط ۱، ۱۴۱۰ ه- ۱۹۸۹ م، دار الكتب العلمية- بيروت، لبنان.

(۴) مسند أحمد ۵/ ۱۷۳، مرجع سابق، المستدرك ۲/ ۵۵۴، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۵۵

و من ذلك: أنه يمكن أن يرى بعض العوالم الغيبية فى حدود ما أتاح اللّه سبحانه و تعالى له كالملائكة و الجن، فأما الملائكة فظاهر من هذا الحديث، و من الحديث عن جبريل عليه السلام، و أما الجن فنحو حديث كلامه و رؤيته لجن نصيبين «۱»، و قبضه على الشيطان الذى مر بين يديه «۲».

و أما السماع فكسمعه صلى اللّه عليه و سلم للمعذبين فى القبر، كما قال: (لو لا أن تدافنوا لدعوت اللّه أن يسمعكم من عذاب القبر ما أسمع) «۳»، و هذا الحديث دال على أنه أوتى قوى أخرى كالصبر على تحمل سماع عذاب القبر، و ذلك كله فى حدود معينة، لا أنه قد خرج عن طبيعته البشرية خروجا كليا، و من أهم ثمار ذلك مما له تعلق بموضوع البحث:

ترسيخ اليقين فى نفسه بوحى ربه عزّ و جل بصفة خاصة، و تأكده بأن الذى يأتيه ملك لا شيطان.

و ابتدأ ظهور إحساسه ماديا بالعوالم الغيبية، و بدايات تميزها لكن دون يقين قبيل الوحى إليه تمهيدا لنزول الوحى عليه، و لأنه لم يأته الوحى صراحة فقد خاف من هذه الظواهر على نفسه: فقد قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم لخديجة: (يا خديجة إنى أرى ضوءا، و أسمع (۱) وردت روايات فى جن نصيبين منها: عن أبى هريرة رضى اللّه عنه أنه كان يحمل مع النبى صلى اللّه عليه و سلم، إداوة لوضوئه، و حاجته، فبينما هو يتبعه بها، قال: (من هذا)، فقال: أنا أبو هريرة. فقال: (أبغنى أحجارا أستنفض بها، و لا تأتنى بعظم و لا بروثة)، فأتيته بأحجار أحملها فى طرف ثوبى، حتى وضعت إلى جنبه، ثم انصرفت، حتى إذا فرغ مشيت، فقلت: ما بال العظم و الروثة؟ قال: (هما من طعام الجن، و إنه قد أتانى وفد جن نصيبين- و نعم الجن- فسألونى الزاد، فدعوت اللّه لهم ألا يمروا بعظم و لا بروثة إلا وجدوا عليها طعاما) أخرجه البخارى ۳/ ۱۴۰۱، مرجع سابق، و انظر:

قصة أخرى فى جن نصيبين: المستدرك للحاكم ۱/ ۷۵۱، مرجع سابق.

(۲) البخارى ۲/ ۹۰۰، مرجع سابق.

(۳) المستدرك على الصحيحين ۱/ ۹۸، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۵۶

صوتا، لقد خشيت أن أكون كاهنا فقالت: إن اللّه لا يفعل بك ذلك يا ابن عبد اللّه، إنك تصدق ...) الحديث «۱»، و عن ابن عباس رضى اللّه عنه أن النبى صلى اللّه عليه و سلم قال: (يا خديجة! إنى أسمع صوتا، و أرى ضوءا و إنى أخشى أن يكون فى جنن) «۲».

۳- و كان جبريل عليه السلام يأتيه فى المنام:

كنوع من التدريج فى اعتياد الطبيعة البشرية لرسول اللّه عليه، ففى حديث عائشة- رضى اللّه تعالى عنها- فى بدء الوحى قالت: أول ما بدئ به رسول اللّه الرؤيا «۳» ... قال ابن حجر- رحمه اللّه تعالى ("-:ما) فى الحديث نكرة موصوفة، أى أول شىء، و وقع

صريحا فى حـديث ابن عباس رضـى اللّه عنه عند ابن عائذ، و وقع فى مراسـيل عبد اللّه بن أبى بكر بن حزم عند الدولابى ما يدل على أن الـذى كان يراه صـلى اللّه عليه و سـلم هو جبريل، و لفظه: أنه قال لخديجـة بعد أن أقرأه جبريل عليه السـلام اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ: (أرأيتك الذى كنت أحدثك أنى رأيته فى المنام، فإنه جبريل عليه السلام استعلن «"۴».

۴- الرؤيا الصادقة:

فقـد جاء فى حديث عائشة- رضـى اللّه تعالى عنها- عند البخارى: (أول ما بدئ به رسول اللّه صـلى اللّه عليه و سـلم من الوحى الرؤيا الصالحة ... و فى لفظ له:

الرؤيـا الصادقـة) ... و قـد ذكر فى الحـديث تفسيرها حيث قـالت عائشـة: (فكـان لا يرى رؤيا إلا وقعت مثل فلق الصـبح) «۵»، فالرؤيا الصادقة ":هى التى ليس فيها ضغث، قال ابن المرابط: هى التى ليست ضغثا، و لا من تلبيس الشيطان، و لا فيها ضرب مثل (۱) الطبقات الكبرى ۱۹۴/ ۱، مرجع سابق.

(۲) الطبقات الكبرى ۱۹۴/ ۱، مرجع سابق.

(۳) البخارى ۱/ ۳، مرجع سابق.

(۴) فتح البارى ۱/ ۱۴، مرجع سابق.

(۵) البخارى ۱/ ۳، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۵۷

مشكل «۱»، أى فى أول المبتـدءات من إيجاد الوحى الرؤيا «۲» ... و إنما شـبهها بفلق الصـبح دون غيره- كما قال ابن أبى جمرة- لأن شمس النبوة كانت الرؤيا مبادى أنوارها، فما زال ذلك النور يتسع حتى أشرقت الشمس «۳».

و عن علقمـة بن قيس صاحب ابن مسـعود رضـى اللّه عنه: (إن أول ما يؤتى به الأنبياء فى المنام حتى تهدأ قلوبهم، ثم ينزل الوحى فى اليقظة) «۴».

و أكثر ما سبق من الممهدات فى المنام، و ذاك فى ذاته تمهيد لليقظة.

۵- الآيات التى كانت تظهر له:

مثل تسليم الحجر؛ كما ثبت عن جابر ابن سمرة رضى اللّه عنه قال: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم (إنى لأعرف حجرا بمكة كان يسلم على قبل أن أبعث إنى لأعرفه الآن) «۵».

و أول ذلـك مطلقـا مـا سـمعه من بحيرى الراهب، ثم مـا سـمعه عنـد بناء الكعبـة حيث قيل له اشـدد عليك إزارك و هو فى صـحيح البخارى من حديث جابر رضى اللّه عنه «۶». (۱) قال ابن حجر- رحمه اللّه تعالى- تعقيبا ":و تعقب الأخير بأنه إن أراد بالمشـكل ما لا يوقف على تأويله، فمسلم و إلا فلا."

(۲) و العلاقـة بين الرؤيا الصالحـة و الصادقة أنهما بمعنى واحد بالنسـبة إلى أمور الآخرة فى حق الأنبياء، و أما بالنسـبة إلى أمور الدنيا، فالصالحـة فى الأصل أخص، فرؤيا النبى كلها صادقة، و قد تكون صالحة، و هى الأكثر، و غير صالحة بالنسبة للدنيا كما وقع فى الرؤيا يوم أحد، و أما رؤيا غير الأنبياء: فبينهما عموم و خصوص، إن فسـرنا الصادقة بأنها التى لا تحتاج إلى تعبير، و أما إن فسـرناها بأنها غير الأضغاث، فالصالحة أخص مطلقا، و قيل: الرؤيا الصادقة ما يقع بعينه، أو ما يعبر فى المنام، أو يخبر به ما لا يكذب، و الصالحة ما يسر.

(۳) فتح البارى ۸/ ۷۱۷، مرجع سابق.

(۴) قال فی فتح الباری ۸/ ۷۱۹، مرجع سابق ":رواه أبو نعیم فی الدلائل بإسناد حسن."

(۵) صحیح مسلم ۴/ ۱۷۸۲، مرجع سابق.

(۶) فتح الباری ۳/ ۴۴۳، مرجع سابق، و قال ابن حجر- رحمه اللّه تعالی- فی حدیث بحیری الراهب ":و هو عند الترمذی عن أبی موسی بإسناد قوی."

تلقی النبی ص ألفاظ القرآن، ص: ۵۸

۶- التحنث:

فقد جاء فی حدیث عائشهٔ- رضی اللّه تعالی عنها-: (ثم حبب إلیه الخلاء فکان یتحنث فی غار حراء ...) «۱».

فقولها (حبب): لم یسم فاعله؛ لعدم تحقق الباعث علی ذلک، و إن کان کل من عند اللّه، أو لینبه علی أنه لم یکن من باعث البشر، أو یکون ذلک من وحی الإلهام.

و الخلاء بالمد الخلوهٔ، و السر فیه أن الخلوهٔ فراغ القلب لما یتوجه له «۲». و قد فسر فی الحدیث معنی التحنث من بعض رواته، فقال: (و هو التعبد اللیالی ذوات العدد).

و قد قیل فی تأویل التحنث أنه من الحنفیهٔ إذ تبدل الثاء من الفاء کثیرا، أو من إلقاء الحنث و هو الإثم «۳».

و حتی لا یتهم النبی صلی اللّه علیه و سلم بالاتصال بالشیاطین، أو بالفیض الفلسفی الذاتی من خلال الاستیحاش بالناس، و الاستئناس بالخلوهٔ؛ إذ ذاک مظنهٔ لهما- فإن من أبرز الحقائق التی صاحبت خلوته صلی اللّه علیه و سلم أنه لم یکن مبتدعها فی قریش، بل کانت تلک عادهٔ متأصلهٔ فیهم، فإن الزمن الذی کان یخلو فیه کان شهر رمضان «۴»، و کانت قریش تفعله، کما کانت تصوم عاشوراء، و هم لم ینازعوا النبی صلی اللّه علیه و سلم فی غار حراء، مع مزید الفضل فیه علی غیره؛ لأن جده عبد المطلب أول من کان یخلو فیه من قریش، و کان یعظمونه لجلالته، و کبر سنه، فتبعه علی ذلک من کان یتأله، فکان صلی اللّه علیه و سلم یخلو بمکان جده، و سلم له ذلک أعمامه لکرامته علیهم «۵».

و هل کان النبی صلی اللّه علیه و سلم متوقعا للوحی بعد ظهور هذه العلامات کما یدل له کلام البلقینی، أم لا لشاهد فزعه، و لقول عائشهٔ- رضی اللّه تعالی عنها-: فجئه الحق، و أیده النووی (۱) البخاری ۱/ ۳، مرجع سابق.

(۲) انظر: فتح الباری بشرح صحیح البخاری ۱/ ۱۳، مرجع سابق.

(۳) انظر: فتح الباری بشرح صحیح البخاری ۱/ ۱۳، مرجع سابق.

(۴) رواه ابن إسحاق کما قال ابن حجر- رحمه اللّه تعالی- فی فتح الباری ۱۲/ ۳۶۱، مرجع سابق.

(۵) انظر: فتح الباری بشرح صحیح البخاری ۱/ ۱۳، مرجع سابق.

تلقی النبی ص ألفاظ القرآن، ص: ۵۹

...؟ قال ابن حجر: الظاهر أن الأولی: ترک الجزم بأحد الأمرین «۱»، و لکن قوله تعالی:

وَ ما کُنْتَ تَرْجُوا أَنْ یُلْقی إِلَیْکَ الْکِتابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّکَ "القصص/ ۸۶ "ظاهر فی نفی أن یکون النبی صلی اللّه علیه و سلم کان یتوقع شیئا من الوحی.

المطلب الثانی: التهیئهٔ البشریهٔ للوحی:

اشارهٔ

فکما أن اللّه عزّ و جل أمر جبریل علیه السلام و من أعانه من الملائکة بتهیئة النبی صلی اللّه علیه و سلم تهیئة إلهیة مما هو خارج عن نطاق القدرة البشریة، فقد کان النبی صلی اللّه علیه و سلم یهیئ نفسه و محیطه تهیئة یلهمها اللّه عزّ و جل له بطریق من طرق الوحی لکیما یتلقی الوحی الذی یأتیه متتابعا قرآنا کان أو غیره و هذه التهیئة نوعان:

أ- التهیئة الذاتیة: و یشیر إلیها ملمحان:

أولهما: معالجته الشدة فی تلقی القرآن کما سیأتی فی حدیث المعالجة «۲»؛ و ما تلک المعالجة إلا لما أراد النبی صلی اللّه علیه و سلم أن یبذله من طاقة مستطاعة لحفظ القرآن الکریم، بعد أن أخبر بثقله فی قوله سبحانه و تعالی إِنَّا سَنُلْقِی عَلَیْکَ قَوْلًا ثَقِیلًا "المزمل/ ۵،" فکأن هذه الآیة کانت داعیة تهیئته لتلقی لفظ القرآن الکریم.

و ثانیهما: اجتنابه صلی اللّه علیه و سلم للثوم و نحوها، مما تتأذی منه الملائکة، و عند ما یخاف أن تظن أمته حرمتها یبین لهم العلة، و جاء بعض الصحابة رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم بمرقة بقر فیها ثوم، فوجد رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم ریح الثوم فقال: (أخرجها) قال: لم یا رسول اللّه؟! أ حرام؟ فقال: (لا، و لکن جبریل علیه السلام یناجینی) «۳». (۱) انظر: فتح الباری ۱۲/ ۳۵۶، مرجع سابق.

(۲) انظر: الفصل الثالث- المبحث السادس من هذه الدراسة.

(۳) (الطبرانی) أبو القاسم مسند الدنیا سلیمان بن أحمد بن أیوب: المعجم الکبیر ۲/ ۴۵۶، مراجعة: حمدی عبد الحمید السلفی، ۱۴۰۴ ه- ۱۹۸۳ م، مکتبة العلوم و الحکم، الموصل، أصله فی صحیح مسلم ۳/ ۲۰۰، مرجع سابق، دون ذکر جبریل.

تلقی النبی ص ألفاظ القرآن، ص: ۶۰

و علل الشافعی- رحمه اللّه تعالی- ذلک بقوله ... ":امتنع من أکل الضب؛ لأنه عافه، لا لأنه حرمه، و قد امتنع من أکل البقول ذوات الریح لأن جبریل علیه السلام یکلمه «"۱».

ب- التهیئة البیئیة: لمحیطه الذی یتلقی فیه الوحی:

و أنموذجه ما فی حدیث أبی هریرة رضی اللّه عنه أن رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم: (أتانی جبریل علیه السلام فقال أتیتک البارحة، فلم یمنعنی أن أکون دخلت إلا أنه کان علی الباب تماثیل، و کان فی البیت قرام ستر فیه تماثیل، و کان فی البیت کلب، فمر برأس التمثال الذی علی باب البیت یقطع، فیصیر کهیئة الشجرة، و مر بالستر فلیقطع، فلیجعل منه وسادتان منبوذتان توطآن، و مر بالکلب فلیخرج، ففعل رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم و فی روایة: إما أن تقطع رءوسها، أو تجعل بسطا توطأ) «۲».

و عن عبد اللّه بن عمر بن الخطاب رضی اللّه عنه: وعد النبی صلی اللّه علیه و سلم جبریل علیه السلام فقال: (إنا لا ندخل بیتا، فیه صورة، و لا کلب) «۳».

و هکذا کانت التهیئة الإلهیة و التهیئة البشریة لاتصال أمین الوحی فی السماء علیه السلام، بأمین الوحی فی الأرض صلی اللّه علیه و سلم ... و تمضی هالات التعلیم النورانیة بین أشرف الخلق فی السماء علیه السلام، و أشرف الخلق فی الأرض و السماء صلی اللّه علیه و سلم، لتعلّم و تعلیم خیر الکلام فی الأرض و السماء:

محمد فی فؤاد الغار مرتجف ... فی کفه الدهر و التاریخ و الصحف مزمل فی رداء الطهر، قد صعدت ... أنفاسه فی ربوع الکون تأتلف جبریل یروی لنا الآیات فی حلل ... من القداسات و الأفلاک قد دلفوا من السموات تهمی کل غادیة ... علی دیار بنوها بالهدی شغفوا (۱) تأویل مختلف الحدیث ۳۱۰، مرجع سابق.

(۲) (الترمذی) أبو عیسی محمد بن عیسی السلمی ۲۷۹ ه: الجامع الصحیح سنن الترمذی ۳/ ۳۸۱، مراجعة: أحمد محمد شاکر و آخرون، دار إحیاء التراث العربی، و قال الترمذی ":حسن صحیح "و قال الشیخ الألبانی ":صحیح."

(۳) صحیح البخاری ۳/ ۱۱۷۹، مرجع سابق.

تلقی النبی ص ألفاظ القرآن، ص: ۶۱

المبحث الثانی: إمکانیة الاتصال المطلق بین جبریل علیه السلام و النبی صلی اللّه علیه و سلم:

اشارة

یدرس هذا المبحث مسألة الإطلاق فی اتصال جبریل علیه السلام بالنبی صلی اللّه علیه و سلم، زمانا و مکانا، فلا یحول دون لقائه به حائل، و ذلک حتی تطمئن قلوب المؤمنین بدقة تلقی النبی صلی اللّه علیه و سلم ألفاظ القرآن الکریم؛ إذ إن إمکانیة الاتصال المطلق من أهم سمات اتصال جبریل علیه السلام به، و لقائه له، و من سمات هذا الإطلاق:

۱- الالتقاء الخفی، و الکلام الخفی:

فلا ضیر فی وجود بشر من حوله، أو عدم وجودهم لخفاء اتصاله، حیث کان مجیء جبریل علیه السلام دون أن یشعر به الناس، و حدیثه مع النبی صلی اللّه علیه و سلم أمامهم، و لا یسمعونه، لیدل بذلک علی إمکانیة الاتصال به فی أی وقت دون عائق تثیره بشریة الرسول صلی اللّه علیه و سلم أو غیره؛ إذ الاتصال به أمر خارج عن نطاق البشر، و کان هذا من أسباب التهیئة الإلهیة للنبی صلی اللّه علیه و سلم کما تقدم «۱»، و مما یدل علی ذلک ما فی حدیث ابن عباس رضی اللّه عنه قال: کنت مع أبی عند النبی صلی اللّه علیه و سلم و عنده رجل یناجیه، و فی لفظ: و هو کالمعرض عن العباس رضی اللّه عنه فخرجنا من عنده، فقال: أ لم تر إلی ابن عمک کالمعرض عنی؟، فقلت: إنه کان عنده رجل یناجیه، و فی لفظ: فقال: أو کان عنده أحد؟ قلت: نعم! قال: فرجع إلیه، فقال: یا رسول اللّه! هل کان عندک أحد؟؛ فإن عبد اللّه أخبرنی أن عندک رجلا تناجیه. قال: (هل رأیته یا عبد اللّه؟) قال: نعم! قال: (ذاک جبریل، و هو الذی شغلنی عنک) «۲»، و کما فی حدیث عائشة- رضی اللّه تعالی عنها- أن النبی صلی اللّه علیه و سلم قال لها: (یا (۱) انظر: المبحث السابق من هذا الفصل- المطلب الأول.

(۲) مسند الإمام أحمد بن حنبل ۱/ ۲۹۳، مرجع سابق، و إنما لا یری جبریل علیه السلام لأنه الروح، و الروح: قال فی النهایة: "و منه الحدیث الملائکة الرّوحانیّون، یروی بضم الراء و فتحها، کانه نسبة إلی الرّوح، أو الرّوح و هو نسیم الرّیح، و الألف و النون من زیادات النّسب، و یرید به أنهم أجسام لطیفة لا یدرکها البصر، و منه: حدیث ضماد ":إنی أعالج من هذه الأرواح: الأرواح هاهنا کنایة عن الجنّ، سمّوا أرواحا لکونهم لا یرون فهم بمنزلة الأرواح."

تلقی النبی ص ألفاظ القرآن، ص: ۶۲

عائشة! هذا جبریل یقرأ علیک السلام) فقالت: و علیه السلام و رحمة اللّه و برکاته تری ما لا أری ترید النبی صلی اللّه علیه و سلم «۱».

۲- و ینادیه و یکلمه دون أن یشعر أحد من حوالیه غالبا سماعا، کما هو رؤیة:

فعن عائشة- رضی اللّه تعالی عنها-: لما کانت لیلتی التی کان النبی صلی اللّه علیه و سلم فیها عندی انقلب، فوضع رداءه، و خلع نعلیه، فوضعهما عند رجلیه، و بسط طرف إزاره علی فراشه، فاضطجع، فلم یلبث إلا ریثما ظن أن قد رقدت، فأخذ رداءه رویدا، و انتعل رویدا، و فتح الباب، فخرج، ثم أجافه رویدا، فجعلت درعی فی رأسی، و اختمرت، و تقنعت إزاری، ثم انطلقت علی إثره حتی جاء

البقیع، فأطال القیام ثم رفع یدیه ثلاث مرات، ثم انحرف، فانحرفت، فأسرع، فأسرعت ... قلل: (فإن جبریل أتانی حین رأیت، فنادانی، فأخفاه منک، فأجبته، فأخفیته منک، و لم یکن یدخل علیک و قد وضعت ثیابک، و ظننت أن قد رقدت، فکرهت أن أوقظک، و خشیت أن تستوحشی، فقال: إن ربک یأمرک أن تأتی أهل البقیع، فتستغفر لهم ...) الحدیث «۲».

و غایة ما کانت تصل إلیه قدراتهم، أن یظنوا وجود جبریل علیه السلام معه، أو یعتادوا علی بعض علامات محسوسة تدل علیه فقط، مع کثرة معاشرتهم لرسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم و ممارستهم لخبره عن مجیء الوحی له: فعن أنس ابن مالک رضی اللّه عنه قال: خرج علینا رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم ذات یوم و هو غضبان، و نحن نری أن معه جبریل علیه السلام حتی صعد المنبر- إلی أن قال أنس- ثم التفت نحو الحائط فقال: (لم أر کالیوم فی الخیر و الشر، أریت الجنة و النار وراء هذا الحائط) «۳». (۱) صحیح البخاری ۳/ ۱۱۷۷، مرجع سابق.

(۲) صحیح مسلم ۲/ ۶۶۹، مرجع سابق.

(۳) (الموصلی) أبو یعلی أحمد بن علی بن المثنی التمیمی (۲۱۰- ت ۳۰۷ ه): مسند أبی یعلی ۴/ ۶۵، مراجعة: حسین سلیم أسد، ۱۴۰۴ ه- ۱۹۸۴ م، دار المأمون للتراث- دمشق، و قال حسین أسد ":إسناده علی شرط مسلم."

تلقی النبی ص ألفاظ القرآن، ص: ۶۳

و قد عبر أنس رضی اللّه عنه عن الظن بالفعل (نری) «۱».

و کما رواه أبو سعید الخدری رضی اللّه عنه أن النبی صلی اللّه علیه و سلم جلس ذات یوم علی المنبر، و جلسنا حوله فقال: (إنی مما أخاف علیکم من بعدی ما یفتح علیکم من زهرة الدنیا و زینتها) فقال رجل: یا رسول اللّه! أو یأتی الخیر بالشر؟ فسکت النبی صلی اللّه علیه و سلم فقیل له: ما شأنک تکلم النبی صلی اللّه علیه و سلم و لا یکلمک، فرأینا أنه ینزل علیه. قال: فمسح عنه الرحضاء فقال: (أین السائل)، و کأنه حمده، فقال: (إنه لا یأتی الخیر بالشر ...) الحدیث «۲».

و مما یدل علی رؤیتهم أو اعتیادهم لبعض العلامات الحسیة المصاحبة لمجیء الملک: علامات الکرب المصاحبة للوحی کما سیأتی- إن شاء اللّه تعالی- «۳».

و من هذه العلامات ما جاء عن عائشة- رضی اللّه تعالی عنها- أن رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم لما فرغ من الأحزاب دخل المغتسل لیغتسل، فجاء جبریل علیه السلام فقال: أو قد وضعتم السلاح؟، ما وضعنا أسلحتنا بعد. انهد إلی بنی قریظة، فقالت عائشة- رضی اللّه تعالی عنها-: کأنی أنظر إلی جبریل علیه السلام من خلل الباب قد عصب رأسه من الغبار «۴»، و عن أنس ابن مالک رضی اللّه عنه قال: کأنی أنظر إلی غبار ساطع فی سکة بنی غنم موکب جبریل «۵».

فالأذن المعتادة لا تسمع جبریل علیه السلام، و العین المعتادة لا تراه، و ذلک لأنه یصل إلی مرکز الإبصار، و مرکز السمع مباشرة ... و لهذا قال صلی اللّه علیه و سلم: (هذا جبریل جاء (۱) و هو یدل علی الظن حیث کانت القرینة، کما قال تعالی: إِنَّهُمْ یَرَوْنَهُ بَعِیداً" المعارج/ ۶، "و هم إنما یظنون ظنا بدلیل قوله تعالی: وَ إِذا قِیلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَ السَّاعَةُ لا رَیْبَ فِیها قُلْتُمْ ما نَدْرِی مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَ ما نَحْنُ بِمُسْتَیْقِنِینَ "الجاثیة/ ۳۲."

(۲) صحیح البخاری ۲/ ۵۳۲، مرجع سابق، و هو یدل علی مجیء الوحی غیر القرآنی شدیدا.

(۳) انظر: الفصل الثالث- المبحث الخامس.

(۴) مسند الإمام أحمد بن حنبل ۱۳۱/ ۶، مرجع سابق.

(۵) صحیح البخاری ۳/ ۱۱۷۶، مرجع سابق.

تلقی النبی ص ألفاظ القرآن، ص: ۶۴

یعلمکم دینکم) فلما أراد جبریل علیه السلام أن یعلمهم کان لا بدّ من أن یتمثل لهم بشرا تدرک عیونهم صورته، و تدرک أسماعهم

صوته.

و لا يستطيع البشر أن يروا الملك إلا إذا تمثل لهم بشرا، فقرر النووى (فى حديث أم سلمة- رضى اللّه تعالى عنها- حيث رأت جبريل على صورة دحية): أن "فيه جواز رؤية البشر غير الأنبياء للملائكة، و وقوع ذلك، و يرونهم على صورة الآدميين؛ لأنهم لا يقوون على رؤيتهم على صورهم «"١»، و يشير إلى ذلك قوله تعالى وَ لَوْ جَعَلْناهُ مَلَكاً لَجَعَلْناهُ رَجُلًا "الأنعام/ ٩، "و أوضح دليل على ذلك: كلام الملائكة مع مريم بنت عمران- عليها السلام- حيث تمثل لها الملك بشرا سويا.

٣- الإطلاق من حيث النداء و الوقت:

فعن أنس رضى اللّه عنه: احفظوا هذا فإنه من كنز الحديث، قال: غزا النبى صلى اللّه عليه و سلم فسار ذلك اليوم إلى الليل، فلما كان الليل نزل و عسكر الناس حوله و نام هو، و أبو طلحة زوج أم أنس، و فلان، و فلان، أربعة، فتوسد النبى صلى اللّه عليه و سلم يد راحلته، ثم نام، و نام الأربعة إلى جنبه، فلما ذهب عتمة من الليل، رفعوا رءوسهم فلم يجدوا النبى صلى اللّه عليه و سلم عند راحلته، فذهبوا يلتمسون النبى صلى اللّه عليه و سلم حتى يلقوه مقبلا، فقالوا: جعلنا اللّه فداك، أين كنت؟ فإنا فزعنا لك؛ إذ لم نرك. فقال نبى اللّه صلى اللّه عليه و سلم: (كنت نائما حيث رأيتم، فسمعت فى نومى دويا كدوى الرحى، أو هزيزا كهزيز الرحى، ففزعت فى منامى، فوثبت، فمضيت فاستقبلنى جبريل فقال: يا محمد! إن اللّه عز و جل بعثنى إليك الساعة لأخيرك، فاختر إما أن يدخل نصف أمتك الجنة، و إما الشفاعة يوم القيامة ...) الحديث «٢». (١) فتح البارى ۴/ ٢٣۵، مرجع سابق.

(٢) المعجم الأوسط ٢/ ٢٣٣، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۶۵

و لنداء جبريل للنبى صلّى اللّه عليه و سلّم علامات لا يحس بها الآخرون غالبا، فإن أحسوا بها كان إحساسا غير متميز: فعن أبى ذر رضى اللّه عنه قال: كنت مع النبى صلّى اللّه عليه و سلّم فلما أبصر يعنى أحدا قال:

(ما أحب أنه يحول لى ذهبا يمكث عندى منه دينار فوق ثلاث إلا دينارا أرصده لدين- ثم قال-:

إن الأكثرين هم الأقلون إلا من قال بالمال هكذا و هكذا- و أشار أبو شهاب بين يديه و عن يمينه و عن شماله- و قليل ما هم) و قال: (مكانك) و تقدم غير بعيد، فسمعت صوتا، فأردت أن آتيه، ثم ذكرت قوله مكانك حتى آتيك، فلما جاء، قلت: يا رسول اللّه! الذى سمعت- أو قال-: الصوت الذى سمعت، قال: (و هل سمعت؟) قلت: نعم قال: (أتانى جبريل فقال: من مات من أمتك لا يشرك باللّه شيئا دخل الجنة. قلت: و إن فعل كذا و كذا؟ قال:

نعم) «١».

۴- الإطلاق من حيث المكان:

اشارة

و كان يجيئه حيث كان عند اقتضاء المجىء، و وجود الأمر الإلهى بالنزول: فعن عبد الرحمن بن عوف رضى اللّه عنه قال: دخلت المسجد فرأيت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم خارجا من المسجد، فاتبعته أمشى وراءه، و لا يشعر حتى دخل نخلا، فاستقبل القبلة، فسجد فأطال السجود، و أنا وراءه حتى ظننت أن اللّه عزّ و جل قد توفاه فأقبلت أمشى حتى جئته فطأسأت رأسى أنظر فى وجهه، فرفع رأسه، فقال: (مالك يا عبد الرحمن؟) فقلت له: لما أطلت السجود يا رسول اللّه! خشيت أن يكون اللّه عز و جل قد توفى نفسك، فجئت أنظر، فقال: (إنى لما دخلت النخل لقيت جبريل عليه السّلام فقال: إنى أبشرك أن اللّه عز و جل يقول: من سلم عليك سلمت

عليه، و من صلى عليك صليت عليه) «۲». (۱) صحيح البخارى ۲/ ۸۴۱، مرجع سابق.

(۲) سنن البيهقى الكبرى ۹/ ۲۸۵، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۶۶

بـل يأتيه إلى أخص أماكنه: فعن عائشـة- رضـى اللّه تعالى عنها- أن رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و سـلّم لما رجع يوم الخنـدق، و وضـع السـلاح، و اغتسل فأتاه جبريل عليه السّـلام و قد عصب رأسه الغبار، فقال: (وضـعت السـلاح؟ فو اللّه ما وضعته) فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سـلّم: فأين؟ قال: هاهنا، و أومأ إلى بنى قريظة) قالت: فخرج إليهم رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و سـلّم «۱». و ما سبق من أدلة تدل على هذا الإطلاق فى المكان، فى معسكره، و سفره، قاعدا أو قائما أو مضطجعا أو مقاتلا ...

و بعد:

فلا إشـكال و لا لبس فى حدوث عملية الوحى بين عالم الملائكة متمثلا بجبريل عليه السّـلام و بين عالم البشـر متمثلا بالنبى صلّى اللّه عليه و سلّم حتى تتلقف من قبل بعض الألسنة بالغمز أو اللمز ... تلك كانت شنشنة المستكبرين من قبل إذ قالوا أ أُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنـا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي "ص/ ۸ ... "فلقـد رأينـا فى عصـرنا صورا من الوحى الخفى الـذى يقع بين الناس بعـد أن يتوافر فيه شرطان: وسيلة الإرسال المناسبة، و وسيلة الاستقبال الخاصة ... فترى شخصا فى قرية أو مجتمع يتلقى المعلومات من شخص آخر بعيد، يملك جهاز الإرسال المناسب، فيسمعه بأدق ما يكون السـماع ... و من لا يملك جهاز الاسـتقبال بجواره لا يسـمع شيئا ... بل يتعدى الأـمر من السـماع إلى الرؤيـة، فبواسـطة الهاتف المرئى تسـتطيع أن تسـمع بجهازك كما تسـتطيع أن ترى لكلام و صورة تبعـد عنك آلاـف الأميال، و تحادثها ... فالشـرط هو وجود جهاز الإرسال و الاسـتقبال ... فإذا كان هـذا صـنع الإنسان، و هو ما يزال يعـد بالمزيد مسـتقبلا ... فإن الذهن يتقبل بتلقائية شديدة أن يكون خالق الإنسان قد زود المصطفين من رسله من الملائكة و من الناس بما يمكنهم من الاتصال المباشـر ... و قد تقدمت مظاهر الإعداد الإلهى لجبريل عليه السّلام فى الفصل الأول ليكون أمين وحى اللّه عزّ و جل، كما سبقت آنفا مظاهر من التهيئة الإلهية (۱) صحيح البخارى ۳/ ۱۰۳۵، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۶۷

الخاصـة للنبى الكريم صـلّى اللّه عليه و سـلّم فهى لمحات تبين أن الاتصال بين المسـتويين الفيزيائيين لعالمى الملائكة و البشـر أيسـر- حتى- من الاتصال بين البشر و البشر.

و لـذا فـإن الاتصال المباشـر بين مسـتويين من عالم الوجود الملائكى و البشـرى دون واسـطة آلات لا شك يتطلب قـدرة خاصـة ليتم التلقى، و قدرة أخرى عند الاثنين (جبريل عليه السّـلام و النبى صـلّى اللّه عليه و سـلّم) ليتم الوحى ... و لذلك كنا نرى الآثار الشديدة للاتصال بينهما تظهر على الرسول صـلّى اللّه عليه و سـلّم و هو يتلقى الوحى بعد أن هيأه اللّه لذلك الاتصال ... كما سيرد فى المبحث الخامس من الفصل الثالث- إن شاء اللّه تعالى-.

المانع من قرب جبريل عليه السّلام:

و يـأتى جبريل عليه السّـلام النبى صـلّى اللّه عليه و سـلّم حيث هو زمانا و مكانا إلا أن يوجـد مانع، كأن تكون امرأته صـلّى اللّه عليه و سلّم خلعت ثيابهـا، أو وجـد فى البيت ما يمنع الملك من الـدخول «۱»، و تقـدم مـا يـدل على ذلـك، و لا يعنى أنه لا يكلمه إن وجد المـانع، بـل يكلمه، و لكن من مكان بعيـد عن مكان المانع فعن عائشـة- رضـى اللّه تعالى عنها- أن النبى صـلّى اللّه عليه و سـلّم: (فإن جبريل أتانى حين رأيت، فنادانى فأخفاه منك، فأجبته فأخفيته منك، و لم يكن يدخل عليك، و قد وضـعت ثيابك ...) الحديث «۲».

(۱) انظر: المطلب الأول- المبحث الأول- من هذا الفصل.

(۲) صحيح مسلم ۲/ ۶۶۹، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۶۸

المبحث الثالث: هيئات مجىء الملك بالوحى القرآنى (من حيث عموم الوحى):

اشارة

تعددت الوسائط التى يأتى بها الوحى إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم هما المذكورتان فى حديث عائشة- رضى اللّه تعالى عنها- أن الحارث بن هشام رضى اللّه عنه سأل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم فقال: يا رسول اللّه! كيف يأتيك الوحى. فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم: (أحيانا يأتينى مثل صلصلة الجرس، و هو أشده على، فيفصم عنى، و قد وعيت عنه ما قال و أحيانا يتمثل لى الملك رجلا فيكلمنى، فأعى ما يقول) قالت عائشة- رضى اللّه تعالى عنها-: و لقد رأيته ينزل عليه الوحى فى اليوم الشديد البرد، فيفصم عنه و إن جبينه ليتفصد عرقا «۱»، و فى لفظ له: (كل ذاك: يأتى الملك أحيانا فى مثل صلصلة الجرس ...).

قال ابن حجر- رحمه اللّه تعالى "-:فقوله (كيف يأتيك الوحى) يحتمل أن يكون المسئول عنه صفة الوحى نفسه، و يحتمل أن يكون صفة حامله، أو ما هو أعم من ذلك، و قوله: (كل ذلك يأتى الملك): أى كل ذلك حالتان «"۲».

و هل مجىء الوحى منحصر فى الحالتين؟ ظاهر الحديث يشير إلى ذلك، خاصة مع قوله: (يأتينى على نحوين) فى رواية ابن سعد «۳»، و قوله (كل ذاك يأتى الملك)، و فيه فائدة جليلة من حيث مجىء الوحى فى صورة معلومة محسوسة لا يمكنه الشك فيها، بخلاف ما لو كان إلهاما مثلا، و ليس المراد هنا نفى الإلهام عن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، بل هو ثابت، لكن لا لتبليغ الوحى المأمور بتبليغه؛ إذ هذا يرجع إلى هاتين الصورتين لذا الدليل، و من قال بالعكس فضمان الدليل عليه. (۱) صحيح البخارى ۱/ ۴، مرجع سابق.

(۲) فتح البارى ۱/ ۲۲، مرجع سابق.

(۳) الطبقات الكبرى ۱/ ۱۹۷، مرجع سابق، و قال عنها ابن حجر- رحمه اللّه تعالى "-:مرسل مع ثقة رجاله."

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۶۹

و المقتضى المنهجى لذلك:

غرس الاطمئنان على دقة نقل الوحى القرآنى من حيث مجيئه فى صورة محسوسة، فلا لبس فيها أولا، و لا يتطرق القادح إليها بسبب الخفاء ثانيا، بخلاف الإلهام فى كل ذلك حيث يمكن ادعاء ذلك فيه لخفائه.

و قد أورد على هذا الحصر أنه قد ثبت مجىء الوحى فى غير هاتين الصورتين، و قد ذكر ذلك ابن حجر- رحمه اللّه تعالى- و أجاب عليه «۱»، و الجواب الجامع أن يقال: ما ذكر من هيئات أخرى للوحى فى ذاته، أو فى حامله لا تخلو من أحد أمرين:

أن تكون عامة فى الأنبياء و غيرهم، كالإلهام، و الرؤيا الصادقة، فليس حولها كلام، و ليس السؤال واقعا عنها «۲».

أو أنها ترجع إلى أحد الصورتين كالنفث فى الروع، و دوى النحل، فهو كصلصلة الجرس، أو تكليمه صلّى اللّه عليه و سلّم لربه تعالى فى المعراج فذاك كان بواسطة نقل جبريل عليه السّلام له إلى السماء ابتداء، و قد قرر الحافظ ابن حجر- رحمه اللّه تعالى- ذلك- بعد- حيث قال:

"و قد ذكر الحليمى أن الوحى كان يأتيه على ستة و أربعين نوعا، فذكرها، و غالبها من صفات حامل الوحى، و مجموعها يدخل فيما ذكر «"۳».

و المراد من هـذا الاسـتطراد تثبيت مجيء الملك بصورة محسوسـة حال الوحى بصورة عامـة ليغـدو مسـلما فى الذهن: أن الوحى كان يأتيه صلّى اللّه عليه و سلّم بطريق محسوس، فلا يطرأ عليه احتمال التخييل «۴» ... و أما الوحى القرآنى فقد كانت الاحتياطات فيه أشد من حيث إنزاله على القلب «۵». (۱) انظر: فتح البارى ۱۲/ ۴۳۶، مرجع سابق.

(۲) لكن قد قال البعض بالفرق بين رؤيا الأنبياء و غيرهم، فرؤيا الأنبياء وحى لا يدخله خلل. انظر: فتح البارى ۱۲/ ۴۳۹، مرجع سابق، و على كل فالوحى القرآنى قد كان أكثر احتياطا من أن يكون رؤيا منام، كما يلاحظ فى عرض هذا الفصل و فيما يليه.

(۳) فتح البارى ۱/ ۲۴، مرجع سابق.

(۴) انظر: الفصل الخامس- المبحث الأول من هذه الدراسة.

(۵) انظر: الفصل الثالث- المبحث الثانى- المطلب الثانى من هذه الدراسة.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۷۰

و ليس الـداعى ملحـا للاسترسـال فى ذكر أنـواع الـوحى الشـرعية، و اسـتقصاء متعلقاتهـا، إذ المراد معرفـة نـوع خـاص منه هـو الوحى القرآنى، تعرفا على الطريقة المنهجية المتخذة من قبل جبريل عليه السّـلام، التى صاحبت تعليمه ألفاظ القرآن للرسول صلّى اللّه عليه و سلّم، و تطمينا على هيئة نقله من حيث اللفظ ... و لتؤسـس هذه القاعدة إذ قد أشرعت مراكب الخوض فى عمق البحث: بما أن الوحى القرآنى نوع خاص من عموم الوحى، فسيذكر ما يتعلق به خاصا من حيث اللفظ، كما سـيذكر ما يتعلق به عاما من حيث شـدة ارتباطه بالخاص، فلا يرد على الباحث بعض أمور تتعلق بعموم الوحى قد ذكرت فى ثنايا البحث ...

و قد آن أوان الخوض فى المقصود الأساسى من البحث بعد هذه التهيئة، بيد أن كل ما سبق و ما سيتلو مبين لعالم الضباب و التيه اليوم كيف حفظ اللّه سبحانه و تعالى كلامه من كل شوائب الدخل، أو لوامع الدخن، ليبقى هدى الحيارى فى أزمنة استعار الضلال ...

هدى سيبقى و ما عشر و أربعة من الزمان سيبقى ما الزمان بقى الله أنزله، و اللّه حافظه، و اللّه ينجى به الدنيا من الرهق

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۷۱

الفصل الثالث هيئة تلقى النبى صلّى اللّه عليه و سلّم ألفاظ القرآن من جبريل عليه السّلام و فيه تسعة مباحث

اشارة

إننا نـدلف إلى هالات موكب تعليمى تتضال الكلمات عن وصـفه ... يرسم لعوالم الاغتراب: أى شـيء كان قادة هـذه الأمة، و أى نور كانت هذه الأمة من بعد ...

أنا قصة من بدر أرسلها الهدى ... محمد يرويها، و جبريل يكتب و كعبتى الغراء بيتى و قبلتى ... و بستانى المعمور بالحب يثرب و هذا الفصل يشـكل لبّ البحث و مـداره، كما هو واضح من عنوانه، و ما سـبق من الفصول كان تقدمة له من حيث إثبات العوامل الإيجابية التى تخدمه، و تلاه فصلان:

الرابع مكمـل له، خادم لغرضه، و الخامس خاتم له من حيث نفى العوامل السـلبية ... و لـذا قسم هـذا الفصل إلى تسـعة مباحث يحاول الباحث من خلالها إعطاء صورة نموذجية واقعية لتلقى النبى صـلّى اللّه عليه و سـلّم ألفاظ القرآن الكريم بأمر اللّه عزّ و جل من جبريل عليه السّـلام منذ أن يأمر اللّه- تعالى ذكره- جبريل عليه السّـلام بتعليم الوحى القرآنى للنبى صـلّى اللّه عليه و سـلّم، و حتى تمام ذلك التعليم، و بلوغه الكمال بالمتابعة، و المراجعة و التعاهد ... و لذا فمباحث هذا الفصل هى:

المبحث الأول: كيفية مجيء جبريل عليه السّلام إلى النبى صلّى اللّه عليه و سلّم عند تعليمه الوحى القرآنى.

المبحث الثانى: هيئة إلقاء الوحى القرآنى من جبريل عليه السّلام على قلب النبى صلّى اللّه عليه و سلّم.

تلقی النبی ص ألفاظ القرآن، ص: ۷۲

المبحث الأول: کیفیة مجیء جبریل علیه السّلام إلی النبی صلّی اللّه علیه و سلّم عند تلقینه الوحی القرآنی «۱»:

اشارة

یدرس هذا المبحث هیئة مجیء جبریل علیه السّلام لیلقی الوحی القرآنی من أول أمر اللّه سبحانه و تعالی له بالنزول حتی إلقائه القرآن علی قلب النبی صلّی اللّه علیه و سلّم، فقد وصف القرآن الکریم هیئة مجیء جبریل علیه السّلام إلی النبی صلّی اللّه علیه و سلّم عند إبلاغه الوحی القرآنی وصفا دقیقا، و کان جل ذلک الوصف فی سورة النجم «۲»، التی صدّرت آیاتها بإعلاء شأن النبی صلّی اللّه علیه و سلّم بیانا للإرادة الإلهیة فی اختیاره للنبوة، و إبلاغ کلام اللّه للناس، و الهجوم علی قادح فی ذلک یلقیه شیاطین الإنس و الجن ... فلما قال عزّ و جل إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْیٌ یُوحی النجم/ ۴، "استؤنف الکلام استئنافا بیانیا، کأنه قیل: فکیف یأتیه هذا الوحی؟، و من یأتیه به؟، و کیف یلقیه إلیه فیعیه، و لا یفارقنا؟، و کیف یأتیه الوحی القرآنی و هو کلام اللّه عزّ و جل، فیطیقه و هو بشر؟، فقال اللّه سبحانه و تعالی عَلَّمَهُ شَدِیدُ الْقُوی "...النجم/ ۵، "فسورة النجم ":مقصودها ذم الهوی، لإنتاجه الضلال و العمی ... و الحث علی اتباع النبی صلّی اللّه علیه و سلّم فی نذارته التی بینتها سورة (ق)، و صدقتها سورة الذاریات، و أوقعتها و عینتها الطور «"۳». (۱) المراد المجیء الخاص لأجل الوحی القرآنی، فلیلحظ هذا الاختلاف بین ما ذکر هنا و ما ذکر فی المبحث الثالث من الفصل الثانی.

(۲) و لا ینکر منکر علی البحث إظهار کیفیة تعلیم الوحی للنبی صلّی اللّه علیه و سلّم من جبریل علیه السّلام من خلال هذه الآیات فقد ذکر ذلک عدد من أرباب التفسیر، قال أبو السعود فی تفسیره (۵/ ۴۳)، مرجع سابق ":فی قوله تعالی فَاسْتَوی عطف علی عَلَّمَهُ بطریق التفسیر، فإنه إلی قوله تعالی ما أَوْحی بیان لکیفیة التعلیم، "فإن اعترض بأن هذا وصف للوحی فی حالین فقط کان فیهما جبریل علیه السّلام بخلقته الأصلیة، و لیس وصفا للوحی بصورته الدائمة، فالجواب: فلیکن کذلک، و کما وصف اتصال جبریل علیه السّلام بذلک فی حالین، هو دأبه فی اتصاله به دائما، ما خلا صورته الأصلیة؛ إذ قام الدلیل علی حصرها، و لا دلیل علی حصر بقیة الأوصاف فی هذه السورة فی الحالین، علی أن الوحی القرآنی النازل علی القلب، یأخذ صورة غیر الصورة التی یأتیه فیها الملک بصورة رجل، کما هو ظاهر من وصف نزوله بالقرآن بأنه (علی القلب).

(۳) انظر: نظم الدرر فی تناسب الآیات و السور ۱۹/ ۴۰، مرجع سابق.

تلقی النبی ص ألفاظ القرآن، ص: ۷۳

و من ثم فلا إنکار علی سائل علی کیفیة اتصال الملک بالنبی صلّی اللّه علیه و سلّم، للتفاوت فی الخلقة بین عالم الملائکة الذین هیأهم اللّه سبحانه و تعالی بقوی بها یکونوا عنده، و بین البشر الذین الذین یضعفون عن مشاهدة عالم الملائکة أو الجن فضلا عن تحملهم للوحی الإلهی، فاحتاجوا إلی الواسطة لنقل هذا الوحی "و لما کان الوحی ظاهرا فی کونه بواسطة الملک، تشوف السامع إلی

بيان ذلك؛ لأن ذلك أضخم فى حقه صلّى اللّه عليه و سلّم و أعلى لمقداره «"۱».

فلنتتبع هذا الوصف القرآنى «۲» لتلقى جبريل عليه السّلام الوحى القرآنى من اللّه عزّ و جل «۳»، و كيفية نزوله إلى النبى صلّى اللّه عليه و سلّم:

۱- يسمع من اللّه سبحانه و تعالى جبريل عليه السّلام الوحى الذى ينزل به: كما فى حديث النواس بن سمعان السابق «۴»، و فيه (فينتهى جبريل إلى حيث أمر من سماء أو أرض). و جبريل عليه السّلام هو الذى يلقى على النبى صلّى اللّه عليه و سلّم الوحى القرآنى، و هو أمين الوحى فى السماء و الأرض، و رسول اللّه عزّ و جل إلى رسله من البشر.

۲- و هو معلم النبى صلّى اللّه عليه و سلّم ذى الصفات البالغة فى قدرة حاملها على أداء هذه الرسالة على أتم وجه و أحسنه، فليس معلّم النبى صلّى اللّه عليه و سلّم مخلوقا عاديا بل لقد علم النبى صلّى اللّه عليه و سلّم شَدِيدُ الْقُوى (۵) ذُو مِرَّةٍ "النجم/ ۵- ۶ "و قد تقدمت صفاته «۵». (۱) انظر: نظم الدرر فى تناسب الآيات و السور ۱۹/ ۴۰، مرجع سابق.

(۲) ففيه كما قال فى التحرير و التنوير (۲۷/ ۹۵ "):تمثيل لأحوال عجيبة بأقرب ما يفهمه الناس؛ لقصد بيان إمكان تلقى الوحى عن اللّه تعالى؛ إذ كان المشركون يحيلونه، فبين لهم إمكان الوحى بوصف طريق الوحى إجمالا و هذه كيفية من صور الوحى."

(۳) و قد أعرض البحث عن الأقوال الواردة فى كيفية تلقى الملك للوحى، لأنها محض تخمين فى أمر غيبى، لا يظهر فيه للتحقيق العلمى أثر إلا بالتسليم لظاهر النصوص الدالة على السماع ...

(۴) انظر: الفصل الأول- المبحث الثالث.

(۵) انظر: الفصل الأول- المبحث الثانى.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۷۴

۳- لكن أبرز صفاته التى يشار إليها فى هذا المقام- إذ أظهر الغفلة تعجبهم من اتصال الملأ الأعلى بالبشر، و سرعة وصول الرسول السماوى إلى الرسول البشرى مع وجود هذه المسافات الهائلة بينهما- أنه ... شَدِيدُ الْقُوى (۵) ذُو مِرَّةٍ ...، و قد تقدم شرحها «۱».

۴- عند ما يريد اللّه عزّ و جل من جبريل عليه السّلام الوصول إلى النبى صلّى اللّه عليه و سلّم لتبليغه الوحى- إرادة أمر و إذن «۲»- فإنه يستعد للقيام بأمر اللّه، و هو بالأفق الأعلى، فاستعداده هنا فعلى بعد أن كان استعدادا فطريا؛ ذلك بأن الأفق هو اسم للجو الذى يبدو للناظر ملتقى بين طرف منتهى النظر من الأرض و بين منتهى ما يلوح كالقبة الزرقاء، و غلب إطلاقه على ناحية بعيدة عن موطن القوم و منه أفق المشرق و أفق المغرب، و وصفه بالأعلى ليفيد أنه من ناحية السماء «۳»، و يومئ لهذا قوله صلّى اللّه عليه و سلّم: (إنما ذلك جبريل، ما رأيته فى الصورة التى خلق عليها غير هاتين المرتين:

رأيته منهبطا من السماء سادا عظم خلقه ما بين السماء و الأرض) «۴».

فإن اعترض بأن: هذا دال على رؤيته له، لا على استعداده للنزول ... فلا يستقيم الاستدلال! فالجواب: نعم! يدل على رؤيته له، و لكن تبقى الآية محتملة للأمرين إن كان بقية الحديث منقطعا عما قبله، كأنه قال: المراد فى الآيات هو جبريل عليه السّلام، ثم استأنف (۱) انظر: الفصل الأول- المبحث الثانى.

(۲) تفصيل هذه الإرادة الإلهية: فى المبحث الثالث من هذا الفصل.

(۳) و قيل هى رؤيته له بحراء قد سد الأفق. انظر: (أبو حيان) محمد بن يوسف بن على بن يوسف بن حيان الأندلسى الغرناطى ت ۷۵۴ ه: البحر المحيط ۸/ ۱۵۷، ط ۲ ۱۴۱۱ هت- ۱۹۹۰ م، دار إحياء التراث العربى- بيروت، و قوله دَنا تبعد ذلك، و قيل فيها دنا: أى النبى صلّى اللّه عليه و سلّم إلى جبريل عليه السّلام. انظر: تفسير أبى السعود ۵/ ۲۱۸، مرجع سابق، و واضح و هن هذا القول من حيث سياق الآيات، و من حيث طبيعة قصة الإسراء.

(۴) سنن الترمذی ۵/ ۲۶۲، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ٧٥

فقال: ما رأيته ...، و الأقرب هو ما استدل به عليه هاهنا من حيث أن سياق الآيات و سببها بصدد تقرير صدق الوحى، و إمكانية اتصال الملك بالرسول «١».

و استعداده لأداء هذه الرسالة و النزول بها إلى العالم الأرضى كما قال سبحانه و تعالى فَاسْتَوى فى سورة النجم مفرع على ما تقدم من قوله عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوى النجم/ ۵، "و الفاء لتفصيل عَلَّمَهُ و المستوى هو جبريل عليه السّلام.

و معنى استوائه: قيامه بعزيمة لتلقى رسالة اللّه سبحانه و تعالى، كما يقال: استقل قائما، و مثل بين يدى فلان، فاستواء جبريل عليه السّلام هو مبدأ التهيؤ لقبول الرسالة من عند اللّه، و كذلك قيد هذا بجملة الحال فى قوله وَ هُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلى النجم/ ٧، "و الضمير لجبريل عليه السّلام لا محالة، أى قبل أن ينزل إلى العالم الأرضى «٢».

۵- بعد استعداده لتنفيذ الأمر يبدأ بالنزول بسرعة يعلم مقدارها من أودع فيه القوة الهائلة لتبليغ الوحى القرآنى إلى الرسول صلّى اللّه عليه و سلّم حيث كان، فلا يبالى بمكانه فى بيت أو فى فراش أو بين أصحابه أو فى جهاده كما تقدم «٣»، ثُمَّ دَنا فَتَدَلَّى "النجم/ ٨، "و الدنو: هو القرب، و المراد إلى حيث يبلغ الوحى و ذلك إلى مكانه المحدد من الأرض "و إذ كان فعل الدنو، قد عطف ب ثُمَّ على فَاسْتَوى بِالْأُفُقِ الْأَعْلى علم أنه دنا إلى العالم الأرضى، أى أخذ فى الدنو بعد أن تلقى ما يبلغه إلى الرسول صلّى اللّه عليه و سلّم، و فَتَدَلَّى انخفض من علو قليلا، أى ينزل من طبقات إلى ما تحتها، كما يتدلى الشيء المعلق فى الهواء بحيث لو رآه الرائى يحسبه متدليا، و هو ينزل إلى السماء غير منقض «"۴». (١) و سورة النجم أول أغراضها تحقيق: أن الرسول صادق فيما يبلغه عن اللّه تعالى، و أنه منزه عما ادعوه، و إثبات أن القرآن وحى من عند اللّه بواسطة جبريل عليه السّلام، و تقريب صفة نزول جبريل عليه السّلام بالوحى فى حالين زيادة فى تقرير أنه وحى من اللّه واقع لا محالة. انظر: التحرير و التنوير ٢٧/ ٩۶، مرجع سابق.

(٢) التحرير و التنوير ٢٧/ ٩۶، مرجع سابق.

(٣) فى الفصل الثانى- المبحث الثانى.

(۴) انظر: التحرير و التنوير ٢۶/ ٩۶، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ٧۶

۶- يزداد اقترابه من النبى صلّى اللّه عليه و سلّم حتى يصبح على مسافة قوسين منه أو أدنى فَكانَ قابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنى النجم/ ٩."

و فائدة قوله أَوْ أَدْنى بيان دقة وصف المسافة بينهما؛ إذ (أو) فيه للتخيير فى التقدير، و هو مستعمل فى التقريب، أى إن أراد أحد تقريب هذه المسافة فهو مخير بين أن يجعلها قاب قوسين أو أدنى أى لا أزيد، إشارة إلى أن التقدير لا مبالغة فيه.

و فى قوله سبحانه و تعالى: ما كَذَبَ الْفُؤادُ ما رَأى النجم/ ١١، "تأكيد على أن القرب قرب حسى لا مجرد اتصال روحانى، على قول من تأوله بأنه رد لتكذيب المشركين فيما بلغهم من الخبر عن رؤية النبى صلّى اللّه عليه و سلّم الملك جبريل عليه السّلام «١»، و يؤيده ما رواه الإمام البخارى- رحمه اللّه تعالى- عن أبى إسحاق الشيبانى قال: سألت زر بن حبيش عن قوله عزّ و جل فَأَوْحى إِلى عَبْدِهِ ما أَوْحى (١٠) ما كَذَبَ الْفُؤادُ ما رَأى النجم/ ١٠- ١١ «"٢»، قال: حدثنا ابن مسعود رضى اللّه عنه أنه «٣» رأى جبريل عليه السّلام له ستمائة جناح «۴»، و عن مسروق قال: قلت لعائشة: فأين قوله ثُمَّ دَنا فَتَدَلَّى (٨) فَكانَ قابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنى. قالت: ذاك جبريل كان يأتيه فى صورة الرجل، و إنه أتاه هذه المرة فى صورته التى هى صورته فسد الأفق «۵». (١) انظر: التحرير و التنوير ٢۶/ ٩٨، مرجع سابق.

(٢) قال ابن حجر- رحمه اللّه تعالى "-:كلام أكثر المفسرين من السلف يدل على أن الذى أوحى هو اللّه، أوحى إلى عبده محمد ، "...و قد ظهر أن الراجح فى نظر الباحث أن الكلام عن جبريل عليه السّلام لوجوه منها: سبب الآيات و سياقها و قد مضى فى المبحث

الأول من هـذا الفصل، و منها ما يشعر بـذلك نحو قوله تعالى وَ لَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أَخْرى النجم/ ١٣، "و منها: قـدم سورة النجم فى النزول فهى السورة الثالثة و العشرون، نزلت بعد سورة الإخلاص، و قبل سورة عبس (انظر: التحرير و التنوير ٢۶/ ٨٨، مرجع سابق)، و فى الأثر الذى رواه ابن الضريس فى فضائل القرآن عن ابن عباس رضى اللّه عنه: أنها الحادية و العشرون بين هاتين السورتين، انظر: الإتقان فى علوم القرآن ١/ ١١، مرجع سـابق، على أنه لا تعارض بين أن يكون الموحى هو اللّه تعالى، و أن يكون ما قبله فى جبريل عليه السّلام، بل كون ما قبله فى جبريل عليه السّلام هو قول أكثر المفسرين.

(٣) يعنى النبى صلّى اللّه عليه و سلّم كما معلوم.

(۴) صحيح البخارى ٣/ ١١٨١، مرجع سابق.

(۵) صحيح البخارى ٣/ ١١٨١، مرجع سابق، و روى أبو يعلى فى مسنده ٨/ ٣٠۴، مرجع سابق: عنها قالت ":أنا أعلم هذه الأمة بهذه، و أنا سألت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم عن ذلك قال: (رأيت جبريل) ثم قالت: من زعم أن محمدا رأى ربه فقد

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ٧٧

و الاستدلال هاهنا فيه الكلام السابق الوارد عند ذكر هذا الحديث آنفا «١».

و على هذا فإن النبى صـلّى اللّه عليه و سـلّم كان يرى جبريل عليه السّلام رؤيا حقيقية، لكنها رؤيا فؤاد كما أن العين ترى ضوءا فترسل إشاراتها الضوئية إلى المخ فيتم وعيها فى المخ ... فهل كانت رؤية النبى صـلّى اللّه عليه و سـلّم لجبريل عليه السّـلام تصل مباشـرة إلى مركز الإبصار فى المـخ، كما أن استماعه لقراءته يصل إلى مركز السـمع فى المـخ ... و المـخ متصل أعظم الكـذب على اللّه، "و عند مسلم ١ / ١۵٩، مرجع سـابق عن مسـروق قـال: كنت متكئـا عنـد عائشـة- رضـى اللّه تعـالى عنهـا- فقالت: يا أبا عائشـة ثلاث من تكلم بواحـدة منهن فقـد أعظم على اللّه الفريـة، قلت: ما هن؟ قالت: من زعم أن محمّدا صـلّى اللّه عليه و سـلّم رأى ربه فقد أعظم على اللّه الفريـة، قـال: و كنت متكئـا، فجلست، فقلت: يـا أم المؤمنين! انظرينى، و لا تعجلينى، أ لم يقل اللّه عز و جل وَ لَقَـدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ" التكوير/ ٢٣ "وَ لَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرى النجم/ ١٣؟."

فقالت: أنا أول هـذه الأمـة سأل عن ذلك رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و سـلّم فقال: (إنما هو جبريل، لم أره على صورته التى خلق عليها غير هاتين المرتين: رأيته منهبطا من السـماء سادا عظم خلقه ما بين السـماء إلى الأرض). و من فوائد هذه الروايات: إسـناد عائشة قولها للرسول صـلّى اللّه عليه و سـلّم صـراحة، و قوله منهبطـا دال على رؤيـة النبى لجبريـل عليه السّـلام حال نزول جبريل عليه السّـلام، عليه منهبطا من السماء لتبليغه الوحى.

(١)* فائـدة: قد تأول أكثر المفسـرين آيات النجم و التكوير فى جبريل عليه السّـلام، و اختلافهم فى رؤية النبى صـلّى اللّه عليه و سـلّم لربه إنمـا هو بأمر خارجهما، و ليس ذا المعترك الكلامى ميـدانا للبحث، إنما أريـد هاهنا بيان ضـعف قول النووى فى شـرح مسـلم ٢/ ٣٢١، مرجع سـابق ":لم تنف عائشـة- رضـى اللّه تعـالى عنهـا- وقوع الرؤيـة بحـديث مرفوع، و لو كان معها لـذكرته، و إنما اعتمـدت الاسـتنباط على ما ذكرته من ظاهر الآيـة و قـد خالفها غيرها من الصـحابة، و الصـحابى إذا قال قولا، و خالفه غيره منهم لم يكن ذلك القول حجـة اتفاقا، و المراد بالإدراك فى الآيـة الإحاطـة و ذلك لا ينافى الرؤية "إذ قد ثبت الحديث المرفوع الوارد فى تأويل الآيتين فى مسلم، حتى تعجب ابن حجر- رحمه اللّه تعالى- من هذا الذهول فقال ":و جزمه بأن عائشة- رضى اللّه تعالى عنها- لم تنف الرؤية بحديث مرفوع تبع فيه ابن خزيمة، فإنه قال فى كتاب التوحيد من صـحيحه: النفى لا يوجب علما، و لم تحك عائشة- رضى اللّه تعالى عنهـا- أن النبى صـلّى اللّه عليه و سـلّم أخبرها أنه لم ير ربه، و إنما تأولت الآيـة انتهى، و هو عجيب! فقـد ثبت ذلك عنها فى صـحيح مسـلم الذى شـرحه الشـيخ فعنده من طريق داود بن أبى هند عن الشـعبى عن مسروق فى الطريق المذكورة، قال مسروق و كنت متكئا ...- ثم ذكر طريقـا آخر، و فيه: فقلت: يـا رسول اللّه! هـل رأيت ربـك فقال: لا إنما رأيت جبريل منهبطا "فتـح البارى ٨/ ۶١٠، مرجع سابق.

و رابط هـذا الإیراد المعترض سبیل البحث بالبحث هو التأکیـد علی ما قرّر أعلاه من أن آیات النجم جاءت موضـحة أنموذج الاتصال بین جبریل علیه السّلام و النبی صلّی اللّه علیه و سلّم.

تلقی النبی ص ألفاظ القرآن، ص: ۷۸

بالمرکز العقلی المتحکم المسمی بالفؤاد ...؟ قـد یکون الأمر کـذلک؛ إذ لو کانت رؤیا جارحـة لرآها کل من له الجارحة ذاتها ممن یکون موجودا مع الرسول صـلی اللّه علیه و سـلم فی مکان تلقی الوحی، و قـد یقال باختلاف جارحة النبی صـلی اللّه علیه و سـلم عن جارحة غیره، و لذا تمت تهیئته صلی اللّه علیه و سلم لتلقی الوحی القرآنی کما سبق فی الفصل الثانی، و یقرّب هذا:

أننـا نعلم أن الحیوانات تشترک فی جارحـة السـمع و البصـر مع تفاوتها فی دقتهما، و مـدی ترکیزهما ... و لکن ذکر الفؤاد «۱» یجعل الاحتمال الأول أرجح و أوقع، و إن کلن التفصیل غیر مجزوم به؛ إذ قد یکون الاتصال بالمراکز الأساسیة للسمع و البصر، و الوعی فی الفؤاد دون المرور بالمراکز التی فی المـخ، و قد یکون الأمر بصورة تفصـیلیة غیر ذلک، و لکن لا شک أن الواقع العلمی الذی نعیشـه الیوم قـد قرب تصور هـذه العملیـة کثیرا، و مـا ظهر یقرّب فهم ما لم یظهر وَ لَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِینٍ "ص/ ۸۸ ... "و یزیـد هذا الاحتمال رجحانا ما تم من إعداد خاص لفؤاد النبی صلی اللّه علیه و سلم کما سبق التکلم عن ذلک فی أول الفصل الثانی.

فإن اعترض بالقول: إذا کان جبریل علیه السـلام عنـد نزوله علی قلب النبی لتلقینه الوحی القرآنی علی مسافـة قاب قوسـین أو أدنی- أ فما کان یقرب من النبی صلی اللّه علیه و سلم أکثر من ذلک، أو ینأی عنه أکثر؟ فالجواب: إما أن یکون هذا تصویرا للحالة الغیبیة غیر المشاهـدة لغیر الرسول صـلی اللّه علیه و سـلم لنزول الملک علیه بالوحی، و هی أشـدها علیه، فتکون فی غایـة (۱) و یزیـد الأمر جلاء ظهور الفرق بین ما کَذَبَ الْفُؤادُ ما رَأی النجم/ ۱۱، "و ما زاغَ الْبَصَرُ وَ ما طَغی النجم/ ۱۷ "إذ الأولی لرؤیة النبی صلی اللّه علیه و سلم لجبریل علیه السـلام عنـد نزوله بالوحی علیه بصـفة دائمـة، و الثانیة لرؤیته له عیانا فی خلقته الأصـلیة فی المرة الثانیة من المرتین اللتین شاهد فیهما الرسول صلی اللّه علیه و سلم جبریل علیه السلام فی خلقته الأصلیة ... هذا إن جعلت کلمة البصر واردة فی معناها الحقیقی المباشـر و هو الجارحة المعروفة، و هو الظاهر، کما أنه الذی یدل علیه السـیاق ... و یحتمل أن یکون المراد مرکز البصـر فی الدماغ أو الفؤاد ... و علی کلا الاحتمالین فإن ذکر الفؤاد فی الآیة الأولی مع علمنا أنه لم یکن الصحابة یشاهدون جبریل علیه السلام إن جاء فی الصورة الشدیدة للوحی ... یؤکد أن الاتصال کان بالمرکز الأصلی المباشر للإدراک عند النبی صلی اللّه علیه و سلم ... و الأمر- بعد- بحاجة لمزید تفصیل ... لعله یکون فی طبعات قادمة- إن شاء اللّه تعالی-.

تلقی النبی ص ألفاظ القرآن، ص: ۷۹

الدقة فی وصف مکان الملک، و المسافة التی تبعده عن النبی صلی اللّه علیه و سلم فی هذه الحالة، و إن کان من حوالیه لا یراه، و إما أن یکون تصویرا لحالة المجیء المشاهد للملک، و هو کائن عند تمثل الملک رجلا، فقد کان یتم للملک القرب من النبی صـلی اللّه علیه و سـلم أکثر کحدیث عمر المشهور فی مجیء جبریل علیه السلام یعلمهم أمر دینهم حیث جعل رکبتیه عند رکبتیه، و وضع کفیه علی فخـذیه، و لکن هـذا المجیء المشاهـد للملک لا یتعلق به وحی القرآنی؛ إذ هاهنا حقیقـة تتعلق بهیئة الملک عند الوحی القرآنی هی أن الوحی القرآنی لا یأتی الملک فیه إلا بالصورة الأشد.

فـإن اعترض بـأنه قـد جاء: الوحی القرآنی فی غار حراء و الملک متجسـد للنبی صـلی اللّه علیه و سـلم ظاهر بارز؟. فالجواب: بل کان الوحی فی غار حراء من أشد ما لقیه النبی صلی اللّه علیه و سلم فی تلقی الوحی القرآنی و ذلک ظاهر، حتی رجع النبی صلی اللّه علیه و سـلم بالوحی ترجف بوادره «۱»، ثم قد جاء أن النبی صـلی اللّه علیه و سـلم قد شقّ صدره هناک، و حسـبک بذاک تهیئة و شدة لو صـح، علی أن تجسـد الملـک له فی غـار حراء کـان فی بـدایات الوحی تمهیـدا لأـن یعتـاد الاتصـال بالملـک دون أن یعتریه ضـعف جسـمانی، و لا شک عقلی فی أن الـذی یتصل به لیس إلا ملک، و لذا قال صاحب التحریر و التنویر ":فکانت قواه البشـریة یومئذ غیر معتادة لتحمل اتصال القوة الملکیة بها مباشـرة، فکان ذاک- یعنی التجسد- رفقا بالنبی صـلی اللّه علیه و سـلم أن لا یتجشم شـیئا یشـق

عليه «"۲"».

۷- و بعد ذا القرب تكون مرحلة الإلقاء و التعليم: حيث يلقى الملك على النبى صلى اللّه عليه و سلم ما أمره اللّه عزّ و جل به أن يلقيه فَأَوْحى إِلى عَبْدِهِ ما أَوْحى النجم/ ۱۰، "و ليس إلقاء الملك من فم إلى فم فحسب، بل يلقيه على قلبه صلى اللّه عليه و سلم ... كأن جبريل عليه السلام يصل رأسا إلى مركز السمع و البصر و الوعى الكامل فى الفؤاد ... إذ إن جارحة البصر (العين)، و جارحة السمع (الأذن) ما هما إلا تحويل و ترجمة لما (۱) البخارى ۱/ ۴، مرجع سابق.

(۲) التحرير و التنوير ۲۶/ ۹۷، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۸۰

يشاهد و يسمع من العالم الخارجى إلى مراكز وعيها فى الدماغ و منه إلى المركز الأصلى للوعى (الفؤاد) ... أما الملك فيصل مباشرة بكلام مسموع، كما أن صورته تصل مباشرة إلى مركز الفؤاد، فيلقى بالوحى الإلهى على قلب النبى صلى اللّه عليه و سلم، و يسمعه النبى صلى اللّه عليه و سلم سماع أذن و فؤاد بدليل تحريك لسانه بعد الملك- و سيفصل ذلك فى المبحث الذى بعد هذا إن شاء اللّه عزّ و جل-، فى حين يرى الصحابة آثار ذلك من الشدة التى تعترى النبى صلى اللّه عليه و سلم، و التى سموها (برحاء الوحى) ... فيلقى الملك الوحى حال كون هذا الملقى بلسان عربى مبين، فيقرؤه جبريل عليه السلام على النبى صلى اللّه عليه و سلم كما أمره اللّه سبحانه و تعالى أن يقرأه؛ و لذا نسب الفعل إلى ذاته العلية سبحانه فى قوله فَإِذا قَرَأْناهُ مبالغة فى التأكيد على أن ما قرأه جبريل عليه السلام هو اللفظ الذى أراد اللّه سبحانه و تعالى أن يقرأه، و بالهيئة ذاتها التى أرادها عزّ و جل، و النبى صلى اللّه عليه و سلم حال قراءة جبريل عليه السلام مطرق مستمع لا يحرك لسانه- بعد تعليمه ذاك- حتى يقضى جبريل عليه السلام، قراءة الوحى عليه، فإذا قضى انطلق جبريل عليه السلام، و قرأه النبى صلى اللّه عليه و سلم كما قرأه جبريل عليه السلام، فلا يعترض معترض على هذا الموضع بالقول: إنا لا نراه يحرك لسانه ترديدا، إذ الإلقاء على قلبه، و معلوم أن عدم تحريك لسانه كان بعد نزول سورة القيامة «۱».

و يدل لما سبق تفصيله من مراحل حديث عبد اللّه بن عباس رضى اللّه عنه قال: بينما رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم بفناء بيته بمكة جالس، إذ مر به عثمان بن مظعون فكشر إلى رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم فقال له رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم: (أ لا تجلس؟) قال: بلى! قال فجلس رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم مستقبله، فبينما هو يحدثه، إذ شخص رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم ببصره إلى السماء، فنظر ساعة إلى السماء، فأخذ يضع بصره حتى وضعه على يمينه فى الأرض، فتحرف رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم عن جليسه عثمان إلى حيث وضع بصره، و أخذ ينفض رأسه كأنه يستفقه ما يقال له، و ابن مظعون ينظر، فلما (۱) و يأتى مزيد تفصيل لذلك- إن شاء اللّه تعالى- عند ذكر حديث المعالجة: المبحث السادس من هذا الفصل.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۸۱

قضى حاجته، و استفقه ما يقال له، شخص بصر رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم إلى السماء كما شخص أول مرة، فاتبعه بصره حتى توارى فى السماء فأقبل إلى عثمان بجلسته الأولى، قال: يا محمد! فيم كنت أجالسك، و آتيك ما رأيتك تفعل كفعلك الغداة. قال: (و ما رأيتنى فعلت؟) قال: رأيتك تشخص ببصرك إلى السماء، ثم وضعته حيث وضعته على يمينك، فتحركت إليه، و تركتنى فأخذت تنفض رأسك كأنك تستفقه شيئا يقال لك، قال:

(و فطنت لذاك؟)، قال عثمان: نعم. قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم: (أتانى رسول اللّه آنفا، و أنت جالس) قال: رسول اللّه؟. قال: (نعم). قال: فما قال لك؟ قال: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَ الْإِحْسانِ وَ إِيتاءِ ذِي الْقُرْبى وَ يَنْهى عَنِ الْفَحْشاءِ وَ الْمُنْكَرِ وَ الْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ "النحل/ ۹۰، "قال عثمان فذلك حين استقر الإيمان فى قلبى و أحببت محمدا «۱».

و هكذا كان جبريل عليه السلام ينزل بالوحى على خير الأنام صلى اللّه عليه و سلم ... فتنزل معه على المؤمنين كل سكينة، و كل عزة، و كل نصر ... كيف ترى البشائر التى تنزل مع أول معلم لألفاظ القرآن الكريم من الخلق طرا عليه السلام لأشرف متعلم لألفاظ القرآن

الكريم من الخلق طرا صلى اللّه عليه و سلم؟.

و قد قال عتيبة بن عتيبة بن مرداس التميمى الذى شهد حنينا مع المشركين، فلما رأى المسلمين انفضوا عن النبى صلى اللّه عليه و سلم، ثم نصر برغم ذلك علم أنه جبريل عليه السلام النازل- بإذن اللّه- بالنصر، فثمّ أعلن إسلامه:

فضاربوا الناس حتى لم يروا أحدا حول النبى إلى أن جنّه الغسق

ثمة نزل جبريل ينصرهم من السماء، فمهزوم و معتنق

منا، و لو غير جبريل يقاتلنا لمنعتنا إذن أسيافنا العتق

(۱) مسند الإمام أحمد بن حنبل ۱/ ۳۱۸، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۸۲

المبحث الثانى: هيئة إلقاء الوحى القرآنى من جبريل عليه السلام على النبى صلى اللّه عليه و سلم:

اشارة

يدرس هذا المبحث هيئة إلقاء الوحى القرآنى بعد أن يكون جبريل عليه السلام قد دنا من النبى صلى اللّه عليه و سلم فى مرحلته الأولى، أى مرحلة ما قبل إلقاء الوحى القرآنى كلاما، و لذا انقسم هذا المبحث إلى مطلبين:

المطلب الأول: الهيئة العامة لإلقاء الوحى القرآنى.

المطلب الثانى: النزول على القلب.

المطلب الأول: الهيئة العامة لإلقاء الوحى القرآنى:

فلنبن الكلام الآن ترتيبا على ما سبق فى المبحث الأول:

۱- ... و إذ قد دنا جبريل عليه السلام من النبى صلى اللّه عليه و سلم، و آن أن يلقى عليه الوحى القرآنى، و يقرؤه عليه فيجب استصحاب أمرين:

أولهما: أن جبريل عليه السلام هو المقرئ الوحيد للنبى صلى اللّه عليه و سلم، و قد تقدم تقرير ذلك «۱».

و ثانيهما: أن جبريل عليه السلام ليس ملكا عاديا، بل هو الروح «۲» كما أن القرآن روح ...

فتجتمع الحياة الحقة منهما، و إذا كانت الحياة تسرى فى الجسد الميت عند ما ينفخ فيه الروح، فما ظنك بروح يلقّن النبى صلى اللّه عليه و سلم روحا، و جبريل عليه السلام هو الأمين الذى يتسم بأمانة الأداء فلا يخرم مما يؤديه حرفا، زيادة و لا نقصا، كما لا يخرم المكان، و لا الزمان، و لذا استهلت آيات وصف كيفية إنزال جبريل عليه السلام بالقرآن بقوله تعالى نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ "النجم/ ۱۹۴، "و يضاف إلى هذا أن قلب النبى صلى اللّه عليه و سلم قد نزع منه حظ الشيطان، (۱) انظر: الفصل الأول- المبحث الرابع- المطلب الثالث.

(۲) انظر: الفصل الأول- المبحث الثانى- المطلب الثانى.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۸۳

و تم إعداده إعدادا إليها «۱»، فلا مجال فيه لمانع ذاتى يمنع أو يشوش على تلقى ألفاظ القرآن الكريم.

۲- ينخلع النبى صلى اللّه عليه و سلم من قدرته البشرية عند رؤيته الملك، و سماعه الوحى مع بقائه على خلقته البشرية، فالمراد انخلاع القوى الباطنة، لا الخلقة الظاهرة «۲»، فالرؤية و السماع يكونان من المركزين المباشرين للسمع و البصر فى الفؤاد، إذ ما كَذَبَ

الْفُؤادُ ما رَأى النجم/ ۱۱ «"۳»؛ و لذا كان صلى اللّه عليه و سلم يأتيه الوحى شديدا عنيفا؛ إذ يتوجب عليه بذل قوى فوق الطاقة البشرية للسماع غير المعتاد بشريا، و الرؤية غير المعتادة بشريا، و الملكة القوية فى الحفظ مما لا يعتاد بشريا، زيادة فى التأكيد على المحفوظ إذ كان ذلك من لوازم جمعه فى صدره، و ليتمكن من رؤية جبريل عليه السلام و سماعه، و هو ما لا يراه من حوله، و لا يستطيعون سماعه «۴»، و عبر عن ذلك ابن خلدون- رحمه اللّه تعالى- فقال ":و صنف مفطور على الانسلاخ من البشرية جملة، جسمانيتها و روحانيتها إلى الملائكة من الأفق الأعلى، ليصير فى لمحة من اللمحات ملكا بالفعل، و يحصل له شهود الملأ الأعلى فى أفقهم، و سماع (۱) انظر: الفصل الثانى- المبحث الأول.

(۲) فلا يرد على هذا الكلام القول بالتناسخ، أو قدرة البشر على التشكل؛ إذ ذاك ليس لهم، و لا فى إمكانهم، و ينبغى أن يفسر كلام العلماء الذين سينقل عنهم- بعد قليل- فى هذا الموضوع بهذا التفسير؛ إذ إن بقاء النبى صلى اللّه عليه و سلم فى خلقته البشرية آن نزول الوحى عليه ثابت تواترا كما يلاحظ ذلك فى النصوص التى ترد فى هذا البحث.

(۳) و ما علاقة ذلك بمركزى السمع و البصر الكائنين فى الدماغ؟، محل نظر و بحث بدأت بعض الإشارات العلمية بالتلميح إليها، و المستقبل واعد بمزيد تجلية لهذا الموضوع.

(۴) و قال الأصفهانى فى أوائل تفسيره ":اتفق أهل السنة و الجماعة على أن كلام اللّه سبحانه و تعالى منزل،- إلى أن قال مبينا أن اللّه عزّ و جل علم جبريل عليه السلام كيفية قراءة كلامه فى السماء و هو ما سبق فى المباحث الماضية- ثم جبريل عليه السلام أداه فى الأرض و هو يهبط إلى المكان، و فى ذلك طريقتان:

إحداهما: أن النبى صلى اللّه عليه و سلم انخلع من صورة البشرية، إلى صورة الملكية، و أخذه من جبريل عليه السلام، و ثانيهما: أن الملك نخلع إلى البشرية حتى يأخذه النبى صلى اللّه عليه و سلم منه، و الأولى أصعب الحالين "فتح البارى ۳/ ۱۲۳، مرجع سابق، و لا شك أن الصورتين واردتان كما فى حديث الحارث بن هشام المتقدم ص ۶۸.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۸۴

الكلام ... «۱»، و الخطاب الإلهى فى تلك اللمحة، و هؤلاء الأنبياء- صلوات اللّه و سلامه عليهم- جعل اللّه عزّ و جل لهم الانسلاخ من البشرية فى تلك اللمحة، و هى حالة الوحى فطرة فطرهم اللّه سبحانه و تعالى عليها، و جبلّة صورهم فيها، و نزههم عن موانع البدن، و عوائقه، ما داموا ملابسين لها بالبشرية، بما ركب فى غرائزهم من القصد، و الاستقامة التى يحاذون بها تلك الوجهة، و ركز فى طبائعهم رغبة فى العبادة، تكشف بتلك الوجهة، فهم يتوجهون إلى ذلك الأفق بذلك النوع من الانسلاخ متى شاءوا، بتلك الفطرة التى فطروا عليها، لا باكتساب، و لا صناعة، فلذا توجهوا، و انسلخوا عن بشريتهم، و تلقوا فى ذلك عن الملأ الأعلى ما يتلقونه عاجوا «۲» به على المدارك البشرية منزلا فى قواها لحكمة التبليغ للعباد «"۳».

- و غير خاف أن المقتضى المنجى هنا يجب أو يتركز فى أن جهود الحفظ البشرية الضخمة للقرآن الكريم خلال القرون، المؤيدة بالرعاية الإلهية إنشاء، و إعدادا، و إمدادا، و متابعة، يجب أن تساوى فى و زنها و تركيزها هذه اللحظات التى يتلقى فيها النبى صلى اللّه عليه و سلم. و بعد ذلك يكون النزول بالقرآن على قلب النبى صلى اللّه عليه و سلم، و هو المطلب الثانى.

المطلب الثانى: النزول على القلب «۴»:

اشارة

إن إلقاء جبريل عليه السلام ألفاظ القرآن على النبى صلى اللّه عليه و سلم لا يكون خطاب فم لفم، بل قراءة على قلب (على قلبك)، فلا يكون ثم أى (۱) فى الأصل: الكلام النفسانى ... و البحث قائم على ما قرره محققو أهل السنة و الجماعة من أن الكلام حقيقى لا

نفسانی.

(۲) أی مالوا و عادوا به بعد سماعه فی طبیعهٔ البشر.

(۳) عبد الرحمن بن خلدون ت ۸۰۸ ه: مقدمهٔ ابن خلدون ۹۸، ضبط المتن و وضع الحواشی و الفهارس: خلیل شحادهٔ، مراجعهٔ: د. سهیل زکار، ط ۱۴۱۷ ه، ۱۹۹۶ م- دار الفکر- بیروت، و إن کان التعبیر عن هذه الحالهٔ الدقیقهٔ التی یکون فیها الرسول متصلا بالملک بحاجهٔ إلی حذر فی الکلمهٔ خشیهٔ التزید أو الإبهام، و لذا فقول ابن خلدون ":متی شاءوا "فیه نظر کبیر بل متی أذن اللّه عزّ و جل لهم، فجاءهم الملک لا أنهم هم یذهبون ... و لعل من حکم ذلک بقاء صبغتهم البشریهٔ أغلب حتی لا تکون حجهٔ فی عدم الاقتداء ...

(۴) أفرد بالعنونهٔ لجلالته، و عظیم خطره.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۸۵

ضعف للبشر، و لا نقص یتسم به البشر، و لا لجلجهٔ تصحب إدراک البشر؛ إذ القراءهٔ موجهةٔ إلی مرکز إدراک البشر مباشرهٔ، و هو المرکز الذی نزع منه جبریل علیه السلام حظ الشیطان، و ملئ حکمهٔ «۱» ... فینخلع النبی صلی اللّه علیه و سلم عندها من بشریته، و هو بشر! أی ینخلع من القدرات البشریهٔ المحدودهٔ مع بقائه علی خلقته البشریهٔ ... و ذلک لإزالهٔ أدنی خاطر یخطر علی حائم حوله الشیاطین، من أن محمدا صلی اللّه علیه و سلم قد یفقد حرفا من هول الموقف، أو من تأثیر الطبیعهٔ، و لذا کان هذا التصویر الدقیق لنزول القرآن علی محمد صلی اللّه علیه و سلم عَلی قَلْبِکَ، و أکّد علیه فی القرآن مرتین: فی "سورهٔ البقرهٔ/ ۹۷، "و فی "سورهٔ الشعراء/ ۱۹۴."

المعنی: لم تخرج أقوال المؤولین فیها علی أمرین:

أ- علی روحک:

لأن الروح إحدی إطلاقات القلب کما قال الراغب- رحمه اللّه تعالی-، و قال الآلوسی- رحمه اللّه تعالی "-:و کون الإنزال علیه؛ لأنه المدرک، و المکلف دون الجسد، و قد یقال: لما کانت له صلی اللّه علیه و سلم: جهتان: جهةٔ ملکیهٔ یستفیض بها، و جهةٔ بشریهٔ یفیض بها- جعل الإنزال علی روحه صلی اللّه علیه و سلم لأنها المتصفهٔ بالصفات الملکیهٔ التی یستفیض بها من الروح الأمین، و للإشارهٔ إلی ذلک قیل عَلی قَلْبِکَ دون علیک الأخصر، و قیل: إن هذا لأن القرآن لم ینزل فی المصحف کغیره من الکتب «"۲».

ب- علی العضو المخصوص:

و تخصیصه بالإنزال علیه قیل: للإشارهٔ إلی کمال تعقله صلی اللّه علیه و سلم و فهمه ذلک المنزل، حیث لم تعتبر واسطهٔ فی وصوله إلی القلب الذی هو محل العقل ... و قیل: للإشارهٔ إلی صلاح قلبه صلی اللّه علیه و سلم و تقدسه حیث کان منزلا لکلامه تعالی؛ لیعلم منه حال سائر أجزائه صلی اللّه علیه و سلم، فإن القلب رئیس جمیع الأعضاء، و ملکها، و متی صلح الملک صلحت الرعیهٔ «"۳». (۱) انظر: الفصل الثانی- المبحث الثانی.

(۲) روح المعانی ۱۹/ ۱۸۱، مرجع سابق.

(۳) روح المعانی ۱۹/ ۱۸۲، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۸۶

فلم تخرج أقوال المؤولين فى معنى (القلب) عن هذين الأمرين:

١- الروح.

٢- العضو المخصوص ... و على كل منهما فقد أريد من الإنزال على القلب:

المكان الناسب الذى هيأ التهيئة المناسبة لجهود الحفظ، ثم القراءة و الإقراء؛ ليخرج إلى عالم البشر، و كان النبى صلى اللّه عليه و سلم يسمعها، و يعيها بقوة إلهية قدسية، لا كسماع البشر منه صلى اللّه عليه و سلم، و تنفعل عند ذلك قواه البشرية، و لهذا تظهر آثارها على جسده الشريف ما يظهر، و يقال لذلك (برحاء الوحى) حتى يظنّ فى بعض الأحايين أنه أغمى عليه صلى اللّه عليه و سلم، و قد يظن أنه صلى اللّه عليه و سلم أغفى «١».

و قد فتح اللّه- تعالى ذكره- أذهان البشرية فى عصرها الحاضر على حقائق علمية ضخمة تقرب لنا سر نزول جبريل عليه السلام، بألفاظ القرآن على قلب النبى صلى اللّه عليه و سلم، فإن جبريل عليه السلام تعدى أداة التوصيل السمعى لدى البشر و هى الأذن الخارجية إلى مركز السمع مباشرة، و أداة التوصيل البصرى لدى البشر و هى العين الخارجية إلى مركز البصر مباشرة ... و يزيد هذا تقريبا أن يقال: لما كان القلب يتلقى الصوت كما يرى الصورة فى المنام ... و الجارحة المباشرة من عين و أذن نائمة مغطاة ... ثم إذا استيقظ تذكر كله فى اليقظة ... و قد جاء التشريح الطبى مؤكدا حقيقة مراكز السمع و البصر، و أنها مراكز فى المخ تعى ما يصل إليه عن طريق الجوارح كما تعى ما يصل إليها عن طريق الرؤى المنامية، و ما قد كشف يقرب لنا ما لم يكشف مما قد غاب عنا، و قد كانت أولى مراحل الوحى التى هيأ بها النبى صلى اللّه عليه و سلم لتلقى الوحى المباشر هى الرؤى المنامية الصادقة، ثم رؤيته للملك فى منامه كما سبق تفصيل ذلك فى الفصل الثانى، و حالة الوحى فى النوم مقربة لحالة الوحى فى اليقظة ... مما قد يقرب لنا فهم كيفية الوحى و حدوثه، (١) انظر: روح المعانى/ ١٨٢، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ٨٧

و استيعاب كيفية تلقى النبى صلى اللّه عليه و سلم للوحى بواسطة الاتصال بعالم الملائكة ... بطريقة يرى الصحابة آثارها فى النبى صلى اللّه عليه و سلم من تصبب العرق فى اليوم الشديد البرد، و ترجيع اللسان، و ثقل جسم النبى صلى اللّه عليه و سلم «١» دون أن تشاهد أبصارهم صورة الملك، أو تسمع آذانهم صوته ... لأن الاتصال كان فى مستوى لا يدركونه، و لكنهم يسمعون قرآنا معجزا لا تنقضى عجائبه، و لا تشبع منه العلماء، و لا يخلق على كثرة الرد.

و ذكر أبو حيان- رحمه اللّه تعالى- سبعة أقوال فى تخصيص ذكر القلب «٢» حاصلها راجع إلى قولين:

أ- فالأول و الثانى كالشيء الواحد مجموعهما: أن القلب محل التلقى «٣» لهذا الأمر الخطير لا سواه، و إليهما يؤول السادس.

ب- و الثالث و الرابع و الخامس تؤول إلى معنى واحد هو: كونه أشرف عضو فى الجسد، و إليه ما يرجع السابع.

و كلاهما متفرع عن القول الثانى الذى ذكره الإمام الآلوسى- رحمه اللّه تعالى- (العضو المخصوص)، بيد أنه لا فائدة فى الثانى من حاصل أقواله، لو كان مجرد تكنية عن الجملة الإنسانية، و خصّ لشرفه؛ إذ لقائل أن يقول: (عليك) أخصر و أظهر، و إذ الأمر كذلك فلا (١) انظر: المبحث الخامس من هذا الفصل.

(٢) أبو حيان فى البحر المحيط ١/ ٣٢٠، مرجع سابق، و نص قوله ":خص القلب و لم يأت بعليك الأخصر، لأن القلب هو محل العقل، و تلقى الواردات، أو لأنه صحيفته التى يرقم فيها، و خزانته التى يحفظ فيها، أو لأنه سلطان الجسد، أو لأن القلب خيار الشيء و أشرفه، أو لأنه بيت اللّه، أو لأنه كنى به عن العقل إطلاقا للمحل على الحال به، أو عن الجملة الإنسانية؛ إذ قد ذكر الإنزال عليه فى أماكن ما أَنْزَلْنا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقى طه/ ٢ "وَ أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتابَ وَ الْحِكْمَةَ "النساء/ ١١٣، "أو يكون إطلاقا لبعض الشيء على كله."

(٣) فقد نزل جبريل بالقرآن على قلب الرسول صلى اللّه عليه و سلم [فتلقاه تلقيا مباشرا، و وعاه وعيا مباشرا] سيد قطب: فى ظلال القرآن ٥/ ٢٦١٧، ١۴١٠ ه- ١٩٩٠ م، دار الشروق- بيروت.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۸۸

بدّ لتخصيصه من مغزى: هو ما ذكر فى الأول من الحاصل، كما يلوح للباحث أمر آخر:

هو أن ما أظهره اليهود من عداوة جبريل عليه السلام و ادعاؤهم مجيئه بالخراب «۱» غمز فى أمانته، أو لمز فى دقة نقله؛ إما لأن الوحى ليست مهمته، أو لشدته على البشر أو غير ذلك، فأثنى عليه أبلغ الثناء، و بيّن أن اللمز فيه أو إظهار العداء له هو للّه عزّ و جل و الملائكة و لرسله عداء، و أنه و ميكال قرينا إخاء، و سبق ذلك كله ببيان دقة نقله للوحى على فؤاد النبى صلى اللّه عليه و سلم و أنه بِإِذْنِ اللَّهِ "البقرة/ ۹۷."

الكاف فى عَلى قَلْبِكَ:

و أما سبب التعبير عن ذلك بالكاف فى قوله عَلى قَلْبِكَ دون الياء الدال على المتكلم فهو التأكيد المطرد على المصدرية الإلهية للقرآن الكريم، ففيه إيماء إلى الحفظ للفظ و المعنى، و صرح به فى آية الحجر، و تفصيل ذلك فى المبحث الثامن من هذا الفصل: كيفية قراءة الرسول صلى اللّه عليه و سلم.

الحرف عَلى

اشارة

و أتى بلفظ عَلى لأن القرآن مستعل على القلب، و القلب سامع له مطيع يتمثل ما أمر به و يجتنب ما نهى عنه، و كانت أبلغ من (إلى)، لأن (إلى) تدل على الانتهاء فقط، و عَلى تدل على الاستعلاء، و ما استعلى على الشيء يتضمن الانتهاء إليه «۲».

و يلوح للباحث ثلاثة أمور فى حرف الجر على:

أولها: أن الاستعلاء مستغرق للملكية

، مهيمن على المحل، فارض لسلطانه، واضح ثقله و سيطرته فى مكانه، و كأنه أريد بذلك أن القرآن عند ما ينزله جبريل عليه السلام على قلبك قد (۱) انظر فى ذلك: صحيح البخارى ۳/ ۱۲۱۱، مرجع سابق.

(۲) انظر: البحر المحيط ۱/ ۳۲۰، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۸۹

تام قبضه على القلب، و سيطرته عليه، فهو مهيمن على القلب فى لفظه، لا يستطيع القلب أن يفلت منه مثقال ذرة، و فيه: الإشعار بأن ألفاظه مفروضة على القلب فرضا، فلا مجال لزيغ حروفها عنه، و لا لتحريف هيئتها، مع حب قلب الرسول صلى اللّه عليه و سلم لها كما سيأتى «۱»، و لم تبق فيه ذرة تتأثر إلا به، و لا تحتفل إلا له، فهو خلى عن غيره، و فى هذا تمام الحفظ و الفهم و الاهتمام، و لذا قال الصاوى- رحمه اللّه تعالى "-:عبر ب عَلى لتمكنه، و انصبابه، و رسوخه؛ فإن الشيء إذا صب من أعلى لأسفل رسخ و ثبت «"۲».

و ثانيها: أن على مؤكدة للإنزال من أعلى إلى أدنى:

كما قال تعالى فى آل عمران قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَ ما أُنْزِلَ عَلَيْنا " ...آل عمران/ ۸۴ "فالخطاب للنبى صلى اللّه عليه و سلم موجه، و المنزل

إنما هو منزل علیه من السماء إلی حیث هو، بخلاف آیـة البقرة قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَ ما أُنْزِلَ إِلَیْنا " ...البقرة/ ۱۳۶ "فإن الخطاب لصحابته، ثم لأمته- من بعد- و الإنزال إنما یکون إلیهم؛ إذ یتضمن حرف إلی معنی المجاورة، و یجعل فعله یتضمن معنی الإیصال، فلیس ثم أعلی و لا أدنی، کأنهم قالوا: آمنا باللّه و ما أنزل علی رسوله مما وصل إلینا ... لأنه إنما وصل إلیهم من محمد صلی اللّه علیه و سلم و هو بجوارهم لا فوقهم، و لکن لارتباطه بأنزل أفاد أمرا آخر- لاقتضاء الإنزال أعلی و أدنی- هو أن الوحی أنزل علی غیر المخاطبین ثم وصل إلیهم ...

فقد تضمن الفعل: أنزل، و الحرف إلی ذلک ببلاغة بدیعة، و إعجاز عظیم ... و من أسراره أنهم جعلوا- بهذا التعبیر- ما أنزل علی الرسول صلی اللّه علیه و سلم هو ذاته ما وصل إلیهم دون ریب ... و معلوم أن التضمین عند العلماء مقدّم علی تبادل الحروف «۳».

و ثالثها: أنه قال علی و لم یقل (فی)

لئلا یتوهم أن جبریل علیه السلام ألقی القرآن فی قلب النبی صلی اللّه علیه و سلم دون سماع، و سیأتی مزید تفصیل له- إن شاء اللّه تعالی- «۴». (۱) انظر: حدیث المعالجة فی المبحث السادس من هذا الفصل.

(۲) حاشیة الصاوی ۱/ ۷۲، مرجع سابق.

(۳) (ابن تیمیة) أحمد بن عبد الحلیم بن تیمیة ت ۷۲۸ ه، شیخ الإسلام: مجموع فتاوی شیخ الإسلام أحمد ابن تیمیة ۱۳/ ۳۳۰، جمع و ترتیب: عبد الرحمن بن قاسم العاصمی النجدی الحنبلی، ۱۴۲۱- ۱۹۹۱ م، دار عالم الکتب الریاض.

(۴) انظر: المبحث السابع من هذا الفصل.

تلقی النبی ص ألفاظ القرآن، ص: ۹۰

إعداد القلب مسبقا:

وجهت لقلب النبی صلی اللّه علیه و سلم عنایة فائقة، و کان جبریل علیه السلام هو الذی هیأ محمدا صلی اللّه علیه و سلم و اعتنی بقلبه خاصة فی کل مرة یأمر اللّه و یأذن بذلک کما سبق فی حدیث شق الصدر «۱»، و قد کان قلبه یحس و یعقل حتی إن نامت عیناه، فعن جابر بن عبد اللّه رضی اللّه عنه قال: جاءت ملائکة إلی النبی صلی اللّه علیه و سلم و هو نائم فقال بعضهم: إنه نائم، و قال بعضهم: إن العین نائمة و القلب یقظان فقالوا: إن لصاحبکم هذا مثلا، فاضربوا له مثلا، فقال بعضهم:

إنه نائم، و قال بعضهم: إن العین نائمة و القلب یقظان، فقالوا: مثله کمثل رجل بنی دارا، و جعل فیها مأدبة، و بعث داعیا فمن أجاب الداعی دخل الدار و أکل من المأدبة، و من لم یجب الداعی لم یدخل الدار و لم یأکل من المأدبة، فقالوا: أولوها له یفقهها، فقال بعضهم:

إنه نائم، و قال بعضهم: إن العین نائمة و القلب یقظان فقالوا: فالدار الجنة، و الداعی محمد صلی اللّه علیه و سلم فمن أطاع محمدا صلی اللّه علیه و سلم فقد أطاع اللّه و من عصی محمدا صلی اللّه علیه و سلم فقد عصی اللّه، و محمد صلی اللّه علیه و سلم فرق بین الناس) «۲»، و فی روایة الترمذی عنه قال: خرج علینا رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم یوما، فقال: (إنی رأیت فی المنام کأن جبریل عند رأسی و میکائیل عند رجلی، یقول أحدهما لصاحبه اضرب له مثلا، فقال: اسمع سمعت أذنک، و اعقل عقل قلبک، إنما مثلک و مثل أمتک کمثل ملک اتخذ دارا ...) الحدیث «۳».

فقد اشتمل النزول علی قلبه صلی اللّه علیه و سلم:

۱– علی التحفیظ و التفهیم و التثبت:

کما قال الزمخشری- رحمه اللّه تعالی "-:أی حفّظکه، و فهّمک إیاه، و أثبته فی قلبک إثبات ما لا ینسـی کقوله عزّ و جل سَنُقْرِئُکَ فَلا تَنْسی «۴»، و خص القلب، و المعنی علیـک لأـنه محـل الوعی و التثبیت، و لیعلم أن المنزل علی قلبه علیه السـلام محفوظ لا یجوز علیه التبدیل، و لا التغییر، و حرف عَلی مسـتعار للدلالة علی التمکن مما سـمی بقلب النبی صـلی اللّه علیه و سلم مثل استعارته فی قوله سبحانه و تعالی (۱) انظر: الفصل الثانی- المبحث الأول- المطلب الأول.

(۲) صحیح البخاری ۶/ ۲۶۵۵، مرجع سابق.

(۳) الجامع الصحیح سنن الترمذی ۵/ ۱۴۵، مرجع سابق.

(۴) الکشاف ۳/ ۱۲۶، مرجع سربق.

تلقی النبی ص ألفاظ القرآن، ص: ۹۱

أُولئِکَ عَلی هُدیً مِنْ رَبِّهِمْ "البقرة/ ۵ «"۱»، و قد تقدم التوضیح بأن إرادة القلب حقیقیة و لیست مجازیة ... و أن المراد الوصول إلی محل الوعی المباشر بعد تهیئته سابقا لذلک.

۲– کما اشتمل النزول علی قلبه صلی اللّه علیه و سلم علی اللفظ کما هو علی المعنی تصریحا لا تلویحا:

کما قال الزمخشـری ":و لو کان أعجمیا لکان نازلا علی سمعک، دون قلبک لأنک تسمع أجراس حروف لا تفهم معانیها و لا تعیها" «۲».

و استدل أبو حیان- رحمه اللّه تعالی- علی أنه کان صلی اللّه علیه و سلم یسمع من جبریل علیه السلام الأحرف بقوله عزّ و جل: بِلِسانٍ عَرَبِیٍّ مُبِینٍ "الشـعراء/ ۱۹۵، "فقـال ":الظـاهر تعلق بِلِسانٍ ب نَزَلَ، فکان یسـمع من جبریل علیه السـلام حروفا عربیـة، "قال ابن عطیـة- رحمه اللّه تعالی "-:و هو القول الصـحیح، و تکون صلصـلة الجرس صـفة لشدة الصوت، و تداخل حروفه، و عجلة مورده، و إغلاظه" «۳».

... و بذا تم حفظ الألفاظ من زوایاه الکلیة «۴».

۳– التمکن من حفظ الألفاظ و جمعها

، دون أن ینخرم منها شیء أصلا أو أداء.

اعـل موکب الوحی علی کـل رائم طمس النور بفمه ... اعـل موکب الوحی ... أو ما یکفی: جبریل علیه السـلام فی قیادتک، و محمد صلی اللّه علیه و سلم فی ریادتک؟ ... اعل موکب الوحی ... یترای لنا خبرک ... حتی ترتفع أعلام الحب فداء بالمهج ...

طرقتک زائرة، فحی خیالها ... بیضاء، تخلط بالحیاء دلالها قادت فؤادک، فاستقاد، و قبلها ... قاد القلوب إلی الصبا فأمالها هل یطمسون من السماء نجومها ... بأکفهم؟ أم یسترون هلالها؟

أم یدفعون مقالة عن ربه؟ ... جبریل بلغها النبی فقالها. (۱) التحریر و التنویر ۱۹/ ۸۸۹، مرجع سابق.

(۲) الکشاف ۳/ ۱۲۷، مرجع سابق، و انظر: تفسیر القرطبی ۱۳/ ۱۳۸، مرجع سابق.

(۳) تفسیر ابن عطیة ۱۱/ ۱۴۸، مرجع سابق.

(۴) كما قال أبو حيان فى البحر المحيط ۷/ ۴۰، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۹۲

المبحث الثالث: نزول جبريل عليه السلام توقيفى:

يراد من هـذا المبحث التأكيد على حقيقة هامة فى نقل القرآن من السماء إلى الأرض هى: التوقيفية فى ذلك النقل، ذلك بأن جبريل عليه السلام ليس له من أمر الوحى القرآنى شىء، فنزوله كان بأمر اللّه عزّ و جل، و بعد صدور أمره سبحانه و تعالى، يكون نزول جبريل عليه السلام بإذنه، و عليه فإن نزول جبريل عليه السلام بأمر و إذن إلهى قبل النزول، مستصحبان مع النزول:

كما هو ظاهر من قوله تعالى فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ "البقرة/ ۹۷، "و لذا قال أبو المسعود- رحمه اللّه تعالى-: بِإِذْنِ اللَّهِ "بأمره، و تيسيره، و فيه تلويح بكمال توجه جبريل عليه السلام إلى تنزيله، و صدق عزيمته عليه السلام، و هو حال فاعل نزله «"۱»، و قال الصاوى- رحمه اللّه تعالى "-المراد بالإذن الأمر لا العلم «"۲».

فاجتمع فى قوله بِإِذْنِ اللَّهِ: نزول جبريل عليه السلام بالقرآن عن أمر اللّه السابق، ثم تيسيره له ذلك و تسهيله، و هو مؤكد للمصدرية الإلهية للقرآن الكريم، فما كان لجبريل عليه السلام من هوى شخصى، و لا إرادة ذاتية فى أن ينزله على قلبك، لأنه لا يعدو أن يكون منفذا لإرادة اللّه عزّ و جل، و إذنه فى تنزيل القرآن على قلبك، و منه نستنتج أمرا بالغ الأهمية هو: التوقيفية فى نزول الملك:

فعن ابن عباس رضى اللّه عنه أن النبى صلى اللّه عليه و سلم قال: يا جبريل! ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا، فنزلت وَ ما نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ ما بَيْنَ أَيْدِينا وَ ما خَلْفَنا "مريم/ ۶۴ "إلى آخر الآية، قال: كان هذا الجواب لمحمد صلى اللّه عليه و سلم «"۳»، فقد تجذرت صفة الحق فى كل أجزاء (۱) تفسير أبى السعود ۱/ ۲۲۰، مرجع سابق.

(۲) حاشية الصاوى ۱/ ۷۲، مرجع سابق، و لا مانع من إرادة الأمرين، بل هو الظاهر، و بلاغة القرآن تشير إليه.

(۳) صحيح البخارى ۶/ ۲۷۱۳، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۹۳

الإنزال و التعليم: الحق هو المنزل، و الحق فى المنزل، الحق فى النزول، كما فى قوله سبحانه و تعالى وَ بِالْحَقِّ أَنْزَلْناهُ وَ بِالْحَقِّ نَزَلَ" الإسراء/ ۱۰۵."

فإذا كانت التوقيفية صفة ذاتية للنزول، فكيف المنزل به؟.

و فى حرف الباء فى قوله تعالى بِإِذْنِ اللَّهِ يظهر معنى المصاحبة و الملابسة لأمر اللّه فى نزوله، لا معنى التجاوز و الاجتهاد، ثم أخذ الإذن، فهو أمر اللّه سبحانه و تعالى و إذنه الذى اختاره؛ إذ معلوم أن هذا التعبير يفيد أن الفعل تم بعد الإذن، كما قال عزّ و جل لا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ "هود/ ۱۰۵ "مَنْ ذَا الَّذِى يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ "البقرة/ ۲۵۵، "مع أن الباء تفيد الملاصقة، و هى من أهم معانى الباء «۱»، فقد كان الإذن الإلهى أمرا و إذنا واقعين قبل النزول، ملاصقين للنزول، مستصحبين حتى تمام أداء الوظيفة التعليمية.

و ما سبق كان وصفا لعمل المعلّم الملقى عليه السلام، فلننظر فى عمل طالبه المتلقن صلى اللّه عليه و سلم، و هو المبحث التالى: فائدة: قال ابن حجر- رحمه اللّه تعالى- فى فتح البارى ۸/ ۴۲۹، مرجع سابق ":تنبيه، الأمر فى هذه الآية معناه الإذن، بدليل سبب النزول المذكور، و يحتمل الحكم أى نتنزل مصاحبين لأمر اللّه عباده بما أوجب عليهم أو حرم، و يحتمل أن يكون المراد ما هو أعم من ذلك عند من يجيز حمل اللفظ على جميع معانيه."

(۱) قال ابن هشام- رحمه اللّه تعالى- فى مغنى اللبيب ۱/ ۱۰۱ متكلما عن معانى الباء: الإلصاق، قيل: و هو معنى لا يفارقها فلهذا اقتصر عليها سيبويه "انظر: ابن هشام الأنصارى ت ۷۶۱ ه: مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا- بيروت، طبعة بدون ۱۴۰۷ ه- ۱۹۸۷ م.

المبحث الرابع: مظاهر اجتهاد النبى صلى اللّه عليه و سلم فى تلقى القرآن من جبريل عليه السلام قبل نزول التوقيف الإلهى:

اشارهٔ

اجتهد النبى صلى اللّه عليه و سلم فى تطبيق هيئات تمكنه من حفظ القرآن عند إلقاء الملك له، بيد أن جلالهٔ الأمر، و عظمهٔ قضيهٔ التلقى من السماء للأرض منعته من الاجتهاد حتى فى مثل هذه الجزئيهٔ بل صار فعله توقيفيا، فلم يقر على اجتهاد، و بين له هيئهٔ تلقيه، و لعل أهم حكم تأخير إنزال الأمر له بكيفيهٔ تلقى القرآن أن يعلم المسلمون من بعده ضرورهٔ الوقوف عند التوقيف الإلهى فى تلقى القرآن، و أن النبى صلى اللّه عليه و سلم نهى عن بعض اجتهاداته المخالفهٔ للتوقيف الإلهى فى طريقهٔ التلقى فكيف غيره؟.

فمن مظاهر اجتهاده الأولى:

١- تحريک اللسان بالقرآن قبل فراغ جبريل عليه السلام منه:

و هو ظاهر آيهٔ سورهٔ طه ... وَ لاـ تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضى إِلَيْکَ وَحْيُهُ " ...طه/ ١١۴، "و آيات سورهٔ القيامهٔ لا تُحَرِّکْ بِهِ لِسانَکَ لِتَعْجَلَ بِهِ "القيامهٔ/ ١۶ "فإنه كان يبادر إلى أخذه و يسابق الملک فى قراءته، و لهذا قال عزّ و جل لا تُحَرِّکْ بِهِ لِسانَکَ لِتَعْجَلَ بِهِ كما قال وَ لا تَعْجَلْ «" ...١».

و هذه الحركهٔ تأخذ طابع العجلهٔ لاستذكار السابق و دراك اللاحق، و فى روايهٔ لحديث ابن عباس رضى اللّه عنه فى المعالجهٔ: (كان رسول اللّه إذا نزل عليه الوحى يلقى منه شدهٔ، و كان إذا نزل عليه عرف فى تحريكه شفتيه، يتلقى أوله و يحرك به شفتيه خشيهٔ أن ينسى أوله قبل أن يفرغ من آخره ... الحديث «٢»، و أخرج ابن أبى حاتم عن الحسن: كان يحرك به لسانه يتذكره فقيل له: إنا سنحفظه عليک، و للطبرى من طريق الشعبى: (١) تفسير ابن كثير ۴/ ٣٨٣، مرجع سابق.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير ۴/ ۴۵٠، مرجع سابق، و قد بحثت عن هذا النص بلفظه فى مظانه من كتب الحديث فلم أجده، و الألفاظ الأخرى تدل على معناه، و انظر فتح البارى ١/ ٣٠، مرجع سابق.

(كان إذا نزل عليه عجل يتكلم به من حبه إياه) «۴».

و ظاهر أنه كان يتكلم بما يلقى إليه منه أولا فأولا من شدهٔ حبه إياه، و خوفه من تفلته، فأمر أن يتأنى إلى أن ينقضى النزول «۵».

٢- دراسته بحيث يشق عليه (و هذا أعم من السابق)

كما قال الضحاک ":السبب أنه كان صلى اللّه عليه و سلم يخاف أن ينسى القرآن، فكان يدرسه متى غلب ذلک عليه و شق فنزلت" «۶».

٣- التعجل فى السؤال عن معانيه:

كأنه كان يعجل فى الحفظ، و السؤال عن المعنى جميعا كما يظهر بعض المتحمسين من طلبهٔ العلم و نحوه وَ لا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضى إِلَيْکَ وَحْيُهُ "طه/ ١١۴ «"٧».

۴- القول القلبی و الاستفزاز العاطفی

بالإضافة إلی حرکة اللسان خشیة انفلات القرآن، و هو مستلزم لشدة اهتمام الفؤاد بالملقی؛ إذ أنه یلمح بازاء عجلة اللسان عجلة الفؤاد المسببة لاضطراب القلب.

و المراد أن شغل اللسان کان بحرکة السابق، و القلب بتثبیت اللاحق.

عند ذاک نزلت آیات سورة القیامة فقیل له لاـ تُحَرِّکْ بِهِ لِسانَکَ لِتَعْجَلَ بِهِ بالقرآن قبل فراغ جبریل علیه السلام منه لِتَعْجَلَ بِهِ أی بقراءته، و حفظه خوف أن ینفلت منه «۸» فنهی عن اجتهاده، و بیّن له کیف یتلقی القرآن، و آیات سورة القیامة تصف ذلک بدقة؛ إذ إن هذه الآیات و نحوها دائرة حول تلقی الوحی من الملک، ففیها "تعلیم من اللّه عزّ و جل لرسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم فی کیفیة تلقیه الوحی من الملک «"۹».

فقد استبان أن التوقیف فی الوحی القرآنی قد شمل هیئة الاستماع لتلاوة الملک. (۴) انظر: حدیث المعالجة فی المبحث السادس من هذا الفصل.

(۵) انظر: فتح الباری ۸/ ۶۳۸، مرجع سابق.

(۶) البحر المحیط ۸/ ۳۸۷، مرجع سابق.

(۷) البحر المحیط ۸/ ۳۸۸، مرجع سابق.

(۸) تفسیر الصاوی ۴۵/ ۳۵۳، مرجع سابق.

(۹) تفسیر ابن کثیر ۴/ ۳۸۳، مرجع سابق.

تلقی النبی ص ألفاظ القرآن، ص: ۹۶

المبحث الخامس: سمات الرسول صلی اللّه علیه و سلم حین نزول الوحی القرآنی علیه:

اشارة

إذا کان المبحث السابق قد تحدث عن مظاهر اجتهاد رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم فی تلقی الوحی القرآنی، و عن نهیه عن ذلک؛ فقد لزم معرفة سماته صلی اللّه علیه و سلم حین تلقی الوحی القرآنی، التی أبان بها عن خصائص التوقیف الإلهی فی تلقی الوحی القرآنی، و هو المراد من هذا المبحث. و هذه السمات تتلخص فی الآتی:

۱- تفریغ قلبه صلی اللّه علیه و سلم و حسه، و تخلیة فکره إلا فی المتلقی:

اشارة

و لذا کانت الغطة فی أول نزول جبریل علیه السلام علیه «۱»، کما کان الوحی القرآنی یأتیه فی مثل صلصلة الجرس.

و صلصلة الجرس «۲»: هو صوت متدارک لا یدرک فی أول الوهلة کصوت الجرس، أی أن الوحی یجیء فی صورة و هیئة لها مثل هذا الصوت، فنبه بالصوت غیر المعهود علی أنه یجیء فی هیئة غیر معهودة فلذا قابله بقوله فی صورة الفتی (و فی لفظ:

الرجل)، فصلصلة الجرس مثال لصوت الوحی، و الصلصلة- بصادین مهملتین مفتوحتین بینهما لام ساکنة- فی الأصل صوت وقوع الحدید بعضه علی بعض، ثم أطلق علی کل صوت له طنین، و قیل هو صوت متدارک لا یدرک فی أول وهلة، و الجرس: الجلجل الذی یعلق فی رءوس الدواب و اشتقاقه من الجرس «۳» بإسکان الراء «۱». (۱) کما رواه البخاری ۱/ ۳، مرجع سابق، و فی النهایة فی

غريب الأثر ۲/ ۳۲۷، ۳/ ۳۴۲، مرجع سابق ":في حديث المبعث: (فأخذ جبريل بحلقى فسأبنى حتى أجهشت بالبكاء): السّأب العصر في الحلق كالخنق و مثله غتت ففى حديث المبعث (فأخذنى جبريل فغتّنى حتى بلغ منّى الجهد): الغتّ و الغطّ سواء كأنه أراد عصرنى عصرا شديدا حتى وجدت منه المشقة كما يجد من يغمس في الماء قهرا، "و في فتح البارى ۱/ ۱۰، مرجع سابق ":قوله (فغطنى) بغين معجمة و طاء مهملة و في رواية الطبرى بتاء مثناة من فوق كأنه أراد ضمنى و عصرنى، و الغط حبس النفس، و منه غطة في الماء، أو أراد عمنى و منه الخنق، و لأبى داود الطيالسى في مسنده بسند حسن (فأخذ بحلقى).

(۲) كما في حديث الحارث بن هشام الذى تقدم في الفصل الثاني- المبحث الثالث ص ۶۸.

(۳) و منه قيل للهمزة الحرف الجرسى لشدته و جلادته. انظر: (ابن الجزرى) شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد ابن محمد بن على ت ۸۳۳ ه: التمهيد في علم التجويد ص ۴۶، تحقيق غانم قدورى الحمد، ط ۳، ۱۴۰۹ ه- ۱۹۸۹ م، مؤسسة الرسالة- بيروت.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۹۷

و الحكمة في تقدم هذا الصوت الشديد «۱»:

أن يقرع الوحى سمعه صلى اللّه عليه و سلم فلا يبقى فيه مكان لغيره «۲».

و لا بد من الإشارة هنا إلى أن السلسلة (أو الصلصلة) ظاهرة صوتية قوية مهابة تظهر مع كل إنزال للوحى الإلهى، و قد تقدم حديث النواس بن سمعان: (إذا تكلم اللّه بالوحى سمع أهل السماء صلصلة) «۳»، و في قصة حنين حين رمى النبى صلى اللّه عليه و سلم على وجوه العدو التراب، فأخذ كفا من تراب، يضرب به وجوههم، و قال: (شاهت الوجوه)، فهزمهم اللّه عزّ و جل، فحدث أبناؤهم عن آبائهم أنهم قالوا: لم يبق منا أحد إلا امتلأت عيناه و فمه ترابا، و سمعنا صلصلة بين السماء و الأرض كإمرار الحديد على الطست «۴».

فقد كانت هذه الظاهرة الصوتية تدل على جلالة الخطب، و عظم الأمر، و تصاحب نزول الملك و فعله القوى الشديد، و هى لا شك داعية إلى تفريغ القلب و انشغاله بما صاحبها دون غيره.

۲- المعاناة في تلقى الوحى:

اشارة

فقد كان نزول الوحى القرآنى، يستلزم أمرا زائدا على الطباع البشرية؛ و ذلك ليتم التأهل لاستماع الوحى القرآنى، ثم لحفظه و وعيه و من ثم تبليغه، و هى مسألة تستدعى النظر مع ما عرف عن العرب في ذلك الوقت من الحفظ المفرط و الذاكرة القوية، لكأن هذه الخاصة التى تميز بها العرب لا تكفى للمحافظة على نص القرآن، أو تكفى، لكن لمزيد التأكد و التأكيد و توثيق النص القرآنى. (۱) انظر: فتح البارى بشرح صحيح البخارى ۱/ ۳۵، مرجع سابق، و نحوه نقل السندى في حاشيته على سنن ابن ماجة ۲/ ۱۴۶، مرجع سابق.

(۲) فتح البارى ۱/ ۳۷، مرجع سابق.

(۳) انظر: الفصل الأول- المبحث الثالث.

(۴) مسند الإمام أحمد بن حنبل ۵/ ۲۸۶، مرجع سابق، و معناه في: (أبو داود) سليمان بن الأشعث السجستانى الأزدى ت ۲۷۵ ه: سنن أبى داود ۴/ ۳۲، مراجعة: محمد محيى الدين عبد الحميد، و قال الشيخ الألبانى ":حسن."

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۹۸

و لأن النبى صلى اللّه عليه و سلم لم يخرج عن حقيقته البشرية، مع زيادة الاختصاص عنهم في كونه المصطفى من اللّه للرسالة قُلْ سُبْحانَ رَبِّى هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَراً رَسُولًا "الإسراء/ ۹۳؛ "فقد اقتضى ذلك أن يكون في طبيعة أقوى من مجرد كونه بشرا حال تلقيه

الوحی مع المحافظهٔ علی حقیقته البشریهٔ، و لذا کان یعانی شدهٔ هائلهٔ من الوحی القرآنی بصفهٔ خاصهٔ؛ لأنه النازل علی قلبه، و فیه یقول ابن حجر- رحمه اللّه تعالی-:

"معاناهٔ التعب و الکرب عند نزول الوحی لما فیه من مخالفهٔ العادهٔ، و هو کثرهٔ العرق فإنه یشعر بوجود أمر طارئ علی الطباع البشریهٔ" «۱»، علی أن هذه المعاناهٔ دلیل حسی علی إتمام عملیهٔ الوحی.

و علی الرغم من التهیئهٔ الإلهیهٔ للنبی صلی اللّه علیه و سلم لیستطیع قبول الوحی، فقد کان یعانی شدهٔ عند نزوله مصداقا لقوله سبحانه و تعالی: إِنَّا سَنُلْقِی عَلَیْکَ قَوْلًا ثَقِیلًا "المزمل/ ۵، "و کانت الشدهٔ تحصل له عند نزول الوحی لثقل القول «"۲».

و اتخذت هذه الشدهٔ مظاهر متعددهٔ، منها:

۱- ما یؤدی إلی تغیر ملامح وجهه:

فعن عبادهٔ بن الصامت: أن النبی صلی اللّه علیه و سلم کان إذا نزل علیه الوحی کرب لذلک و تربد وجهه «۳».

۲- و منها ما یؤدی إلی شعوره بشدهٔ فی نفسه و نفسه حتی یظنه الموت

، و هذا یذکر بحدیث الغطهٔ فی أول الوحی: فعن عبد اللّه بن عمرو رضی اللّه عنه قال: سألت النبی صلی اللّه علیه و سلم فقلت: یا رسول اللّه! هل تحس بالوحی؟ فقال رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم: (نعم أسمع صلاصل ثم أسکت عند ذلک فما من مرهٔ یوحی إلی إلا ظننت أن نفسی تفیض) «۴». (۱) انظر: فتح بشرح صحیح البخاری ۱/ ۳۰، مرجع سابق.

(۲) انظر: فتح الباری شرح صحیح البخاری ۸/ ۶۸۳، مرجع سابق.

(۳) مسلم ۳/ ۱۳۱۶، مرجع سابق.

(۴) مسند الإمام أحمد بن حنبل ۲/ ۲۲۲، مرجع سابق، و فیه: حدثنا عبد اللّه حدثنی أبی ثنا قتیبهٔ ثنا بن لهیعهٔ عن یزید بن أبی حبیب عن عمرو بن الولید و قد تقرر فی قواعد المصطلح قبول روایهٔ قتیبهٔ عن ابن لهیعهٔ.

تلقی النبی ص ألفاظ القرآن، ص: ۹۹

۳- و منها ما یخرج ملامح جسده عن تأثیر بیئته من حیث ظهور شدهٔ الإجهاد علیه:

فعن زید بن ثابت رضی اللّه عنه: (کان إذا نزل علیه الوحی ثقل لذلک، و تحدر جبینه عرقا کأنه جمان، و إن کان فی البرد) «۱».

۴- و منها ما یؤدی إلی ظهوره بمظهر تذلل العبد بیانا لضعفه:

فعن عبادهٔ ابن الصامت رضی اللّه عنه: (کان إذا أنزل علیه الوحی نکس رأسه و نکس أصحابه رءوسهم، فإذا أقلع عنه رفع رأسه) «۲».

۵- بل یؤثّر علی ما لامسه صلی اللّه علیه و سلم من بشر أو حیوان:

فعن زيد بن ثابت رضى اللّه عنه قال:

(كنت أكتب الوحى لرسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم و كان إذا نزل عليه أخذته برحاء «۳» شديدة، و عرق عرقا شديدا مثل الجمان، ثم سرى عنه، فكنت أدخل عليه بقطعة الكتف، أو كسرة، فأكتب، و هو يملى على، فما أفرغ حتى تكاد رجلى تنكسر من ثقل القرآن، و حتى أقول لاـ أمشى على رجلى أبدا، فإذا فرغت، قال: (اقرأه)، فأقرأه، فإن كان فيه سقط أقامه، ثم أخرج به إلى الناس «۴»، و عند البيهقى: (و إن كان ليوحى إليه، و هو على ناقته فيضرب حزامها من ثقل ما يوحى إليه) «۵». (۱) رواه الطبرانى، و صححه الألبانى فى صحيح الجامع رقم ۴۷۹۳، مرجع سابق.

(۲) رواه مسلم ۴/ ۱۸۱۷، مرجع سابق.

(۳) فى مختار الصحاح ص ۱۹، مرجع سابق ":برحاء الحمى و غيرها بالضم و المد شدة الأذى تقول منه برّح به الأمر تبريحا أى جهده."

(۴) المعجم الأوسط ۲/ ۵۴۴، مرجع سابق.

(۵) دلائل النبوة ۳/ ۴، و عند ابن سعد ۱/ ۱۹۷، مرجع سابق من مراسيل عكرمة: (كان إذا أوحى إلى رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم وقذ- أى ضعف و سكن- لذلك ساعة كهيئة السكران)، و عنده ۱/ ۱۹۷ عن أبى أروى الدوسى قال: (رأيت الوحى ينزل على النبى صلى اللّه عليه و سلم و إنه على راحلته فترغو و تفتل يديها، حتى أظن أن ذراعها تنقصم، فربما بركت، و ربما قامت موتدة يديها حتى يسرى عنه من ثقل الوحى، و إنه ليتحدر منه مثل الجمان).

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۰۰

و عن عائشة- رضى اللّه تعالى عنها-: أن النبى صلى اللّه عليه و سلم كان إذا أوحى إليه و هو على ناقته وضعت جرانها، فلم تستطع أن تتحرك، و تلت قول اللّه عزّ و جل إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا "المزمل/ ۴ «"۱»، و فى لفظ: أن رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم كان إذا أوحى إليه و هو على ناقته لا تستطيع أن تتحول حتى سرّى عنه «۲».

۶- و هذه المظاهر ليست عوارض تأتى مع الوحى القرآنى أحيانا

، بل هى سمته الدائم، و عادته المستمرة عند نزول الوحى القرآنى: فعن عائشة: (فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء ...) «۳»، و هذا دال على الاعتياد.

فإذا أضيف إلى هذا حقيقة أن الوحى ثقيل على الملائكة يعانون منه و هم الملائكة ... و إذا كان ثقل الوحى أمر طبعى بالنسبة للملائكة، و هم من هيأهم اللّه سبحانه و تعالى ليكونوا عنده، فكيف بالبشر الموصوفين بالضعف؟، و قد تقدم حديث السلسلة على الصفوان «۴»، و فى حديث ابن عباس رضى اللّه عنه عند ابن مردويه (فلا ينزل على أهل سماء إلا صعقوا)، و عند مسلم عنه عن رجال من الأنصار أنهم كانوا عند النبى صلى اللّه عليه و سلم فرمى بنجم، فاستتار، فقال: (ما كنتم تقولون لهذا إذا رمى به فى الجاهلية؟ قالوا: (كنا نقول مات عظيم، أو يولد عظيم. فقال: (إنها لا يرمى بها لموت أحد، و لا لحياته، و لكن ربنا إذا قضى أمرا سبح حملة العرش، ثم سبح أهل السماء الذين يلونهم، حتى يبلغ التسبيح سماء الدنيا، ثم يقولون لحملة العرش: ما ذا قال ربكم؟ ...) الحديث «۵». (۱) المستدرك على الصحيحين ۲/ ۵۴۹، مرجع سابق، قال الحاكم ":هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه." و قال الذهبى فى التلخيص ":صحيح."

(۲) (ابن راهويه) إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن راهويه الحنظلى ت ۲۳۸ ه: مسند إسحاق بن راهويه ۲/ ۲۵۴ مراجعة: عبد الغفور بن عبد الحق البلوشى ۱۴۱۲ ه- ۱۹۹۱ م، مكتبة الإيمان، المدينة المنورة.

(۳) البخارى ۲/ ۹۴۵، مرجع سابق.

(۴) قال الخطابى ":السلسلة صوت الحديد إذا تحرك و تداخل "كما فى فتح البارى ۸/ ۵۳۳، مرجع سابق، و قد تقدم الكلام على الصلصلة فى ص ۹۶.

(۵) فتح البارى ۸/ ۵۳۸، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۰۱

و لثقل الوحى و معاناة النبى صلى اللّه عليه و سلم دلائل عدة من حيث موضوع البحث:

فأولها: التأكيد على توثيق النص القرآنى حال إنزاله، برفع مستوى النبى صلى اللّه عليه و سلم عن المستوى البشرى مع بقائه خارج هذه اللحظات على بشريته فهى الأغلب عليه، و هو ما يدعوه إلى تحمل ما يترتب على ذلك، كما أن وجود شدة العرق فى اليوم الشديد البرد، و ثقل الجسد يدل على طاقة جبارة هائلة يبذلها النبى صلى اللّه عليه و سلم ... و هو ما يؤدى إلى غرس الملقى إليه من القرآن الكريم فى فؤاده غرسا، و نقشها فى قلبه نقشا.

و من المعلوم أنك عند ما تضرب شخصا ضربا شديدا، أو تضغط بعض أعضائه ضغطا موجعا و تقول إثر ذلك كلمة فإنه لا ينساها ... و لذا كان الغت أو الغط فى أول الوحى، و برحاء الوحى بعد ذلك فى مظاهرها المتعددة ... و ثمة ملحوظة أخرى: هى تنوع مظاهر هذه البرحاء بين صلصلة جرس و دوى نحل، و ثقل جسد لتحقيق هدف النقش بأساليب مفاجأة مختلفة لا تعتادها النفس. و هو ما يعطى آفاقا كبيرة فى الأسلوب التربوى الذى ينبغى أن يتبع فى حياتنا التعليمية.

و ثانيها: وجود العلامة الحسية المشعرة للنبى صلى اللّه عليه و سلم بنزول الوحى، و هو ما يدفع تطرق التوهم إليه فيطمئن قلبه- بعد- إذا استيقن، و يدفع تطرق التوهم إلى غيره، فيعلمون سبل الاتصال الرسول الملك و الرسول البشر، فيغدو ما يستنكرونه من هذا الاتصال كرماد اشتدت به الريح فى يوم عاصف.

و ثالثها: أن العلامة الحسية على الرغم من شدتها إلا أنها غير مشاهدة لغيره، و لا محسوسة من أحد سواه ممن حوله، إنما يشاهدون أعراضها فى جسده مما لا يدخل تحت نطاق القدرة البشرية «۱»، فلا وجه لنفى قراءة جبريل عليه السلام ما أنزله حرفا حرفا حال إنزال الوحى القرآنى على قلبه، فعدم الشعور بذلك داخل فى أن أمر الوحى برمته غير محسوس أو غير معلوم لمن حوله، بصفة دقيقة إلا ما يرونه من علامات ظاهرية صارت قرائن على وجود الوحى. (۱) أى أنهم اعتادوا ذلك من بعد بما يرونه من تأثر يظهر عليه على هيئة معينة ... سموها (برحاء الوحى).

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۰۲

و فى عصرنا يمكن للإنسان أن يسمع إنسانا، و يرى آخر عن طريق الهاتف المرئى دون أن يشترك معه غيره من المحيطين به فى زمان التكلم و الرؤية إذا توافر الجهاز المرسل عند من يتكلم، و المستقبل عند من يسمع ... و هكذا نقرر بأن اللّه- تعالى ذكره- قد هيأ القدرة لجبريل عليه السلام للاتصال برسوله صلى اللّه عليه و سلم، و هيأ الرسول صلى اللّه عليه و سلم بمستقبلات لما يوحى إليه تدرك آثارها، و لا ترى حقيقتها و كيفيتها.

و رابعها: أن المقتضى المنهجى لهذه الشدة التى يعانيها الرسول صلى اللّه عليه و سلم عند إنزال الوحى القرآنى: أن يستشعر ذلك من يحفظ ألفاظ القرآن، و يحفّظها، و لا يتعامل مع لفظ القرآن بتساهل يذهب بركة القرآن ...

فإن اعترض بأنه: قد ورد ما يدل على يسر الوحى، و سهولة تأتيه ففى رواية الطبرانى لحديث الحارث بن هشام: (و يأتينى أحيانا فى صورة رجل يكلمنى كلاما، و هو أهون على) الحديث «۱» فهذا يدل على أن ثم هينا فى الوحى و أهون منه، فالجواب:

يوضح أمر هذه الرواية الروايات الأخرى، و ذلك أولى من العكس، لطبيعة الشدة المصاحبة للوحى بالنسبة لمن وصفوا بأنهم عند اللّه

عزّ و جل فضلا عمن سواهم ... فقد أراد بقوله:

(أهونه)، الأمر النسبى أى بالنسبة إلى الهيئة الأخرى من الوحى، قال ابن حجر- رحمه اللّه تعالى "-:يفهم منه أن الوحى كله شديد، و لكن هذه الصفة أشدها «"۲».

و لذا فإن الهيئة الأخرى- و هو المجىء فى صورة رجل- ليست خاصة الأنبياء بل يشترك فيها غيرهم، و قد كلمت الملائكة مريم بنت عمران، و ليست بنبية عند الجمهور «۳»، كما كلم الملك هاجر أم إسماعيل: فقد قال ابن عباس رضى اللّه عنه: (فإذا هى بالملك عند موضع زمزم فبحث بعقبه- أو قال- بجناحه حتى ظهر الماء، فجعلت تحوضه، و تقول (۱) المعجم الكبير ۱/ ۳۴۵، مرجع سابق.

(۲) فتح البارى ۸/ ۵۶۷، مرجع سابق.

(۳) انظر: تفسير القرطبى ۴/ ۴۱، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۰۳

بيدها هكذا ... فقال لها الملك: لا تخافوا الضيعة؛ فإن هاهنا بيت اللّه، يبنى هذا الغلام و أبوه، و إن اللّه لا يضيع أهله ...) «۱».

و هل يتنافى هذا مع كون القرآن ميسرا للذكر كما فى قوله عزّ و جل وَ لَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ "القمر/ ۱۷؟ "لا؛ لوجوه:

أولها: أن الحديث آت عن كيفية إيصاله من الملأ الأعلى إلى الأرض لا ما بعد ذلك، إذ قد يقال يسر عند انتقاله من بشر إلى بشر، على أن التيسير المذكور فى الآية ينصرف إلى المعنى قبل اللفظ، بدليل ذكر علة التيسير (للذكر).

و ثانيها: قد ينازع فى الأول، فالثانى واضح و هو: أن أعظم الكلام قد صيغ بأيسر الأساليب المفهومة، و إذا قورن بما ورد فى معلقة امرئ القيس علم مقدار تيسيره، مع أنه لا يستطاع مثله فذا وجه ثان فى توجيه الآية.

و ثالثها: أن ما ذكر من المقتضى المنهجى قد صرّح فيه أن مراده استشعار ثقل القول، لا أنه عند حفظه ثقيل، و يدل له أنه لا يعرف كتاب سماوى، و لا أرضى تيسر حفظه كالقرآن، بل المقارنة هنا لا تتم لشدة البون بين المقارن بينهما «۲»، و هو قوله سبحانه و تعالى فَإِنَّما يَسَّرْناهُ بِلِسانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ "الدخان/ ۵۸."

على أنه ينبغى تقرير أن وصف اللّه سبحانه و تعالى لكلامه بأنه (قول ثقيل) مع أنه كلام، و كلامه- تعالى ذكره، و جلّ عن التشبيه و التمثيل- عند ما ييسره للمخلوق لينقله بلسانه مع أن المعروف أنه يكون عبارة عن اهتزازات هوائية فلا يكون قولا ثقيلا إلا لأنه قول آخر غير قول البشر، و يلقى بطريقة خاصة حتى تكاد فخذ النبى صلى اللّه عليه و سلم أن ترضّ رجل كاتب الوحى، و تضع الناقة له جرانها، و يتفصد له جبين الرسول صلى اللّه عليه و سلم عرقا، فالثقل المراد قد يكون فى العملية التلقينية الأولى بين (۱) صحيح البخارى ۳/ ۱۲۲۷، مرجع سابق، و قد صرح برفعه فى أثناء الحديث.

(۲) و انظر فى معنى الآية: روح المعانى ۲۷/ ۱۲۹، مرجع سابق، و التحرير و التنوير ۲۷/ ۱۷۹، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۰۴

جبريل عليه السلام و النبى صلى اللّه عليه و سلم، ثم يكون ميسرا بعد ذلك على الألسنة، و قد يكون الثقل هو فى القيام به، و تطبيق معناه، و قد يكون الثقل بالنظر إلى أنه كلام الجبار العظيم عزّ و جل كيف يطيق المخلوق حمله، أو فهمه ... لا شك أن حدوث ذلك يدل على تيسير عظيم ... مع أن عظمة كلام اللّه سبحانه و تعالى تجعله ثقيلا على المخلوق ... لكن اللّه عزّ و جل يسره، و بهذا يجمع بين آية المزمل و غيرها كآية الدخان، و آية القمر.

۳- التكلف الطبعى فى حفظ الوحى:

و البند السابق كان يتكلم عن التكلف غير الطبعى، و هنا الإشارة إلى التكلف الطبعى الذى كان فى ابتداء الوحى، و قد وصفه ابن

عباس رضـی اللّه عنه بقوله: کان رسول اللّه صـلی اللّه علیه و سـلم یعالـج من التنزیل شـدة، و کان مما یحرک به لسانه، و کان ذلک یعرف منه ... الحدیث «۱».

فقوله (کان مما یحرک به لسانه) أی کان کثیرا یفعل ذلک، و کرر (کان) لطول الکلام، (یعالج) المعالجة المحاولة للشـیء، و المشقة فی تحصیله، و کان ذلک یعرف منه، أی یعرفه من رآه لما یظهر علی وجهه و بدنه من أثره «۲».

۴- تلقی الوحی القرآنی تلقی استماع لصوت متکلم بأحرف:

إذ الوحی القرآنی لیس إلقاء محضا فجائیا فی النفس (کالإلهام)، بل حرکـة و صوت مقطع حرفا حرفا متتابع علی هیئـة التعلیم، و یـدل له صریحا قوله سبحانه و تعالی: لا تُحَرِّکْ بِهِ لِسانَکَ لِتَعْجَلَ بِهِ "القیامة/ ۱۶ "وَ لا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ یُقْضی إِلَیْکَ وَحْیُهُ "طه/ ۱۱۴ "عَلَّمَهُ شَدِیـدُ الْقُوی النجم/ ۵، "و فی لفـظ للبیهقی لحـدیث الحارث ابن هشام (فیعلمنی) «۳»، و هی تطبیق واقعی لحقیقـة عَلَّمَهُ شَدِیـدُ الْقُوی النجم/ ۵، "و یـدل لهـا قوله فی الروایـة المشـهورة (فیکلمنی) و عنـد أحمـد (فیخبرنی) «۱»، و لـذا کـان النبی (۱) یأتی تفصیله إن شاء اللّه فی المبحث الخامس من هذا الفصل.

(۲) انظر: (السـیوطی) أبو الفضل جلال الدین عبد الرحمن بن أبی بکر (۸۴۹- ۹۱۱ ه): الدیباج علی صحیح مسلم ۲/ ۱۵۸ مراجعة: أبو إسحاق الحوینی الأثری، دار ابن عفان- الخبر- السعودیة.

(۳) و قال ابن حجر فی فتح الباری ۱/ ۱۸، مرجع سابق ":هی تصحیف، "مع أنها لا تستبعد کما هو واضح.

تلقی النبی ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۰۵

صلی اللّه علیه و سلم یحرک شـفتیه عنـد تلقی الوحی القرآنی، و مـا ذاک إلا لمتابعـة الحرف الحرف «۱»، کما یـدل له: حدیث ابن عباس رضـی اللّه عنه فی قصة عثمان بن مظعون، و فیه: (إذ شخص رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم ببصره إلی السماء، فنظر ساعة إلی السـماء، فأخـذ یضع بصـره، حتی وضـعه علی یمینه فی الأرض، فتحرف رسول اللّه صـلی اللّه علیه و سـلم عن جلیسه عثمان إلی حیث وضع بصـره، و أخـذ ینفض رأسه کأنه یسـتفقه ما یقال له ...) «۲»، و فی حـدیث المعالجة «۳»، و حـدیث المعارضة «۴» من البحث ما یزید ذا الکلام تفصیلا.

۵- جمع القرآن فی صدره صلی اللّه علیه و سلم:

اشارة

إذ الوحی القرآنی کله إنزال علی القلب، و لما فی قوله تعالی إِنَّ عَلَیْنا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ "القیامة/ ۱۷ "و یرتبط بهذه الحقیقة مفهومان:

الأول: أن ذلک لا ینافی أن تعلیم جبریل علیه السلام هو إقراء لکلمات من حروف متتابعة، و تقدم فی البند السابق.

الثـانی: أنه لم ینزل من القرآن الکریم شـیء فیلقیه إلیه الملـک و هو علی صورة الرجل علی مجیئه الأسـهل «۵»، بل جاء علی الصورة الأشد، و هذه حقیقة لم تعر کبیر اهتمام لتقریرها، و لا فی تقریرها، لعل ذلک لأنها بدهیة قرآنیة، و من أدلتها:

۱- قُلْ مَنْ کانَ عَدُوًّا لِجِبْرِیلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلی قَلْبِکَ "البقرة/ ۹۷، "فهـذا عـام فی کل أنواع الموحی به من قرآن و غیره، و إن کان جل المفسـرین یذهب إلی أن الضـمیر یعود علی القرآن الکریم عود شـهرة لا تستدعی سبق الذکر، و لکن قوله تعالی نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِینُ (۱۹۴) عَلی قَلْبِکَ "...الشعراء/ ۱۹۴- ۱۹۵ -"و هو خاص بالقرآن (۱) و انظر الدلالـة الثالثة من بند المعاناة فی المبحث الخامس، من هذا الفصل.

(۲) سبق تخریجه فی المبحث الأول من الفصل الثالث.

(۳) انظر: المبحث السادس من هذا الفصل.

(۴) انظر: المبحث التاسع من هذا الفصل.

(۵) و صرح صاحب التحریر و التنویر ۱۹/ ۱۸۹، مرجع سابق أن حدیث الحارث خاص بوحی القرآن.

تلقی النبی ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۰۶

الکریم- قد أظهر معنی الضمیر الوارد فی سورة البقرة، فإن نوزع فی ذلک فحسبه أن یکون دلیلا مستقلا.

۲- حدیث التفلت الآتی ذکره بعد قلیل «۱»؛ إذ قد ضمن اللّه سبحانه و تعالی جمعه فی فؤاده.

۳- ما ذکر لنا من حوادث إنزال القرآن کلها تخدم هذه الحقیقة، و منها ما ذکره زید بن ثابت رضی اللّه عنه فی کتبه للقرآن «۲»، إذ وصفه یدل علی العادة المستمرة.

فلتنضم هذه الحقیقة الجلیلة إلی حقائق تلقی النبی صلی اللّه علیه و سلم

القرآن من جبریل علیه السلام فتعطی بعدا أعظم لمن عمی بصره عن حقائق تلقی القرآن، فزعم دخول الاجتهاد البشری المحض فیه، و لتثبت أن حفظ القرآن هو الحفظ الکامل الذی لا یطرقه شک فی تفلت أو نقصان؛ إذ مجیء جبریل علیه السلام کان علی غیر الهیئة المعتادة للبشر.

و ثم حقیقة موازیة تلوح فی هذا الباب، و هی:

أن هذا المجیء بهذه الشدة لا یستطیعه الجن فی التسلط علی بنی آدم، إذ مبلغ فعل الشیطان الإغواء و الوسوسة و الإغراء، و التلبس علی قول من یثبته، أما هذه الشدة التی یسمعها رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم فلا سبیل للشیطان لإحداثها.

فإن اعترض بأن: ظاهر آیة سورة البقرة أن جبریل علیه السلام ألقی القرآن فی قلب النبی صلی اللّه علیه و سلم من غیر سماع قراءة کما هو کذلک فی سورة الشعراء عَلی قَلْبِکَ.

فالجواب: قد بیّن فی مواضع أخر أن معنی ذلک أن الملک، یقرؤه علیه حتی یسمعه منه فتصل ألفاظه و معانیه إلی قلبه بعد سماعه، و ذلک هو معنی (نزوله علی قلبه)، و یلاحظ أنه لم یقل (فی قلبه) کما سبق فی المبحث الثانی- و ذلک کما فی قوله عزّ و جل لا تُحَرِّکْ بِهِ لِسانَکَ ... بَیانَهُ "القیامة/ ۱۶، " ...و قوله وَ لا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ یُقْضی إِلَیْکَ وَحْیُهُ وَ قُلْ رَبِّ زِدْنِی عِلْماً "طه/ ۱۱۴. ("۱) انظر: ص ۱۰۷.

(۲) انظر: ص ۹۹.

تلقی النبی ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۰۷

و لیس المراد من النزول علی القلب ما استدل به قوم راموا أمرا ما هم ببالغیه، فادعوا أن القرآن إلهام و قذف روحانی بدلیل الآیتین المذکورتین؛ إذ العرب تستعمل النزول علی القلب، و تکلیم القلب، و تکلیم الصدر، و حفظ الصدر ... و نحو ذلک فی الحفظ و الضبط و الوعی و الفهم لا فی نفی السماع، کما قال أبو ذر رضی اللّه عنه: (ما ترک رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم شیئا مما صبه جبریل و میکائیل علیهما السلام فی صدره، إلا قد صبه فی صدری، و ما ترکت شیئا مما صبه فی صدری، إلا قد صببته فی صدر مالک بن ضمرة) «۱».

و لعل من أعظم أسرار قوله تعالی عَلی قَلْبِکَ

غير ما تقدم، أن القرآن الكريم لا ينساه النبى صلى اللّه عليه و سلم نسيانا كليا كما روى ابن سعد من طريق أبى سلمة الماجشون أنه بلغه أن رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم كان يقول: (كان الوحى يأتينى على نحوين: يأتينى به جبريل فيلقيه على كما يلقى الرجل على الرجل فذلك ينفلت منى، و يأتينى فى شىء مثل صوت الجرس حتى يخالط قلبى فذاك الذى لا ينفلت منى) و قال ابن حجر- رحمه اللّه تعالى-:

"و هذا مرسل مع ثقة رجاله، فإن صح فهو محمول على ما كان قبل نزول قوله سبحانه و تعالى لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسانَکَ، فإن الملک قد تمثل رجلا فى صور كثيرة، و لم ينفلت منه ما أتاه به، كما فى قصة مجيئه فى صورة دحية، و فى صورة أعرابى، و غير ذلک، و كلها فى الصحيح «"۲».

و باعتبار أن الوحى القرآنى كان شديدا، و النوم راحة لا شدة فيه، يطرح سؤال على ميدان البحث:

هل أوحى إلى النبى صلى اللّه عليه و سلم شىء من القرآن مناما؟ و الجواب:

أن الظاهر من السمات العامة التى تقدمت أن ذلک لم يحدث، لما يتطلبه الوحى القرآنى من استعداد و شدة. (۱) المعجم الكبير ۲/ ۱۴۹، مرجع سابق.

(۲) فتح البارى ۱/ ۱۹، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۰۸

فإن اعترض بأن: سورة الكوثر نزلت مناما كما رواه أنس رضى اللّه عنه قال: (بينا رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم ذات يوم بين أظهرنا- إذ أغفى إغفاءة، ثم رفع رأسه متبسما، فقلنا: ما أضحكک يا رسول اللّه؟! قال: (أنزلت على آنفا سورة فقرأ: بسم اللّه الرحمن الرحيم إِنَّا أَعْطَيْناکَ الْكَوْثَرَ (۱) فَصَلِّ لِرَبِّکَ وَ انْحَرْ (۲) إِنَّ شانِئَکَ هُوَ الْأَبْتَرُ "الكوثر/ ۱- ۳ "الحديث «۱»، إذ ظاهره أن سورة الكوثر نزلت مناما؟.

فالجواب: ذكر العلماء عددا من الأجوبة، و لكن الآلوسى- رحمه اللّه تعالى- ارتضى:

أن معنى أغفى فى الحديث منصرف إلى ظن بعض الرواة أن ذلک حدث له، و ليس كذلک فى واقع الأمر، و إنما اعترته برحاء الوحى حتى توهم بعض من حوله أنه أغفى فقال ":و قد يظن أنه صلى اللّه عليه و سلم أغفى، و لا يحتاج من قال إن الأشبه أن القرآن كله نزل فى اليقظة إلى تأويل هذا الخبر بأنه صلى اللّه عليه و سلم خطر له فى تلک الإغفاءة سورة الكوثر التى نزلت قبلها فى اليقظة، أو عرض عليه الكوثر الذى أنزلت فيه السورة فقرأها عليهم، ثم إنه على ما قيل أن بعض القرآن نزل عليه صلى اللّه عليه و سلم و هو نائم استدلالا بهذا الخبر، يبقى ما قلناه من سماعه صلى اللّه عليه و سلم ما ينزل إليه، و وعيه إياه بقوى إلهية قدسية و نومه صلى اللّه عليه و سلم لا يمنع من ذلک، كيف و قد صح عنه أنه قال (تنام عينى و لا ينام قلبى «")۲».

و هذا الذى مال إليه الآلوسى، هو ما ذهب إليه الرافعى «۳»، حيث نقل عنه السيوطى قوله ":و الأولى أن تفسر الإغفاءة بالحالة التى كانت تعتريه عند الوحى، و يقال لها برحاء الوحى؛ فإنه كان يؤخذ عن الدنيا، و الأشبه أنه لم ينزل شىء من القرآن فى النوم «"۴»، و مال إليه السندى فى حاشيته على سنن النسائى فقال (":إذ أغفى) الإغفاء (۱) صحيح مسلم ۱/ ۳۰۰، مرجع سابق.

(۲) روح المعانى/ ۱۸۲، مرجع سابق، و الحديث المذكور أخرجه البخارى ۱/ ۳۸۵، مرجع سابق.

(۳) كبير فقهاء الشافعية المناظر للإمام النووى ... و ليس الأستاذ مصطفى صادق الرافعى أديب العصر.

(۴) الديباج على صحيح مسلم ۲/ ۱۳۲، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۰۹

بالغين المعجمة-: النوم القليل، و فى المجمع: الإغفاء السنة، و هى حالة الوحى غالبا، و يحتمل أن يريد به الإعراض عما كان فيه «"۱»،

و قال ابن خلـدون ":أن توجد لهم- أی الأنبیاء- فی حال الوحی غیبة عن الحاضـرین معهم مع غطیط، کأنها غشـی، أو إغماء فی رأی العین، و لیست منهما فی شیء، و إنما هی فی الحقیقة استغراق فی لقاء الملک الروحانی، بإدراکهم المناسب لهم الخارج عن مدارک البشـر بالکلیة، ثم یتنزل إلی المدارک البشریة، إما بسماع دوی من الکلام، فیتفهمه، أو یتمثل له صورة شخص یخاطبه، بما جاء به من عند اللّه ثم تنجلی عنه تلک الحال و قد وعی ما ألقی إلیه «"۲».

و یکفی فی الرد علی هذا الوجهة قول اللّه عزّ و جل عَلَّمَهُ شَدِیدُ الْقُوی النجم/ ۵؛ "إذ التعلیم مناف للنوم إن أرید بالنوم ما یعتاد البشر، لا إن أرید به نوم الأنبیاء.

کمـا یظهر للبـاحث أن مـا ذکر فی الحـدیث من نزول سورة الکوثر لیس بنزول حقیقی لاتفـاق أهل التفسـیر و متتبعی النزول أن هـذه السورة مکیـة، و سـیاقها مثبت لمکیتها، و کلام أنس رضـی اللّه عنه مشـعر بوجوده حال الحـدیث و هو مدنیّ کما هو معلوم، و قد قال البیهقی ":و المشهور فیما بین أهل التفسیر و المغازی أن هذه السورة مکیة «"۳»، و ما ذکره الآلوسی یصلح وجها عند التنزل للرد علی نفی المعاناة فی المنام من حیث أن قلب النبی صلی اللّه علیه و سلم لا ینام.

و إذ انتهت هذه المسألة؛ فهل معنی ما قرر هنا أن الوحی غیر القرآنی لم یکن یأت النبی صـلی اللّه علیه و سـلم علی الصورة الأشد؟ و الجواب: لا! إذ لا یعنی ما قرر هاهنا، أن الوحی غیر القرآنی لم یکن یأتیه بالصورة الشدیدة، بل قد یأتیه کذلک کما فی حدیث عبادة ابن (۱) (السندی) أبو الحسن نور الدین بن عبد الهادی ت ۱۱۳۸ ه: حاشیة السندی علی النسائی ۲/ ۱۳۴، مراجعة:

عبد الفتاح أبو غدة ۱۴۰۶ ه- ۱۹۸۶ م، مکتبة المطبوعات الإسلامیة- حلب.

(۲) مقدمة ابن خلدون ص ۹۲، مرجع سابق.

(۳) سنن البیهقی الکبری ۲/ ۴۳، مرجع سابق.

تلقی النبی ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۱۰

الصامت رضـی اللّه عنه أنه قال: (کان رسول اللّه صـلی اللّه علیه و سـلم إذا نزل الوحی علیه کرب لـذلک، و تربـد وجهه، فأوحی إلیه ذات یوم، فلقی ذلک، فلما سـری عنه، قال رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم: (خذوا عنی. قد جعل اللّه لهن سبیلا، الثیب بالثیب و البکر بـالبکر، الثیب جلـد مائـة ثم رجما بالحجارة، و البکر بالبکر جلـد مائـة، ثم نفی سـنة) «۱». و هــو دال علی مجیء الـوحی غیر القرآنی بالصورة الأشد.

إنما المراد من البحث السابق نفی أن یأتیه الوحی القرآنی بصورة نبـذ الرجل، و إلقاء الفتی، و لـذا تکاد لا تری حـدیثا فیه ذکر لوحی قرآنی إلاـ و صـفة إنزاله هی الشدیـدة إن ذکرت، حتی صـار ذلـک سـیماء الوحی القرآنی التی یـذکرها کتـابه عنـد وصـفه، کما فی حدیث زید ابن ثابت رضی اللّه عنه المتقدم.

۶- ارتقاء القوی البشریة للنبی صلی اللّه علیه و سلم:

لتسـد کـل ثغرة ضـعف فیهـا عنـد التلقی حتی وقت الإبلاغ، کما قال تعالی إِنَّ عَلَیْنا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ "القیامـة/ ۱۷ "سَـنُقْرِئُکَ فَلا تَنْسی الأعلی/ ۶، "و قـد قـال ابن حجر- رحمه اللّه تعـالی- فی قوله سـبحانه و تعـالی اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّکَ الَّذِی خَلَقَ "العلق/ ۱ ":"أی لا تقرؤه بقوتک، و لا بمعرفتک، لکن بحول ربک و إعانته «"۲».

۷- الاستماع و الإنصات:

و هذا متحل فی الأمر العام وَ إِذا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْـتَمِعُوا لَهُ وَ أَنْصِتُوا لَعَلَّکُمْ تُرْحَمُونَ "الأعراف/ ۲۰۴، "فإن نوزع فیه فالأمر الخاص فَإِذا قَرَأْناهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ "القیامة/ ۱۸، "أی: فاستمع له و أنصت: کما فی تفسیر ابن عباس رضی اللّه عنه «"۳، و یجعله نصا فی هـذه المسألة

نهيه عن تحريك لسانه.

و الفرق بين الاستماع و الإنصات: أن الاستماع أخص من الإنصات؛ لأن الاستماع الإصغاء، و الإنصات السكوت، و لا يلزم من السكوت الإصغاء «۴». (۱) صحيح مسلم ۳/ ۱۳۱۶، مرجع سابق.

(۲) فتح البارى بشرح صحيح البخارى ۱/ ۳۵، مرجع سابق.

(۳) انظر: حديث المعالجة المبحث السادس من هذا الفصل.

(۴) فتح البارى شرح صحيح البخارى ۸/ ۶۸۳، مرجع سابق، و مثله: الديباج على صحيح مسلم ۲/ ۱۵۸، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۱۱

۸- الوعى لما يقوله الملك:

و ذا أمر قد تكفل اللّه به إِنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ "القيامة/ ۱۷ "سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنْسى الأعلى/ ۶، "و سيأتى تحليل هذين الموقفين القرآنيين- إن شاء اللّه تعالى- «۱»، و حدد النبى صلى اللّه عليه و سلم إسقاطه الواقعى فى قوله: (فيفصم عنى و قد وعيت عنه ما قال). و قوله: (فيفصم) يضرب أى فيقطع عنى حامل الوحى "يقلع، و أصل الفصم القطع «"۲» (و قد وعيت عنه) أى حفظت عنه أى أجده فى قلبى مكشوفا متبيّنا بلا التباس، و لا إشكال «۳».

۹- تطبيق هيئات التلقى التوقيفية:

و هذا ينبنى على توقيفية هيئات التحمل، و يأتى ذلك فى تحليل حديث المعالجة «۴»، و من الملاحظات التى تقال هاهنا أن سورة القيامة من أول ما نزل فى مكة، و ذاك دال على التربية المبكرة على الطرق الصحيحة لتحمل القرآن الكريم.

و يرد بسط مفهوم التلقى و التلقين عقب حديث المعالجة «۵».

۱۰- استعداد الملكات النفسية فى النبى صلى اللّه عليه و سلم للحفظ:

حيث اقترن تلقى النبى صلى اللّه عليه و سلم بكمال الرغبة فى الحفظ و حب المحفوظ، ففى رواية الطبرى عن الشعبى: (عجل يتكلم من حبه إياه)، و لا تنافى بين محبته إياه و الشدة التى تلحقه فى ذلك، فأمر بأن ينصت حتى (۱) انظر: حديث المعالجة المبحث السادس من هذا الفصل، و آية الأعلى فى الفصل الخامس- المبحث الثانى.

(۲) (السيوطى) أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر، ت ۹۱۱ ه: تنوير الحوالك شرح موطأ مالك ص ۱۶۰، ۱۳۸۹- ۱۹۶۹ م المكتبة التجارية الكبرى- مصر.

(۳) حاشية السندى على النسائى ۲/ ۱۵۰، مرجع سابق.

(۴) انظر: حديث المعالجة فى المبحث السادس من هذا الفصل.

(۵) انظر: فى المبحث السابع من هذا الفصل.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۱۲

يقضى اللّه سبحانه و تعالى وحيه، و وعد بأنه آمن من تفلته منه بالنسيان أو غيره، و نحوه قوله سبحانه و تعالى وَ لا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضى إِلَيْكَ وَحْيُهُ "طه/ ۱۱۴ "أى بالقراءة «۱».

و عدم التنافى بين الحب و الخوف لأن الحب ولد الخوف فكان ما هو معلوم «۲».

و المقتضى المنهجى لذلك: غرس الإجلال لحفظ القرآن فى نفس المتقدم لحفظه من حيث شرف الحفظ، و من حيث رهبة ادعاء

الانتساب إلى زمرة الحفاظ إن لم يكن قائما بالقرآن تقويما لألفاظه، و قياما بأحكامه، و تمثلا لأخلاقه ... «۳».
و ما زال حادى الشوق يأرز إلى الحرم المطهر و المسجد النبوى حيث آثار جبريل عليه السلام و النبى صلى اللّه عليه و سلم ... إذ ثم كان مركز تعلّم ألفاظ القرآن الكريم من أمين الوحى فى السماء عليه السلام لأمين الوحى فى الأرض صلى اللّه عليه و سلم ...
ما لمطايانا تميل ما لها؟ ... أظن رمل رامة بدا لها «۴» لا تحسبنّ ميلها من ملل ... و إنما سكر الهوى أمالها تجدّ وجدا فى الحزون كلما ... تذكرت من يثرب أطلالها «۵» و إن حدا الحادى بذكر طيبة ... هيج ذكر طيبة بلبالها «۶» فشوقها يدفعها حتى ترى .... آمالها هناك، أو آجالها (۱) انظر: فتح البارى بشرح صحيح البخارى ۱/ ۴۴، مرجع سابق، و انظر: تفسير القرطبى ۱۹/ ۱۰۶، مرجع سابق.
(۲) تفسير الطبرى ۲۹/ ۱۸۷، مرجع سابق، و انظر: روح المعانى ۲۹/ ۲۴۳، مرجع سابق.
(۳) إذ يلاحظ تساهل بالغ فى حفظ القرآن من قبل المتقدّم له ... فلا هيبة له، و لا إجلال يعتريه ... لكأنما يشربه شرب الماء، غير مصطحب معه فى مسيرة حفظه حبا أو خوفا.
(۴) رامة: موضع فى البادية، و أراد به التكنية عن البلد التى هواها فؤاده، كما هوتها القلوب ... و صرّح بأنها طيبة- بعد-.
(۵) الحزون: جمع حزن، و هى ما غلظ من الأرض ... يكنى عن مشقة السفر.
(۶) البلبال: شدّة الهم و الوسواس فى الصدور و حديث النفس، فأما البلبال، بالكسر، فمصدر انظر: لسان العرب ۱۱/ ۶۹.
تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۱۳

المبحث السادس: حديث المعالجة و دلالاته العامة:

اشارة

يبسط هذا المبحث حديث المعالجة المشهور فى تلقى النبى صلى اللّه عليه و سلم ألفاظ القرآن الكريم من جبريل عليه السلام، حيث ظهر فيه اجتهاد النبى صلى اللّه عليه و سلم فى هذا التلقى قبل نزول التوقيف الإلهى، و التزامه بمفردات التوقيف الإلهى بعد ذلك ... و قد دل هذا الحديث على دلالات هامة فى مسألة تلقى القرآن من جبريل عليه السلام، و لذا فإن هذا المبحث سينقسم إلى خمسة مطالب:
المطلب الأول: متن حديث المعالجة برواياته المختلفة.
المطلب الثانى: تحليل الموقف فى حديث المعالجة.
المطلب الثالث: تحليل آيات سورة القيامة الواردة فى حديث المعالجة.
المطلب الرابع: من فوائد حديث المعالجة.
المطلب الخامس: من الدلالات الخاصة لحديث المعالجة.

المطلب الأول: متن حديث المعالجة برواياته المختلفة:

عن ابن عباس رضى اللّه عنه فى قوله تعالى لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ قال: كان رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم يعالج من التنزيل شدة [و فى المعجم الكبير: إذا نزل عليه القرآن تلقاه بلسانه و شفتيه و كان مما يحرك به [لسانه و] شفتيه [و فى السنن الكبرى للنسائى مخافة أن يفلت منه [فيشتد عليه و كان يعرف منه فقال ابن عباس رضى اللّه عنه: فأنا أحركهما لكم كما كان رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم يحركهما، و قال سعيد: أنا أحركهما كما رأيت ابن عباس رضى اللّه عنه يحركهما، فحرك شفتيه، فأنزل اللّه تعالى لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ قال: جمعه له فى صدرك و تقرأه، فَإِذا قَرَأْناهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ، قال:

فاستمع له و أنصت، ثُمَّ إِنَّ عَلَیْنا بَیانَهُ ثم إن علینا أن تقرأه، فکان رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم بعد ذلک إذا أتاه جبریل علیه السلام استمع [و أطرق ، فإذا انطلق جبریل علیه السلام قرأه النبی صلی اللّه علیه و سلم کما قرأه

تلقی النبی ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۱۴

[کما وعده اللّه «۱»، و فی لفظ للبخاری: کان النبی صلی اللّه علیه و سلم إذا نزل علیه الوحی حرک به لسانه- و وصف سفیان یرید أن یحفظه- فأنزل اللّه لا تُحَرِّکْ بِهِ لِسانَکَ لِتَعْجَلَ بِهِ، و فی لفظ له: فقیل له لا تُحَرِّکْ بِهِ لِسانَکَ لِتَعْجَلَ بِهِ یخشی أن ینفلت منه إِنَّ عَلَیْنا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ أن نجمعه فی صدرک، و قرآنه أن تقرأه فَإِذا قَرَأْناهُ یقول أنزل علیه فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ثُمَّ إِنَّ عَلَیْنا بَیانَهُ أن نبینه علی لسانک، و فی السنن الکبری للنسائی: إذا نزل القرآن علیه یعجل بقراءتها لیحفظه «۲»، و فی لفظ: کان یعالج من ذلک شدة فأنزل اللّه عزّ و جلّ لاـ تُحَرِّکْ بِهِ لِسانَکَ لِتَعْجَلَ بِهِ یقول: لتعجل بأخذه، یقول: إِنَّ عَلَیْنا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ یقول: جمعه أن نجمعه فی صدرک، و أن تقرأه، فَإِذا قَرَأْناهُ فإذا أنزلناه، فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ یقول: فاستمع و أنصت، ثُمَّ إِنَّ عَلَیْنا بَیانَهُ: أن نبینه بلسانک فاستراح رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم «۳».

المطلب الثانی: تحلیل الموقف فی حدیث المعالجة:

سبب المعاناة:

اشارة

کان النبی صلی اللّه علیه و سلم یعانی عند إنزال القرآن علیه، و تلقیه له من صوت الملک من مشکلة استیعاب قواه البشریة للفظه؛ إذ یخاف من ضعفها مع عظم المنزل، فیتعجل أخذه من الملک متلقیا إیاه بلسانه و شفتیه «۴»، لا لصعوبة حفظه؛ إذ هو من قوم اشتهروا بالحافظة المدهشة حتی أقاموها مقام الکتابة، و إنما کان سبب المعاناة متمثلا فیما یلی: (۱) صحیح البخاری ۱/ ۶، مرجع سابق، و الزیادات غیر المعزوة هی للبخاری من طرق أخری.

(۲) و نحوه فی: (الحمیدی) أبو بکر عبد اللّه بن الزبیر ت ۲۱۹ ه: مسند الحمیدی، مراجعة: حبیب الرحمن الأعظمی، ۱۳۸۱ ه، دار الکتب العلمیة- بیروت.

(۳) المعجم الکبیر ۱۱/ ۴۵۸، مرجع سابق.

(۴) و فیه دلیل علی وجوب حفظ القرآن علی النبی صلی اللّه علیه و سلم إذ لو کان یرید حفظ المعنی لما احتاج لبذل هذا الجهد، کما أن فیه دلیلا علی أن القرآن لیس بإلهام.

تلقی النبی ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۱۵

۱) علمه أنه قد کلّف فی حدود ما تطیقه قواه البشریة

؛ إذ تلک من أساسات الشریعة، و تحدید مقدار هذه الطاقة عائد إلی مراقبة العبد لربه الذی یعلم السر و أخفی، و لذا فالنبی صلی اللّه علیه و سلم یستنفر- عند نزول الوحی علیه- جمیع قواه خوفا من التقصیر، و هذا واضح عند تحلیل النص للوهلة الأولی.

۲) إشفاقه من أن یعتریه القصور البشری

، فینفلت بعض القرآن منه، خاصة أنه لا یعلم الغیب صلی اللّه علیه و سلم، و لا یدری کمیة المنزل من حیث القلة و الکثرة.

۳) حبه للقرآن الکریم

، و لا تنافی بینه و بین السابق إذ الحب مولد الإشفاق.

فنهی النبی صلی اللّه علیه و سلم عن اتباع أسالیبه الخاصة فی تلقی القرآن و حفظه من العجلة بأخذه، و تحریک اللسان لأجل ذلک فی موضعین من القرآن الکریم، هما موضعا طه و القیامة، و أخبر أن هیئة تلقی القرآن توقیف، و لیست اجتهادا، و بیّن له الأسالیب التی یتلقی بها القرآن، و وعد بثلاثة أمور (من حیث اللفظ حیث أمر بذلک، و ضمن له تحقیقه): جمعه فی صدره (حفظ أصل اللفظ)، و قراءته بعد ذهاب الملک کما قرأه علیه الملک (أداء اللفظ بالهیئة التجویدیة و الأدائیة ذاتها)، و تبیینه بلسانه أی أداؤه کما أنزل إلیه «۱»، فقد نهی النبی صلی اللّه علیه و سلم عن اتباع أسالیبه الاجتهادیة فی تلقی الوحی القرآنی و تعلمه، و الموضعان اللذان فیهما النهی:

أحدهما: قوله عزّ و جل وَ لا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ یُقْضی إِلَیْکَ وَحْیُهُ "طه/ ۱۱۴، "و الآخر: لا تُحَرِّکْ بِهِ لِسانَکَ لِتَعْجَلَ بِهِ" ... القیامة/ ۱۶- ۱۸."

فأما الأول: و هو قوله سبحانه و تعالی: ... وَ لا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ یُقْضی إِلَیْکَ وَحْیُهُ " ...طه/ ۱۱۴، "فقد قرر المفسرون أنه یجوز أن یکون معنی العجلة بالقرآن العجلة بقراءته حال إلقاء جبریل علیه السلام آیاته، فعن ابن عباس رضی اللّه عنه: کان النبی صلی اللّه علیه و سلم یبادر جبریل علیه السلام فیقرأ قبل (۱) و تفصیل ذلک یأتی فی المطلب الثالث من هذا المبحث: تحلیل آیات سورة القیامة.

أن یفرغ جبریل علیه السلام حرصا علی الحفظ و خشیة من النسیان، فأنزل اللّه سبحانه و تعالی ... وَ لا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ یُقْضی إِلَیْکَ وَحْیُهُ " ...طه/ ۱۱۴، "فیکون المراد بقضاء وحیه: إتمامه و انتهاؤه، أی انتهاء المقدار الذی هو بصدد النزول «"۱».

و أما الثانی فهو فی سورة القیامة: لا تُحَرِّکْ بِهِ لِسانَکَ لِتَعْجَلَ بِهِ (۱۶) إِنَّ عَلَیْنا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ (۱۷) فَإِذا قَرَأْناهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ (۱۸) ثُمَّ إِنَّ عَلَیْنا بَیانَهُ "القیامة/ ۱۶- ۱۹."

المطلب الثالث: تحلیل آیات سورة القیامة الواردة فی حدیث المعالجة:

إِنَّ عَلَیْنا جَمْعَهُ: ورد فیها معنیان «۲»:

۱- علینا أن نجمعه فی صدرک:

و هو عن ابن عباس رضی اللّه عنه و هو فی الصحیح کما فی متن الحدیث، و عن قتادة تفسیره بالحفظ «۳» ... و هما تعبیران آئلان إلی معنی واحد.

۲- الجمع هو التألیف:

و هو ما رواه الطبرى عن قتادة «۴»، و رواه البخارى معلقا عن ابن عباس رضى اللّه عنه فقال: قوله سبحانه و تعالى إِنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ: تأليف بعضه إلى بعض «۵».

و كلا المعنيين يكونان حقيقة الجمع، و هى: جمعه فى الصدر محفوظا كما أنزله اللّه عزّ و جلّ بلفظه و نظمه و تأليفه ... و لئن كان تأليفه (ترتيب الآيات للاختلاف فى ترتيب السور) من اللّه، فلأن تكون أوجه الأداء منه سبحانه و تعالى أولى. (۱) انظر: التحرير و التنوير ۱۹/ ۳۱۷، مرجع سابق، و نحوه فى تفسير الجلالين و حاشية الصاوى عليهما ۳/ ۸۰، مرجع سابق، و كذا فى تفسير ابن كثير ۳/ ۴۹۵، مرجع سابق.

(۲) و أورد الآلوسى فى روح المعانى ۲۹/ ۲۴۴، مرجع سابق: قولين آخرين فى معنى جمعه و قرآنه و ضعفهما، و لا يستحقان الاشتغال بهما.

(۳) انظر: فتح البارى ۸/ ۶۳۷، مرجع سابق.

(۴) تفسير الطبرى ۲۹/ ۱۸۸، مرجع سابق.

(۵) صحيح البخارى ۴/ ۱۷۷۰، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۱۷

و قراءته:

وقع فى رواية الطبرى فى معناها: و تقرأه بعد، أى: قراءتک إيله، أى جريانه على لسانك، فقرآنه مصدر مضاف إلى المفعول «۱».

فَإِذا قَرَأْناهُ:

ورد فى هذه الآية أربعة معان عن ابن عباس رضى اللّه عنه «۲».

الأول: أى قرأه عليك الملك، و هو مما ورد فى متن الحديث.

و الثانى: رواه عنه البخارى: فَإِذا قَرَأْناهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ: فإذا جمعناه و ألفناه، فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ أى ما جمع فيه، فاعمل بما أمرك، و انته عما نهاك اللّه «۳».

و الثالث: رواه عنه البخارى فقال ":باب قوله فَإِذا قَرَأْناهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ، قلل ابن عباس رضى اللّه عنه: قَرَأْناهُ بيناه فَاتَّبِعْ اعمل به «"۴».

و الرابع: أى: (فإذا أنزلناه) معلقا، رواه عنه البخارى موصولا فى خلق أفعال العباد، و فيه ":فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ فاتبع مجمله، و تفهم ما فيه «"۵».

و عند الطبرى من طريق قتادة فى قوله فَاتَّبِعْ ما يؤيد التأويل الثانى لابن عباس رضى اللّه عنه إذ قال فيه ":اتبع حلاله و اجتنب حرامه" «۶».

و التفسير الأول عن ابن عباس رضى اللّه عنه أشهر. (۱) حاشية الصاوى بهامش تفسير الجلالين ۴/ ۳۵۳، مرجع سابق.

(۲) أما ابن حجر- رحمه اللّه تعالى- فقال ":و الحاصل أن لابن عباس رضى اللّه عنه فى تأويل قوله تعالى قَرَأْناهُ و فى قوله فَاتَّبِعْ قولين انظر: فتح البارى شرح صحيح البخارى ۸/ ۶۸۳، مرجع سابق.

(۳) صحيح البخارى ۴/ ۱۷۷۰، مرجع سابق.

(۴) صحيح البخارى ۴/ ۱۸۷۷، مرجع سابق، و قال ابن حجر- رحمه اللّه تعالى "-:هذا التفسير رواه على بن أبى طلحة عن ابن عباس- رضى اللّه تعالى عنهما- أخرجه بن أبى حاتم "انظر: فتح البارى شرح صحيح البخارى ۸/ ۶۸۲، مرجع سابق.

(۵) (البخارى) أبو عبد اللّه محمد بن إبراهيم بن إسماعيل الجعفى ت ۲۵۶ ه: خلق أفعال العباد ۸۴ مراجعة: د. عبد الرحمن عميرة، دار المعارف السعودية- الرياض ۱۳۹۸ ه- ۱۹۷۸ م.

(۶) تفسير الطبرى ۲۹/ ۱۸۸، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۱۸

و لاـ تنافى بين هذه التأويلات، إذ يصبح المعنى عند الجمع بين الوارد فيها: فإذا أنزلناه فبيناه، بأن قرأه عليه الملك مجموعا مؤلفا فاستمع له و أنصت، فإذا انتهت قراءة جبريل عليه السلام فاقرأ أنت، ثم اتبع ما فيه من حلال، و اجتنب ما فيه من حرام ... فكانت ألفاظ التفسير مختلفة بحسب بدايات نزول القرآن و نهاياته؛ إذ البدء يكون بنزول الملك، ثم التبيين بقراءة الملك أيضا، و هو مستدع لإنصات النبى صلى اللّه عليه و سلم، ثم تكون مرحلة قراءة النبى صلى اللّه عليه و سلم، ثم مرحلة العمل به ... فقد اتفقت فى حقيقتها «۱»، و يدل لهذا أن ابن عباس رضى اللّه عنه فسر قوله تعالى أَنْزَلْناها "النور/ ۱، "كما روى عنه البخارى: بيناها «۲»، و قال ابن حجر": كذا فى النسخ، و الصواب (أنزلناها و فرضناها) بيناها «"۳»، فجعل معنى بيناها لفرضناها لا لأنزلناها، و هو غريب من حيث أنه صرح بأن النسخ اجتمعت على أن بيناها معنى لأنزلناها، فكان النظر داعيا إلى التأمل فى المناسبة بينهما قبل صرفه بادئ الرأى إلى معنى آخر، و قد ظهرت للباحث مناسبة معنى الإنزال للبيان من خلال تأويل ابن عباس رضى اللّه عنه لقوله قَرَأْناهُ بأنه أنزلناه تارة، و بمعنى بيناه تارة أخرى، فقد جعل ابن عباس رضى اللّه عنه البيان لازم الإنزال، و ما أحسن ذاك بالنظر إلى الذات الإلهية، فتخطئة النسخ جميعا عارض يفتقد القرينة فنبقى على الأصل.

فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ «۴»: ورد فيها أربعة معان:

أولها: فاستمع له و أنصت ":أى أنصت إلى قراءتنا «"۱»، و قال الزمخشرى ":فكن مصغيا له فيه، و لا تراسله، و طمئن نفسك أنه لا يبقى غير محفوظ؛ فنحن فى ضمان تحفيظه. ("۱) و هذا التأويل للآيات هو الموافق لتأويل ابن عباس رضى اللّه عنه كما سبق. و قد قال عنه صاحب التحرير و التنوير ۲۹/ ۳۴۹، مرجع سابق ":هذا ما لا خلاف فيه بين أهل الحديث و أئمة التفسير."

(۲) صحيح البخارى ۴/ ۱۷۷۰، مرجع سابق.

(۳) فتح البارى ۸/ ۴۳۳، مرجع سابق.

(۴) روح المعانى ۲۹/ ۲۴۴، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۱۹

و قال الآلوسى «۱ "»:فكن مصغيا له لا مباريا، و قيل: فَإِذا قَرَأْناهُ فاتبع بذهنك و فكرك قُرْآنَهُ أى: فاستمع و أنصت، و صح هذا من رواية الشيخين و غيرهما عن ابن عباس رضى اللّه عنه «۲».

و ثانيها: أن الضمير فى قوله فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ لجبريل عليه السلام، و التقدير: فإذا انتهت قراءة جبريل عليه السلام فاقرأ أنت «۳».

و ثالثها: فاعمل ما أمرك.

و رابعها: اتبع مجمله و تفهم ما فيه.

و لا تنافى بينها، بل حال هذه الآية كما سبق فيما قبلها.

ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنا بَيانَهُ: ورد فيه معنيان أيضا:

أن نبينه بلسانك «۴»، و الآخر: العمل، و ذكر ابن جرير القولين «۵»، و لاـ تنافى بينهما كما يظهر «۶»، و القول فيهما كالقول فى الآية السابقة، مثلا بمثل، و ذلك أن بيان مجمله، أو تفصيل مشكله غير كائن إلا بتحقيق لفظه، و قد يقف الراسخون فى العلم حيارى أمام لفظة محرفة، أو مصحفة حتى يتيقنوا لفظها أو يقاربوا، ثم يسبروا غور معناها بعد، و الأمر هاهنا كذلك إذ ينصرف معنى البيان انصرافا

أوليا إلى معنى البيان اللفظى، و هو آيل فى كلام اللّه- بعد- إلى البيان المعنوى، فمن فسره بالبيان المعنوى فهو (۱) التحرير و التنوير ۲۹/ ۳۴۹، مرجع سابق.

(۲) روح المعانى ۲۹/ ۲۴۴، مرجع سابق.

(۳) فتح البارى ۸/ ۶۸۳، مرجع سابق.

(۴) و عند البخارى فى خلق أفعال العباد ۸۴، مرجع سابق ":أن نثبته على لسانک "و لا- يعترض بأنه يحتمل أن يكون قد اعتراها التصحيف، إذ قد ورد فى قوله تعالى فَتَبَيَّنُوا "الحجرات/ ۶ "القراءة الأخرى فتثبتوا و المعنى مرتبط بينهما؛ إذ التثبت ثمرة التبين.

(۵) تفسير الطبرى ۲۹/ ۱۸۹، مرجع سابق.

(۶) كما لا منافاة بين الأقوال الثلاثة التى أوردها ابن جرير ۲۹/ ۱۸۹، مرجع سابق فى تأويل فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ و هى:

فاستمع قرآنه، فاتبع معانيه من الشرائع و الأحكام، فاعمل به.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۲۰

باعتبار نهاية الأمر، و لذا قدّم تأويل الآية بالبيان اللفظى عند العلماء:

فقال الآمدى ":يجوز أن يراد بالبيان الإظهار، لا بيان المجمل: يقال بان الكوكب إذا ظهر- قال- و يؤيد ذلک أن المراد جميع القرآن، و المجمل إنما هو بعضه، و لا اختصاص لبعضه بالأمر المذكور دون بعض «"۱»، و معنى الجملتين إِنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ: إن علينا جمع الوحى، و أن تقرأه، و فوق ذلک أن تبينه للناس بلسانک، أى نتكفل لک بأن يكون جمعه و قرآنه بلسانک، أى عن ظهر قلبک لا- بكتابة تقرؤها، بل أن يكون محفوظا فى الصدور، مبينا لكل سامع لا يتوقف على مراجعة، و لا على إحضار مصحف من قرب أو بعد، فالبيان هنا بيان ألفاظه، ليس بيان معانيه؛ لأن بيان معانيه ملازم لورود ألفاظه «"۲» ...، و قال الآلوسى ":يجوز أن يراد بالبيان الإظهار لا بيان المجمل، و قد صح من رواية الشيخين و غيرهما و جماعة عن الحبر أنه قال فى ذلک: ثم إن علينا أن نبينه بلسانک، و فى لفظ: علينا أن تقرأه، و يؤيد ذلک أن المراد بيان جميع القرآن، و المجمل بعضه «"۳».

و هذا عند التقديم لشىء على شىء، و إلا فإن الآية محتملة لجميع أنواع البيان يقدمها بيان اللفظ إذ الكلام فيه، و غيره بينى عليه، و يقوى ذلک العموم لأنواع البيان: أن قوله بيانه جنس مضاف فيعم جميع أصنافه من إظهاره، و تبيين أحكامه، و ما يتعلق بها من تخصيص، و تقييد، و نسخ، و غير ذلک.

ففى هذه الآيات: تكفل اللّه له أن يجمعه فى صدره، و أن ييسره لأدائه على الوجه الذى ألقاه إليه، و أن يبينه له، و يفسره، و يوضحه، فالحالة الأولى جمعه فى صدره، و الثانية تلاوته و بيانه فى مخارج لفظه حق بيانه، و الثالثة تفسيره، و إيضاح معناه «۴». (۱) فتح البارى شرح صحيح البخارى ۸/ ۶۳۷، مرجع سابق.

(۲) انظر: التحرير و التنوير ۲۹/ ۳۵۰، مرجع سابق.

(۳) روح المعانى ۲۹/ ۲۴۴، مرجع سابق.

(۴) انظر: (ابن كثير) أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن كثير القرشى الدمشقى ت ۷۷۴ ه: تفسير القرآن العظيم ۴/ ۳۸۳، تقديم: محمد عبد الرحمن المرعشلى، إعداد: مكتب تحقيق دار إحياء التراث العربى، أعد فهارسها: رياض عبد اللّه عبد الهادى ط ۱، ۱۴۱۷- ۱۹۹۷ م، دار إحياء التراث العربى- بيروت.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۲۱

و تلخيصا للمعالم السابقة مع ما ورد فى الفصل الأول يقال: انطلاقا من قاعدتى الإثبات و النفى الحاصرتين المانعتين لأى تدخل من الخلق فى أداء كلام اللّه سبحانه و تعالى، و هما الواردتان فى قوله- تعالى ذكره-: إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَ إِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ "الحجر/ ۹" إثباتا، لا مُبَدِّلَ لِكَلِماتِهِ "الأنعام/ ۱۱۵، "نفيا، فإن الحفظ الإلهى للكتاب الكريم فى عالم المخلوقين قد بدأت أدواته الواقعية بالتشكل

منذ تكلم به الخالق- تعالى ذكره: فقد اختار اللّه عزّ و جل حافظا قويا أمينا لنقل كلامه، و تعليمه للخلق بدقة متناهية، و نحن نعرف من وسائل العصر ما يتمكن به الإنسان من حفظ كلامه بلا تغير، بل بنفس المؤثرات التى تحف بكلامه ... كالمسجلة التى إذا وجهت رسالة بواسطتها لشخص، أمكنك أن تقول له: قد قلت لك كذا و كذا مع أنك قلته فى وقت آخر، و مكان آخر ... و لا تكون كاذبا بذلك، و إن كان لم يسمع منك مباشرة ... بل سمع من المسجل، لكن المسجلة لدقة حفظها، و ضبطها نقلت نقلا أمينا ... و للّه المثل الأعلى، فقد جعل اللّه- تعالى ذكره- جبريل عليه السلام أمينا على الوحى قويا على نقله لدرجة يكاد من دقتها أن يصح القول بأن الذى اقرأ النبى صلى اللّه عليه و سلم هو اللّه- تعالى ذكره-، و لذا جاز نسبة إقراء جبريل عليه السلام النبى صلى اللّه عليه و سلم كلام اللّه إلى اللّه- تعالى ذكره- لشدة ضبطه و إتقانه و دقته ... و هذا هو سر إسناد الفعل إلى اللّه فى قوله سبحانه و تعالى فَإِذا قَرَأْناهُ مع أن القائم به هو جبريل عليه السلام ... فكانت قراءة جبريل عليه السلام مطابقة أمينة تماما كما تلقاه عن اللّه- جل و علا-.

المطلب الرابع: من فوائد حديث المعالجة «۱»:

أول فائدة تتعلق بلفظ القرآن:

هى أن الالتزام بجمع القرآن فى صدر النبى صلى اللّه عليه و سلم ثم جريانه على لسانه كما قرأه جبريل عليه السلام ... لم يقف عند قراءة الألفاظ كما هى، بل تعدى ذلك (۱) عدا ما تقدم فى المطالب السابقة.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۲۲

إلى (بيان الألفاظ) بيانا واضحا مستمدا من عربية اللسان من حيث العموم، و هيئة تلاوة القرآن من حيث خصوص كونه قرآنا، فتأويل ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنا بَيانَهُ "بتفهيم ما أشكل عليك من معانيه «"۱» قصر لعام بغير دليل، و تخصيص للمعنى بغير مخصص، على أن الأنسب و الأوفق للمقام الكلام على اللفظ قبل المعنى "فإن الكلام له لفظ و معنى، و له نسبة إلى الأذن و القلب و متعلق بهما، فسماع لفظه حظ الأذن، و سماع حقيقة معناه و مقصوده حظ القلب «"۲»، و كلاهما مراد بيانه، و الأول أولى لأنه طريق إلى الثانى الذى هو الغاية من الأمرين، قال ابن كثير فى قوله سبحانه و تعالى ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنا بَيانَهُ: أى بعد حفظه و تلاوته، نبينه لك و نوضحه، و نلهمك معناه على ما أردنا و شرعنا «"۳».

و ثانى فائدة تؤخذ من هذه الآيات مما يتعلق باللفظ:

أن الحفظ للألفاظ مقدم على استلهام المعنى و بيانه «۴»، و هى القاعدة المستنتجة من قوله عزّ و جل ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنا بَيانَهُ، فليس المعنى سابقا للحفظ، و المراد ليس إيجاد المعنى: إذ هو قبل اللفظ فى حيز العدم و الخفاء، و ليس المراد استحضاره فى الذهن، و هو يدل من جهة أخرى على أهمية ضبط اللفظ، لا على ما زعم من أن المعانى الأولية هى المقصودة بقطع النظر عن قالبها، و هى ما سمى أصوليا بالمعانى الثانوية «۵»، ثم كانت هذه التسمية، و ذا التقسيم سببا فى التهوين من الجانب اللفظى للكلمات ... و بذا استبان غرور من ادعى سبق الاهتمام بالمعنى، و قد يسلّم فى أن المعنى يسبق اللفظ من حيث الوجود النفسى، و لكن الكلام هنا عن معنى موجود فى الخارج عبّر عنه بلفظ ... فأنّى له أن يعرف دون عبور ممره الموصل إليه و هو اللفظ؟، و هذا (۱) حاشية الصاوى ۳/ ۳۵۴، مرجع سابق.

(۲) تهذيب مدارج السالكين ۱/ ۷۰، مرجع سابق.

(۳) تفسير القرآن العظيم ۴/ ۳۸۳، مرجع سابق.

(۴) و هو ما رجحه العلماء فى فهم الآية كما سبق، على أن الترجيح فرع التضاد، و لا تضاد بحمد اللّه ...

(۵) و استنتج البعض هذا من فهم خاطئ لكلام الإمام الشاطبى فى الموافقات ۲/ ۶۶، مرجع سابق، فإنه إنما مهد بكلامه ذاك عن

مسألة الترجمة للقرآن.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۲۳

هو حال ألفاظ القرآن الكريم، إذ لا يعرف المعنى الذى يريده اللّه سبحانه و تعالى فى كلامه إلا بمعرفة لفظه، و لفظه هو سبحانه و تعالى لا لفظ غيره، و هذا على القول بأن ثُمَّ فى قوله سبحانه و تعالى ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنا بَيانَهُ للتراخى الزمنى، إما على القول بأنها للتراخى الرتبى ... فلا تنخرم القاعدة كليا لكنها تعدل بحيث يقيد بيان المعنى بملازمة إتقان اللفظ إذ هو طريقه.

و لعل هذا المعنى هو الذى يسوغ تعليم الصبيان ألفاظ القرآن، و تحفيظهم إياها، و إن لم يتقنوا معناها.

كما لا ينافى هذا التأويل ما أورده ابن جرير عن ابن عباس رضى اللّه عنه: كان لا يفتر من القرآن مخافة أن ينساه فقال اللّه لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ (۱۶) إِنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ أن نجمعه لك وَ قُرْآنَهُ أن نقرئك فلا تنسى «"۱»؛ فإنها مؤيدة لما سبق مكملة له ففيها التأكيد على تكفل اللّه عزّ و جلّ بحفظ كتابه من حيث العموم، بالإضافة إلى ما نبأت به الروايات الأولى فى هيئات حفظ كتابه من حيث الخصوص (خصوص التلقى فى كل مرة) و انظر ما سيأتى فى بند تكرار المحفوظ «۲».

المطلب الخامس: من دلالات الحديث الخاصة:

۱- تحريك الفم:

فالقراءة النفسية لا وجود لها، أو لا تسمى قراءة عند الإطلاق «۳». و لا يعترض على هذا بأنه: منتقض بأن القرآن ذكر، فيكون فى النفس، كالقول؛ إذ قال اللّه سبحانه و تعالى: وَ يَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْ لا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِما نَقُولُ "المجادلة/ ۸، "لأن القراءة مرتبة أعلى من القول من حيث تحريك الفم (۱) تفسير الطبرى ۲۹/ ۱۹۰، مرجع سابق.

(۲) انظر: المبحث الثامن من هذا الفصل.

(۳) و لذا بوب الإمام البيهقى فى سننه الكبرى ۷/ ۳۵۰، مرجع سابق ":باب الرجل يطلق امرأته فى نفسه و لم يحرك به لسانه."

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۲۴

(الشفتين و اللسان)، و لذا قال اللّه سبحانه و تعالى وَ إِذا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَ أَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ "الأعراف/ ۲۰۴، "و لم يقل (و إذا قيل)، و يدل له: أنه كان يمكن أن لا ينازع الصحابة رسول فى القراءة فى الصلاة لو قرءوا فى أنفسهم، و سمى فعلهم قراءة، و لكنه أبى عليهم، إذ القراءة لا بد فيها من تحريك الفم، بل و إسماع النفس على الأقل عند بعض الفقهاء «۱» ... و قد يقال كل ما ذكر معارض ... فيجاب حينئذ بأن القراءة النفسية- إن وجدت- لا بد من تقييدها بذلك، و لا يكفى فيها الإطلاق.

و قوله: (فأنا أحركهما) دلالة على أن القراءة لا تسمى كذلك إلا بتحريك الشفتين، و يدل على ذلك آية القيامة لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ و آية طه ... وَ لا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضى إِلَيْكَ وَحْيُهُ ...، إذ يلمح منها ضرورة تحريك اللسان فى حفظ القرآن إذ النهى مؤقت بقراءة المعلم.

و نأخذ منه أيضا أفضلية استجماع القلب و الإنصات التام للسماع الأول من الشيخ، لتكون خطوات لازمة من خطوات تلقى القرآن، و قراءته، و حفظه.

و من بواعث تحريك الفم عند قراءة القرآن: الحفظ، و خشية النسيان، و حب القرآن ... و من أسرار ذلك: تهييج اللسان لإظهار استسلامه للّه، و حركته فى طاعة اللّه عزّ و جل سبحانه و تعالى و مبادرته فى المشاركة فى إظهار كلام اللّه عزّ و جل ... فيشترك القلب، و اللسان، ثم الجوارح بالعمل فى إجلال كلام اللّه سبحانه و تعالى، و قال ابن حجر فى تجلية عمل اللسان فى إحياء البواعث المذكورة ":قوله: (فيشتد عليه) ظاهر هذا السياق أن السبب فى المبادرة حصول المشقة (۱) انظر: (المهدى) أحمد بن يحيى المرتضى

ت ۸۴۰ ه: البحر الزخار الجامع لمذاهب علماء الأمصار، و بهامشه: جواهر الأخبار و الآثار المستخرجة من لجة البحر الزخار للعلامة محمد بن يحيى بن بهران الصعدى ت ۹۵۷ ه، أشرف عليها: عبد اللّه محمد الصديق، و عبد الحفيظ سعد عطية، دار الكتاب الإسلامى- القاهرة، و انظر: د. مصطفى ديب البغا: التحفة الرضية فى فقه السادة المالكية ص ۴۰، شرح و أدلة و تكملة متن العشماوية، ط ۱، ۱۴۱۲ ه- ۱۹۹۲ م، دار ابن كثير، دمشق- بيروت.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۲۵

التى يجدها عند النزول فكان يتعجل بأخذه لنزول المشقة سريعا، و بين فى رواية إسرائيل: (أن ذلك كان خشية أن ينساه، حيث قال: فقيل له لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسانَكَ تخشى أن ينفلت)، و أخرج بن أبى حاتم من طريق أبى رجاء عن الحسن: (كان يحرك به لسانه، يتذكره، فقيل له: إنا سنحفظه عليك)، و للطبرى من طريق الشعبى: (كان إذا نزل عليه عجل يتكلم به من حبه إياه)، و ظاهره أنه كان يتكلم بما يلقى إليه منه أولا فأولا من شدة حبه إياه فأمر أن يتأنى إلى أن ينقضى النزول، و لا بعد فى تعدد السبب «"۱»».

و تعدد السبب مع اتحاد المقتضى (التحريك) موجب منهجيا اعتماد تحريك الفم عند إرادة تحقيق أحد تلك البواعث (الخوف، و الإشفاق، و الحب).

۲- أخذ النفس بالشدة فى قراءة القرآن و حفظه:

أما فى القراءة فحديث التعتعة: عن عائشة- رضى اللّه تعالى عنها- قالت: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم: (الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة و الذى يقرأ القرآن و يتتعتع فيه و هو عليه شاق له أجران) «۲»، و الماهر لا تظهر مهارته إلا بعد الدربة، فينهار بناء من بنى سهولة أخذ القرآن على عربيته أى أن حفظه سهل لمجرد كونه عربيا، و عدم الحاجة إلى الكلفة فى تعلمه؛ إذ قد اتضحت ضرورة الكلفة للقسمين المذكورين فى حديث التعتعة.

و أما فى الحفظ فظاهر ذلك فى حديث المعالجة.

و أما فى المراجعة ففى أحاديث التفلت «۳». فلا بد من أخذ النفس بشىء من الشدة فى قراءة القرآن، و حفظه، و مراجعته.

و المقتضى المنهجى لهذه الشدة: إعطاء قراءة القرآن، و حفظه، و تلاوته، و مراجعته، حجمها الحقيقى دون هضم، أو تقليل من حجمها، إذ معظم الحالات الواقعة فى حياة (۱) فتح البارى ۸/ ۶۸۲، مرجع سابق.

(۲) صحيح مسلم ۱/ ۵۴۹، مرجع سابق.

(۳) انظر: المبحث الخامس من هذا الفصل.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۲۶

حفاظ القرآن فضلا عن بقية أمة القرآن التهوين من ذلك إما تكاسلا، أو تهاونا، أو هروبا من الإغراق فى مفهوم البركة! فيقلل البعض من العزيمة فى معالجة الوحى القرآنى قراءة، أو حفظا، أو مراجعة، لئلا يهول مفهوم البركة على مفهوم بذل الأسباب، أو الاطلاع على بقية كتب أهل العلم، أو التوسع فى معرفة الثقافات العصرية ... و هذه مسألة بحاجة إلى مزيد تدبر دون شطط.

و لا ينافى هذا قوله سبحانه و تعالى وَ لَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ "القمر/ ۱۷» كما تقدم «۱»، و لما هو ظاهر أن القرآن ميسر للذكرى، و لا علاقة لذا مع موضوع الحفظ، و حديث التعتعة المذكور آنفا صريح فى هذا التقرير.

۳- مخارج الحروف هى الخمسة المشهورة:

فلا يستدل بآية القيامة لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسانَكَ على أن اللسان هو المخرج الوحيد، و لذا ذكر فى حديث المعالجة (الشفتين)، قال ابن

حجر ":قوله: (و کان مما یحرک به لسانه و شفتیه) اقتصر أبو عوانهٔ علی ذکر الشفتین، و کذلک إسرائیل، و اقتصر سفیان علی ذکر اللسان، و الجمیع مراد إما لأن التحریکین متلازمان غالبا، أو المراد یحرک فمه المشتمل علی الشفتین و اللسان لکن لما کان اللسان هو الأصل فی النطق اقتصر فی الآیهٔ علیه «"۲».

و یقال علی السیاق نفسه: و اقتصر علی الشفتین و اللسان لأنهما الظاهران للعیان، بخلاف الحلق و الجوف و الخیشوم. (۱) انظر: المبحث الخامس من هذا الفصل.

(۲) فتح الباری ۸/ ۶۸۴، مرجع سابق.

تلقی النبی ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۲۷

المبحث السابع: التلقی (و التلقین):

اشارهٔ

یحلل هذا المبحث مصطلح (التلقی)، و لذا فهو یتکون هذا المبحث من خمسهٔ مطالب:

المطلب الأول: تعریفه.

المطلب الثانی: القرآن تلقین و لیس إلهاما.

المطلب الثالث: حکم التلقین.

المطلب الرابع: قواعده.

المطلب الخامس: المقتضی المنهجی لأسلوب تلقی النبی صلی اللّه علیه و سلم.

المطلب الأول: تعریفه:

التلقی فی الوضع اللغوی:

اشارهٔ

مأخوذ من الإلقاء، و یظهر فی الإلقاء کونه حسیا مشاهدا سواء کان قولا یلقی باللسان، أو شیئا یلقی بالید، أو بغیر ذلک، فقد ذکر ابن الأثیر فی النهایهٔ للإلقاء عشرهٔ معان: خمسهٔ منها صریحهٔ فی الإلقاء الحسی، و منه قولهم: ما لی أراک لقا بقا؟، فاللقی: الملقی علی الأرض، و ما بعده إتباع له، و معنیان صریحان فی عودته للخطاب حین مجیئه من جههٔ لأخری، و ثلاثهٔ معان منها تعود إلی الإلقاء الحسی من حیث کون أصلها واقعا بالقول، و هو فعل محسوس، و منه قولهم: ما یلقی لها بالا: أی ما یحضر قلبه لما یقوله منها: و البال: القلب «۱».

و تحصل من مفاهیم الإلقاء فی الوضع اللغوی الدلالات التالیهٔ:

۱) أنه حسی

، فلیس أمرا معنویا، و هو ما یضاد الإلهام من حیث الأصل، فالإلهام شیء معنوی اعتباری. (۱) انظر: النهایهٔ فی غریب الحدیث و الأثر

۴/ ۲۶۶، مرجع سابق، و کذلک: مختار الصحاح ۶۰۳، مرجع سابق.

تلقی النبی ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۲۸

۲) أنه یعتمد علی القول المحسوس

عنـد کون الإلقـاء إلقـاء الکلام، کما فی قوله عزّ و جل فَأَلْقَوْا إِلَیْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّکُمْ لَکاذِبُونَ "النحل/ ۸۶، "فیکون کذلک من الملقی، و هو کذلک من المتلقی، کما فی قوله تعالی إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِکُمْ "...النور/ ۱۵، "فلا یعقل أن یکون إلقاء الکلام، و لا تلقیه أمرا معنویا محضا لغـة ... هذا خلف من القول تأباه طبیعة الوضع اللغوی، فإذا ورد ما یدل علی أنه معنوی، فإما أن یکون ذلک علی سبیل المجاز، أو هو معتمـد علی إلقـاء حسـی، کقولهم: نعی إلیه فلاـن فمـا ألقی لـذلک بالاـ؛ فإن المراد: ما اسـتمع له، و لا اکترث به «۱»، و ذلک صریح استعماله مجازا لا یعلم معناه دون العلم بالإلقاء الحسی، فهو أصله.

۳) یستعمل إلقاء القول استعمالا لغویا خاصا فی التعلیم

، و تلقیه فی التعلم، و التواصـی ... و همـا حسـیان من حیث الأصـل، و منه قوله تعالی وَ لا یُلَقَّاها إِلَّا الصَّابِرُونَ "القصـص/ ۸۰، "أی ما یعلمها، و لا ینبه علیها، و منه قوله سبحانه و تعالی فَتَلَقَّی آدَمُ مِنْ رَبِّهِ کَلِماتٍ "...البقرة/ ۳۷ «"۲».

۴) یصـاحب الإلقـاء و التلقی عرفـا لغویـا حضـور القلب، فلاـ یکـون مباغتـا، غیر متهیأ له، و ذلـک واضـح ممـا سـبق من سـرد لبعض الاستعمالات اللغویة المختلفة للإلقاء ... و ذلک یعنی الفهم و حسن الأخذ.

و التلقین هو الإلقاء فی کل ذلک إلا أنه خاص لغة بالکلام المتعلم.

و لا بد من الحسن فی الإلقاء و التلقی، و إلا لم تطلق علیه هذه الکلمة؛ و لذا یقال:

فلان لقن إذا کان حسن التلقی لما یسمعه «۳». (۱) انظر: النهایة فی غریب الحدیث و الأثر ۴/ ۲۶۶، مرجع سابق.

(۲) انظر: النهایة فی غریب الحدیث و الأثر ۴/ ۲۶۶، مرجع سابق.

(۳) انظر: (الزمخشـری) جـار اللّه محمود بن عمر: الفـائق فی غریب الحـدیث ۳/ ۳۲۵، تحقیق: محمـد أبو الفضـل إبراهیم، علی محمد البجاوی، ط ۲، توزیع دار الباز.

تلقی النبی ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۲۹

و هـذه المعـانی کلهـا تجتمـع فی تلقی النـبی صـلی اللّـه علیه و سـلم ألفـاظ القرآن الکریم من جبریـل علیه السـلام، فهـو إلقـاء و تلق محسوسـین، بین جهتین اعتمدتا القول، حال کونهما حاضـری القلب، یعتمد الأخذ بینهما علی القول لا غیره من أنواع الإیحاء، مطبقین فی ذلک ضوابط العملیة التعلیمیة و التعلمیة.

و یظهر ذلک بینا بلا خفاء عند الجمع بین الوصف العام لأخذ النبی صـلی اللّه علیه و سلم ألفاظ القرآن الکریم من جبریل علیه السلام بأنه تعلم کما فی قوله سـبحانه و تعالی عَلَّمَهُ شَدِیدُ الْقُوی النجم/ ۵، "و بین الوصف الخاص لـذلک بأنه تلق کما فی قوله عزّ و جل وَ إِنَّکَ لَتُلَقَّی الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَکِیمٍ عَلِیمٍ "النمل/ ۶."

و لاـ بـد من التأکیـد علی ملاحظـة بارزة فی العرف القرآنی لدلالـة الإلقاء و التلقی، هی أن الإلقاء لم یسـتعمل فی العرف القرآنی إلا للأمر المحسوس، و هذا یعطی التصور الأولی لمفهوم إلقاء ألفاظ القرآن من جبریل علیه السـلام للنبی صـلی اللّه علیه و سـلم، فتذهب الظنون العلمیة التی تنافی ذلک فی مکانها من التوهمات المحضة.

التلقی فی الوضع الاصطلاحی:

اشارة

هو عبارة عن الهيئة المنهجية الشرعية لتعليم الألفاظ القرآنية بأن يقرأ الشيخ الآية، و يتلقاها الطالب عنه بسمعه و فؤاده، فالتلقى بهذا هو العملية المكملة لعملية التلقين إذ التلقين من الشيخ، و التلقى من الطالب، كما قال البخارى- رحمه اللّه تعالى "-:قال معمر «۱»: وَ إِنَّکَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَکِيمٍ عَلِيمٍ "النمل/ ۶ "أى يلقى عليك و تلقاه أنت أى تأخذه عنهم، و مثله فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِماتٍ "... البقرة/ ۳۷ «"۲».

و قال أبو عبيدة ":و تلا علينا أبو مهدى آية فقال: تلقيتها من عمى، تلقاها عن أبى هريرة رضى اللّه عنه تلقاها عن النبى صلى اللّه عليه و سلم و قال فى قوله عزّ و جل وَ لا يُلَقَّاها إِلَّا الصَّابِرُونَ (۱) عنى بمعمر هنا أبا عبيدة معمر بن المثنى اللغوى، انظر: مجاز القرآن، لا معمر بن راشد شيخ عبد الرزاق.

(۲) صحيح البخارى ۶/ ۲۷۲۱، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۳۰

"القصص/ ۸۰: "أى لا- يوفق لها، و لا يلقنها، و لا يرزقها، و حاصله أنها تأتى بالمعانى الثلاثة، و أنها هنا صالحة لكل منها، و أصله اللقاء، و هو استقبال الشيء، و مصادفته «"۱».

فإذا قيل (الهيئة الشرعية لتعليم القرآن الكريم)، أو أطلق أحدهما (التلقى أو التلقين) دخل فيه الآخر ضمنا.

فإن اعترض بالقول: لم لا يستخدم مصطلح التعليم بدل التلقين؟.

فالجواب: أن التلقين أخص من التعليم، و وجه خصوصيته فى غاية الأهمية فى تعليم ألفاظ القرآن الكريم؛ إذ:

الفرق بين التعليم و التلقين:

۱- أن التلقين يكون فى الكلام فقط، و التعليم يكون فى الكلام و غيره، تقول: لقنه الشعر، و لا- تقول لقنه التجارة، و الخياطة، كما يقال علمه فى جميع ذلك.

۲- التعليم يكون فى المرة الواحدة، و التلقين لا يكون إلا فى المرات.

۳- التلقين هو مشافهتك الغير بالتعليم، و إلقاء القول إليه ليأخذه عنك، و وضع الحروف مواضعها، و التعليم لا يقتضى ذلك، و لهذا لا يقال: إن اللّه يلقن العبد، كما يقال إن اللّه يعلمه «۲».

و قد ورد تلقى النبى صلى اللّه عليه و سلم ألفاظ القرآن الكريم موصوف بالأمر العام، و هو التعليم فى قوله عزّ و جل عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوى النجم/ ۵، "و موصوفا بالأمر الخاص و هو (التلقى) وَ إِنَّکَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَکِيمٍ عَلِيمٍ "النمل/ ۶ "لغايات لن يكون من أهمها: نفى الإلهام فى تلقى النبى صلى اللّه عليه و سلم، و إثبات المشافهة صيغة وحيدة للتعليم القرآنى من حيث اللفظ. (۱) (أبو عبيدة) معمر بن المثنى ت ۲۱۰ ه: مجاز القرآن عند ذكر سورة البقرة ۱/ ۳۸، و سورة النمل ۲/ ۹۱، حققه د. محمد فؤاد سزكين، ط ۱، الخانجى الكتبى بمصر ۱۹۵۴ م.

(۲) انظر: (العسكرى) أبو هلال الحسن بن عبد اللّه بن سهل بن سعيد ت بعد ۳۹۵ ه: الفروق فى اللغة ص ۷۵.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۳۱

المطلب الثانى: القرآن تلقين و ليس إلهاما «۱»:

فهو تعلیم مباشر (تلقین) و لیس إلهاما:

إذ قد تنوعت وسائل الوحی کما قال ابن قتیبة- رحمه اللّه تعالی "-:کل شیء دللت به عن کلام، أو کتاب، أو إشارة أو رسالة، و ذکر له معان فی القرآن: الإشارة، و الإیماء، و الإلهام، و الإعلام فی المنام، و الإعلام بالوسوسة من الشیطان، و الأمر ... ثم قرر أن معناه فی خصوص الوحی بالقرآن التلقین من جبریل علیه السلام للنبی صلی اللّه علیه و سلم، و نص قوله فی قوله سبحانه و تعالی وَ أُوحِیَ إِلَیَّ هـذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَکُمْ بِهِ وَ مَنْ بَلَغَ "الأنعام/ ۱۹ ":"فهذا إرسال جبریل علیه السلام بالقرآن «"۲» زاد فی فتح الباری من معانی الوحی: الإعلام فی خفاء، و الکتابة، و المکتوب، و التصویت شیئا بعد شیء- قال- و قیل أصله التفهیم، و کل ما دللت به من کلام، أو کتابة، أو رسالة، أو إشارة فهو وحی، و شرعا: الإعلام بالشرع، و قد یطلق و یراد به اسم المفعول منه أی الموحی، و هو کلام اللّه المنزل علی النبی صلی اللّه علیه و سلم «۳» فمدار الحدیث فی هذا المبحث حول حالة خاصة من الوحی بمعناه المصدری هو الإعلام و التفهیم بالتصویت شیئا بعد شیء، و ذلک أعم من أن یتمثل له الملک رجلا، و حول حالة خاصة الوحی بمعنی اسم المفعول و هو القرآن و المراد کیفیة تلقی الرسول صلی اللّه علیه و سلم لألفاظه.

و یلاحظ أن المدلول اللغوی للوحی یوضح طبیعته: فلا تراه عین غیر الموحی إلیه، و لا تسمعه أذن غیره کذلک ... و یمکن أن یدرک ببساطة أن المدلول اللغوی للوحی یشیر إلی أن ثم نوعا منه لا تسمعه الأذن المعتادة، و لا العین المعتادة، و یصل إلی مرکز الإبصار، و مرکز السمع مباشرة، و یمکن التعبیر عنه من (۱) انظر: حدیث المعالجة فی المبحث السادس من هذا الفصل.

(۲) (ابن قتیبة) أبو محمد عبد اللّه بن مسلم بن قتیبة الدینوری (ت ۲۷۶ ه-): تأویل مشکل القرآن ص ۴۸۹، شرحه و نشره: السید أحمد صقر- المکتبة العلمیة.

(۳) فتح الباری ۱/ ۱۵، مرجع سابق.

تلقی النبی ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۳۲

خلال المعانی السابقة للوحی بالقول: التفهیم و الإعلام بالتصویت شیئا بعد شیء، و لذا لما أراد جبریل علیه السلام أن یستعلن للناس کان لا بد من تمثله بصورة البشر، بخلاف الصورة الأشد للوحی، فإنه لا یستعلن، بل یکون خفیا، و لکنه محسوس للنبی صلی اللّه علیه و سلم، و الصحابة إنما یرون آثاره- کما سبق- فلذا قال صلی اللّه علیه و سلم: (هذا جبریل جاء یعلمکم دینکم) فلما أراد جبریل علیه السلام أن یعلمهم کان لا بد من أن یتمثل لهم بشرا تدرک عیونهم صورته، و تدرک أسماعهم صوته کما تقدم فی الفصل الثانی مفصلا.

و لیس تعلیم جبریل علیه السلام الرسول صلی اللّه علیه و سلم بالتصویت شیئا بعد شیء مسألة فرعیة

بل هی مسألة من مسائل الأصول، یذکرها العلماء فی کتب العقائد، فقد جاء فی العقیدة الطحاویة عند قول الإمام الطحاوی- رحمه اللّه تعالی "-:نزل به الروح الأمین، فعلمه سید المرسلین "قال الشارح ":تصریح بتعلیم جبرائیل إیاه إبطالا لتوهم القرامطة و غیرهم أنه تصوره فی نفسه إلهاما «"۱».

و من أدلة کون الوحی القرآنی تلقینا:

۱- قوله سبحانه و تعالی: وَ إِنَّکَ لَتُلَقَّی الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَکِیمٍ عَلِیمٍ "النمل/ ۶."

۲- قوله عزّ و جل: فَإِذا قَرَأْناهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ "القیامة/ ۱۸؛ "ففیها الأمر بالاستماع و الانصات؛ إذ الاستماع و الإنصات للملک ینافی الإلهام الذی یقع فی النفس دون استماع لأحد، و ینظر المبحث السابق فی معنی الآیة.

۳- قوله سبحانه و تعالى: سَنُقْرِئُکَ فَلا تَنْسى الأعلى/ ۶؛ "إذ الإقراء ينافى الإلهام منافاة لغوية و شرعية.
۴- أول لقاء لجبريل عليه السلام بالنبى صلى اللّه عليه و سلم فى غار حراء؛ إذ أقرأه و لم يلهمه، بل أكد له الإقراء بضمه إليه. (۱) شرح الطحاوية ۳۱۵، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۳۳

۵- حديث الحارث بن هشام المتقدم «۱»؛ إذ حالتا الوحى المذكورتان تنافيان الإلهام.
۶- و يدل على ذلك الباء فى قوله سبحانه و تعالى نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ "الشعراء/ ۱۹۴ "إذ هى: للملابسة، و الجار و المجرور متعلق بمحذوف حال، كأنه قال: نزل فى حلل ملابسة له على حد خرج زيد بثيابه «۲»، و لو كان إلهاما لما احتيج للنزول به.
۷- حديثا المعالجة «۳» و المدارسة «۴».

المطلب الثالث: حكم التلقين:

اشارة

يجب التزامه منهجا وحيدا فى تعليم ألفاظ القرآن الكريم، و نبذ ما سواه من حيث التقعيد العام «۵»، و يؤكد هذا الحكم أسلوب أخذ النبى صلى اللّه عليه و سلم القرآن عن جبريل عليه السلام؛ إذ كان النبى صلى اللّه عليه و سلم فى ابتداء الأمر إذا لقن القرآن نازع جبريل عليه السلام القراءة، و لم يصبر حتى يتمها مسارعة إلى الحفظ ... قاله الحسن و غير واحد «۶»، و قد جاء فى رواية ابن أبى حاتم: يتلقى أوله، و يحرك به شفتيه خشية أن ينسى أوله قبل أن يفرغ من آخره، و تفصيل الاستدلال أن يقال: (۱) انظر: الفصل الثانى- المبحث الثالث.

(۲) حاشية العلامة الصاوى على تفسير الجلالين ۳/ ۲۲۴، مرجع سابق.

(۳) انظر: المبحث السادس من هذا الفصل.

(۴) انظر: المبحث التاسع من هذا الفصل.

(۵) و لم يكن استدلال صاحب كتاب الحلقات القرآنية على وجوب التلقين وسيلة وحيدة فى تعليم القرآن الكريم، و تعلمه موفقا؛ إذ حصر الأمر فى دائرة (ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب) و ذلك مما يضعف الحكم، و يجعل الاستدلال على أصل القضية مضيعا لها. انظر: عبد المعطى محمد رياض طليمات: الحلقات القرآنية، دراسة منهجية شاملة، ط ۱، ۱۴۱۷ ه- ۱۹۹۷ م، إصدار برنامج تحفيظ القرآن الكريم- جدة.

(۶) فتح البارى ۸/ ۶۳۳، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۳۴

كان الوعد بجمع القرآن فى صدر النبى صلى اللّه عليه و سلم أولا، ثم بقراءته كما أنزل إليه، و كما سمعه من جبريل عليه السلام ثانيا فى قوله- تعالى ذكره- إِنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ (۱۷) فَإِذا قَرَأْناهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ (۱۸) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنا بَيانَهُ "القيامة/ ۱۷- ۱۹، "وعدا من اللّه عزّ و جل، فقد صار حقا على اللّه سبحانه و تعالى فعل ذلك ... فليس للقدرة الملائكية التى يتمتع بها جبريل عليه السلام دخل فى ذاک، و لا أسند الأمر للقدرة البشرية، و هذا دال على مقدار الاعتناء و عظمة الاهتمام و شدة التوقيف فى تلقى لفظ القرآن الكريم.
- و إن كان الوعد إلهى كذلک: فما فائدة إقراء جبريل عليه السلام له؟ أما كان كافيا جمع اللّه سبحانه و تعالى القرآن فى صدر النبى صلى اللّه عليه و سلم إلهاما أو قذفا إلى قلبه بالقدرة الإلهية التى وسعت كل شىء؟.
و الجواب: هاهنا أعظم دليل على وجوب التزام منهج التلقى و التلقين كأساس للمنهجيات التعليمية فى إقراء ألفاظ القرآن الكريم ...

فلا وزن لرسم "خط "المصحف، و لا للغة، و لا لتعلم فردى أحادى دون شيخ (سند) ... فى تلقى لفظ القرآن الكريم ... و لو لم تكن هذه الحكمة، فما كان فائدة إلقاء جبريل عليه السلام القرآن للنبى صلى اللّه عليه و سلم قراءته، و نزوله بالقرآن (على) و ليس فى- قلب محمد صلى اللّه عليه و سلم؟ مع أن الإلهام لا يستدعى النزول.

و منه نأخذ جلالة الركن الأعظم فى تعلم القرآن و قبول قراءة لفظ لتعد قرآنا، و هو السند المقبول قرائيا الضامن للمشافهة.

– و يتضح من هنا أمر آخر هو: أن جبريل عليه السلام لم يعلّم النبى صلى اللّه عليه و سلم بتلاوته عليه الهيئات الخارجية للأحرف

(و المراد تركيب الحروف المعروف)، و الهيئات الداخلية (الهيئات الصوتية للحرف الواحد)، و الهيئات اللازمة عند تركيب كلمة بكلمة و حرف بحرف، و هيئات الوقف و الابتداء، و نحو ذلك من

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۳۵

أحكام التلاوة، و تفصيلات علم القراءة و التجويد «۱» ... لم يفعل جبريل عليه السلام ذلك إلقاء و قراءة و إقراء للفظ القرآنى إلا ليقرأها النبى صلى اللّه عليه و سلم على أصحابه و الناس أجمعين كذلك، ثم تتناقلها الأجيال كذلك، فلا يأتى متقول بعد ذلك فيركب من كلمتين أو أكثر لفظا جديدا أو معنى جديدا فيقرأ به ما دام الإجماع السابق فى التلقى، و الفهم عند السابقين لمعنى الآية ينافيه (بخلاف ما إذا دخل ضمنه أو وضحه)، و ذلك كمن يركب معنى جديدا فى قوله- تعالى ذكره- وَ إِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ "الممتحنة/ ۱، "و يستحل قراءتها كذلك زاعما أنه لا يوجد دليل ملزم لقراءتها كما تلقيت، أو كمن يركب من قوله عزّ و جل لِلرِّجالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوالِدانِ وَ الْأَقْرَبُونَ وَ لِلنِّساءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوالِدانِ وَ الْأَقْرَبُونَ "النساء/ ۷ "معنى جديدا؛ بأن يقرؤها: لِلرِّجالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوالِدانِ و يسكت، ثم يقول وَ الْأَقْرَبُونَ وَ لِلنِّساءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوالِدانِ وَ الْأَقْرَبُونَ؛ إذ التلقى مفسد لهذه القراءة المبتدعة.

و يبين ما سبق من تفصيل ما تقدم من معنى قوله سبحانه و تعالى فَإِذا قَرَأْناهُ «۲»: أى:

عليك بقراءة جبريل عليه السلام ... فكان وعدا إليها بأن يكرره النبى صلى اللّه عليه و سلم كقراءة جبريل عليه السلام.

فإن اعترض بأنه: قد يعترى قراءة جبريل عليه السلام الخلل ... فلما ذا ارتكاب تأويل قَرَأْناهُ أى بقراءة جبريل عليه السلام ... و لم لا يكون الإلهام الربانى بديلا عن استماع جبريل عليه السلام؟. (۱) المراد هنا التقعيد العام، لا التفصيلى، و إلا فثمّ تفاوت فى مقدار التوقيف بين ما ذكر من حيث التفصيل، ففى الوقف و الابتداء لا شك أن النبى صلى اللّه عليه و سلم كان يلاحظ جبريل عليه السلام فيه، و كذا الصحابة مع نبيهم، و العادة جارية بذلك كما يلاحظ فى حفظة القرآن مع مشايخهم، و الدواعى متوافرة عليه، و قد كانوا يلاحظون ما دونه ... و لكن التوقيف فيه عام لا تفصيلى.

(۲) انظر: حديث المعالجة فى المبحث السادس من هذا الفصل.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۳۶

فالجواب: تظهر حكمة بالغة من التعبير عن قراءة جبريل عليه السلام على النبى صلى اللّه عليه و سلم بلفظ قَرَأْناهُ؛ إذ لم يقل قرأه جبريل عليه السلام، و ذلك ليكون من قبيل إسناد ما هو للمأمور للآمر «۱»، فقوله ":فَإِذا قَرَأْناهُ أى إذا قرأه جبريل عليه السلام عنا فأسندت القراءة إلى ضمير الجلالة على طريقة المجاز العقلى و القرنية واضحة «"۲» ... نفيا لأى حدس، أو تخمين، أو بارقة تتلجلج فى الصدور عن عدم إتقان جبريل عليه السلام للقراءة كما أرادها اللّه سبحانه و تعالى من حيث هيئاتها الصوتية المصاحبة (الداخلية و المشتركة) «۳» فضلا عن الألفاظ فى ذاتها فأوجز لنا فى قَرَأْناهُ إخباره عزّ و جل بإزالة دخل شيطان قد يطرأ عند تحليل الموقف القرآنى بين جبريل عليه السلام و النبى صلى اللّه عليه و سلم إذ كان القارئ هو اللّه سبحانه و تعالى بإسناد القراءة إليه ... و يقرّب هذا بأن يقال: كأن أداء جبريل عليه السلام لألفاظ القرآن الكريم عبارة عن مسجلة تعيد ما تكلم اللّه عزّ و جل به، و جبريل عليه السلام كأنه مسجل

يعيد ما تكلم اللّه- تعالى ذكره- به ... دون زلل أو خطل فى أدق الهيئات الأدائية للحرف فيما خلا الصفة الإلهية المنزهة عن التمثيل و التخيل ... فيقرأه جبريل عليه السلام كما نقله عن اللّه- تعالى ذكره- كما تنقل المسجلة، فجعل اللّه- تعالى ذكره- إقراء جبريل عليه السلام على النبى صلى اللّه عليه و سلم إقراء من اللّه- تعالى ذكره- لنبيه صلى اللّه عليه و سلم لشدة دقة جبريل عليه السلام فى بيانه للأحرف؛ إذ هو الواسطة بين اللّه و رسوله محمد صلى اللّه عليه و سلم ينقله كما أقرأه اللّه عزّ و جل له تماما لكل حرف، و أحسن تفصيلا لكل كلمة.

و فى هذا يقول ابن كثير ":و أن ييسره على الوجه الذى ألقاه إليه «"۴»، و قال الزمخشرى ":جعل قراءة جبريل عليه السلام قراءته" «۵»، و قال الآلوسى ":أتممنا قراءته عليك بلسان (۱) حاشية الصاوى، و بهامشه تفسير الجلالين ۳/ ۳۵۴، مرجع سابق.

(۲) انظر: التحرير و التنوير ۲۹/ ۳۴۹، مرجع سابق.

(۳) المراد بالمشتركة الصوت المصاحب للحرف عند التقائه حرفا آخر فى كلمته أو فى كلمة أخرى، كالإدغام مثلا.

(۴) ابن كثير ۴/ ۳۸۳، مرجع سابق.

(۵) الكشاف ۴/ ۱۶۵، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۳۷

جبريل عليه السلام المبلغ عنا «"۱»، و فى المقابل فقد ضمن اللّه عزّ و جل قراءة النبى صلى اللّه عليه و سلم ألفاظ القرآن كما أنزله اللّه سبحانه و تعالى، و بالهيئة التى سمعها من جبريل عليه السلام، كما قال فى الجلالين ":فكان صلى اللّه عليه و سلم يسمع ثم يقرؤه" «۲»، و لذا قال ابن عباس رضى اللّه عنه كما فى البخارى ":فكان إذا أتاه جبريل عليه السلام أطرق فإذا ذهب قرأه كما وعده اللّه عزّ و جلّ «"۳».

و هاهنا مسألة مهمة:

إذ الآية حوت الأمر الإلهى بإعادة المقروء كما قرأه جبريل عليه السلام، كما حوت الضمان الإلهى بذلك أيضا، و الثانى و هو الضمان تقدم ما يثبته من فهم العلماء للآية، و الأول قال عنه ابن كثير: فَإِذا قَرَأْناهُ أى إذا تلاه عليك الملك عن اللّه تعالى فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ أى فاستمع له ثم اقرأه كما أقرأك «"۴»، و قد يسر اللّه عزّ و جل ذلك عليه.

المطلب الرابع: قواعد التلقى و التلقين:

اشارة

من خلال ما سبق يمكن إجمال قواعد التلقى و التلقين فى:

۱- قراءة الشيخ على الطالب

، و هو ما كان جبريل عليه السلام يفعله مع النبى صلى اللّه عليه و سلم (السماع من لفظ الشيخ).

۲- إنصات الطالب لشيخه

عند استماعه قراءته، و هو ما أمر به النبى صلى اللّه عليه و سلم.

۳– استماع الطالب من شيخه

، استماع أذن و فؤاد، و هو ما أمر به النبى صلى اللّه عليه و سلم.

۴– إعادة الطالب المقروء

اشارة

الذى قرأه الشيخ على الطالب، و هو ما أمر به النبى صلى اللّه عليه و سلم.

و هاهنا سؤال متعلق بهذه القاعدة:

إذ نرى نبينا صلى اللّه عليه و سلم يؤمر بإعادة المقروء كما قرأه الملك مع أن لا حاجة لذلك ما دام قد وعد بجمع القرآن فى صدره و إجرائه على لسانه فلم يكرره بعد استماعه للملك؟. (۱) روح المعانى ۲۹/ ۱۱۷، مرجع سابق.

(۲) الجلالين ۴/ ۲۵۴، مرجع سابق.

(۳) انظر: حديث المعالجة فى المبحث السادس من هذا الفصل.

(۴) تفسير ابن كثير ۴/ ۲۸۲، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۳۸

و الجواب: لتثبيت القاعدة الثالثة و الرابعة من قواعد التلقى، و لم يكرره صلى اللّه عليه و سلم إلا لتبيان أسلوب التلقى؟ ... و لرسم خطواته بدقة فائقة النظير تؤذن بتوقيفية تلقى اللفظ القرآنى من جميع زواياه ... و ما ظن أنه اجتهاد فهو إلى التوقيف يعود فى أصله ... إذ التكرار لأمور منها: تثبيت تلاوة القرآن بالهيئة ذاتها، و تنغيماتها التى سمعت من الشيخ، بغض النظر عن الصوت من حيث الملاحة و نقيضها، و منها تثبيت المحفوظ أو المقروء.

۵– أن يكون المعاد موافقا لقراءة الشيخ و مطابقا لها

، و المراد من الموافقة: الموافقة فى أصل الألفاظ و أدائها، و هو ما تراه عند عامة الناس من المقرئين و القارئين ... و يبقى تفاوتهم بعد ذلك من حيث الملاحة فى الصوت، و الاختلاف فى العوامل النفسية إلى تؤدى إلى اختلاف المشاعر و الأحاسيس، و يظهر أثرها فى القراءة، و قد ترى أن هذه العوامل التى يسمح فيها الاجتهاد فى أداء لفظ القرآن ليس مما كلف بها العبد عموما إذ هى تعود إلى أمر خارج عن نطاق قدرته، و إن كان ثم قدر من الحث على التزام مسلك معين فى هذه الناحية: كتدبر القراءة، و قراءة القرآن بحزن.

و هذا مأخوذ مما سبق فى قول ابن عباس رضى اللّه عنه: كما قرأه، و يدل له قول النبى صلى اللّه عليه و سلم:

(من أحب أن يقرأ القرآن غضا كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد) «۱».

۶– أن يصحب القراءة تحريك للشفتين

اشارة

، و هو ما يعنى نوعا من الجهر بالقراءة، و يـدل له فعل النبى صـلى اللّه عليه و سـلم كما فى هذا الحديث؛ إذ النهى مؤقت حتى يقضـى جبريـل عليه السـلام، الوحى، فالإنكـار عليه ليس لتحريـك لسـانه و شـفتيه، بـل لكون هـذا التحريـك حاصـلا حال قراءة جبريل عليه السـلام، فيبقى التحريك هو الأصل عنـد ما ينتهى توقيت النهى، كما يدل له ما سـيرد (١) السنن الكبرى للنسائى ۵/ ٧١، مرجع سابق، (ابن ماجة) أبو عبد اللّه محمد بن يزيد القزوينى ت ٢٧۵ ه: سنن ابن ماجة ١/ ۴٩، مراجعة: محمد فؤاد عبد الباقى، دار الفكر- بيروت، صحيح ابن حبان ١۵/ ۵۴٣، مرجع سابق، مستدرك الحاكم ٢/ ٢۴٧، مرجع سابق، مسند أحمد ۴/ ٢٧٨، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ١٣٩

فى المقتضيات اللغوية لتعريف القرآن الكريم فى ملحق الكتاب، على أن التلقين لا يتأتى وجوده إلا بالجهر بالقرآن الكريم على ما هو بديهى.

لكن هل يشترط استماع الشيخ لطالبه عند إعادة المقروء؛ إذ فى المعالجة:

(فكان إذا انطلق جبريل عليه السلام قرأه كما قرأه ...)؟.

الظاهر أن ذلك بحسب حالـة الطالب من حيث اطمئنان شـيخه لقـدرته على إعادة المقروء باقتدار أو عدم قدرته، و أما أن جبريل عليه السلام لم يكن يسمع من النبى صلى اللّه عليه و سلم لصريح قول ابن عباس رضى اللّه عنه: فإذا انطلق جبريل عليه السلام قرأه كما قرأه ... فالجواب من وجهين:

أولهما: لا نسـلّم أن جبريل عليه السـلام لا يسـمع لعـدم إحاطتنا علما بقـدرة جبريل عليه السـلام على السـماع من حيث تعـديها لمكان حضوره أولا.

و ثانيهما: أن ذلك كائن لضمان اللّه سبحانه و تعالى لنبيه صلى اللّه عليه و سلم إعادة المقروء كما قرأه عليه جبريل عليه السلام، و من هنـا أخـذ نظر الشيـخ فى مـدى مقـدرة الطالب ... فلولا وعـد اللّه عزّ و جلّ لنبيه صـلى اللّه عليه و سـلم بقراءته على لسانه كما قرأه لما انصرف، ثم إن الوحى يحميه ظاهرا كان أو غائبا، و بذلك يخضع الأمر الواجب فى هذه المسألة لمعرفة الشيخ.

و هل يشترط أداء هذه القواعد كلها فى التلقى و التلقين؟

الظاهر عـدم الاشتراط للأول؛ إذا اسـتبدل به قراءة الطالب على شـيخه، إما ابتـداء، و إما حفظا مباشـرا عن ظهر قلب، و ذلك لأن النبى صلى اللّه عليه و سـلم (الطالب) كان يعرض القرآن على جبريل عليه السـلام فى رمضان، و أما قراءة جبريل عليه السـلام فى أول نزول الآيات فسـببه عدم معرفة الرسول صـلى اللّه عليه و سـلم بها ابتداء؛ و لذلك عامل العلماء قراءة العالم معاملة عرض الطالب كما سيأتى تفصيله فى حديث المعارضة «١»، و قد يترجح أحدهما (السـماع من لفظ الشيخ، أو عرض الطالب على الشيخ) لعارض يراه الشيخ فى تلميذه من نجابة أو بلادة ... و هو المعمول به عند المسلمين إلى اليوم. (١) انظر: المبحث التاسع من هذا الفصل.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ١۴٠

و هاهنا مسألة فى غاية الأهمية

من ناحيـة دراسـة وسائل المعرفـة المكسـبة لليقين فى المنهـج الإسـلامى و هى: أن ثمّ نوعا من التواتر الـذى يفيد اليقين الضـرورى أو النظرى، و هو التواتر العملى بأن يتناقل المسلمون العمل فى العبادة جيلا جيلا دون نكير، فيأخذ حكم المتواتر، و لو كان مستنده آحادا كأركان الصـلاة و مقادير الزكاة، و ألفاظ الأذان، و رمى الجمار فى مناسك الحـج، و كثير من مثل ذلک ... و وجود جزئيات فى هذا النوع مختلف فيها أمر لا يخرم هذه القاعدة ... فاضـمم إلى هذه الأمثلة أداء القرآن تجده أولى منها جميعا، من حيث ثبوت اليقينية له، و هذا تكرار لأمر سبق ذكره فى المنهج، أوجبه الاعتناء بالمقام، كما أن تفصيله ليس هنا.

المطلب الخامس: المقتضى المنهجى لما سبق

و تقرير هذه المسألة له ما بعده، إذ ينبنى عليها ثلاثة أمور منهجية:

أولها: التزام هذه الطريقة (التلقى) منهجا لتعليم القرآن الكريم:

إذ إن توافر الـدواعى للطرق الأخرى فى إنزال القرآن الكريم وحيا «۱»، مع عدم اسـتعمالها، و تخصيص طريقة التلقين مع عدم الحاجة إليها إذ أن اللّه قد تكفل بأن يلهمه القرآن بقوله إِنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ، و بقوله سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنْسى قال الشوكانى- رحمه اللّه تعالى- ":أى سـنجعلک قارئا بأن نلهمک القراءة، فلا تنسى ما تقرؤه «"۲»، و هذا وسم لاسـتخدام غيرها بالبدعية، و من ثم فاستعمال أسلوب القراءة المباشـرة من المصـحف دون تلقين بدعـة، أو أنه تعلّم للقرآن على غير الطريقـة الـتى شـرعها القرآن، و هو مـا قرره الصـاوى- رحمه اللّه تعالى- فى قوله ":و الحكمـة فى تلقى رسول اللّه صـلى اللّه عليه و سـلم عن جبريل عليه السـلام ظاهرا أنه يكون سـنة متبعة

(۱) ککونها أسهل و أسرع، و هى بالنظر إلى قدرة اللّه عزّ و جل ليست أعسر إذ هى لا تعجز كلمة كن مع وقوعها فى أمور أخرى أقل شأنا من القرآن، و مثالها النفث فى الروع، أو الإلهام.

(۲) فتح القدير ۴/ ۵۲۲، مرجع سابق.

لأمته، فهم مأمورون بالتلقى من أفواه المشايخ، و لا يفلح من أخذ العلم أو القرآن من السـطور، بل التلقى له سـر آخر «"۱»، و هذا أمر مقرر فى أذهان المسلمين لم تمل دائرة تعليمهم عنه مثقال ذرة «۲»، و هذا ما يعطى تصورا عن مدى الواقعية الحقيقة قوله عزّ و جل إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَ إِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ "الحجر/ ۹."

و ثانيها: فى التزام هذه الطريقة دفع لإيهام إلقاء الشيطان

فى ما يتلقنه النبى صـلى اللّه عليه و سـلم، من حيث واحدية الملک الملقن و عدم تغيره، و من حيث تعليمه تعليما تلقينيا، لا تتطرق إليه شبهة الوسوسة، و سيأتى مزيد تفصيل لذلک فى فصل دمغ الباطل «۳».

و ثالثها: شمول التوقيفية فى أداء الوحى القرآنى

، و من ثم تبليغه و تناقله لأصل اللفظ، و لهيئة أدائه.

رابعها:

بيـان أولى لحجم الاجتهـاد فى نقل القرآن الكريم من حيث تظاهر جوانب التوقيف فى النقل، فبقى الاجتهاد محصورا فيما تتفاوت فيه قدرات البشر فى الأداء مما هو خارج عن نطاق قدرتهم كالصوت، أو عدم الإتقان و يدل له حديث التعتعة «۴».

فإن اعترض بالقول: ما شأن مقالة البحث: و مقدار الاجتهاد فيه؟ و أين مكمن الاجتهاد فيا وصف؟.

فالجواب: هـذا مبحث واسع من حيث تحديـد أطره حتى لا يشط فى فهمها، و ليشـر هاهنا إلى ما يتعلق بالجزئيـة مناط البحث: فمكمن الاجتهاد مع هـذا التشديـد فى التوقيف فى تلقى القرآن الكريـم- حتى فى هيئة اسـتماعه- كامن فى الصوت الممنوح من اللّه عزّ و جل للإنسان من حيث الملاحة و الحسن فقد يكون نديا، أو أقل نداوة، و فى الصوت من (۱) حاشية الصاوى ۳/ ۸۰، مرجع سابق.

(۲) و قد أسهب فى الكلام عن ذلك الإمام الشاطبى فى الموافقات، المقدمة الثانية عشرة ۱/ ۹۱، مرجع سابق.

(۳) انظر: الفصل الخامس- المبحث الأول.

(۴) انظر: المبحث السادس من هذا الفصل.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۴۲

الجهر و المخافتـة و فى النفس الممنوع من اللّه سـبحانه و تعـالى، على أن التوقيف ضابـط حتى لموضوع الجهر و المخافتـة؛ إذ وردت نصوص تقيد ذلك «۱»، و مما يشار إلى دخول الاجتهاد فيه جزئيات نادرة لم يرد التنصـيص على كيفيـة النطق الجزئى لها، فترجع إلى الإحالة العامة فيها على اللغة العربية، كمثل الوقف على أواخر الكلم، و إدخال الروم و الإشـمام فيه عند من يزعم أن لا نص ورد رواية فيها «۲»، و نحو الوقف و الابتداء إذ أمر الاجتهاد فيه واسع ما دام مراعى فيه القواعد العامة التى وضـعها علماء الإقراء مستقاة من هيئات التلقين، فهو علم توقيفى فى الجملة، و مثله علم العدد (الفواصل) ففيه نوع اجتهاد فيما لم يرد نص على عده، أو ورد فيه نصان موهمان للعـد و عـدمه، فاختلف فيه علماء العدد، لكنه قليل جدا بل نادر إذا ما قورن بالمتفق عليه «۳»، لكن الشـأن هنا أعلى من الشأن فى بقية العلوم النقليـة، فلئن كـانت تلـك العلوم "كلها مسـتندة إلى الخبر عن الواضع الشـرعى، و لا مجال فيها للعقل إلا فى إلحاق الفروع من مسائلها بالأصول لأن الجزئيات الحادثـة المتعاقبـة لا تندرج تحت النقل الكلى بمجرد وضـعه فتحتاج إلى الإلحاق بوجه قياسـى، إلا أن هذا القياس يتفرع عن الخبر بثبوت الحكم فى الأصل و هو نقلى فرجع هذا القياس إلى النقل لتفرعه عنه «"۴» فإن القياس هاهنا- لشدة ضبط التلقين للجوانب المختلفة للفظ القرآن الكريم، و لعدم كون الجزئيات حادثة و لا متعاقبة إذ كلها موجودة- كامن فى قياس مثال على مثال ضـمتهما قاعدة كلية، و هو المعنى الذى أشار إليه الإمام الشاطبى- رحمه اللّه تعالى- فى قوله فى نفى القياس العام فى تلقى القراءة: (۱) كآية الإسراء ... وَ لا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَ لا تُخافِتْ بِها وَ ابْتَغِ بَيْنَ ذلِكَ سَبِيلًا "...الإسراء/ ۱۱۰ "مثلا.

(۲) و فى هذا نظر كبير من حيث أن القراء منعوا أشياء تجوز عربية كالإشمام و الروم فى المفتوح و المنصوب.

(۳) انظر: الشـيخ عبـد الفتاح القاضـى: بشـير اليسر شـرح ناظمـة الزهر فى علم الفواصل للإمام الشاطبى ص ۵، ط ۱۳۹۷ ه- ۱۹۷۷ م، مطبوعات الأزهر- مصر.

(۴) المقدمة لعبد الرحمن بن خلدون ۵۴۹، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۴۳

و مـا لقياس فى القراءة مـدخل ... فـدونك ما فيه الرضا متكفلا مع قوله فى إثبات نوع مخصوص من القياس ":فاقتس لتنضـلا «"۱»؛ و لـذا ترى كثرة غامرة من الجزئيات اللفظية القرآنية آتية على غير القياس المخصوص دلالة على أصـلية النقل فيها، و لذا احتاج الدارس للقرآن إلى التلقين لزاما، و أكـد تلك الحاجـة أن المصـحف لم يكتب ليوافق الخط اللفظ تماما كما هو مقرر فى علم الرسم بل لا بد من التلقى، و هو ما يجعل العمدة الأولى للقرآن من حيث هو قرآن لا من حيث هو كتاب ....

و فی خصوص الفعل العملی لتلقی النبی صلی اللّه علیه و سلم من جبریل علیه السلام فقد تقدم ذکر لمظاهره فی صفات جبریل علیه السلام فی الفصل الأول کما یظهر ذلک بارزا فی ثنایا البحث بما یجعل هذا الأمر قطعیا معلوما من الدین بالضرورهٔ.

و فی خاتمهٔ هذا المبحث یقال:

قد جاءت آیات القیامهٔ مفصلهٔ لمدلول قوله سبحانه و تعالی إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّکْرَ وَ إِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ "الحجر/ ۹ «"۲»، و من هذه الآیات المؤکدهٔ المفصلهٔ لآیهٔ الحجر نأخذ: تکفل اللّه المطلق بشأن هذا القرآن: وحیا و حفظا و جمعا و بیانا، و هیئهٔ تعلیم فَإِذا قَرَأْناهُ، و إسناده إلیه عزّ و جل بکلیته لیس للرسول من أمره إلا حمله و تبلیغه «۳»، و حتی تبلیغه بکیفیهٔ هی الکیفیهٔ ذاتها التی سمعها من الملک کما تقدم مرارا. (۱) انظر: (متن الشاطبیهٔ): باب الفتح و الإمالهٔ، و باب الراءات، مرجع سابق. و انظر: (أبو شامهٔ) شهاب الدین عبد الرحمن بن إسماعیل الدمشقی المقدسی: إبراز المعانی من حرز الأمانی، دار صادر- بیروت، و الشیخ عبد الفتاح القاضی ت ۱۴۰۳- ه: الوافی فی شرح الشاطبیهٔ فی القراءات السبع، ط ۵- ۱۴۱۴ ه- ۱۹۹۴ م، مکتبهٔ السوادی- جدهٔ، مکتبهٔ الدار- المدینهٔ المنورهٔ.

(۲) و بین شدهٔ وضوح هذه الآیهٔ فی دورانها حول اللفظ، و فی ذلک رد علی من زعم أن الحفظ المضمون للقرآن الکریم منصرف لمفهوم اللفظ لا للفظ ... فإن زال اللفظ فأنی لنا بمفهومه؟

(۳) و انظر: فی ظلال القرآن ۶/ ۳۷۷۰، مرجع سابق.

تلقی النبی ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۴۴

المبحث الثامن: کیفیهٔ قراءهٔ الرسول صلی اللّه علیه و سلم القرآن علی جبریل علیه السلام من حیث الأمر الشرعی، و الواقع التطبیقی «۱»:

اشارهٔ

و بعد أن ذکرت المباحث المتعلقهٔ بنزول الوحی، و کیفیهٔ تلقی النبی صلی اللّه علیه و سلم له، و سماته حین ذلک، کان لا بدّ من وصف لما یقوم به النبی صلی اللّه علیه و سلم من عمل عند قراءته القرآن علی جبریل علیه السلام مذ ینزل علیه الوحی القرآنی حتی تمام العملیهٔ التعلیمیهٔ، من حیث الأمر الشرعی و الواقع التطبیقی ... لیعلم أی شیء کان النبی صلی اللّه علیه و سلم، و أی شیء کان تعلمه لألفاظ القرآن الکریم، و تعلیمه ... و أی قوم- بعد- هم المسلمون:

أناس علی الخیر منهم، و جعفر .... و حمزهٔ، و السجاد ذو الثفنات إذا افتخروا یوما أتوا بمحمد ... و جبریل، و القرآن، و السورات و قد تلخص ذلک فیما یلی:

۱- تبدأ باستشعار المصدریهٔ الإلهیهٔ للقرآن الکریم دائما عند قراءهٔ القرآن الکریم:

اشارهٔ

و یظهر أنموذج هذا فی قوله عزّ و جل: وَ کَذلِکَ أَنْزَلْناهُ قُرْآناً عَرَبِیًّا وَ صَرَّفْنا فِیهِ مِنَ الْوَعِیدِ لَعَلَّهُمْ یَتَّقُونَ أَوْ یُحْدِثُ لَهُمْ ذِکْراً (۱۱۳) فَتَعالَی اللَّهُ الْمَلِکُ الْحَقُّ، ثم قال بعد: وَ لا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ یُقْضی إِلَیْکَ وَحْیُهُ وَ قُلْ رَبِّ زِدْنِی عِلْماً "طه/ ۱۱۴ "فأکد علی المصدریهٔ الإلهیهٔ فی عدهٔ ألفاظ: أَنْزَلْناهُ علی الرغم من أن المباشر للإنزال هو جبریل علیه السلام، وَ صَرَّفْنا، نقضی فی قراءهٔ یعقوب علی الرغم من أن المباشر للقراءهٔ هو جبریل علیه السلام، و أشار إلی تفرده بهبهٔ المنح الإلهیهٔ، و رأسها القرآن الکریم وَ قُلْ رَبِّ زِدْنِی

عِلْماً ثم وسط بين الآيتين بقوله فَتَعالَى اللَّهُ الْمَلِكَ الْحَقُّ (۱) أريد بالأمر الشرعى: مجموع التوجيهات الشرعية التى أمر اللّه سبحانه و تعالى نبيه صلى اللّه عليه و سلم بتطبيقها و أن يقرأ القرآن بها من حيث انتمائها إلى الأحكام الخمسة، و أريد بالواقع التطبيقى: واقع النبى صلى اللّه عليه و سلم من حيث التزامه بتلك التوجيهات، و الهدف من ذلك كما سيذكر أعلاه التأكيد على التوقيفية فى لفظ القرآن و أدائه، بالإضافة إلى الأهداف المنهجية الأخرى.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۴۵

و هى جملة اعتراضية، و فى تفريع الجملة الاعتراضية على إنزال القرآن إشارة أيضا إلى أن القرآن قانون ذلك الملك، و أن ما جاء به هو السياسة الكاملة الضامنة صلاح أحوال متبعيه فى الدنيا و الآخرة «۱»، و فى هذا السبيل ترى التعبير عن إنزال القرآن يرجع إلى هذه المصدرية عند الكلام على النازل، و المنزل به، و المنزل عليه.

و من الإشارة إلى هذه المصدرية: فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلى قَلْبِكَ: لم يقل فإنه نزله على قلبى مع أن محمدا صلى اللّه عليه و سلم أمر بإخبار اليهود عن نفسه؛ لأن من شأن العرب إذا أمرت رجلا- أن يحكى ما له عن نفسه أن تخرج فعل المأمور مرة مضافا إلى كناية نفس المخبر عن نفسه إذا كان المخبر عن نفسه، و مرة مضافا إلى اسمه كهيئة كناية اسم المخاطب؛ لأنه و إن كان مأمورا بقيل ذلك فهو مخاطب مأمور بحكاية ما قيل له «۲»، كما قال الزمخشرى موضحا لذلك ":جاءت على حكاية كلام اللّه عزّ و جل كما تكلم به كأنه قيل: قل ما تكلمت به من قولى: من كان عدوا لجبريل عليه السلام «۳"». و لهذا حكمة عظيمة من حيث التأكيد على المصدرية الإلهية للقرآن، و الدقة المتناهية فى نقله من السماء إلى الأرض، فحكاية كلام اللّه سبحانه و تعالى اقتضت عَلى قَلْبِكَ بالخطاب ... و لو قال (على قلبى) لقيل هذه دعوى، لم يبينها لنا ربك، و لم يقلها ... ثم فيه تثبيت لقلب الرسول صلى اللّه عليه و سلم، و طمأنة له من أن تزعزعه كثرة تشكيكات أهل الكتاب و من و الاهم، فكأن الخطاب من اللّه عزّ و جل للرسول صلى اللّه عليه و سلم قصدا له، لا لخصومة من أهل الكتاب ... و هم مقصودون تبعا لا- استقلالا، و ذا يوائم قوله سبحانه و تعالى ... كَذلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَكَ" ... الفرقان/ ۳۲ ("۱) التحرير و التنوير ۱۶/ ۳۱۶، مرجع سابق، و راجع روح المعانى ۱۶/ ۳۹۱، مرجع سابق، و البحر المحيط لأبى حيان ۶/ ۲۸۱، مرجع سابق.

(۲) الطبرى ۱/ ۴۳۶، مرجع سابق.

(۳) الكشاف ۱/ ۸۴، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۴۶

وَ كُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْباءِ الرُّسُلِ ما نُثَبِّتُ بِهِ فُؤادَكَ وَ جاءَكَ فِى هذِهِ الْحَقُّ وَ مَوْعِظَةٌ وَ ذِكْرى لِلْمُؤْمِنِينَ "هود/ ۱۲۰."

و الكلام فى الباء فى قوله سبحانه و تعالى: بِإِذْنِ اللَّهِ "البقرة/ ۹۷ "مؤكد لما ذكر هنا، و قد تقدم «۱».

و لتأكيد التقرير هنا فلتتأمّل هذه المصدرية فى أول سورة نزلت

فى قوله عزّ و جل اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ "العلق/ ۱، "فالباء لها ثلاثة أوجه من التفسير:

۱- إما أن تكون للاستعانة، و الجار و المجرور متعلقان بالفعل (اقرأ)، أى اقرأ مستعينا بذكر اسم ربك.

۲- و إما أن تكون للمصاحبة، و الجار و المجرور فى موضع الحال من ضمير اقرأ الثانى مقدما على عامله للاختصاص، أى اقرأ ما سيوحى إليك مصاحبا قراءتك اسم ربك، فالمصاحبة مصاحبة الفهم و الملاحظة لجلاله، و يكون هذا إثباتا لوحدانية اللّه عزّ و جل بالإلهية.

۳- و إما أن تكون بمعنى على كقوله سبحانه و تعالى مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطارٍ "آل عمران/ ۷۵ "أى على قنطار، و المعنى اقرأ على اسم ربك، أى على إذنه، أى أن الملك جاء على اسم ربك أى مرسلا من ربك «۲».

ثم تتجلى هـذه المصدريـة فى موقف تعليمه الإقراء فى إضافـة اسم إلى الاسم الظاهر (ربـك) المضـاف إلى الكاف، ثم تجلت تارة أخرى فى قوله سبحانه و تعالى اقْرَأْ وَ رَبُّکَ الْأَکْرَمُ ... الثلاث الآيات كالاستئناف البيانى، كأنه الرسول صلى اللّه عليه و سلم قال: و كيف اقرأ، و لست بقارئ؟ فأجيب: الذى علم القراءة بالقلم، يعلمك ما لم تعلم، و لا عجب فى أن تقرأ، إذ العلم يحصل بوسائل أخرى مثل الإملاء و التلقين و الإلهام، و تأمل فى وصفه عزّ و جل فى هذا الموقف بالأكرم ... (۱) انظر: المبحث الثالث من هذا الفصل.

(۲) انظر: التحرير و التنوير ۳۰/ ۴۳۶، مرجع سابق، و انظر: تفسير الثعالبى ۴/ ۴۲۷، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۴۷

و استشعار المصدرية الإلهية للقرآن له مقتضياته الهامة، و فيما يتعلق بمدار البحث هنا تبرز المقتضيات التالية:

أ- يقذف فى قلب الإنسان كل ما تصل إليه مشاعره الداخلية و انفعالاته العاطفية و حركات أركانه الخارجية من التعظيم اللّه سبحانه و تعالى

، و بذل الوسع فى تحقيق كلامه، و قد نقل الآلوسى عن الطيبى ما يؤكد هذا من حيث اللفظ، فمما قاله: وَ لا تَعْجَلْ ... عطف على قوله عزّ و جل فَتَعالَى اللَّهُ الْمَلِکُ الْحَقُّ لما فيه من إنشاء التعجب، فكأنه قيل: حيث نبهت على عظمة جلالة المنزل، و أرشدت إلى فخامة المنزل، فعظّم جنابه الملك الحق المتصرف فى الملك و الملكوت، و اقبل بكلك على تحفظ كتابه، و تحقق مبانيه، و لا تعجل به" «۱»، و قال سيد قطب ":فتعالى اللّه الملك الحق الذى تعنو له الوجوه، و يخيب فى حضرته الظالمون، و يأمن فى ظله المؤمنون الصالحون، هو منزل هذا القرآن من عليائه، فلا يعجل به لسانك، فقد أنزل القرآن لحكمة و لن يضيعه، إنما عليك أن تدعو ربك ليزيدك من العلم، و أنت مطمئن إلى ما يعطيك، لا تخشى عليه الذهاب، و ما العلم إلا ما يعلمه اللّه؛ فهو الباقى الذى ينفع و لا يضيع، و يثمر و لا يخيب «"۲».

ب- استمداد العون و التوفيق فى تحقيق لفظه، و إتقان مبناه «۳»

، و عدم نسيه أو تفلته من قائله عزّ و جل، و منزله جل شأنه و لذاك كانت خاتمة آية طه بالدعاء، و مما يعضد هذا المفهوم ما أعقب اللّه- جل ذكره- لآية طه من ذكر لقصة آدم عليه السلام، حيث قال: وَ لَقَدْ عَهِدْنا إِلى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِیَ وَ لَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً "طه/ ۱۱۵، "و نسيان آدم عليه السلام هنا كان لأمر واحد محسوس، و ذلك عند ما و كل إلى نفسه فى المراقبة، فكيف (۱) روح المعانى ۱۶/ ۳۹۳، مرجع سابق.

(۲) فى ظلال القرآن ۴/ ۲۳۵۳، مرجع سابق.

(۳) لم يتكلم عن المعنى؛ إذ ليس مدار البحث، كما سبق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۴۸

سيكون النسيان لمتعدد ملفوظ؟، و لذا فليرجع النبى صلى اللّه عليه و سلم إلى ربه فيستعين على تحمل القرآن و حفظه و أدائه، فكأنه لما مدح عزّ و جل القرآن، و حرض على استعمال التؤدة و الرفق فى أخذه، و عهد على العزيمة بأمره، و ترك النسيان فيه ضرب حديث آدم مثلا للنسيان و ترك العزيمة «۱»، و ذكر ابن عطية: أن فى ذلك مزيد تحذير للنبى صلى اللّه عليه و سلم عن العجلة لئلا يقع فيما لا ينبغى، كما وقع آدم عليه السلام «۲».

كان ذلك فحوى الأمر الإلهى.

و الصورة التطبيقية لهذا قبل التوقيف القرآنى على هيئة تلقى القرآن لاستشعار هذه المصدرية:

تعجل النبى صلى اللّه عليه و سلم نزول القرآن و استكثاره منه، إذ ورد فى تفسير قوله تعالى وَ لا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضى إِلَيْكَ وَحْيُهُ ثلاث تفسيرات:

أحدها: أنها كقوله تعالى لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ.

و الثانى: أنها نهى للنبى صلى اللّه عليه و سلم عن استعجال نزول القرآن، لأنه ما يتنزل إلا بأمر ربه عزّ و جل، و ليس للنبى صلى اللّه عليه و سلم من الأمر شىء، و يدل له حبه صلى اللّه عليه و سلم للوحى، و تشوقه إليه، قال صاحب التحرير و التنوير ":لما كان النبى صلى اللّه عليه و سلم حريصا على صلاح الأمة شديد الاهتمام بنجاتهم؛ لا جرم خطرت بقلبه الشريف عقب سماع تلك الآيات رغبة، أو طلبة فى الإكثار من نزول القرآن، و فى التعجيل به إسراعا بعظة الناس و صلاحهم، فعلمه اللّه سبحانه و تعالى أن يكل الأمر إليه" «۳». (۱) انظر: روح المعانى ۱۶/ ۳۹۳، مرجع سابق.

(۲) (ابن عطية) أبو محمد عبد الحق بن عطية الأندلسى: المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز ۱۰/ ۹۹، تحقيق و تعليق:

عبد اللّه ابن إبراهيم الأنصارى، السيد عبد العال السيد إبراهيم، ط ۱، ۱۴۰۶ ه- ۱۹۸۵ م.

(۳) التحرير و التنوير ۱۹/ ۳۱۶، مرجع سابق، و نقل الآلوسى- رحمه اللّه تعالى- نحوه عن الماوردى، و تراجع هذه المصادر لمعرفة التفسير الثالث.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۴۹

و الصورة التطبيقية بعد التوقيف القرآنى على هيئة تلقى القرآن:

هو استراحة النبى صلى اللّه عليه و سلم «۱» من خوف تفلت القرآن منه صلى اللّه عليه و سلم بعد تكفل اللّه سبحانه و تعالى بعدم ذلك، و الإكثار من دعاء وَ قُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً، و اتباع ما أوقفه القرآن من هيئات فى حفظه، و عدم استعجال نزول القرآن عليه إذ لكل أجل كتاب، و إرجاع كل فضل ينزله اللّه عزّ و جل على نبيه صلى اللّه عليه و سلم لمنزله عزّ و جل، و قد قال أبو حيان- رحمه اللّه تعالى- فى قوله سبحانه و تعالى وَ قُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً ":و هذا القول متضمن للتواضع للّه، و الشكر له على ما علم من ترتيب العلم، أى كما علمتنى مآرب لطيفة فى باب التعلم، و أدبا جميلا ما كان عندى فزدنى علما «"۲».

ج- على أن من أهم مقتضيات المصدرية الإلهية التى حفت بالحقائق السابقة تؤدى إلى حقيقة الحق فى إنزال القرآن و تلقينه للرسول صلى اللّه عليه و سلم و تلقيه من جبريل عليه السلام و هو معنى قوله تعالى وَ بِالْحَقِّ أَنْزَلْناهُ وَ بِالْحَقِّ نَزَلَ "الإسراء/ ۱۰۵، "و حقيقة الحق هى أولى دعائم التوقيف فى نقل القرآن الكريم.

۲- الاستماع و الإطراق عند تلاوة جبريل عليه السلام عليه:

اشارة

و ذلك تنفيذا لقوله عزّ و جل فَإِذا قَرَأْناهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ "القيامة/ ۱۸ "على ما تقدم «۳».

و الصورة التطبيقية لذلك

ما قاله ابن عباس رضى اللّه عنه: فكان رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم بعد ذلك إذا أتاه جبريل عليه السلام استمع [و أطرق .

و هذا هو الأساس الشرعى و المنهجى

فى جعل القراءة الابتدائية من الشيخ أو عليه مع نظر الطالب فى المصحف هى أول خطوات حفظ القرآن «۴» كما تقدم فى التلقين و التلقى «۵». (۱) كما عبر ابن عباس رضى اللّه عنه فى حديث المعالجة، انظر: المبحث السادس من هذا الفصل.

(۲) البحر المحيط ۶/ ۲۸۱، مرجع سابق، و لعله ناقل عن الكشاف ۲/ ۴۴۸، مرجع سابق.

(۳) انظر: المبحث السادس من هذا الفصل.

(۴) و قد تغتفر هذه الخطوة عند من يوثق به من الطلاب فتكون قراءته على الشيخ هى قراءة الحفظ مباشرة كما تقدم فى المبحث السابع.

(۵) انظر المبحث السابع من هذا الفصل.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۵۰

و الاستماع و الإنصات يحقق نتائج ترفع من مستوى الاستيعاب المنهجى لألفاظ القرآن الكريم، و منها:

أ- أن ذلك ترسيخ لاستشعار المصدرية الإلهية

من حيث الطمأنينة و عدم الجزع، أو الخوف على فوات شىء من القرآن لعموم الوعد الإلهى بالحفظ لكتابه، ثم لخصوص الوعد الإلهى بجمع القرآن فى صدر النبى صلى اللّه عليه و سلم و عدم نسيه له إلى أن يبلغه، ثم عدم نسيه له نسيانا كليا.

ب- أن ذلك أقوى فى استيعاب لفظ الآية

و من ثم حفظها أصلا، و محلا، و وضعا، و أداء.

ج- أن ذلك أقوى فى استيعاب معنى الآية

و فهمها بعكس الترديد خلف جبريل عليه السلام فإنه باعث على الاضطراب و الارتباك، و خاصة إن اقترن الترديد لموضع سبق بالاستماع لموضع يلحق، قال الآلوسى- رحمه اللّه تعالى "-:إنه ربما يشغل التلفظ بكلمة عن سماع بما بعدها «"۱»، و قال أبو السعود- رحمه اللّه تعالى "-:إن استقرار الألفاظ فى الأذهان تابع لاستقرار معانيها فيها، و ربما يشغل المتلفظ بكلمة عن سماع ما بعدها «"۲».

۳- ترديد القرآن بعد انتهاء جبريل عليه السلام من قراءته، ليطمئن القلب بتحفظه:

اشارة

و هو صريح فى الأمر القرآنى، و الوعد الإلهى إِنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ كما تقدم «۳»، و قال الزمخشرى- رحمه اللّه تعالى- فى قوله سبحانه و تعالى وَ لا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضى إِلَيْكَ وَحْيُهُ " ...طه/ ۱۱۴ ":"لما ذكر القرآن و إنزاله قال على سبيل الاستطراد:

(۱) روح المعانى ۱۶/ ۳۹۲، مرجع سابق.

(۲) تفسير أبى السعود ۳/ ۶۶۸، مرجع سابق، و انظر: تفسير أبى حيان ۶/ ۲۸۱، فتح القدير ۳/ ۴۸۷، أضواء البيان ۴/ ۵۱۸، تفسير القرطبى ۱۱/ ۲۵۰، تفسير ابن كثير ۳/ ۱۴۸، مراجع سابقة، و ذكر ابن كثير حديث أبى هريرة رضى اللّه عنه [اللهم انفعنى بما علمتنى، و علمنى ما ينفعنى، و زدنى علما، و الحمد للّه على كل حال .

(۳) انظر: حديث المعالجة فى المبحث السادس من هذا الفصل.

"و إذا لقنك جبريل عليه السلام ما يوحى إليك من القرآن، فتأن عليه ريثما يسمعك و يفهمك، ثم أقبل عليه بالتحفظ بعد ذلك، و لا تكن قراءتك مساوقة لقراءته، و نحوه قوله عزّ و جل لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ «"۱»».

و الصورة التطبيقية لذلك

ما وصفه ابن عباس رضى اللّه عنه فى حديث المعالجة: فإذا انطلق جبريل عليه السلام قرأه النبى صلى اللّه عليه و سلم ....

۴- تحريك فمه و شفتيه عند الحفظ أو القراءة:

و هذا مأخوذ من منطوق آيات القيامة، و من مفهوم حديث المعالجة و قد مضى، و من الحديث الآتى فى الجهر بالقرآن.

۵- (الترتيل) «۲» تبيين الحروف:

اشارة

التّرتيل، فى القراءة الترسل فيها، و التبيين بغير بغى «۳»، و قد عرفه مجاهد بقوله فى قوله سبحانه و تعالى: وَ رَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا قال": بعضه أثر بعض على تؤدة «"۴»، و عن قتادة قال ":بينه بيانا «"۵».

فالترتيل يتضمن عنصرين يشكلان ماهيته الذاتية، هما:

التأنى (التؤدة)، و تبيين الحروف و هما متلازمان، و هما يقتضيان أمرا ثالثا: هو إشباع الحركات، و يستلزم الترتيل أمرا رابعا هو: السكينة و الوقار التى تميز قارئ القرآن عن مطرب الألحان، فاجتمعت فى الترتيل أربع متضمنات: التأنى و التؤدة، و تبيين الحروف، و إشباع الحركات، و السكينة و الوقار «۶». (۱) الكشاف ۲/ ۴۸۸، مرجع سابق.

(۲) حكم الترتيل، و تحليل عناصره الذاتية و الطارئة ليس من ميدان البحث، و لذا لن يكون توسع فى ذلك.

(۳) مختار الصحاح ص ۹۸، مرجع سابق.

(۴) رواه الطبرى قال ابن حجر- رحمه اللّه تعالى- فى فتح البارى شرح صحيح البخارى ۹/ ۸۹، مرجع سابق ":بسند صحيح."

(۵) تفسير الطبرى ۲۸/ ۱۲۷، مرجع سابق.

(۶) و ذا موضح التأصيل الشرعى لمراتب القراءة المعروفة فى علم التجويد.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۵۲

و للطبيعة التفصيلية لهذا المبحث من حيث معرفة كيف علم جبريل عليه السلام النبى صلى اللّه عليه و سلم القرآن من حيث اللفظ فإنه سيفرد لكل من العنصرين الأولين بند مستقل من خلال تحليل قوله سبحانه و تعالى ... وَ رَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا "المزمل/ ۴، "و أما الأخيرين فالإشارة العابرة لهما فى مقام كذا المقام كافية، و يلاحظ التصريح بها جميعا آتيا فى كلام العلماء مما سيرد فى البحث عند الكلام عن العنصرين الأولين.

فأما تبيين الحروف فهو لازم التؤدة و التأنى؛ إذ من غايات التأنى:

تفصيل الحروف، قال الآلوسى- رحمه اللّه تعالى "-:اقرأه على تؤدة و تمهل و تبيين حروف، بحيث يتمكن السامع من عدها، من قولهم (ثغر رتل) إذا كان مفلجا لم تتصل أسنانه بعضها ببعض، و أخرج العسكرى عن على فى المواعظ أن رسول اللّه سئل عن هذه الآية فقال: بينه تبيينا، و لا تنثره نثر الدقل، و لا تهذه هذ الشعر، قفوا عند عجائبه و حركوا به القلوب و لا يكن هم أحدكم آخر السورة «"۱»، و عند الشوكانى ":اقرأه حرفا حرفا، "قال الزجاج ":هو أن يبين الحروف، و يوفيها حقها من الإشباع، و أصل الترتيل: التنضيد و التنسيق و حسن النظام، و تأكيد المصدر بالفعل يدل على المبالغة على وجه لا يلتبس فيه بعض الحروف ببعض، و لا ينقص من النطق من مخرجه المعلوم، مع استيفاء حركته المعتبرة «"۲»، و قال الطبرى ":بينه تبيينا، و ترسل فيه ترسلا «"۳»، و قال ابن حجر ": قوله سبحانه و تعالى ... وَ رَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا أى اقرأه مترسلا بتبيين الحروف، و إشباع الحركات «"۴». (۱) روح المعانى ۲۹/ ۱۷۸، مرجع سابق، و نحوه عند أبى السعود ۵/ ۴۱۲، مرجع سابق.

(۲) تفسير الشوكانى ۵/ ۳۸۷، و نحوه القرطبى ۱۹/ ۳۶، مرجع سابق، و قال سيد قطب- و هو المعروف قدره فى اللغة العربية "-:و ترتيل القرآن و هو مد الصوت به، و تجويده بلا تغن و لا تطر، و لا تخلع فى التغنيم."

(۳) تفسير الطبرى ۲۹/ ۱۲۶، مرجع سابق.

(۴) فتح البارى شرح صحيح البخارى ۳/ ۲۳، مرجع سابق، و قال فى ۹/ ۸۹ ":تبيين حروفها و التأنى فى أدائها، ليكون أدعى إلى فهم معانيها."

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۵۳

و فى القرآن الكريم تذكر لنا صورة تطبيقية ملائكية «۱»

لمبدأ الترتيل فى قول اللّه سبحانه و تعالى ... وَ رَتَّلْناهُ تَرْتِيلًا "الفرقان/ ۳۲ "فهو خبر عن الملأ الأعلى، و لأن القراءة توقيف؛ فإن هيئة قراءة القرآن يجب أن تتماثل، و لم يأخذها جبريل عليه السلام فى الملأ الأعلى إلا عن اللّه عزّ و جلّ، فحكى اللّه سبحانه و تعالى كيفية قراءة جبريل عليه السلام ثم أمر النبى صلى اللّه عليه و سلم بقراءة القرآن على الهيئة ذاتها فقال سبحانه و تعالى: ... وَ رَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا وصلة ما بين خبر الملأ الأعلى، و الأمر الإلهى الكريم مضمر تدل عليه الأخبار الأخرى و التقدير: ... وَ رَتِّلِ الْقُرْآنَ ...، و ذلك على نسق ما سمعته من جبريل عليه السلام إذ قد رتلناه على لسانه ترتيلا، و فى أضواء البيان ":هذه الآية نص بترتيل القرآن ترتيلا، و أكد بالمصدر تأكيدا لإرادة هذا المعنى «۲» كما قال ابن مسعود رضى اللّه عنه: لا تنثروه نثر الدقل، و لا تهذوه هذا الشعر، فقوا عند عجائبه، و حركوا به القلوب، و لا يكن هم أحدكم آخر السورة «"۳».

و الصورة التطبيقية لذلك:

ما وصف صحابة رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم كلام نبى اللّه سبحانه و تعالى حيث كان يرتل كلامه، و يترسل فيه فجابر بن عبد اللّه رضى اللّه عنه يقول: (كان فى كلام رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم ترتيل أو ترسيل) «۴»، و عن عائشة- رضى اللّه تعالى عنها-: (أن النبى صلى اللّه عليه و سلم كان يحدث حديثا لوعده العاد لأحصاه لم يكن يسرد الحديث كسردكم) «۵»، و أنكرت على أبى هريرة رضى اللّه عنه سرعة حديثه، و قالت: (و لو أدركته لرددت عليه) «۶»، أى لأنكرت عليه، و بينت له أن الترتيل فى التحديث أولى من السرد، فقولها "لم يكن يسرد الحديث (۱) و اغتفرت النسبة إلى الجمع خوفا من اللبس.

(۲) و استدل صاحب التحرير و التنوير ۲۹/ ۳۱۶، مرجع سابق: بالمصدر على تأكيد إرادة المعنى، و فى هذا رد على من يتوهم الترتيل هنا بمعنى التنجيم.

(۳) أضواء البيان ۸/ ۶۱۰، مرجع سابق.

(۴) سنن أبى داود ۴/ ۲۶۰، مرجع سابق، قال الشيخ الألبانى: صحيح.

(۵) صحيح البخارى ۳/ ۱۳۰۷، مرجع سابق.

(۶) صحيح البخارى ۳/ ۱۳۰۷، مرجع سابق، صحيح مسلم ۳/ ۱۹۴۰، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۵۴

كسردكم أى يتابع الحديث استعجالا بعضه إثر بعض لئلا يلتبس على المستمع، زاد الإسماعيلى من رواية بن المبارك عن يونس: (إنما كان حديث رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم فصلا فهما تفهمه القلوب «")۱»، و قال فى موضع آخر ":قولها (لو عده العاد لأحصاه) أى لوعد كلماته، أو مفرداته، أو حروفه لأطاق ذلك، و بلغ آخرها، و المراد بذلك المبالغة فى الترتيل و التفهيم «"۲».

و إذا كان ذا فى حديثه المعتاد، فكيف فى تلاوة كلام اللّه سبحانه و تعالى؟

و إنما ابتدأ البحث بحديث جابر رضى اللّه عنه حتى لا يرد على جوهر التقرير هاهنا أن الترتيل قد يراد به التفريق فى الإنزال (التنجيم)، فحديث جابر رضى اللّه عنه يرده، و إن كان المعنى الذى قيل وارد، لكن فى غير ذا المكان «۳».

و تصف أم سلمة- رضى اللّه تعالى عنها- الصورة التطبيقية لترتيل الرسول صلى اللّه عليه و سلم (بأن قراءة رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم كانت: بسم اللّه الرحمن الرحيم الحمد للّه رب العالمين يعنى كلمة كلمة) «۴»، و عن ابن أبى مليكة أن بعض أزواج النبى صلى اللّه عليه و سلم و لا أعلمها إلا حفصة سئلت عن قراءة رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم فقالت: (إنكم لا تطيقونها قالت: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ (۱) فتح البارى شرح صحيح البخارى ۶/ ۵۷۹، مرجع سابق.

(۲) فتح البارى شرح صحيح البخارى ۶/ ۵۷۸، مرجع سابق.

(۳) و صار الترتيل مستعملا فى عرف العلماء فى هذا المعنى لا فى معنى التفريق (التنجيم) ففى سنن البيهقى الكبرى ۱/ ۴۲۷، مرجع سابق، أن أبا سعيد الخدرى رضى اللّه عنه قال: (إنى أراك تحب الغنم و البادية، فإذا كنت فى غنمك و باديتك، فأذنت بالصلاة، فارفع صوتك بالنداء، فإنه لا يسمع مدى صوت المؤذن جن و لا إنس، و لا شىء إلا شهد له يوم القيامة- قال أبو سعيد-: سمعته من رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم رواه البخارى، قال الشافعى: و الترغيب فى رفع الصوت، يدل على ترتيل الأذان "و فيها أيضا ۲/ ۵۲، مرجع سابق ":باب كيف قراءة المصلى قال اللّه عزّ و جل ... وَ رَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا قال الشافعى- رحمه اللّه تعالى "-:الترتيل ترك العجلة فى القرآن عن الإبانة. "و تبيين الحروف، و إشباع الحركات مقتض نوعا من التفريق بين الحروف تضبطه المشافهة ليعطى كل حرف حقه و مكانته.

(۴) سنن البيهقى الكبرى ۲/ ۴۴، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۵۵

تعنی الترتیل «۱»، و قد صرح متتبعو سننه بأن الترتیل عادته فی قراءته، و یقرنون ذلک بعادته فی اعتدال أرکانه فی الصلاة «۲»، قال ابن حجر- رحمه اللّه تعالی "-:و من المعلوم من عادته صلی اللّه علیه و سلم ترتیل القراءة، و تعدیل الأرکان «"۳».

و قد کان ترتیله صلی اللّه علیه و سلم للسورة یصیرها أطول من أطول منها

و هو الموافق لقراءة معتدلی قراء المسلمین فی هذه الأیام

فقد روی مسلم من حدیث حفصة- رضی اللّه تعالی عنها- أنه صلی اللّه علیه و سلم کان یرتل السورة حتی تکون أطول من أطول منها «۴».

و عن یعلی بن مملک: أنه سأل أم سلمة- رضی اللّه تعالی عنها- عن قراءة رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم و صلاته، فقالت: (و ما لکم و صلاته؟، کان یصلی و ینام قدر ما صلی، ثم یصلی قدر ما نام، ثم ینام قدر ما صلی، حتی یصبح)، و نعتت قراءته فإذا هی تنعت قراءته حرفا حرفا «۵».

و فی معنی قولها (ثم نعتت قراءته) یقول السندی ":أی وصفت و بینت بالقول، أو بالفعل بأن قرأت کقراءته صلی اللّه علیه و سلم. و قوله: (حرفا حرفا)، و قال أبو البقاء: نصبهما علی الحال أی مرتلة «"۶».

و قوله (حرفا حرفا) یبین العلاقة بین أصل الوضع اللغوی و الاستعمال العرفی لکلمة ترتیل. (۱) مسند الإمام أحمد بن حنبل ۶/ ۲۸۶، مرجع سابق.

(۲) و فیه بیان ماهیة الترتیل فی عرفهم، و أنه لیس التنجیم الزمنی.

(۳) فتح الباری شرح صحیح البخاری ۲/ ۲۷، مرجع سابق.

(۴) صحیح مسلم ۶/ ۳۳۵۲، مرجع سابق، و لا مکان لما ادعاه ابن حبان- رحمه اللّه تعالی- أن الرکعة الأولی من صلاة الظهر إنما طالت علی الثانیة بالزیادة فی الترتیل فیها مع استواء المقروء فیهما، إذ ما الدلیل علی استواء المقروء؟ و ما الدلیل علی ترتیله فی الأولی دون الثانیة، مع أن عادته المستمرة هی الترتیل؟

(۵) سنن أبی داود ۲/ ۷۳، مرجع سابق، و قال الألبانی ":ضعیف."

(۶) حاشیة السندی علی النسائی ۲/ ۱۸۱، مرجع سابق.

تلقی النبی ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۵۶

و کان ترتیله فی الصلاة نموذجا عملیا یسمعه الصحابة ثلاث مرات یومیا علی الأقل، و لم یکن ترتیله مقتصرا علی الفرائض بل ذلک شأنه فی النوافل؛ و من ذلک بوّب ابن حبان فی صحیحه ":ذکر ما کان یرتل المصطفی صلی اللّه علیه و سلم قراءته فی صلاة اللیل" «۱».

و إنما کان الإکثار من هذه الأوصاف لتطبیق النبی صلی اللّه علیه و سلم للترتیل، و الاستزادة منها فی البحث، لأهمیتها البالغة فی إثبات أمر جوهری هو:

تحری صحابة رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم لنقل الهیئة الداخلیة لقراءته (الأداء)، کتحریهم لنقل أصل ألفاظه.

۶- التأنی فی تلاوة القرآن:

اشارة

و هو جوهر الترتیل الذی أمر اللّه عزّ و جل به فی قوله ... وَ رَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِیلًا.

فحقيقة ترتيل القرآن ":قراءته على ترسل، و تؤدة بتبيين الحروف، و إشباع الحركات حتى يجيء المتلو منه شبيها بالثغر المرتل، و هو المفلج المشبه بنور الأقحوان، و لا بهذه هذا و لا يسرده سردا، كما قال عمر: شر السير الحقحقة، و شر القراءة الهذرمة، حتى يشبه المتلو فى تتابعه الثغر، و قوله عزّ و جل تَرْتِيلًا تأكيد فى إيجاب الأمر به، و أنه ما لا بد منه للقارئ «"۲»، فليس هذا الأمر تحسينيا فى القراءة، بل هو مندرج ضمن الطلب الشرعى. (۱) صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان ۶/ ۳۱۸، مرجع سابق.

(۲) الكشاف ۴/ ۱۵۲، مرجع سابق، و الكلام المنسوب لعمر لم أحده بعد لأى، و إنما ذكر (شر السير الحقحقة) على لسان الهواتف قبل النبوة، انظر: (الأصبهانى) إسماعيل بن محمد بن الفضل التيمى ت ۵۳۵ ه: دلائل النبوة ۲/ ۱۶۹، تحقيق: محمد محمد الحداد، ۱۴۰۹ ه، دار طيبة- الرياض، و جاءت على لسان الحسن البصرى، انظر: (ابن المبارك) أبو عبد اللّه عبد اللّه بن المبارك ابن واضح المروزى ت ۱۸۱ ه: كتاب الزهد ص ۴۶۸، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمى، دار الكتب العلمية- بيروت.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۵۷

و التصريح بالتأنى ظاهر فى قوله سبحانه و تعالى ... وَ لا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضى إِلَيْكَ وَحْيُهُ ... لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ؛ إذ فى كل منهما زجر عن الاستعجال فى حفظ الكتاب الكريم، و ذاك فى معنى الاستعجال فى تلاوته، و لذا قال الزمخشرى فى قوله سبحانه و تعالى كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعاجِلَةَ ":كَلَّا زجر لرسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم عن عادة العجلة، و إنكار لها عليه، و حثّ على الأناة، و التؤدة، و قد بالغ فى ذلك باتباعه قوله بَلْ تُحِبُّونَ الْعاجِلَةَ كأنه قال: بل أنتم يا بنى آدم لأنكم خلقتم من عجل، و طبعتم عليه تعجلون فى كل شيء، و من ثم تحبون العاجلة «"۱»، و قال الآلوسى ":كَلَّا إرشاد للرسول صلى اللّه عليه و سلم، و أخذ به عن عادة العجلة، و ترغيب له فى الأناة، و بالغ سبحانه فى ذلك لمزيد حبه إياه باتباعه قوله سبحانه و تعالى بَلْ- ثم سرد الألوسى غير ذلك المعنى، و عقب باستحسان كلام الزمخشرى- قال-: و اللائق بجزالة التنزيل، و لطيف إشاراته ما أشار إليه ذو اليد الطولى جار اللّه تجاوز اللّه عن تقصيراته «"۲»، و تفصيل الاستدلال مبسوط فى تحليل الموقف القرآنى الذى تثيره كل من الآيتين «۳».

و قد بين اللّه سبحانه و تعالى مدى هذا النهى، و مدة هذه العجلة المنهية: فى قوله وَ لا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضى إِلَيْكَ وَحْيُهُ" طه/ ۱۱۴."

و الغاية من التأنى:

التدبر، فقد قال ابن كثير ":اقرأه على تمهل؛ فإنه يكون عونا على تدبره «"۴».

و التأنى يستلزم السكينة و الوقار

و لذا ففى تفسير الجلالين ":و رتل القرآن: تثبت فى تلاوته، "و قال الصاوى ":اقرأ بترتيل، و تؤده، و سكينة، و وقار «"۱». (۱) الكشاف ۴/ ۱۶۵، مرجع سابق، و كذا أبو السعود ۵/ ۴۳۱، مرجع سابق.

(۲) روح المعانى ۲۹/ ۲۴۵، مرجع سابق.

(۳) انظر: حديث المعالجة فى المبحث السادس من هذا الفصل.

(۴) ابن كثير ۴/ ۳۷۰، مرجع سابق، و نحوه عند الشوكانى فى فتح القدير ۵/ ۳۸۷، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۵۸

و التأنى يقتضى إشباع الحركات

كما سبق فى كلام الزمخشرى آنفا «۱»، و فى التحرير و التنوير ":و أريد بترتيل القرآن: ترتيل قراءته، أى التمهل فى النطق بحروف القرآن حتى تخرج من الفم واضحة، مع إشباع الحركات التى تستحق الإشباع «"۲».

و قال ابن حجر- رحمه اللّه تعالى- فى حديث المعالجة «۳ "»:و شاهد الترجمة منه: النهى عن تعجيله بالتلاوة؛ فإنه يقتضى استحباب التأنى فيه، و هو المناسب للترتيل «"۴».

و تذكر حفصة- رضى اللّه تعالى عنها- الصورة التطبيقية لهذا التأنى فى قولها:

كان النبى صلى اللّه عليه و سلم يرتل السورة حتى تكون أطول من أطول منها، و يزيد هذا إيضاحا حديث أبى وائل قال: غدونا على عبد اللّه فقال رجل: قرأت المفصل البارحة فقال: (هذا كهذ الشعر؟، إنا قد سمعنا القراءة، و إنى لأحفظ القرناء التى كان يقرأ بهن النبى صلى اللّه عليه و سلم، ثمانى عشرة سورة من المفصل، و سورتين من آل حم) «۵».

و إنما قال: (هذا كهذ الشعر)؛ لأنهم كانوا إذا أنشدوا القصيدة، أسرعوا ليظهر ميزان بحرها، و تتعاقب قوافيها على الأسماع، و الهذ: إسراع القطع «۶».

فإذا حلل هذا الكلام مليا من حيث تعريف الترتيل اللغوى، و متضمّناته فى الاستعمال العرفى حتى يتم الوصول إلى تقريب لمقدار هذه التؤدة، و ضبط لذاك التمهل «۷»؛ إذ غير خاف أن إنشاد الشعر فى المحافل عادة لا يخلو من ترتيب و تفاعل بين المعنى و المبنى، (۱) حاشية الصاوى ۴/ ۳۳۸، مرجع سابق.

(۲) التحرير و التنوير ۲۹/ ۳۱۶، مرجع سابق.

(۳) انظر: المبحث السادس من هذا الفصل.

(۴) فتح البارى شرح صحيح البخارى ۹/ ۹۰، مرجع سابق.

(۵) صحيح البخارى ۴/ ۱۹۲۴، مرجع سابق.

(۶) التحرير و التنوير ۲۹/ ۳۱۶، مرجع سابق.

(۷) و ليس فى تفاوت ضبط ذلك حجة لمنكر التواتر فى الأداء، إذ أصل الأداء كالمد مثلا: ثابت عند عامة المسلمين، فضلا عن عامة القراء، و هو ما يدور الكلام حوله، أما مراتبه فقد يسلم بالنظر فى تواترها، و لا ضير فى ذلك.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۵۹

و تريث مع إسراع يعرف عند سماع الشعر، كما لا يخلو من نوع محاولة إلصاق بآخر البيت لتتناغم أوزانها و كلماتها، و ذاك حالة بين السرعة المفرطة المشبّهة بقراءة نشرات الأخبار، أو إلقاء خطب المنابر المهيّجة للسامع، و بين الإبطاء الممل ... فإذا كان هذا الإلقاء للشعر مذموما، و هو بهذه المنزلة غير المتعجلة الإلقاء نسبيا من حيث واقعه، ظهر أن ترتيل القرآن الكريم يستلزم تأنيا أكثر، و تؤدة أعظم، و محاولة إظهار للمبنى أجمل، تتكفل بإبداء للمعنى أكمل، لا- على حسابه كما هو معلوم، من غير مبالاة بإدراك نهايات الآيات، و خواتيم السور ... و هذا الضبط لتلك التؤدة هو ما تسمعه من مهرة القراء فى عصرنا كما فى كل عصر، و هو ما عليه غالب حال المسلمين حتى الأميين منهم الذين لا يعرفون إلا بعض آيات يرددونها، فإنه يظهر تغير طريقة قراءتهم، و نبرات صوتهم إن كانت للقرآن الكريم «۱».

و ليضبط هذا التأنى من الجهة المقابلة:

إذ إن الاهتمام باللفظ على حساب المعنى، أو الغلو فى التؤدة، أو الإفراط فى التغنى بالقرآن مدا، و ابتداء، و وقفا ... يضاد غاية

الترتیل، و یصبح اللفظ غایة بعد أن کان وسیلة، و یکون القرآن کتاب للاستمتاع الموسیقی المجرد فحسب، و هو کتاب الهدایة ... فلا یرد علی ما قرّر آنفا ما انحدر إلیه بعض متزعمی الإقراء، و متصدریه فی هذا الباب.

فإن اعترض بأن الرابط بین ما یرومه هذا المبحث من بیان متعلقات تعلیم جبریل علیه السلام للنبی صلی اللّه علیه و سلم من حیث اللفظ و بین موضوع الترتیل غیر واضح، و لا نص صریح فی علاقة جبریل علیه السلام بالترتیل؟.

فالجواب: کان الأمر بالترتیل مبکرا علی سنن نزول الوحی، فقد کان جملة ما نزل من القرآن حین نزول أوائل سورة المزمل سورتین أو ثلاث علی أصح الأقوال «۲»، (۱) و هذا من أعظم أدلة التواتر، و هو ظاهرة لیست بغریبة علی المناهج المعرفیة لدی المسلمین تدل علی مقدار الحفظ الإلهی للکتاب الکریم.

(۲) انظر: الإتقان ۱/ ۲۰، مرجع سابق.

تلقی النبی ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۶۰

و یشیر قوله سبحانه و تعالی فیها إِنَّا سَنُلْقِی عَلَیْکَ قَوْلًا ثَقِیلًا "المزمل/ ۴ «"۱» إلی أن القرآن بادئ بالنزول، و هذه بدایة إضافیة لا حقیقة أوجب تقریرها الکثرة الکاثرة لما سینزل من الوحی بعدها مقارنة بما سبق ... و لما کان جبریل علیه السلام هو المقرئ لرسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم ما ینزل من القرآن، کما أنه الذی یعارضه به تعاهدا، و مراجعة، و تثبیتا، فقد لزم أن یکون جبریل علیه السلام هو الذی یقرئه بالترتیل ابتداء، و هو ما صرح به فی قوله سبحانه و تعالی ... وَ رَتَّلْناهُ تَرْتِیلًا "الفرقان/ ۳۲."

و لا یرتضی القول بأن المراد بالترتیل فی هذه الآیة هو التفریق الزمنی فی الإنزال

لقرینة سیاق الآیة، فأولها قوله سبحانه و تعالی وَ قالَ الَّذِینَ کَفَرُوا لَوْ لا نُزِّلَ عَلَیْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً " ...الفرقان/ ۳۲؛ "لأن التأسیس أولی من التأکید «۲»، و قد تقدم فی سیاق الآیة التنبیه علی تفریق القرآن زمنیا فی إنزاله إلی الأرض من کلام الکفار مع إقرارهم علی ذلک و بیان الحکمة منه، فصارت نهایة الآیة دالة علی معنی آخر هو هیئة تلاوة القرآن، علی أن العرف الشرعی قاض بأن لفظة (رتل) مستعملة فی هیئة أداء القرآن «۳» لا فی تنجیمه، و قد تقرر فی الأصول تقدیم الحقیقة الشرعیة و العرفیة علی اللغویة «۴»،

فتحرر من هذا أن جبریل علیه السلام کان یقرئ النبی صلی اللّه علیه و سلم القرآن بالترتیل. و یختم هذا بالقول:

إن سورة المزمل قد نعتت بدقة الطبیعة الذاتیة للقرآن الکریم قَوْلًا ثَقِیلًا، و کیفیة وصولها من السماء إلی الأرض سَنُلْقِی، و وسیلة الاستعانة علی تلقیه قُمِ اللَّیْلَ، (۱) و القول الثقیل هو القرآن کما تقرر عند أئمة التفسیر، انظر: التحریر و التنویر ۲۹/ ۲۶۰، مرجع سابق.

(۲) انظر مثلا فی علم أصول الفقه: نثر الورود ۱/ ۲۲۵، مرجع سابق.

(۳) کما فی قوله عزّ و جل وَ رَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِیلًا "المزمل/ ۳، "و قول النبی صلی اللّه علیه و سلم (... اقرأ و ارق و رتل ...) و یأتی تخریجه بعد قلیل فی هذا الفصل.

(۴) انظر مثلا- فی علم أصول الفقه: نثر الورود ۱/ ۱۲۰، مرجع سابق، المستصفی ۱/ ۳۴۱، مرجع سابق، نهایة السول ۲/ ۱۴۵، مرجع سابق.

تلقی النبی ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۶۱

و هیئة النطق به، و الوقت المختار لمراجعته، و بیان الأوقات التی تصرف فی أمور أخری غیر مراجعته و تعاهده ... و إذ قد کانت هذه العنایة الکثیرة الدقیقة ... علم مقدار التوقیفیة فی نقل لفظ القرآن الکریم.

فإن اعترض بأن: الإلقاء هو هیئة أداء القرآن من جبریل علیه السلام للنبی صلی اللّه علیه و سلم، و لا دلیل أصرح فیه من آیة المزمل إِنَّا

سَنُلْقِی، و الإلقاء هو رمی الشیء من الید إلی الأرض و طرحه، و یقال: شیء لقی: أی مطروح، و إذا کان کذلک فهو لا یفید التمهل.

فالجواب: عن هذا الإیراد:

۱- غایة ما یدل علیه أصل الوضع اللغوی لمادة ألقی هو الطرح، فأین اقتران السرعة معه أو عدم اقترانها؟، علی أن الحقیقة العرفیة مقدمة علی الوضع اللغوی.

۲- لا یضرب دین اللّه سبحانه و تعالی بعضه ببعض، بل یؤخذ هذا الدلیل مجموعا إلیه بقیة الأدلة السابقة و المقترنة، فیکون النقل محققا، و التقریر مصدقا.

۳- الإلقاء فی آیة المزمل مستعار لمعنی الإبلاغ الذی یأتی دفعة واحدة لأن النبی صلی اللّه علیه و سلم لم یکن متوقعا له، و لا مترقبا حدوثه، فأرید تنبیهه علی کمیة الملقی علیه من خلال ما یشعر به لفظ (نلقی) لیقدر الأمر حق قدره، فاستعیر الإلقاء للإبلاغ دفعة علی غیر ترقب «۱».

و یدل علی أنه لیس المراد بالإلقاء القذف دون تمهل: ورود التعبیر عنه فی السنة بالنبذ (فینبذه إلی) و ذلک عند ما یتمثل الملک له رجلا، و هذا الوصف یضاد معنی القذف السریع؛ إذ أن الرجل عند ما ینبذه إلیه إنما ینبذه فی لغة البشر و لا یقتضی ذاک السرعة، و قد ورد التعبیر عن الکلام بالإلقاء فی قوله سبحانه و تعالی فَأَلْقَوْا إِلَیْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّکُمْ لَکاذِبُونَ "النحل/ ۸۶، ("۱) التحریر و التنویر ۲۹/ ۳۱۷، مرجع سابق.

تلقی النبی ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۶۲

و منه قوله عزّ و جل فَکَذلِکَ أَلْقَی السَّامِرِیُّ "طه/ ۸۷ "و تقدم تفصیل ذلک فی المبحث السابع.

علی أن هذا الإیراد غریب فی مدخله، من حیث أن الوحی یستلزم السرعة و إلا لا یسمی وحیا، و یرد فیه ما سبق، ثم إن السرعة واضح معناها فی النسبیة (الإضافیة) مقارنة بفعل البشر، لا من حیث أنها سرعة مطلقة.

و هنا أمر ینبغی التنبه له هو أن الإلقاء إنما یکون للأمر الحسی کالحجر و الکلام، و قد یستعار للأمر غیر المشاهد کالوسوسة کما فی قوله سبحانه و تعالی وَ ما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِکَ مِنْ رَسُولٍ وَ لا نَبِیٍّ إِلَّا إِذا تَمَنَّی أَلْقَی الشَّیْطانُ فِی أُمْنِیَّتِهِ "الحج/ ۵۲ «"۱».

۷- التغنی بالقرآن، و الجهر به:

اشارة

فعن أبی هریرة رضی اللّه عنه أنه کان یقول: قال رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم: (لم یأذن اللّه لشیء ما أذن للنبی یتغنی «۲» بالقرآن)، و قال صاحب له: یرید یجهر به «۳»، زاد فی لفظ له: قال سفیان: تفسیره یستغنی به «۴»، و فی لفظ: (ما أذن اللّه لشیء ما أذن لنبی حسن الصوت بالقرآن یجهر به)، و عن معقل بن یسار رضی اللّه عنه قال: قال رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم: (لا یأذن اللّه لشیء إذنه لأذان المؤذنین، و الصوت الحسن بالقرآن) «۵»، و عند ابن حبان (ما أذن اللّه لشیء کإذنه للذی یتغنی بالقرآن یجهر به) «۶». (۱) انظر: تحلیل هذه الآیة فی الفصل الخامس، و کان هذا التنبیه حتی لا یظنّ أن الإلقاء معنوی فقط، فیجوز أن یکون إلهاما.

(۲) قال ابن حجر فی الفتح ۹/ ۷۰، مرجع سابق ":قال ابن الجوزی: اختلفوا فی معنی قوله (یتغنی) علی أربعة أقوال: أحدها: تحسین الصوت، و الثانی: الاستغناء، و الثالث: التحزن، قاله الشافعی، و الرابع: التشاغل به، تقول العرب:

تغنی بالمکان أقام به، و فیه قول آخر حکاه ابن الأنباری فی الزاهر قال: المراد التلذذ و الاستحلاء له، کما یستلذ أهل الطرب بالغناء، فأطلق علیه تغنیا من حدیث (أنه یفعل عنده ما یفعل عند الغناء)، و هو کقول لنابغة:

بکاء حمامة تدعو هدیلا مفجعة علی فنن تغنی، أطلق علی صوتها غناء؛ لأنه یطرب کما یطرب الغناء، و إن لم یکن غناء حقیقة."

(۳) صحیح البخاری ۴/ ۱۹۱۸، مرجع سابق.

(۴) و فی سنن الدارمی ۱/ ۷۶۵، مرجع سابق: و قال ":یرید به الاستغناء، "و لا شک فی ضعف هذا الرأی إن أرید به نفی الآخر، و لیس المقام بمتسع لتفصیل ذلک، فیکتفی بالإشارة العابرة أعلاه.

(۵) المعجم الکبیر ۲۰/ ۲۱۶، مرجع سابق.

(۶) صحیح ابن حبان بترتیب ابن بلبان ۳/ ۳۰، مرجع سابق.

تلقی النبی ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۶۳

و المعنی:

ما أذن اللّه لشیء کإذنه لنبی یتغنّی بالقرآن أی ما استمع اللّه لشیء کاستماعه لنبی یتغنّی بالقرآن أی یتلوه یجهر به «"۱».

و قال أبو حاتم بن حبان ":قوله صلی اللّه علیه و سلم یتغنی بالقرآن یرید یتحزن به، و لیس هذا من الغنیة، و لو کان ذلک من الغنیة لقال (یتغانی به)، و لم یقل (یتغنی به) و لیس التحزن بالقرآن و طیب الصوت، و طاعة اللهوات بأنواع النغم بوفاق الوقاع، و لکن التحزن بالقرآن هو:

أن یقارنه شیئان: الأسف و التلهف: الأسف علی ما وقع من التقصیر، و التلهف علی ما یؤمل من التوقیر، فإذا تألم القلب، و توجع، و تحزن الصوت، و رجّع، بدر الجفن بالدموع، و القلب باللموع، فحینئذ یستلذ المتهجد بالمناجاة، و یفر من الخلق إلی وکر الخلوات، رجاء غفران السالف من الذنوب، و التجاوز عن الجنایات و العیوب، فنسأل اللّه التوفیق له «"۲»، فقوله (ما أذن اللّه): یرید ما استمع اللّه لشیء (کإذنه) کاستماعه للذی یتغنی بالقرآن یجهر به یرید یتحزن بالقراءة «۳».

و فی سنن البیهقی ":قال أبو عبیدة: فی قوله (کإذنه) یعنی ما استمع اللّه لشیء کاستماعه لنبی یتغنی بالقرآن، و لم یرض و من روایة من روی کإذنه قال و قوله (یتغنی بالقرآن) إنما مذهبه عندنا تحزین القراءة «"۴».

و المعنی المتحصل من أقوال أئمة الشأن:

أن لفظ (أذن) بفتحة ثم کسرة فی الماضی، و کذا فی المضارع مشترک بین الإطلاق، و الاستماع تقول: أذنت آذن بالمد، فإن أردت الإطلاق فالمصدر بکسرة ثم سکون، و إن أردت الاستماع فالمصدر بفتحتین، کما قال عدی بن زید: (۱) النهایة فی غریب الأثر ۱/ ۳۳، مرجع سابق.

(۲) صحیح ابن حبان بترتیب ابن بلبان ۳/ ۲۷، مرجع سابق.

(۳) انظر: صحیح ابن حبان بترتیب ابن بلبان ۳/ ۳۰، مرجع سابق.

(۴) سنن البیهقی الکبری ۱۰/ ۲۲۹، مرجع سابق.

تلقی النبی ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۶۴

أیها القلب تعلل بدن إن همی فی سماع و أذن

أی فی سماع و استماع، فأصل أذن بفتحتین أن المستمع یمیل بإذنه إلی جهة من یسمعه «۱».

و هو ما قرره العلماء، و شهد له الاشتقاق اللغوی، و ممن قرر ذلک:

قال السیوطی ":قال النووی: معناه عند الشافعی و أصحابه و أکثر العلماء من الطوائف و أصحاب الفنون: تحسین صوته به، و الصحیح أنه من تحسین الصوت و یؤیده الروایة الأخری یتغنی بالقرآن یجهر به «"۲».

و قال السندى ":يتغنى بالقرآن: أى يحسن صوته به حال قراءته أو هو الجهر، و قوله (يجهر به) تفسير له أو يلين، و يرقق صوته ليجلب به إلى نفسه و الى السامعين الحزن و البكاء، و ينقطع به عن الخلق إلى الخالق جل و علا «"۳».
و واضح أن هذه مرتبة فوق مرتبة الترتيل ...

۸- الترجيع فى القرآن:

اشارة

هو تقارب ضروب الحركات فى القراءة، و أصله الترديد، و ترجيع الصوت: ترديده فى الحلق «۴».

و الصورة التطبيقية لذلك:

ما رواه معاوية بن قرة عن عبد اللّه بن المغفل المزنى رضى اللّه عنه قال: رأيت رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم يوم الفتح على ناقة له يقرأ سورة الفتح أو من سورة الفتح- قال-: فرجع فيها، قال: ثم قرأ معاوية يحكى قراءة ابن مغفل، و قال: لو لا أن يجتمع الناس عليكم لرجعت كما رجع ابن مغفل يحكى النبى صلى اللّه عليه و سلم فقلت لمعاوية كيف كان ترجيعه قال آآآ ثلاث مرات «۵». (۱) انظر: فتح البارى شرح صحيح البخارى ۹/ ۲۷۶۹، مرجع سابق.
(۲) الديباج على صحيح مسلم ۲/ ۳۹۳، مرجع سابق.
(۳) حاشية السندى على النسائى ۱/ ۱۸۰، مرجع سابق.
(۴) فتح البارى ۹/ ۹۲، مرجع سابق.
(۵) صحيح البخارى ۶/ ۲۷۴۲، مرجع سابق.
تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۶۵
فهذا يحتمل أمرين: أحدهما: أن ذلك حدث من هز الناقة، و الآخر: أنه أشبع المد فى موضعه، فحدث ذلك، و الثانى هو الصحيح بقرينة السياق؛ فإن فى بعض طرقه (لو لا أن يجتمع الناس لقرأت لكم بذلك اللحن) أى النغم. قال ابن حجر ":و الذى يظهر أن فى الترجيع قدرا زائدا على الترتيل، فعند ابن أبى داود من طريق أبى إسحاق عن علقمة قال: بت مع عبد اللّه بن مسعود فى داره، فنام، ثم قام، فكان يقرأ قراءة الرجل فى مسجد حيه لا يرفع صوته، و يسمع من حوله، و يرتل، و لا يرجع «"۱»، و يدل لهذا الكلام ما جاء عن أم هانئ- رضى اللّه تعالى عنها-: كنت أسمع صوت النبى صلى اللّه عليه و سلم، و هو يقرأ و أنا نائمة على فراشى يرجّع القرآن «۲».
كما يدل هذا الحديث على أن الترجيع غالب فعله فى تلاوة القرآن الكريم.
فقد تحصل من هذا أن أداء القرآن يستلزم: تحريك اللسان و الشفتين (القراءة)، و الترتيل، و التغنى، و الترجيع.

و يتضح مما سبق أن أداء القرآن ينقسم إلى قسمين:

أ- الأداء الأصلى

و يمثل الترتيل بعناصر حقيقته، و هو المسمى فى علم التجويد: حق الحروف.

ب- الأداء الفرعی:

و یمثل التغنی و الترجیع حقیقهٔ، و یسمی فی علم التجوید مستحق الحروف.
و اللفظ یستحیل معناه بتغیر الأداء الأصلی، أو ترکه، و قد یحدث ذلک بترک الأداء الفرعی. (۱) فتح الباری ۹/ ۹۲، مرجع سابق.
(۲) (الطحاوی) أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامهٔ ۳۲۱ ه: شرح معانی الآثار ۱/ ۳۴۴، مراجعهٔ محمد زهری النجار- ط ۱، ۱۴۱۰ ه- ۱۹۹۰ م، دار الکتب العلمیهٔ- بیروت.
تلقی النبی ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۶۶

فالمراتب فی أداء لفظ القرآن الکریم أربعهٔ

اشارهٔ

من حیث الماهیهٔ اللغویهٔ، و المدلول الشرعی (و ترجع هیئات الترتیل من تحقیق، و حدر، و تدویر إلیها):

أ- القراءهٔ:

و لا- تکون إلا بإخراج کل حرف من مخرجه، و هی جنس عام للقرآن و غیره، و أصبحت القراءهٔ تنصرف إلی قراءهٔ القرآن عن ظهر قلب عندهم، و هو المفهوم من کلمهٔ (القرآن) أی المقروء من الصدر، فی مقابل لفظ الکتاب أی المکتوب، و یقتضی هذا المفهوم أن یقرأ من الصحف التی کتب فیها، أو من الصدور التی حفظ فیها بالتلقی من الأفواه.

ب- الترتیل:

و هو هیئهٔ خاصهٔ بالقرآن الکریم، فهو مرتبهٔ أعلی من القراءهٔ، و علی هذا فإن الترتیل یحتوی مراتب القراءهٔ الثلاثهٔ الشهیرهٔ: التحقیق، و الحدر، و التدویر بحسب تفاوت درجات الترتیل لیکون أحدها.

ج- التغنی:

و هو هیئهٔ خاصهٔ بالقرآن الکریم، فهو مرتبهٔ أعلی من الترتیل، ففیه تنغیم للصوت علی القواعد المتلقاهٔ، فلا یرد علیه الغناء المعروف عند البشر.

د- الترجیع:

و هو تردید للفظ المقروء المرتل المتغنی به، أو زیادهٔ تحبیره و تحسین أدائه بزیادهٔ تحقیق المد و نحوه.

و على هـذا التقرير: فلاـ يمكن إطلاق القول بنفى تواتر الأداء حتى يسأل عن ماهيته المقصودة من هـذه المراتب، و تواترها (اليقين فى ثبوتهـا) بـدهى واضـح، و إن تفاوتت مراتبها فى التواتر، فما ورد على ألسـنة بعض العلماء «۱» منى نفى لتواتر الأـداء يحمل على الأداء الـذى لا ينضـبط بالتلقى، و هو ما صـرّح به ابن خلـدون، و ذلك كتحديـد مراتب المد بالدقة المتناقلة بعدد الحركات، فإن أصل المد راجع إلى ذات الحرف (و هو المسـمى بالمـد الطبيعى)، و هـذا يندرج فى (القراءة)، (۱) انظر إشارة إلى كلام بعضـهم فى هامش ص ۱۷۰، من هذا المبحث.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۶۷

و مده فوق ذات الحرف راجع إلى عربيته الصرفة من لقائه للهمز أو السكون، على ما هو مقرر فى علوم العربية، و ذا عائد للقراءة أيضا، و ترديده بتأن و تبيين أظهر للحروف يرجع إلى الترتيل، و تواتره بين المسـلمين أبين من أن يتكلم عليه، و تنغيمه على هيئة معينة يرجع إلى التغنى و الترجيع، و تواتره بين المسلمين معلوم أيضا، و بقى التحديد الأكثر دقة من أربع حركات، أو ست، أو نحو ذلك قد يسلم بعدم تواتره «۱»، و لاـ ضائر يضـير القرآن من عـدم تواتره، فمثله كمثل إنسان كسـى أنواع الثياب، فقائل يقول: كم ثوبه إلى رسـغه، و آخر يقول بل إلى خنصـره، و ثالث يقول بل بين ذلك ... مع اتفاقهم جميعا على أنه اكتسى ... فأين من يقول بأن الزاعم قصر الكم قد أنقص فى طبيعـة الرجل الأصـلية؟، و بأن الزاعم طول الكم قد زاد فى خلقة الرجل الأصـلية؟ فكذلك القرآن لا يضـيره تفاوت مراتب المد و نحوها حتى يقال بأن الذى زاد دون تواتر قد زاد فى كلام اللّه ... و نحو ذلك، و لا يتسع المقام لأكثر من هذا.

۹- مماثلة قراءة النبى صلى اللّه عليه و سلم لقراءة جبريل عليه السلام:

اشارة

و يدخل فى ذلك مماثلة أصل اللفظ، و هيئة أدائه الداخلية، و ذلك تطبيقا لأمر اللّه، و تحقيقا لوعده فى قوله عزّ و جل إِنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ فتكفل سـبحانه بجمع لفظ القرآن و هيئة أدائه فى صدر النبى صـلى اللّه عليه و سـلم (الحفظ)، و بأن يقرأه بعد كما سـمعه من جبريل عليه السلام أصلا و أداء، و الاختلاف كائن فى الصوت فحسب، إذ صوت جبريل عليه السلام يختلف عن صوته صلى اللّه عليه و سلم، و نفسه يختلف عن نفسه.

و أكـد شـمول هـذا الوعد لأصل اللفظ و لأدائه بقوله سـبحانه و تعالى ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنا بَيانَهُ "القيامة/ ۱۹، "و البيان هو إظهار الكلمـة حرفا حرفا، دون دمج، أو تداخل فلذا يسـمّى (الإظهار) و هو حكم من أحكام النون و الميم الساكنتين فى علم التجويد- (۱) و هو ما صرّح به ابن الجزرى- رحمه اللّه تعالى- فى منجد المقرئين ص ۴۳، على الرغم من إنكاره الشديد على ابن الحاجب- رحمه اللّه تعالى-.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۶۸

البيان لأن فيه تبيين للنون و الحرف الذى بعدها دون إخفاء، أو قلب، أو إدغام، و تقدم الكلام عن ذلك «۱».

و الصورة التطبيقية لهذا

عبر عنها ابن عباس رضى اللّه عنه بقوله: (فإذا انطلق جبريل عليه السلام قرأه النبى صلى اللّه عليه و سلم كما قرأه [كما وعده اللّه «۲».

و الضـمير فى قوله فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ لجبريل عليه السـلام و التقدير: فإذا انتهت قراءة جبريل عليه السـلام فأقرأ أنت، و تقدم تفصيل ذلك فى المبحث السابع من هذا الفصل.

۱۰- قراءته صلى اللّه عليه و سلم على الناس كما أقرأه جبريل عليه السلام من حيث أصل اللفظ و أداؤه:

اشارة

و يختلف عن البنـد السـابق فى أنه أخص منه مطلقـا من حيث أنه مـأمور بتلاوته على الناس لقوله سـبحانه و تعالى ... لِأُنْـذِرَكُمْ بِهِ" ... الأنعام/ ۱۹، "و قوله: إِنَّما أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِى حَرَّمَها وَ لَهُ كُلُّ شَىْءٍ وَ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَ أَنْ أَتْلُوَا الْقُرْآنَ "...النمل/ ۹۱، "و السابق أعم من حيث أنه يقرؤه لنفسه أو للناس.

و إنما أفردت هذه النقطة بالذكر مع دخولها فيما سـبق لأهميتها فى إحداث اليقين القطعى، بحقيقة: أن النبى صلى اللّه عليه و سلم كان يقرأ ألفاظ كما أقرأه جبريل عليه السـلام لا يخرم منها حرفا، و لا هيئة لعموم قول ابن عباس رضـى اللّه عنه: (كما أقرأه)، و لقوله عزّ و جل قُلْ ما يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا ما يُوحى إِلَيَّ " ...يونس/ ۱۵."

فإذا اجتمع – كما سبق –:

۱– الأمر الإلـهى الموجب اتبـاع هيئـة معينـة للنطق بالقرآن (الأداء)، و هو قوله سـبحانه و تعالى ... وَ رَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا "المزمل/ ۴ "و نحوها، ۲– و التطبيق الملائكى (جبريل) عليه السـلام لذلک الأمر مبالغة فى اتباع تلک الهيئة كما فى قوله عزّ و جل ... وَ رَتَّلْناهُ تَرْتِيلًا" الفرقان/ ۳۲ «"۳»، (۱) انظر: حديث المعالجة فى المبحث السادس من هذا الفصل ص ۱۱۳.

(۲) صحيح البخارى ۱/ ۶، مرجع سابق.

(۳) و يلاحظ بعين التأمل أن إيراد هذه الجملة كان أثناء حجاج الخصماء فيه، ليظهر بالغ أهميتها.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۶۹

۳– و النص النبوى عليهـا (اقرأ و ارق و رتـل) «۱» ... و نحوه، ۴– و التطبيق النبوىّ لهـا، ۵– و دقة وصف الصـحابة لتلک الهيئة، ۶– مع تناقل هذه الهيئة عبر الأجيال ...

كانت النتيجة التلقائية لهذه المقدمات هى:

التوقيفية المحضة فى نقل هيئة أداء القرآن، كنقل أصل ألفاظه ...

فإذا أضـيف إلى هذا: أن الرسول صلى اللّه عليه و سلم كان إذا انطلق جبريل عليه السلام قرأه كما قرأه، و أن الصحابة حفظوه و كتبوه كما أقرأهم الرسول صـلى اللّه عليه و سلم ... و أن حلقات الحفظ هذه قد توالت من اللّه– جل و علا– إلى رسوله من أهل السماء عليه السلام إلى رسوله من أهل الأرض صلى اللّه عليه و سلم، ثم إلى صحابة رسوله صلى اللّه عليه و سلم، ثم إلى الأمة باختلاف مكانها و زمانها ... بأعلى درجات الحفظ و الضبط ... كما كان الرسول صلى اللّه عليه و سلم يقوم بالعرض اليومى للصحابة عند نزول القرآن، و فى الصـلوات الجهرية، و فى نوافله الليلية التى كان يصل و رده فيها إلى سدس القرآن الكريم فى كل ليلة غالبا ... فقد ضمن اللّه عزّ و جـل للقرآن حفظه: كتابـة بـالقلم، و أداء بـالصوت الـذى حفظت حروفه فى أدق صـفاتها و مخارجهـا من حيث مقـاطع الأداء (أماكن الخروج) و ما يصاحبه من غنة، أو مد، أو ترقيق، أو تفخيم، أو استعلاء، أو استقال ... كما حفظت أماكن الوقف و الابتداء، و السكتات الواجبة و الجائزة ...

فحفـظ اللّه– تعـالى ذكره– ألفـاظ القرآن فى هـذه الأمـة بالأـدوات الواقعيـة الإنسانيـة التى تتسم بأعلى قواعـد الحفظ، و أدق مقاييس الضبط.

و لا يعترض معترض على هـذه النتيجـة الحتميـة بأنها منخرمـة بما يشاهـد من اختلاف أداء القرآن، لأنه هـذا الاختلاف مرده إلى أمور خارجية أخرى (۱) صحيح ابن حبان ۳/ ۴۳، مرجع سابق؛ إذ مفهومه دال على مراد التقرير، و كأحاديث التغنى بالقرآن.

تلقی النبی ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۷۰

کالاختلاف الفطری فی أصوات الناس، و الاختلاف النفسی من حیث التذوق لنغمة التصویت، و الاختلاف العقلی من حیث تقدیر البطء و السرعة ... و هذا کله لا یقدح فی التوقیف فی الأداء، حذو التوقیف فی الصلاة، إذ لا جدال فی أنها عبادة توقیفیة، و تری الاختلاف فیها و اردا من حیث البطء و السرعة فی أداء أرکانها ...

و ما یشبه ذلک مما یرجع إلی البشر.

[هیئة قراءة القرآن صفة ذاتیة للفظ، و لیست صفة عارضة]

و هذه، و ما سبقها توطئة لإثبات ما هو عند المسلمین بدهی من أن هیئة قراءة القرآن صفة ذاتیة للفظ، و لیست صفة عارضة، أو أمرا تتمیمیا «۱»، کما أن فی هذا التقریر إشارة إلی منبع الوهم الزاعم عدم تواتر أوجه الأداء، و هو ما صرح به ابن الحاجب و ابن خلدون- رحمهما اللّه تعالی- «۲» ... و حسب ذا القول أن یکون مناقضا للمقتضی اللغوی لمادة (۱) فتبیین الحروف هو ما یعبر عنه علماء التجوید بقولهم: إخراج الحرف من مخرجه مع إعطائه حقه و مستحقه، إذ منعه من الصفات الذاتیة إعدام لذاته، کمن أراد إخراج الدال غیر مجهورة فهو مخرجها تاء، و منعه من الصفات العارضة هضم له و عدم بیان لحقیقته، و إزراء به یستنکره أهل اللغة کإنسان بدون ساتر له من ملبس، و الإعراب النحوی من صفاته العارضة، فهذا هو المقیاس فی دحر فکر من توسوس له نفسه التهاون فی صفات الحروف العارضة، و من هاهنا یمکن إرساء قاعدة قویة فی منع التطویر المزعوم فی الأصوات اللغویة العربیة، و ذلک لوجوب التزام بیان الحرف فی القرآن الکریم علی ما تلقاه لاحق من سابق.

(۲) أما ابن الحاجب: فصرّح بذلک فی مختصر الأصول له، و قد نفی عنه قوم ذلک بأن عبارة الاستثناء من التواتر لم ترد فی النسخ المشورة من المختصر، و أما ابن خلدون فقد رجح ذلک فی المقدمة ص ۵۵۲- تاریخ ابن خلدون- تألیف:

عبد الرحمن بن خلدون ت ۸۰۸ ه- ضبط المتن و وضع الحواشی و الفهارس: خلیل شحادة- مراجعة الدکتور: سهیل زکار- دار الفکر بیروت الطبعة الثالثة ۱۴۱۷ ه- ۱۹۹۶ م: حیث قال "و قد خالف بعض الناس فی تواتر طرقها- یرید القراءات- لأنها عندهم کیفیات للأداء، و هو غیر منضبط، و أباه الأکثر و قالوا بتواترها، و قال آخرون بتواتر غیر الأداء منها کالمد و التسهیل لعدم الوقوف علی کیفیته بالسمع و هو الصحیح "و لعله عنی بالبعض الذین رجّح کلامهم ابن الحاجب فهو عنه ناقل، و لو نفی التواتر عن الأداء کما قیل، لنفاه عن أصل اللفظ، و هو ما لا یقول به ابن الحاجب، و لا یرضاه، و هو الأصولی المقرئ الکبیر؛ إذ الأداء یتضمن النطق بأصل اللفظ (و هذا المسمی مخارج الحروف)، و صفاته الأصلیة، و یتضمن الصفات العارضة الناشئة عن الصفات الأصلیة، و نفی تواتر الأداء نفی لأصل اللفظ سواء أرید به المتضمن الأول أو الثانی، إذ لا یستقیم نفی الصفة العارضة بدون نفی أصلها، و لا تستطیع تصنیف التأنی فی القراءة صفة أصلیة، فلا جرم أنها إلی الصفات العارضة تنتسب بسبب، و أما الأول فأمره بین، و قد تقدم فی المتن تحلیل، و التکرار هنا

تلقی النبی ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۷۱

الترتیل، و لما تراه من اجتماع الأمة علی تفاصیل تطبیق الترتیل، الذی ینصرف مفهومه فی أول وهلة إلی الصفات العارضة للقراءة و حروفها.

۱۱- تکرار المحفوظ:

لیرسخ فیه، فقد قال الزمخشری- رحمه اللّه تعالی "-:فأمر أن یستنصت له، ملقیا إلیه بقلبه و سمعه حتی یقضی إلیه، ثم یقضیه بالدراسة إلی أن یرسخ فیه «۱»"، و هو من معانی فی قوله عزّ و جل فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ قال الآلوسی- رحمه اللّه تعالی "-:أتبع قرآنه بالدرس

على معنى كرره حتى يرسخ فى ذهنك «"٢»، و أورد ابن جرير «٣» عن ابن عباس رضـى اللّه عنه ":كان لا يفتر من القرآن مخافة أن ينساه، فقال اللّه سبحانه و تعالى: لا تُحَرِّکْ بِهِ لِسانَکَ لِتَعْجَلَ بِهِ (١۶) إِنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ "القيامة/ ١۶- ١٧ "أن نجمعه لك وَ قُرْآنَهُ أن نقرئك فلا تنسى؛ "و هذا دالة على تكرار المحفوظ، و المعارضة و المدارسة نموذج للصورة التطبيقية لهذا التكرار.

١٢- تركيز المراجعة فى قيام الليل:

اشارة

فقيام الليل له عدة تعلقات من حيث لفظ القرآن الكريم:

أ- هو محل استمداد عون اللّه

و لذا أمر النبى صلى اللّه عليه و سلم بقيام الليل ليكون السبيل الذى يستعين به على تلقى هذا القول الثقيل.

ب- جعل قيام الليل محلا للصورة التطبيقية فى مراجعة القرآن الكريم

تثبيتا للألفاظ، و تبيينا للأصوات، ففى قيام الليل تكون "مواطأة القرآن أشد موافقة لسمعه و بصره و قلبه «"۴»، و له بالقرآن تعلقان: هو فى أسلوب طرح الكلام ... فكلام ابن الحاجب- رحمه اللّه تعالى- حال ثبوته عنه، يشير إلى ما صرّح به من بعد ابن خلدون من أن المراد هو ما لا يتوقف ضبطه على السمع كمراتب المد.

(١) الكشاف ۴/ ١۶۵، مرجع سابق، و مثله: أبو السعود ۵/ ٣۴٠، مرجع سابق.

(٢) روح المعانى ٢٩/ ٢۴۴، مرجع سابق.

(٣) تفسير الطبرى ٢٩/ ١٩٠، مرجع سابق.

(۴) صحيح البخارى ١/ ٣٨٢، مرجع سابق، عن ابن عباس- رضى اللّه عنهما-، و قال ابن حجر- رحمه اللّه تعالى-:

"و هذا وصله عبد بن حميد من طريق مجاهد. "انظر: فتح البارى شرح صحيح البخارى ٣/ ٢٣، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ١٧٢

عام: فهو أَشَدُّ وَطْئاً أى ":أثبت فى الخير، "و خاص فهو وَ أَقْوَمُ قِيلًا أى: أبلغ فى الحفظ «"١».

و كونه أبلغ فى الحفظ: مجمل فصله الشوكانى بقوله: وَ أَقْوَمُ قِيلًا أى أشد مقالا، و أثبت قراءة لحضور القلب فيها، و هدوء الأصوات ...".

و لا يتوقف ذلك عند مجرد الحفظ، بل يتعداه إلى تبيين اللفظ فقد نقل الشوكانى عن قتادة و مجاهد ":أى أصوب للقراءة، و أثبت للقول؛ لأنه زمان التفهم، و قال الكلبى:

أبين قولا بالقرآن «"٢».

و المقصود أن قيام الليل هو محل لتكون مواطأة القرآن بين القلب و اللسان أشد، كما أنه أجمع للتلاوة أى أرسخ للحفظ، و لهذا قال عزّ و جل هِيَ أَشَدُّ وَطْئاً وَ أَقْوَمُ قِيلًا "المزمل/ ۶، "أى أجمع للخاطر فى أداء القراءة و تفهمها ... «٣».

و علاقة قوله عزّ و جلّ: إِنَّ ناشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئاً وَ أَقْوَمُ قِيلًا بما قبلها ... وَ رَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا (۴) إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْکَ قَوْلًا ثَقِيلًا" المزمل/ ۴- ۵ "أنها تعليل لتخصيص زمن الليل بالقيام فيه، و المراد: إنّ فى قيام الليل تزكية و تصفية لسرك، و ارتقاء بك إلى

المراقی الملکیة، فالمعنی: إن صلاة اللیل أعود علی تذکر القرآن، و السلامة من نسیان بعض الآیات، و أعون علی المزید من التدبر، قال ابن عباس رضی اللّه عنه ":أدنی من أن یفقهوا القرآن، "و قال قتادة ":أحفظ للقرآن، "و قال ابن زید ":أقوم قراءة لفراغه من الدنیا «"۴»، و قد اشتهر حدیث حذیفة رضی اللّه عنه فی قیامه صلی اللّه علیه و سلم بسورة البقرة و آل عمران و النساء «۵» أنموذجا لورده صلی اللّه علیه و سلم فی المراجعة فی قیام اللیل. (۱) تفسیر الطبری ۲۹/ ۱۷۰، مرجع سابق.

(۲) فتح القدیر ۵/ ۳۸۸، مرجع سابق، و راجع: تفسیر أبی السعود ۵/ ۴۱۲، مرجع سابق.

(۳) انظر: تفسیر ابن کثیر ۴/ ۳۷۰، مرجع سابق.

(۴) التحریر و التنویر ۲۹/ ۱۶۳، مرجع سابق، و قال فی قوله تعالی وَ رَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِیلًا متعلقة بقیام اللیل أی: رتل قراءتک فی القیام، و یجوز أن تکون أمرا مستقلا متعلقا بکیفیة قراءة القرآن، جری ذکره بمناسبة قیام اللیل، و هذا أولی لأن الصلاة تدخل فی ذلک و انظر: البحر المحیط ۸/ ۳۶۳/ مرجع سابق.

(۵) رواه مسلم ۳/ ۳۴۲، مرجع سابق.

تلقی النبی ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۷۳

و قد جعل النبی صلی اللّه علیه و سلم قیام اللیل وردا للمراجعة الیومیة

و لذا جعله البحث نموذجا للوقت النموذجی لها «۱»، فقد کان النبی صلی اللّه علیه و سلم یقرأ ما یلقی إلیه فی اللیل أثناء قیامه فی الصلاة.

و لمراجعة القرآن فی صلاة اللیل أثر فی تثبیته بل ذلک أحد أهم قواعد حفظه، و فی موضوع تلقی النبی صلی اللّه علیه و سلم یوجد دلیلان: عام و خاص فی مراجعته صلی اللّه علیه و سلم فی اللیل:

فأما الدلیل العام فقد قال صلی اللّه علیه و سلم: (إذا قام صاحب القرآن فقرأه باللیل و النهار ذکره، و إن لم یقم به نسیه) «۲» و من أحق منه صلی اللّه علیه و سلم بوصف صاحب القرآن؟.

و أما الدلیل الخاص الذی فیه: أنّ قیامه فی صلاته کان بما یلقی إلیه فما حدثت به عائشة- رضی اللّه تعالی عنها- أن رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم قام لیلة من اللیالی فقال: (یا عائشة! ذرینی (۱) لا یعنی هذا نفی الغایات الشرعیة الأخری لقیام اللیل.

(۲) رواه مسلم ۱/ ۵۳۶، مرجع سابق، عن ابن عمر- رضی اللّه عنهما-، و قوله (لم یقم به) تحتمل معنی قیام اللیل، و تحتمل معنی العمل به، و قد قال المبارکفوری فی معنی قول الصحابی یخاطب رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم: (أن لا أقوم بها): کما فی تحفة الأحوذی ۸/ ۱۵۰ ":أی فی صلاة اللیل، "انظر: (المبارکفوری) أبو العلا محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحیم، ط ۱، ۱۴۱۰ ه- ۱۹۹۰ م، دار الکتب العلمیة- بیروت.

و یؤکد هذا المعنی الحدیث الذی وردت فیه هذه العبارة ما روی الترمذی ۵/ ۱۵۶ عن أبی هریرة رضی اللّه عنه قال: بعث رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم بعثا، و هم نفر فدعاهم رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم فقال: (ما ذا معکم من القرآن؟) فاستقرأهم، حتی مرّ علی رجل منهم هو من أحدثهم سنا، فقال: (ما ذا معک یا فلان؟) قال: معی کذا، و کذا، و سورة البقرة. قال: (معک سورة البقرة؟). قال: نعم!. قال: (اذهب، فأنت أمیرهم) فقال رجل- هو أشرفهم-: و الذی کذا و کذا یا رسول اللّه! ما منعنی أن لا أتعلم القرآن إلا خشیت أن لا أقوم به. قال رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم: (تعلم القرآن، و اقرأه، و ارقد، فإن مثل القرآن لمن تعلمه فقرأه، و قام به کمثل جراب محشو مسکا تفوح ریحه کل مکان، و من تعلمه، فرقد و هو فی جوفه کمثل جراب وکئ علی مسک) حسنه الترمذی، و ضعفه الألبانی، و صححه ابن حبان، و قال الشیخ شعیب الأرناءوط فی تعلیقه علی ابن حبان ":رجاله ثقات رجال الصحیح غیر عطاء مولی أبی أحمد."

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۷۴

أتعبد لربى) قلت: و اللّه إنى لأحب قربك، و أحب ما يسرك، قالت: فقام فتطهر، ثم قام يصلى، فلم يزل يبكى حتى بلّ الأرض، و جاء بلال يؤذنه بالصلاة، فلما رآه يبكى، قال:

يا رسول اللّه! تبكى و قد غفر اللّه ما تقدم من ذنبك و ما تأخر؟ قال: (أ فلا أكون عبدا شكورا؟ لقد نزلت على الليلة آيات، ويل لمن قرأها و لم يتفكر فيها إِنَّ فِي خَلْقِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ اخْتِلافِ اللَّيْلِ وَ النَّهارِ ...) الآية «۱»، و لا يعترض على النصّ بأنه غير صريح فى الدلالة على المراد؛ لأن قرائن الحال، و اقتران الوصف بالحكم فى الحديث مقتضيان المطلوب من إيراده، و هو مراجعته لما أنزل عليه، و الذى أنزل عليه هنا الآيات العشر من سورة آل عمران.

[مفهوم حزب على لسان النبى صلى اللّه عليه و سلم

بل كان يؤكد على المراجعة ببيان وسائل التدارك عند الفوات فعن عبد الرحمن ابن عبد القارى: قال سمعت عمر بن الخطاب رضى اللّه عنه يقول: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم: (من نام عن حزبه، أو عن شيء منه فقرأه فيما بين صلاة الفجر و صلاة الظهر كتب له كأنما قرأه من الليل) «۲»، و قد شمل قوله (حزبه) الصلاة و القرآن، و هو إلى القرآن أقرب؛ إذ مصطلح الحزب على لسان النبى صلى اللّه عليه و سلم يختص بالقرآن «۳».

كما جعل صلى اللّه عليه و سلم شدة الحض على قيام الليل مع الاهتمام فيه بقراءة القرآن مقترنا ببيان الحد الأدنى للقراءة أمرا لازما لتكون دافعا إلى الترقى المستمر فى زيادة كمية المقروء كما فى قوله صلى اللّه عليه و سلم: (من قام بعشر آيات لم يكتب من الغافلين، و من قام بمائة آية كتب من (۱) رواه ابن حبان فى صحيحه ۲/ ۳۸۶، مرجع سابق، و صححه الألبانى فى السلسلة الصحيحة رقم ۶۸.

(۲) صحيح مسلم ۱/ ۵۱۵، مرجع سابق.

(۳) ففى مسند الإمام أحمد بن حنبل ۴/ ۹: عن أوس بن حذيفة أن رسول اللّه قال: (طرأ على حزب من القرآن، فأردت أن لا أخرج حتى أقضيه) قال- (فسألنا أصحاب رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم حين أصبحنا- قال- قلنا:

كيف تحزبون القرآن؟ قالوا: نحزبه ثلاث سور، و خمس سور، و سبع سور، و تسع سور، و إحدى عشرة سورة، و ثلاث عشرة سورة، و حزب المفصل من قاف حتى يختم). و هو فى سنن ابن ماجة ۱/ ۴۲۷ و قال الألبانى: ضعيف.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۷۵

القانتين، و من قام بألف آية كتب من المقنطرين) «۱»، و فى الحديث إشارة برمى الذى لم يقم بعشر آيات بالغفلة، و فى ذلك تهييج نحو القيام، و قراءة هذا المقدار، و ما الحكم هنا إلا غير تحريم لترك قيام الليل ما أشبهه بالتحريم.

بل شرعت الوسائل البديلة لقيام الليل لمن فتر أو كسل متضمنة الارتباط الدائم بالقرآن، و الاستفزاز الشعورى بقيام الليل، و إن لم يقمه فقد قال صلى اللّه عليه و سلم: (من قرأ بمائة آية فى ليلة كتب له قنوت ليلة) «۲»، و سواء كان معنى الحديث القراءة المجردة، أو القراءة مع قيام الليل الذى أشعر به تعدية الفعل بالباء، فإطلاق القراءة فيه كاف فى الاستدلال على المطلوب.

على أن حرص النبى صلى اللّه عليه و سلم على استذكار القرآن و مراجعته أوضح من أن يدلل عليه، و لئن كان قد قال فى حرفة عادية: (من علم الرمى ثم تركه فليس منا فقد عصى) «۳»، لهو قائل ثم فاعل أكثر من ذلك فى أصل أصول الشريعة الإسلامية.

۱۳- التعاهد السنوى:

و ذلك بمراجعة القرآن على جبريل عليه السلام سنويا فى كل رمضان، و يأتى تحليل هذا الموقف التعليمى «۴»، و هذا هو الأصل الشرعى المنهجى فى العرضة الثانية أو الثالثة تأكيدا و تثبيتا للمحفوظ، و هذا التعاهد غير التعاهد الدائم (المراجعة الدائمة)؛ إذ كلامنا

عن اتصـال الرسول صـلى اللّه عليه و سـلم التعليمى جبريـل عليه السـلام فى القرآن الكريم من حيث اللفـظ، و المراجعـة الدائمـة عمل ذاتى. (۱) صـحيح ابن حبان ۶/ ۳۱۰، مرجع سابق، و صـحيح ابن خزيمـة ۲/ ۱۸۱، انظر: (ابن خزيمـة) إمام الأئمـة أبو بكر محمـد بن إسحاق بن خزيمة السلمى ت ۳۱۱ ه: صحيح ابن خزيمة، مراجعة: د. محمد مصطفى الأعظمى ۱۳۹۰ ه- ۱۹۷۰ م، المكتب الإسلامى- بيروت.

(۲) (المقدسى) أبو عبد اللّه محمد بن عبد الواحد بن أحمد الحنبلى ت ۶۳۴ ه: الأحاديث المختارة ۸/ ۲۷۸، تحقيق:

عبد الملك ابن عبد اللّه دهيش، ۱۴۱۰ ه، مكتبة النهضة الحديثة، مكة المكرمة.

(۳) رواه مسلم ۳/ ۱۵۲۲، مرجع سابق.

(۴) فى المبحث التاسع من هذا الفصل ص ۱۷۷.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۷۶

فإن اعترض بأنه: لم يتم عرض الجزء الذى نزل بعد آخر رمضان قبل موت النبى صلى اللّه عليه و سلم؟

فالجواب: ليس عدم العلم علما بالعدم، بل إنّ القواعد العامة للموضوع هى التى تجعل الباحث يميل إلى الحكم بالنفى أو الإثبات عند عـدم وجود النص الصـريح فى مـدار النزاع، و ما عرض فى خصوص موضوعنا يجعل الناظر فيها يميل إلى ترجيـح أن النبى صـلى اللّه عليه و سـلم قـد عرض القرآن قبل وفاته، و ذلك لما رأيته من الاهتمام المؤكّد بذلك من خلال ما سـبق، و لقد خرج النبى صـلى اللّه عليه و سلم إلى شهداء أحد قبل وفاته فصلى عليهم بأمر ربه «۱»، فكيف يكون الأمر له فى خصوص القرآن الكريم، على أنه لو لم يتم العوض فلا ضـير للتكفل بالحفظ أو لما قاله ابن حجر- رحمه اللّه تعالى "-:و كأن الـذى نزل فى تلك الأيام لما كان قليلا بالنسـبة لما تقدم اغتفر أمر معارضته «"۲».

و فى آخر هذا المبحث: فهل أتاك نبأ رسول اللّه صـلى اللّه عليه و سـلم إذ يتلقى ألفاظ القرآن الكريم؟، و جبريل عليه السـلام إذ يعلمه لفظ القرآن المجيـد؟ ... فيا حادى الشوق أشـعل سـرج العزيمـة ... و أمط عنا- بذاك- فى الظلماء ذل الهزيمة ... و يا رسول اللّه:

قد كنت بدرا و نورا يستضاء به ... عليك تنزل من ذى العزة الكتب و كان جبريل بالآيات يحضرنا ... فغاب عنا، و كل الشوق ينسكب

(۱) كما ثبت فى البخارى ۱/ ۵۷۶، مرجع سابق.

(۲) فتح البارى ۹/ ۴۴، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۷۷

المبحث التاسع: تحليل حديث المدارسة (المعارضة):

اشارة

قد تكررت- فيما سـبق- الإشارة إلى حديث المعارضة، و لأنه يمثّل أنموذج المراجعة السـنوية للقرآن الكريم من جهة، و لما يتضـمنه مـن دلالات متميزة مـن حيث تلقين جبريـل عليه السـلام للنبى صـلى اللّه عليه و سـلم ألفـاظ القرآن من جهـة أخرى؛ فقـد لزم إبرازه بالبحث و التحليل، لذا عقد هذا المبحث، و ينقسم إلى خمسة مطالب:

المطلب الأول: متن الحديث برواياته المختلفة.

المطلب الثانى: الدلالات العامة لحديث المعارضة.

المطلب الثالث: متضمّنات المعارضة.

المطلب الرابع: إیراد علی ما سبق و دفعه.

المطلب الخامس: المقتضی المنهجی لحدیث المعارضة.

المطلب الأول: متن الحدیث بروایاته المختلفة:

عن عبید اللّه بن عبد اللّه بن عتبة أن ابن عباس رضی اللّه عنه قال: کان النبی صلی اللّه علیه و سلم أجود الناس بالخیر، و کان أجود ما یکون فی رمضـان حین یلقاه جبریل علیه السـلام، و کان جبریل علیه السـلام، یلقاه کل لیلـة فی [و فی لفظ من رمضان، حتی ینسـلخ، [کان یلقاه فی کل سنة فی رمضان «۱»، یعرض علیه النبی صلی اللّه علیه و سلم «۲» القرآن، [فیدارسه القرآن «۳»، فإذا لقیه جبریل علیه السـلام کان أجود بالخیر من الریح المرسلة [و روی أبو هریرة و فاطمة- رضـی اللّه تعالی عنهما- عن النبی صـلی اللّه علیه و سـلم أن جبریل کان یعارضه القرآن «۴»، و وقع عند أحمد فی آخر هذا الحدیث: لا یسأل شـیئا إلا أعطاه «۵»، و حدیث فاطمة الذی أشار إلیه البخاری هو ما روته عائشة- رضی اللّه تعالی عنها- (۱) صحیح مسلم ۴/ ۱۸۰۳، مرجع سابق.

(۲) و مثل هذا التصـریح فی مسلم ۴/ ۱۸۰۳، و عند أحمد ۱/ ۲۳۰، مرجع سابق: کان رسول اللّه صـلی اللّه علیه و سلم یعرض الکتاب علی جبریل علیه السلام فی کل رمضان، فإذا أصبح رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم من اللیلة التی یعرض فیها ما یعرض ...

(۳) ما بین الأقواس ألفاظ أخری للبخاری.

(۴) صحیح البخاری ۳/ ۱۱۷۷، مرجع سابق.

(۵) مسند الإمام أحمد ۱/ ۳۲۶، مرجع سابق.

تلقی النبی ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۷۸

قالت: إنا کنا أزواج النبی صـلی اللّه علیه و سـلم عنده جمیعا، لم تغادر منا واحدة، فأقبلت فاطمة- علیها السـلام- تمشـی، و لا و اللّه ما تخفی مشیتها من مشیـة رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم، فلما رآها رحب و قال: مرحبا بابنتی، ثم أجلسها عن یمینه، أو عن شماله، ثم سارها فبکت بکاء شدیـدا، فلما رأی حزنها سارها الثانیـة، فإذا هی تضـحک، فقلت لها أنا من بین نسائه: خصـک رسول اللّه صـلی اللّه علیه و سلم بالسر من بیننا، ثم أنت تبکین، فلما قام رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم سألتها: عم سارک؟، قلت:

مـا کنت لأفشـی علی رسول اللّه صـلی اللّه علیه و سـلم سره. فلمـا توفی، قلت لها: عزمت علیک بما لی علیک من الحق لما أخبرتنی. قـالت: أمـا الآن فنعم، فأخبرتنی، قالت: أما حین سارنی فی الأمر الأول، فإنه أخبرنی (أن جبریل علیه السـلام کان یعارضه بالقرآن کل سنة مرة، و إنه قد عارضنی به العام مرتین، و لا أری الأجل إلا قد اقترب فاتقی اللّه، و اصبری، فإنی نعم السلف أنا لک) قالت:

فبکیت بکائی الـذی رأیت، فلما رأی جزعی سارنی الثانیـة، قال: (یا فاطمة أ لا ترضـین أن تکونی سـیدة نساء المؤمنین أو سـیدة نساء هذه الأمة) «۱».

المطلب الثانی: الدلالات العامة لحدیث المعارضة:

اشارة

و الدلالات المأخوذة من هذا الحدیث هی:

۱- اعتماد مبدأ المدارسة فی مفردات التعلیم المنهجی لألفاظ القرآن الکریم:

اشارة

فقد تنوعت روایات الحدیث فی وصف هذا الموقف التعلیمی بین جبریل علیه السلام و النبی صلی اللّه علیه و سلم، فوصفه بعضها بأنه (مدارسة)، و بعضها بأنه (معارضة)، و بعضها (یعرض علیه القرآن)، و بعضها أبهم الفاعل، و صرّح البعض بأن الفاعل للعرض هو النبی صلی اللّه علیه و سلم، و البعض أن الذی کان یعرض هو جبریل علیه السلام و منه استنباط الإمام النسائی: أن جبریل علیه السلام هو الذی کان یعرض القرآن علی النبی صلی اللّه علیه و سلم، و هو ما أشار إلیه البخاری فی قوله:

و روی أبو هریرة و فاطمة- رضی اللّه تعالی عنهما- عن النبی صلی اللّه علیه و سلم أن جبریل علیه السلام کان یعارضه القرآن ... و هذه الأوصاف مستلزمة سبر معانیها اللغویة و الاصطلاحیة، (۱) صحیح البخاری، ۵/ ۲۳۱۷، مرجع سابق.

تلقی النبی ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۷۹

للتمکن من تحلیل هذا الموقف التعلیمی المتمیز، و الخروج بنتائج حقیقیة تترتب علیه.

و من ذلک:

أ- أن المدارسة تستلزم الفقه الدقیق، و لا بد من أن یجمع ذاک إلی حسن المعنی و ترکیزه، صحة اللفظ و عذوبته و قوته، کما جاء عن عبد الملک بن عمیر عن قبیصة ابن جابر: (أ لاـ أخبرکم عن من صحبت؟! صحبت عمر بن الخطاب، فما رأیت أحدا أفقه فی کتاب اللّه، و لا أحسن مدارسة منه ...) «۱». فلیس المعنی فقط هو المعتبر فی المدارسة، و ظاهر أنه لا یستطاع الوصول إلیه إلا عبر اللفظ، فإن کان هذا اللفظ هو کلام اللّه عزّ و جل کان من البدهی أن لکل حرف فیه دلالته التی لا یقوم غیره فیها مقامه ...

ب- و المدارسة الرمضانیة هی الأساس الشرعی المنهجی للعرضة الثانیة، و الثالثة للقرآن الکریم من الطالب علی شیخه ... کما هو معمول به عند المسلمین، تدقیقا للفظ و تأکیدا للحفظ، و تثبتا من الأداء.

۲- التأکید علی الحفظ فی حق الرسول صلی اللّه علیه و سلم بما لیس بعده:

و المراد بذلک مقتضیاته التعلیمیة فی حق الأمة، ذلک أن اللّه قد تکفل بإقراء النبی صلی اللّه علیه و سلم علی هیئة قراءة جبریل علیه السلام لفظا و أداء أولاـ ثم تکفل بعدم نسیه من صدره ثانیا، ثم بحفظ کتابه ثالثا ... و علی الرغم من ذلک فقد کانت المعارضة السنویة للقرآن الکریم تأخذ مجراها الدوری، مع جملة تأکیدات فیها علی غایتها و فحواها «۲»، کتکرار (۱) (المزی) أبو الحجاج جمال الدین یوسف بن الزکی عبد الرحمن ت ۷۴۲ ه: تهذیب الکمال ۲۳/ ۴۷۲، مراجعة:

بشار عواد معروف، ۱۴۰۰ ه- ۱۹۸۰ م، مؤسسة الرسالة- بیروت، و قد رواه البخاری فی التاریخ الکبیر ۷/ ۱۷۵، و مما یلزم إضافته فی سیاق تقریر المعنی المشار إلیه: أن قبیصة قد تأثر بصحبة هؤلاء الأساتذة، فکان کما قال عبد الملک ابن عمیر إذا ذکر الفصحاء": فصحاء الناس ثلاثة: الحسن البصری، و موسی بن طلحة القرشی، و قبیصة بن جابر الأسدی " ...تهذیب الکمال ۲۳/ ۴۷۲، مرجع سابق.

(۲) و لذا قال ابن حجر- رحمه اللّه تعالی "-و فیه استحباب تکثیر العبادة فی آخر العمر، و مذاکرة الفاضل بالخیر و العلم، و إن کان هو لاـ یخفی علیه ذلک لزیادة التذکرة و الاتعاظ، و فیه أن لیل رمضان أفضل من نهاره، و أن المقصود من التلاوة الحضور و الفهم، لأن اللیل مظنة ذلک لما فی النهار من الشواغل و العوارض الدنیویة و الدینیة."

تلقی النبی ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۸۰

المعارضة مرتین فی العام الذی توفی فیه، و استمرارها فی کل لیلة من شهر رمضان مع أنه کان یمکن الاکتفاء ببعض المجالس سواء کرر جمیع القرآن کل لیلة، أو فرقه علی اللیالی و هو الأظهر و هو ما أکده الإمام النووی- رحمه اللّه تعالی- فی شرحه لهذا الحدیث

حيث قال ":و استحباب الإكثار من القراءة فى رمضان و كونها أفضل من سائر الأذكار؛ إذ لو كان الذكر أفضل أو مساويا لفعلا، فإن اعترض بأن المقصود تجويد الحفظ، قلنا: الحفظ كان حاصلا، و الزيادة فيه تحصل ببعض المجالس «"۱».

و هل للاعتكاف علاقة بعرض القرآن؟ ذاك ما لا يمكن نفيه أو إثباته، و لكن العلاقة طردية بين الاعتكاف و عرض القرآن «۲»، و متضمّن الاعتكاف الذى يجعل تلاوة القرآن من أساساته، و الانقطاع للّه عزّ و جل من أوصافه الذاتية «۳» ... قد يوحيان بهذه العلاقة.

۳- تأكيد المعارضة السنوية، و تعويضها عند فواتها لعارض:

فقد اختلف فى سبب معارضته صلى اللّه عليه و سلم مرتين فى العام الذى توفى بعده، و لا شك أن مجرد العلم الإلهى بوفاته سبب كاف فى التأكيد على أصل أصول الدين، و يجعل ذلك كالمقطوع به استنباطه صلى اللّه عليه و سلم حيث قالت ابنته فاطمة: (أخبرنى أن جبريل كان يعارضه بالقرآن كل سنة مرة و إنه قد عارضنى به العام مرتين و لا أرى الأجل إلا قد اقترب)، لكن هذا لا يفسر اعتكافه مرتين على المستوى ذاته من القوة ... و قد عرض ابن حجر- رحمه اللّه تعالى- اختلاف العلماء فى سبب اعتكافه فى العام الذى توفى بعده عشرين يوما فقال: قيل: السبب فى ذلك أنه صلى اللّه عليه و سلم علم بانقضاء أجله، فأراد أن يستكثر من أعمال الخير؛ ليبين لأمته الاجتهاد فى العمل إذا بلغوا أقصى العمل (۱) فتح البارى شرح صحيح البخارى ۳۱ /۱، مرجع سابق.

(۲) حيث كان يعرض القرآن مرة، و يعتكف عشرة أيام، فلما عرضه مرتين اعتكف عشرين يوما ... و لقائل أن يقول: ليست هذه العلاقة مؤثرة، بل اتفق الاطراد لعارض.

(۳) حتى أن اعتكاف النبى صلى اللّه عليه و سلم كان تصاحبه شدة فى التبتل، قال ابن حجر- رحمه اللّه تعالى- فى الفتح ۴/ ۲۸۵، مرجع سابق ":و قد روى ابن المنذر عن ابن شهاب أنه كان يقول: عجبا للمسلمين، تركوا الاعتكاف و النبى صلى اللّه عليه و سلم لم يتركه منذ دخل المدينة حتى قبضه اللّه "و قال مالك ":أنه لم يعلم أن أحدا من السلف اعتكف إلا أبا بكر بن عبد الرحمن، و أن تركهم لذلك لما فيه من الشدة."

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۸۱

ليلقوا اللّه عزّ و جل على خير أحوالهم «۱»، و قيل: السبب فيه أن جبريل عليه السلام كان يعارضه بالقرآن فى كل رمضان مرة، فلما كان العام الذى قبض فيه عارضه به مرتين؛ فلذلك اعتكف قدر ما كان يعتكف مرتين، و يؤيده أن عند ابن ماجة: (و كان يعرض عليه القرآن فى كل عام مرة، فلما كان العام الذى قبض فيه عرضه عليه مرتين) «۲»، و قال ابن العربى:

يحتمل أن يكون سبب ذلك أنه لما ترك الاعتكاف فى العشر الأخير بسبب ما وقع من أزواجه، و اعتكف بدله عشرا من شوال- اعتكف فى العام الذى يليه عشرين ليتحقق قضاء العشر فى رمضان انتهى، و أقوى من ذلك أنه إنما اعتكف فى ذلك العام عشرين لأنه كان العام الذى قبله مسافرا، و يدل لذلك ما أخرجه النساء و للفظ له و أبو داود و صححه ابن حبان و غيره من حديث بن أبى بن كعب رضى اللّه عنه أن النبى صلى اللّه عليه و سلم كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان، فسافر عاما فلم يعتكف فلما كان العام المقبل اعتكف عشرين، و قال فى موضع آخر: و يحتمل أيضا أن يكون السر فى ذلك أن رمضان من السنة الأولى لم يقع فيه مدارسة لوقوع ابتداء النزول فى رمضان ثم فتر الوحى، ثم تتابع، فوقعت المدارسة فى السنة الأخيرة مرتين ليستوى عدد السنين و العرض، و يحتمل تعدد هذه القصة بتعدد السبب، فيكون مرة بسبب ترك الاعتكاف لعذر السفر، و مرة بسبب عرض القرآن مرتين «"۳».

و قد ظهر أن من بين الأقوال الخمسة المذكورة فى التعليل لاعتكافه عشرين يوما قولان يرجعان إلى علاقة الاعتكاف بالقرآن الكريم.

(۱) يضعّف هذا أنه أخبر عن نفسه بعدم العلم باقتراب أجله إلا بعد أن رأى جبريل عليه السلام عارضه القرآن مرتين، و ذاك كائن فى منتهى رمضان فكذلك الاعتكاف فيقوى من هنا أن يكون للاعتكاف علاقة فى معارضة القرآن، و لكن يقوى الاستنباط الأول النعى العام له صلى اللّه عليه و سلم فى سورة النصر و كانت بعد فتح مكة، فلقائل ذاك القول أن يقول: استكثر من الخير بعد ما نزلت

عليه هذه السورة و من ذلك الاعتكاف، و أما المعارضة فكانت تحديدا أدق من النعى العام.

(۲) سنن ابن ماجة ۲/ ۳۴۵، مرجع سابق.

(۳) فتح البارى ۴/ ۲۸۵، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۸۲

و هل كانت المعارضة تتم قبل أن يفرض صيام رمضان؟ الظاهر من قول ابن عباس رضى اللّه عنه: (و كان جبريل عليه السلام يلقاه كل ليلة فى رمضان حتى ينسلخ [كان يلقاه فى كل سنة فى رمضان) «۱»- أن المعارضة كانت تتم فى كل رمضان حتى قبل أن يفرض صيامه، و يقوى ذلك رواية (من)؛ فإن (من) هاهنا إما لابتداء الغاية الزمانية على قول من يجيزها أى من ابتداء شهر رمضان فيه بعد نبوته إلى آخر رمضان قبل وفاته، و فيه إدماج معنى الحرفين فى التقدير، أو أن (من) لبيان الجنس فيصدق على جميع رمضانات النبوة «۲».

قال ابن حجر- رحمه اللّه تعالى "-:و هذا ظاهر فى أنه كان يلقاه كذلك فى كل رمضان منذ أنزل عليه القرآن، و لا يختص ذلك برمضانات الهجرة، و إن كان صيام شهر رمضان إنما فرض بعد الهجرة؛ لأنه كان يسمى رمضان قبل أن يفرض صيامه «"۳».

۴- التركيز فى عنصر الوقت لتثبيت و مراجعة لفظ القرآن الكريم: و ذلك باعتماد الدرس الليلى:

إذ كانت المعارضة تتم ليلا، ليتم الوصول إلى الكمال فى الإحاطة بالدرس القرآنى إذ يتم حفظ، أو مراجعة ما يراد تثبيته من الليل، ثم يعقبه نوم، ثم تجرى مراجعته سحرا أو بكرة؛ لأنه إذا تساوى زمن الحفظ و اليقظة بين التعلم و التذكر؛ فإن زمن النوم أقل ضررا على الحفظ من زمن اليقظة؛ لعدم التعرض لخبرات جديدة خلال النوم يحصل بسببها النسيان؛ فإن النسيان إنما يحدث من جراء حصول خبرات جديدة، يفسح لها الدماغ مجالا، فيطمس أشياء قبلها «۴»، و لذا قال ابن حجر- رحمه اللّه تعالى ":اختيار الليل لأن المقصود من التلاوة الحضور و الفهم، لأن الليل مظنة ذلك، لما فى النهار من الشواغل و العوارض الدنيوية و الدينية. "و قد مر نحو هذا فى فوائد آيات المزمل «۵». (۱) صحيح مسلم ۴/ ۱۸۰۳، مرجع سابق.

(۲) انظر: فى معانى (من): مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب ۱/ ۳۱۹، مرجع سابق.

(۳) فتح البارى ۴/ ۲۸۵، مرجع سابق.

(۴) المهارات الدراسية ص ۱۲۴، بواسطة: مقال ظاهرة النسيان، مجلة البيان، عدد ۱۰۵، مرجع سابق.

(۵) تكرر فى أكثر من موضع، انظر (مثلا): ص ۱۷۲ من هذا البحث.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۸۳

۵- التركيز فى عنصر الوقت: اعتماد رمضان زمانا للمعارضة

و لا يخفى مدى ملاءمة ذلك.

۶- التركيز فى عنصر الوقت: تعويض المعارضة عند فواتها لعارض:

و تقدم «۱»، و تجدر الإشارة إلى استبعاد الغرض التعبدى المحض من تعويض المعارضة؛ لأن الأجر يكتب لدائم العمل إن حجب عنه لعارض معتبر كسفر أو مرض على ما تقرر فى التقعيد الأصولى «۲»، فقد ثبت النص بذلك فعن أبى بردة- و اصطحب هو و يزيد بن أبى كبشة- فى سفر، فكان يزيد يصوم فى السفر، فقال له أبو بردة: سمعت أبا موسى- يعنى أباه هو الأشعرى- رضى اللّه عنه مرارا

یقول: قال رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم: (إذا مرض العبد أو سافر کتب له مثل ما کان یعمل مقیما صحیحا) «۳».
و کل ما سبق یجعل الحکم بإلزامیة المراجعة السنویة علی النبی صلی اللّه علیه و سلم أمرا بالغ الوضوح.
و یجب إبراز ملاحظة هی: أن ما تفرع عما تقرر أعلاه من تعویض المعارضة تأسس علی تحتم المراجعة علیه صلی اللّه علیه و سلم، و لقائل أن یقول: لا نسلم تعویض المعارضة، بل ما یحجب جبریل علیه السلام عن معارضة النبی صلی اللّه علیه و سلم القرآن فی سفره، و کونه لم ینقل فلأن عدم العلم لیس علما بالعدم، و یکفی قرائن الأحوال الأخری، أما المعارضة مرتین فی آخر رمضان فتأکیدا علی القرآن الکریم لا للتعویض، و هو الذی یظهر من الحدیث.

۷- تثبت الحفظ بالعمل، و العبادات التی تبارکه:

و یلمح هذا من الحالة النفسیة التی تتعاظم عندها الطاعة بعد تلقی القرآن الکریم أو مدارسته مع جبریل علیه السلام، و تلک مسألة واضحة فی نص الحدیث: (۱) انظر ص ۱۷۴ من هذا البحث.
(۲) انظر: الموافقات ۱/ ۳۴۲، مرجع سابق.
(۳) صحیح البخاری ۳/ ۱۰۹۲، مرجع سابق.
تلقی النبی ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۸۴
فی زیادة الإنفاق من حیث الشکر، و قیام اللیل من حیث المراجعة و الذکر، و تمام القول أن خلقه القرآن، و ذاک کاف فی الإقامة علیه، و الحفاظ علی نصه؛ إذ قد استحالت الألفاظ بمعانیها إلی جسد متحرک، قال ابن حجر- رحمه اللّه تعالی- فی شرح هذا الحدیث ":قیل الحکمة فیه: أن مدارسة القرآن تجدد له العهد بمزید غنی النفس، و الغنی سبب الجود، و الجود فی الشرع إعطاء ما ینبغی لمن ینبغی، و هو أعم من الصدقة، و أیضا فرمضان موسم الخیرات، لأن نعم اللّه علی عباده فیه زائدة علی غیره فکان النبی صلی اللّه علیه و سلم یؤثر متابعة سنة اللّه فی عباده فبمجموع ما ذکر من الوقت، و المنزول به، و النازل، و المذاکرة حصل المزید فی الجود و العلم عن اللّه تعالی «"۱».
ففی هذا الحدیث أن مداومة التلاوة توجب زیادة الخیر «۲».

المطلب الثالث: متضمّنات المعارضة: تتضمن المعارضة بین جبریل علیه السلام و النبی صلی اللّه علیه و سلم المفاهیم التالیة:

۱- الإراءة:

إذ ":عرض الشیء علیه یعرضه عرضة أراه إیاه «"۳» ... فعرض النبی صلی اللّه علیه و سلم القرآن علی جبریل علیه السلام یتضمن نظر جبریل علیه السلام فی لفظ النبی صلی اللّه علیه و سلم و أدائه تصویبا، و تفهیما، و تعبدا، و عرض جبریل علیه السلام یتضمن نظر النبی صلی اللّه علیه و سلم فی لفظ جبریل علیه السلام تعلما، و تفهما، و تعبدا، إذ کل منهما یری الآخر لفظه، و أداءه، و یحتمل أیضا: و معناه، و لذا جاء فی مادة عرض ":و عرضت الکتاب، و عرضت الجند عرض العین إذا أمررتهم علیک، و نظرت فی حالهم «"۴».
(۱) فتح الباری ۱/ ۳۱، مرجع سابق.
(۲) انظر: فتح الباری ۱/ ۴۶، مرجع سابق.
(۳) لسان العرب ۹/ ۱۳۷، مرجع سابق.
(۴) لسان العرب ۹/ ۱۳۸، مرجع سابق.
تلقی النبی ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۸۵

۲– المقابلة:

من قولهم عـارض الکتـاب بالکتاب قابله به «۱»، و یشـترط أن یکون ثمّ أصـل مقابـل علیه، و فرع مقابـل به، فیظهر من ذلـک أرقی ما یمکن أن یصل إلیه التـدقیق، مما هو خارج عن نطاق البشـر فی مقابلـهٔ حفظ رسول اللّه صـلی اللّه علیه و سـلم علی ما أمر جبریل علیه السلام بحفظه من ربه، و أهم صفهٔ ذاتیهٔ لجبریل علیه السلام عند نزوله من السماء أنه ما ینزله ربه سبحانه و تعالی إلا بالحق «۲».

۳– الظهور:

اشارهٔ

ففی مختار الصـحاح ":عرض له کذا أی ظهر، و عرضته له أظهرته له و أبرزته إلیه «"۳» ... فإظهار القرآن، و إبرازه من النبی صلی اللّه علیه و سلم لجبریل علیه السلام، و العکس یعنی إظهار ألفاظ القرآن لفظا لفظا من الشیخ لتلمیذه و من التلمیذ علی «۴» شیخه، و یؤکد هـذا العرض الدقیق ما جاء فی معنی مادهٔ عرض ":عرض الجند إذا أمرهم علیه و نظر فی حالهم «"۵»، و هذه غایهٔ فی الدقهٔ فی وصف تثبیت ألفاظ القرآن الکریم فی قلب النبی صـلی اللّه علیه و سـلم، و لا یرد علی هـذا التقریر احتمالیـهٔ أن یکون ما کان یعرضه الرسول صلی اللّه علیه و سـلم، أو مـا کان یعض علیه هو معانی القرآن و أمور الشـریعهٔ؛ إذ لو کان الأمر کـذلک لقیل یعرض علیه الشـریعهٔ أو نحوها من العبارات، و لا یخصص القرآن بالذکر.

فـإن اعترض بأن: القرآن هو الشـریعهٔ کلها نصا أو تضـمنا، فعبر به فی الحـدیث عنها، فالمعروض هو أحکام الشـرعیهٔ لا ألفاظ القرآن.

(۱) مختار الصحاح ص ۲۷۰، مرجع سابق، النهایهٔ فی غریب الأثر ۳/ ۱۳۳، مرجع سابق.

(۲) من قوله عزّ و جـل مـا نُنَزِّلُ الْمَلائِکَهَٔ إِلَّا بِالْحَقِّ وَ ما کانُوا إِذاً مُنْظَرِینَ "الحجر/ ۸، "بـل إن مجرد النزول لا یکون إلا بأمر من اللّه، لقـوله: وَ مـا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّکَ "مریم/ ۶۴، "و لیس للملـک الاجتهـاد فی إنشـاء أمر، أو تنفیـذه کمـا فی قوله عزّ و جلّ: لا یَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَ هُمْ بِأَمْرِهِ یَعْمَلُونَ "الأنبیاء/ ۲۷، "فالحق صـفهٔ ذاتیهٔ فی النزول و النازل و المنزل به، فلا مس من باطل یعتریه، و لا اجتهاد من مخلوق یأتیه.

(۳) مختار الصحاح ۱۷۸، مرجع سابق.

(۴) تضمن الفعل إظهار الطالب ما عنده معنی التصویب علی ما عند الشیخ، لذا عدی فعدی ب (علی).

(۵) لسان العرب ۹/ ۱۳۸، مرجع سابق.

تلقی النبی ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۸۶

فالجواب: الدلیل صحیح، و الاستدلال غیر صحیح؛ لأن تخصیص القرآن بالذکر فی جمیع الروایات یدل علی اقتصار الکلام علیه، و لو أراد الکلام عن الشـریعهٔ أو الدین و نحوها لما عدل عن لفظها أو ما یدل علیه کما فی قوله عزّ و جل ثُمَّ جَعَلْناکَ عَلی شَرِیعَهٍٔ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْها " ...الجاثیهٔ/ ۱۸، "و کما فی قول النبی صـلّی اللّه علیه و سـلّم (هذا جبریل جاء یعلمکم دینکم)، لم یقل قرآنکم ... فتقرر بهذا أنه أراد لفظ القرآن بخصوص مفهومه.

و یمکن القول علی طریقهٔ السبر و التقسیم الأصولیهٔ:

إما أن یکون المعروض هو ألفاظ القرآن، و إما معانیه، و إما شیء آخر، و لا جائز أن یکون شیئا آخر، لأن الکلام علی القرآن، و لا جائز أن یکون معانی القرآن لأنه لا یطلق علیها قرآن عرفا، فتعین أن المعروض هو ألفاظ القرآن.

فإن اعترض بالقول: فهل معنی ذلک أن النبی صلّی اللّه علیه و سلّم لم یکن یعرض معانیه علی جبریل علیه السّلام؟.

فالجواب: بل یحتمل أنه کان یعرضها، و لکن دلالة الحدیث علی عرضها بالتبع أو بالإشارة، لا بالقصد الأصلی ... و لقد تمسک المسلمون بذلک فی ظاهرة مذهلة تقدم التواتر العملی و العلمی المفید للعلم الضروری فی أن المعروض کان فی المقام الأول هو ألفاظ القرآن «۱»، و ذلک کتمسکهم بشعائر الإسلام الضروریة کرمی الجمار علی الرغم من آحادیة نصوصها ... فتقرر أن المعروض هو ألفاظ القرآن، و ذاک مؤشر علی مقدار الحراسة التی کانت تحف ألفاظه.

فإن اعترض بأن: المعروض إنما هو القرآن من حیث النسخ و عدمه «۲» و یقویه حدیث ابن عباس رضی اللّه عنه، فالجواب: ذاک بعض المعروض لا ـ کله عند التنزل فی إثباته ... (۱) و یمکنک استخدام أسلوب الأصولیین: تخریج المناط ثم تنقیحه للوصول إلی هذه النتیجة.

(۲) علی قول من یثبت النسخ.

تلقی النبی ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۸۷

و إلا فمن ذا یعقل أن یعرض النبی صلّی اللّه علیه و سلّم آیات مبتورة علی جبریل علیه السّلام هی الناسخة، دون عرض مواضعها و سورها؟ علی أن تصریح الصحابة، بأن النبی صلّی اللّه علیه و سلّم عرض القرآن مرتین فی العام الذی توفی بعده واضح فی عرضه القرآن کله لا بعضه من أوله إلی آخره ...

و لا یعرف للعرض معنی غیر هذا عند إطلاقه، و أجیال المسلمین تتوارث هذا المعنی فهما و تطبیقا، و لینبئهم بعلم زاعم غیر ذلک.

۴- العرضیة اللفظیة:

إذ إن استخدام لفظة یعرض فی أغلب الروایات عند الراوی الواصف لما حدث، ثم مجیئها علی لسان النبی صلّی اللّه علیه و سلّم «۱» دال علی فحواها، و هو عرض الألفاظ و استعراضها، و معلوم أن العرض ضد الطول «۲» .... فهل یکون أثر إیقاع هذه اللفظة الدقیقة الوصف إلا عرض الألفاظ واحدا واحدا، و اقتضاء لفظة العرض سبر الجوانب الداخلیة فی اللفظة أداء و معنی؟.

فیعرض "من العرض و هو بفتح العین و سکون الراء، أی یقرأ، و المراد یستعرضه ما أقرأه إیاه «"۳» بل قد صرح بعض شراح الحدیث أثناء شرحهم لحدیث المعالجة بأن العرضیة تشمل الحروف حرفا حرفا، قال السندی- رحمه اللّه تعالی "-:یحرک شفتیه أی لکل حرف عقب سماعه من جبریل علیه السّلام «"۴». (۱) راجع متن الحدیث فی المطلب الأول من هذا المبحث ص ۱۷۷.

(۲) لسان العرب ۹/ ۱۳۷، مرجع سابق، مختار الصحاح ۱۷۸، مرجع سابق، و فیه ":و عرض الشیء فأعرض، أی أظهره فظهرن فهو کقولهم کبه فأکبّ، و هو من النوادر و قوله عزّ و جل وَ عَرَضْنا جَهَنَّمَ یَوْمَئِذٍ لِلْکافِرِینَ عَرْضاً " ...الکهف/ ۱۰۰ "أی أبرزناها حتی نظروا إلیها، فأعرضت هی أی استبانت و ظهرت، و رآه فی عرض الناس أیضا أی فیما بینهم، و فلان من عرض الناس أی من العامة، و فلان عرضة للناس أی لا یزالون یقعون فیه، و جعلت فلانا عرضة لکذا أی نصبته له، و قوله سبحانه و تعالی وَ لا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَیْمانِکُمْ " ...البقرة/ ۲۲۴ "أی نصبا، و نظر إلیه من عرض "و هذا کله مقرر مبدأ (العرضیة اللفظیة)، و القصد من استخدام هذه اللفظة لبیان جعل ألفاظ القرآن عرضة للمقابلة و الإظهار فی (عرض) الألفاظ أی فیما بینها من (عرض) الألفاظ أی من عامتها.

(۳) فتح الباری ۹/ ۴۳، مرجع سابق.

(۴) حاشیة السندی ۲/ ۳۴، مرجع سابق.

تلقی النبی ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۸۸

و لا یعترض بأن هذه بدیهة! و تحصیل حاصل، إذ لا یمکن عرض الألفاظ دون حروفها؛ لأن التصریح بمتابعة الحروف دلیل علی شدة الاعتناء بها، و فیه رد علی زاعم التکلف فی حق من یخوض غمار علم الصوتیات، علی أنه قد یعنی بالحرف غیر ذلک، و هو اللفظ فیدخل ما ذکر ضمنا.

و مما جاء دالا علی أن لفظة (یعرض) تتضمن سبر الجوانب الداخلیة قول النبی صلّی اللّه علیه و سلّم: (لئن کنت أقصرت الخطبة، فقد أعرضت المسألة) «۱». قال ابن منظور ":أی جئت بالمسألة واسعة کبیرة «"۲»، و ذاک بما تضمنته جوانبها الداخلیة من معنی، و لذا یقال فیمن یطیل العبارات أی الألفاظ الخارجیة: أطلت الخطبة، و لا یقال أعرضت ....

فإن اعترض بالقول: ذاک ما نبغ! فالمعروض- علی ذلک- هو المعنی لا اللفظ، فالجواب: أما تنزلا فلیس أحدهما بأجلی من الآخر فی الدخول الأولی فی اللفظة، و أما حقیقة فإن دخول الأداء الداخلی للفظ أقرب، و أسرع تبادرا إلی الذهن «۳» من دخول المعنی فی العرض، و هو المستخدم اصطلاحا فی سائر العلوم، و هذا من نوادر اصطلاحات (۱) صحیح ابن حبان بترتیب ابن بلبان ۲/ ۹۸، مرجع سابق: عن البراء بن عازب- رضی اللّه تعالی عنه- قال: جاء أعرابی إلی النبی صلّی اللّه علیه و سلّم فقال: یا رسول اللّه! علمنی عملا یدخلنی الجنة. قال: (لئن کنت أقصرت الخطبة، فقد أعرضت المسألة: أعتق النسمة، و فک الرقبة) قال: أو لیستا بواحدة؟ قال: (لا عتق النسمة أن تفرد بعتقها، و فک الرقبة أن تعطی فی ثمنها، و المنحة الوکوف، و الفیء علی ذی الرحم القاطع، فإن لم تطق ذاک، فأطعم الجائع، واسق الظمآن، و مر بالمعروف، و انه عن المنکر، فإن لم تطق ذلک، فکف لسانک إلا من خیر).

و قال الشیخ شعیب الأرناءوط فی تعلیقه علی ابن حبان: إسناده صحیح، و هو فی مستدرک الحاکم و قال: هذا حدیث صحیح الإسناد و لم یخرجاه، قال الذهبی فی التلخیص (لمستدرک الحاکم): صحیح.

(۲) لسان العرب ۹/ ۱۳۷، مرجع سابق، و فی النهایة ۳/ ۳۲۳ ":و منه الحدیث (فإذا عرض وجهه منسح) أی جانبه."

(۳) فمن اشتقاقات عرض کما فی مختار الصحاح ص ۱۷۸، مرجع سابق ":و العرض أیضا الجسد، و فی صفة أهل الجنة (إنما هو عرق یسیل من أعراضهم) أی من أجسادهم "و قد سمی المناطقة و علماء الکلام العرض فی مقابلة الجوهر، و هذا قریب فی مقارنته باللفظ و المعنی.

تلقی النبی ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۸۹

العلوم الإسلامیة، و قد قال ابن الأثیر فی معنی حدیث جبریل علیه السّلام ":أی کان یدارسه جمیع ما نزل من القرآن، من المعارضة المقابلة «"۱».

و ما أسهل تصور هذا لکل مسلم یقرأ القرآن الکریم؛ إذ ما زال عرض الألفاظ القرآنیة هو لب عملیة تعلیم القرآن الکریم تتواتر بالمعنی الاصطلاحی و اللغوی فی جمیع الأمصار کما هی فی سائر الأعصار «۲».

۵- المعارضة هی الغایة فی تحقیق اللفظ و التثبت منه:

اشارة

فالعرض هو قراءة التلمیذ علی شیخه، و یقابله السماع و هو قراءة الشیخ و سماع تلمیذه منه، و قد یستعمل أحدهما فی معنی الآخر، و القراءة أعم منهما، و لذا بوب البخاری ":باب القراءة و العرض علی المحدث «"۳» ... قال ابن حجر ":إنما غایر بینهما بالعطف لما

بینهما من العموم و الخصوص، لأن الطالب إذا قرأ کان أعم من العرض و غیره، و لا یقع العرض إلا بالقراءة؛ لأن العرض عبارة عما یعارض به الطالب أصل شیخه معه، أو مع غیره بحضرته فهو أخص من القراءة ... «"۴»، و هذا معناه بالمفهوم الحدیثی، و لا بد فیه من القراءة، فلا تسمی المناولة «۵»، عرضا إلا تقییدا.

و قد ذکر العلماء الاختلاف بین العرض و السماع من حیث الأفضلیة فی التحقیق العلمی للنص: علی ثلاثة أقوال:

اشارة

(۱) النهایة فی غریب الأثر ۳/ ۳۲۴، مرجع سابق.

(۲) قال ابن حجر- رحمه اللّه تعالی- فی فوائد عرض القرآن فی رمضان بین جبریل علیه السّلام و النبی صلّی اللّه علیه و سلّم ":و فی ذلک حکمتان:

إحداهما تعاهده، و الأخری تبقیة ما لم ینسخ منه و رفع ما نسخ، فکان رمضان ظرفا لإنزاله جملة و تفصیلا و عرضا و أحکاما."

(۳) صحیح البخاری ۱/ ۶۰، مرجع سابق.

(۴) فتح الباری ۱/ ۱۵۰، مرجع سابق.

(۵) هی أن یناول الشیخ کتابه الأصل لطالبه، و یجیزه فیه ... علی تفصیل فی ذلک، انظر: فتح الباری ۱/ ۱۵۰، مرجع سابق، تدریب الراوی ۲/ ۱۷۰، مرجع سابق.

تلقی النبی ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۹۰

الأول و هو المشهور: الذی علیه الجمهور

أن السماع من لفظ الشیخ أرفع رتبة من القراءة علیه ما لم یعرض عارض یصیر القراءة علیه أولی، و من ثم کان السماع من لفظه فی الإملاء أرفع الدرجات لما یلزم منه من تحرز الشیخ و الطالب.

و الثانی: القراءة علی الشیخ أرفع من السماع من لفظه

و نقله الدار قطنی فی غرائب مالک عنه، و نقله الخطیب بأسانید صحیحة عن شعبة و ابن أبی ذئب و غیرهما، و اعللوا ذلک: بأن الشیخ لو سها لم یتهیأ للطالب الرد علیه، و عن أبی عبید قال: القراءة علی أثبت و أفهم لی من أن أتولی القراءة أنا «۱».

و الثالث: و هو المعروف عن مالک و عن سفیان الثوری:

کلاهما سواء، و روی البخاری معلقا عن الحسن البصری ":ما أبالی قرأت علیک، أو قرأت علی «"۲».

و هذا کله فی الحدیث، و أما القرآن فإن قراءة الطالب علی شیخه (العرض) هو الأصل، و هو المعروف عن السلف کما هو المعمول به إلی الآن، و لذا احتج مالک علی من لم یجز العرض فی الحدیث بجوازه فی تلاوة القرآن "فیما رواه الخطیب فی الکفایة من طریق ابن وهب قال: سمعت مالکا، و سئل عن الکتب التی تعرض علیه: أ یقول الرجل حدثنی؟ قال: (نعم! کذلک القرآن، أ لیس الرجل یقرأ علی الرجل فیقول: أقرأنی فلان؟)، و روی الحاکم فی علوم الحدیث من طریق مطرف قال: صحبت مالکا سبع عشرة سنة، فما رأیته قرأ الموطأ علی أحد، بل یقرءون علیه- قال-: و سمعته یأبی أشد الإباء علی من یقول: لا یجزیه إلا السماع من لفظ الشیخ، و یقول: کیف لا یجزیک هذا فی الحدیث، و یجزیک فی القرآن، و القرآن أعظم «"؟۳».

و أما معارضة النبى صلّى اللّه عليه و سلّم ألفاظ القرآن على جبريل عليه السّلام فقد اتسمت بسمتين:

(۱) انظر: فتح البارى ۱/ ۱۳۵، مرجع سابق.

(۲) الأثر: رواه البخارى ۱/ ۳۵، و انظر: فتح البارى ۱/ ۱۵۰، مرجع سابق.

(۳) انظر: فتح البارى ۱/ ۱۵۲، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۹۱

السمة الأولى: أنها أتت بعد خطوات الحفظ التى أولها خطوات التلقين ... و المقتضى المنهجى لذلك جعل المعارضة مرتبة تالية للمتقنين لتأكيد الحفظ، و تثبيت مخارج الحروف، و التأكد من وجوه الأداء، و بقاء كل ذلك على الدوام دون تطرق خلل له بفعل الأمد، فالمعارضة هى غاية التحقيق.

و السمة الثانية: أنها جمعت بين السماع و العرض، فأزالت قوادح كل طريقة على حدة:

أما العرض (من النبى صلّى اللّه عليه و سلّم على جبريل عليه السّلام عرض الطالب على شيخه): فقد جاء فى رواية البخارى: (يعرض عليه النبى صلّى اللّه عليه و سلّم) و عليها أغلب الروايات.

و أما السماع (من النبى صلّى اللّه عليه و سلّم لجبريل عليه السّلام سماع الطالب لشيخه): فقد جاءت بقية الروايات مبهمة فاحتملت العرض و السماع، و تأكد ذلك بروايات المفاعلة (يعارض، يدارس و نحوها)، و المفاعلة لا تكون إلا من طرفين غالبا «۱»، و وردت روايات مصرحة بالسماع، منها ما رواه البخارى عن أبى هريرة رضى اللّه عنه قال: (كان يعرض على النبى صلّى اللّه عليه و سلّم القرآن كل عام مرة، فعرض عليه مرتين فى العام الذى قبض فيه، و كان يعتكف كل عام عشرا فاعتكف عشرين فى العام الذى قبض فيه) «۲».

و يزيد الأمر تأكيدا أن القراء و المحدّثين لا يستخدمون إلا لفظ (يعرض) للتعبير عن المراد لتصل أعلى درجات الاحتياط فى نقل ألفاظ القرآن الكريم، و ذا ما فهمه الإمام النسائى فبوب فى سننه الكبرى ":باب عرض جبريل عليه السّلام القرآن «"۳»، و من قبله الإمام (۱) و قد تستخدم فى فاعل واحد مثل عاقب و داوى و سافر ... و لكن هذا استثناء، و ذاك أصل.

(۲) صحيح البخارى ۴/ ۱۹۱۱، مرجع سابق، و عند الإسماعيلى فى مستخرجه على البخارى بلفظ ":كان جبريل عليه السّلام يعرض على النبى صلّى اللّه عليه و سلّم القرآن فى كل رمضان."

(۳) و رواية صحيح ابن خزيمة ۳/ ۱۹۳، مرجع سابق، فيها إجمال يؤيد هذا الاستنتاج، ففيها: (يأتيه جبريل فيعرض عليه القرآن)، ... فيستأنس بذلك على المطلوب، و يصير هذا فى حيز الثبات بحديث عائشة- رضى اللّه تعالى عنها- عن فاطمة فى المعارضة، حيث قالت: (إن جبريل كان يعارضه بالقرآن كل سنة مرة، و إنه قد عارضنى به مرتين) قال ابن

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۹۲

البخارى حيث بوب ":باب كان جبريل عليه السّلام يعرض القرآن على النبى صلّى اللّه عليه و سلّم «"۱».

و ينبغى أن يلاحظ أنه لم يوجد مثل هذا (العرض أكثر من مرة) فى الأساليب العلمية التعليمية التى تتبع فى ديار المسلمين إلا فى خصوص مادة القرآن الكريم، و كان ذلك مقتضى منهجيا من مقتضيات هذه الطريقة التى اتبعها النبى صلّى اللّه عليه و سلّم فى تعلمه على يد جبريل عليه السّلام، و وجودها فى بقية العلوم الشرعية مقارنة بالقرآن الكريم فى حكم النادر.

۶- عرض القرآن بالحروف المأذون بالقراءة بها «۲»:

إذ قد حسم أمر عرضه للقرآن كله (لكل ما نزل منه) فى كل رمضان بحديث العرضتين الثابت عن ابن عباس، و فاطمة، و أبى هريرة

رضـى اللّه عنه رضـى اللّه تعالى عنهم، و فى ذلک دلالـهٔ على أمرين: حجر- رحمه اللّه تعالى- فى فتـح البارى (۹/ ۴۳ "):و المعارضهٔ مفاعلهٔ من الجانبين، كأن كلا منهما كان تارهٔ يقرأ و الآخر يستمع."

(۱) صـحيح البخارى ۴/ ۱۹۱۱، مرجع سـابق، و هو مـا رجحه ابن حجر- رحمه اللّه تعـالى- فقـال ":فيحمـل على أن كلاـ منهمـا كان يعرض على الآخر."

(۲) لاـ يمكن لنطاق البحث أن يتوسع فى شـرح مـدلول حـديث الأحرف السبعهٔ؛ و لكن يقال على سبيل الإجمال: محصّل ما ورد فى هذا الموضوع من أقوال يرجع إلى: أن المراد من الأحرف السبعهٔ من حيث العموم و مراد الحديث، لا من حيث التحديد هو "ما يشمل اختلاف اللهجات، و تباين مستويات الأداء الناشئهٔ عن اختلاف الألسن، و تفاوت التعليم، و كذلک ما يشمل اختلاف بعض الألفاظ، و ترتيب الجمـل، بمـا لاـ يتغير به المعنى المراد، "أو يتغير المعنى بمـا لا يتضاد به المعنيان الواردان فى القراءتين، و يكون الجميع مرادا، دون تكرار للآيهٔ، أو تطويل للمصـحف، و فى ذلک تيسـير ظاهر "،و هذا دون محاولهٔ حصر تلک الوجوه فى سبع لغات، أو وجوه من الخلاف، و يظل معنى الحديث بعد ذلک يشـير إلى الرخصهٔ التى جاءت تيسيرا و حلا لمشكلهٔ واجهت الجماعهٔ المسلمهٔ، دون تحديد لأبعاد تلک الرخصهٔ، لكنها لا تخرج عن إطار وجوه القراءات المرويهٔ."

و ما بين علامتى التنصـيص الأوليين هو من كلام الـدكتور عبـد الصـبور شاهين، انظر: تاريـخ القرآن ۶۱، دار القلم ۱۹۶۶ م، و مـا بين علامتى التنصيص الأخريين هو من كلام غانم قدورى الحمد، انظر: رسم المصحف ۱۴۴، مرجع سابق، و انظر أيضا: (الباقلانى) محمد بـن الطيب ت ۴۰۳ ه: نكت الانتصار لنقل القرآن، تحقيق د. محمـد زغلول سـلام، الناشـر: منشأهٔ المعارف بالإسـكندريهٔ، الطبعهٔ بدون لكل ما سبق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۹۳

أنه صـلّى اللّه عليه و سـلّم كـان يعرض كـل ما نزل، و أنه كان يقسم ذلک العروض على ليالى رمضان «۱»، و يدل لذلک حديث ابن عبـاس رضـى اللّه عنه أن رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و سـلّم قـال: (أقرأنى جبريـل على حرف فلم أزل أستزيـده حـتى انتهى إلى سـبعهٔ أحرف) «۲».

كمـا لم تبق روايات العرض مجالا لما احتمله ابن حجر- رحمه اللّه تعالى- «۳» من أن العرض محتمـل أن يقسم ما نزل من القرآن فى كل سـنهٔ على ليالى رمضان؛ إن أراد به أنه لا يقرأ إلا ما نزل فى تلک السـنهٔ، أما إن أراد به أنه يخصـص لكل ما نزل ليلهٔ فذاک أبعد من حيث زيادهٔ عـدد الليالى على عـدد سـنوات النزول، و من حيث أن أهـداف العرض تأكيـد تأليف آياته على ما أراد اللّه سـبحانه و تعـالى، لا على ترتيب نزولها، و هما مختلفان كما هو معلوم ... فيظل احتمالا بعيـدا، و إن افترض ... و بـذا يحسم أمر عرضه صـلّى اللّه عليه و سلّم لكل ما نزل من القرآن «۴».

و بقى أمر عرضه القرآن بجميع حروفه المـأذون فى القراءهٔ بهـا فهـل كـانت العرضـهٔ كـذلک؟ و الجواب: لاـ نص فى ذلـک، بيـد أن المؤشرات العامهٔ تجعل ذلک محتملا احتمالا راجحا، لأنه كان صلّى اللّه عليه و سلّم يقول للمختلفين فى القراءهٔ: (أقرأنى جبريل) «۵»، أو (هكـذا أنزلت) «۶» قـال ابن حجر- رحمه اللّه تعـالى "-:و لعله كـان يعيـد ذلـک الجزء مرارا، بحسب تعـدد الحروف المـأذون فى قراءتها، و لتسـتوعب بركهٔ القرآن جميع الشهر «۷"». (۱) و قد صـرح ابن حجر- رحمه اللّه تعالى- ببعض ذلک فى فتح البارى ۹/ ۴۵، مرجع سابق، فقال ":و لو لا التصـريح بأنه كان يعرضه مرهٔ واحـدهٔ، و فى السـنهٔ الأخيرهٔ مرتين- لجاز أنه كان يعرض جميع ما نزل عليه كل ليلهٔ، ثم يعيده فى بقيهٔ الليالى."

(۲) البخارى ۳/ ۱۱۷۷، مرجع سابق.

(۳) فتح البارى ۹/ ۴۵، مرجع سابق.

(۴) لم يتكلم الباحث عن العرضـهٔ الأخيرهٔ كلاما مسـتقلا؛ لاسـتحقاقها تأليفا مسـتقلا فى حقيقتها، و إثبات بعض أحكام الألفاظ بها، و

خطورة بناء حكم عليها، و ذلك مخرج البحث عن مرامه، و إنما وردت الإشارة إليها فى ثنايا الكلام.

(۵) رواه البخارى ۴/ ۱۹۰۹، و ۳/ ۱۱۷۷، مرجع سابق.

(۶) رواه البخارى ۴/ ۲۳۴۰، مرجع سابق.

(۷) فى فتح البارى ۹/ ۴۵، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۹۴

المطلب الرابع: إيراد على ما سبق و دفعه:

و قد يعترض معترض

اشارة

بأن ما سبق مما يفهم منه تفخيم الاعتناء باللفظ ينافى ما رواه الإمام مالک عن عبد اللّه بن مسعود رضى اللّه عنه أنه قال لإنسان ":إنک فى زمان كثير فقهاؤه، قليل قراؤه، تحفظ فيه حدود القرآن، و تضيع حروفه، قليل من يسأل، كثير من يعطى، يطيلون فيه الصلاة، و يقصرون الخطبة، يبدءون أعمالهم قبل أهوائهم، و سيأتى على الناس زمان قليل فقهاؤه، كثير قراؤه، تحفظ فيه حروف القرآن، و تضيع حدوده، كثير من يسأل، قليل من يعطى، يطيلون فيه الخطبة، و يقصرون الصلاة، يبدءون فيه أهواءهم قبل أعمالهم «"۱»، و قد أورد أبو إسحاق الشاطبى- رحمه اللّه تعالى- هذا الأثر فى معرض الاستدلال «۲».

و الجواب من وجوه:

۱- أن الشأن أولا فى صحة هذا الأثر من حيث السند، ثم من حيث المتن، فأما سنده فمنقطع حيث جاء فى الموطأ:

و حدثنى عن مالک عن يحيى بن سعيد أن عبد اللّه بن مسعود، فقد ضعف من حيث السند.

۲- و من حيث المتن- على فرض صحة السند و اتصاله- فإن نكارة موضع الشاهد منها واضح؛ حيث لم ترد فى بقية طرق الأثر، فقد ورد فى موضع آخر من (۱) (إمام دار الهجرة) أبو عبد اللّه مالک بن أنس الأصبحى ت ۱۷۹ ه: موطأ الإمام مالک ۱/ ۱۷۳، مراجعة: محمد فؤاد عبد الباقى- دار إحياء التراث العربى، مصر، و قد جاء هذا الحديث مرفوعا فيما رواه الطبرانى فى المعجم الكبير ۳/ ۱۹۷، مرجع سابق، عن حزام بن حكيم بن حزام عن أبيه عن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم قال: (إنكم قد أصبحتم فى زمان كثير فقهاؤه، قليل خطباؤه، كثير معطوه، قليل سؤاله، العمل فيه خير من العلم، و سيأتى زمان قليل فقهاؤه، كثير خطباؤه، كثير سؤاله، قليل معطوه، العلم فيه خير من العمل).

(۲) انظر: الموافقات ۲/ ۱۷۳، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۹۵

الموطأ و المعجم الكبير دون موضع الشاهد، كما أنها فاسدة معنى عند أخذها على ظاهرها؛ إذ كيف تحفظ حدود القرآن، و حروفه مضيعة.

فإن اعترض بأن روح القرآن باقية- أى مقاصده الكلية- و إن ذهبت ألفاظه.

فالجواب:

فی إطلاق هذا القول نظر إن أطلقنا القول بضیاع حروفه، و هل نعرف روحه دون تأکدنا من حروفه؟، فإن سلّم ذلک فمقاصده المزعوم بقاؤها حروف فی ذاتها فیعاد الکلام علیها جذعهٔ.

فإن اعترض بأن روح القرآن باقیهٔ- أی مقاصده الکلیهٔ- و إن ذهبت ألفاظه.

اشارهٔ

فالجواب:

فی إطلاق هذا القول نظر إن أطلقنا القول بضیاع حروفه، و هل نعرف روحه دون تأکدنا من حروفه؟، فإن سلّم ذلک فمقاصده المزعوم بقاؤها حروف فی ذاتها فیعاد الکلام علیها جذعهٔ.

فالجواب:

فی إطلاق هذا القول نظر إن أطلقنا القول بضیاع حروفه، و هل نعرف روحه دون تأکدنا من حروفه؟، فإن سلّم ذلک فمقاصده المزعوم بقاؤها حروف فی ذاتها فیعاد الکلام علیها جذعهٔ.

علی أن حروفه تلک:

إما أن تکون متغیرهٔ، و إما أن تکون منعدمهٔ و إما أن تکون قائمهٔ بالنفس، و إما أن تکون ثابتهٔ:

فالأول: و هو ما کانت حروفه متغیرهٔ لا یعتبر شرعا صالحا للبشر لعدم انضباطه، أو ظهور معالمه فضلا عن أن یکون شرعا إلهیا.

و الثانی: و هو ما کانت حروفه منعدمهٔ، أو قائمهٔ بالنفس فلا یتعلق به حکم؛ لأنه معدوم.

و الثالث: متعین بعد ما سبق، و هو المراد.

و لو صح هذا الزعم القائل بأن "الألفاظ مجرد وسائل فلا تقدس فی ذاتها، بل الأمر متجه إلی روح القرآن و مقاصده، "لصح أن یقال من باب أولی: فلا داعی لتقدیس جمیع الوسائل العلمیهٔ و العملیهٔ فی الحیاهٔ، فتعطل دراسهٔ اللغهٔ العربیهٔ للحجهٔ ذاتها، و مثلها سائر علوم الوسائل، و لا یحتاج لدراسهٔ العلوم الطبیهٔ؛ لأن المقصد شفاء المریض! و لا یدری کیف سیشفی؟!، و لا داعی لاستخدام أداهٔ لارتقاء السقف؛ لأن الهدف الوصول إلی السقف؟! و لا تدری کیف سیصل؟!، لتحدث- بعد- فوضی ضاربهٔ فی الحیاهٔ العلمیهٔ و العملیهٔ.

تلقی النبی ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۹۶

۳- عند التسلیم بصحهٔ موضع الاستشهاد فی الحدیث، فإن وضعه فی موضعه الصحیح هو الحکمهٔ ذاتها ... إذ إن مراد ابن مسعود رضی اللّه عنه منه ترک التعمق فی السعی وراء الألفاظ، و حتمیهٔ إعطائها القدر المناسب لها دون إیغال شاغل بها عن المراد منها، و النهی عن التنطع، و التعمق ... و النهی عن الإیغال و الغلو لیس خاصا بالوسائل بل هو عام فی کل شیء مقاصدا و وسائلا ... و ذا من بدهیات دلالات سبیل القصد، و الوسطیهٔ فی الشریعهٔ، بل فی سائر جوانب الحیاهٔ المختلفهٔ «۱» ... و هذا الفهم لمنطوق کلام ابن مسعود رضی اللّه عنه هو ما نص علی مثله السیوطی- رحمه اللّه تعالی- فی تنویر الحوالک حیث قال (":قلیل قراؤه) أی الخالون من

معرفة معانیه، و الفقه فیه، (و تضیع حروفه) أی أن المحافظین علی حدوده أکثر من المحافظین علی التوسع فی معرفة أنواع القراءات" «۲».

و من الأدلة علی أن الإمام أبا إسحاق الشاطبی- رحمه اللّه تعالی- لا یرید ما ذهب إلیه هؤلاء، أنه قال- بعد- معددا القواعد التی تنبنی علی الأصل الذی ذکره، و ورد الاستدلال بکلام ابن مسعود رضی اللّه عنه ضمنه ":اتباع الهوی فی الأحکام الشرعیة مظنة لأن یحتال بها علی أغراضه، فتصیر کالآلة المعدة لاقتناص أغراضه «"۳»، و هذا دال علی أن کلام ابن مسعود رضی اللّه عنه، ینبغی أن یفهم فی إطاره، فلا یتخذ مطیة لهدم الشریعة التی هی أصل أثر ابن مسعود رضی اللّه عنه، و لذا فإنه کان یقعّد لقراءته أقوی تقعید، و یعتمد علی أوثق الأسانید و هو قوله:

(أخذتها من فی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم) «۴». (۱) انظر: الموافقات ۲/ ۱۲۰، مرجع سابق.

(۲) تنویر الحوالک شرح موطأ مالک ص ۱۴۴، مرجع سابق.

(۳) الموافقات ۲/ ۱۷۶، مرجع سابق.

(۴) المعجم الکبیر للطبرانی ۳/ ۱۹۷، مرجع سابق.

تلقی النبی ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۹۷

و من أحسن أدلة التوقیفیة فی أداء القرآن

قوله صلّی اللّه علیه و سلّم: (ما أنا بقارئ)؛ إذ کررها ثلاثا و بین أبو شامة- رحمه اللّه تعالی- بأن قوله أولا (ما أنا بقارئ) دال علی الامتناع، و ثانیا علی الإخبار بالنفی المحض، و ثالثا علی الاستفهام "و یؤیده أن فی روایة أبی الأسود فی مغازیه عن عروة أنه قال: (کیف أقرأ)، و فی روایة عبید بن عمیر عن ابن إسحاق: (ما ذا اقرأ) و فی مرسل الزهری فی دلائل البیهقی: (کیف أقرأ)، و کل ذلک یؤید أنها استفهامیة «"۱».

المطلب الخامس: المقتضی المنهجی لدلالات حدیث المعارضة، و مفردات تلقی النبی صلّی اللّه علیه و سلّم ألفاظ القرآن الکریم:

اشارة

إذا کان النبی صلّی اللّه علیه و سلّم قد کفی مؤنة الحفظ و المراجعة لتکفل اللّه سبحانه و تعالی له بذلک، علی ما سبق فی حدیث المعالجة «۲»، فإن خطواته البشریة لتثبیت الحفظ، و دوام المراجعة، إن هی إلا إشارات واضحة لتحویل مقتضاها إلی قواعد منهجیة فی الإحاطة بالدرس القرآنی حفظا، و تلاوة، و مراجعة، و استدعاء، و بیان معنی، و عملا، و صنیع البحث هنا مجرد الإشارة العابرة إلی بعض ذلک بغیة الإثارة، و الاستفزاز البحثی لمن یعتریه طیف التوهم فی المفردات الشرعیة الأساسیة، أو یقذف الشیطان فی قلبه وسواس الشک، لا التحلیل و الإطناب؛ إذ لیس مجال البحث ... و قد تقدم فی المطالب الأربعة السابقة بعض المقتضیات المنهجیة لدلالات الحدیث، و الأمر الجامع لها: أن یکون لحفظة القرآن معارضة سنویة للقرآن الکریم علی مشایخهم، أو معارضة ثانیة بعد ختم القرآن حفظا علی الأقل، و تزداد عدد مرات المعارضة بحسب حالة الطالب ... و تکون للمسلمین عموما عرضة للقرآن الکریم نظرا أو غیبا عن ظهر قلب علی شیخ متقن، و أفضل أوقات ذلک فی رمضان ... مع ظهور التعبد و التبتل عند قراءة القرآن فی العرضة ... خاصة الإنفاق. (۱) انظر: فتح الباری ۱/ ۲۴، مرجع سابق.

(۲) انظر: المبحث السادس من هذا الفصل.

تلقی النبی ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۹۸

و علی ما سبق: تکون مفردات تلقی النبی صلی اللّه علیه و سلم ألفاظ القرآن من جبریل علیه السلام:

۱- إلزامیة حفظ الألفاظ، و قد تکفل اللّه سبحانه و تعالی بجمعه لنبیه فی صدره (الحفظ).

۲- إتقان الحفظ، و قد کان إنزال القرآن الکریم علی قلب النبی صلی اللّه علیه و سلم من بین سائر أنواع الوحی، و هو أشده علی النبی صلی اللّه علیه و سلم لهذا الغرض فی المقام الأول.

۳- إلزامیة المراجعة العامة للمحفوظ، و قد تکفل اللّه عزّ و جل لنبیه صلی اللّه علیه و سلم بأن لا ینسی منه شیئا علی سبیل النسیان الکلی «۱».

۴- إنزاله منجما؛ لیکون أثبت فی قلب النبی صلی اللّه علیه و سلم حفظا، و أداء، و تبلیغا.

۵- بیان لفظ القرآن الکریم، و قد تکفل اللّه سبحانه و تعالی بأن یقرأه النبی صلی اللّه علیه و سلم کما قرأه جبریل علیه السلام، حذو القذة بالقذة، و ذا شامل لأصل اللفظ و لأدائه.

۶- العنایة بأداء ألفاظ القرآن، و قد تکفل اللّه عزّ و جل بإظهاره علی لسان نبیه صلی اللّه علیه و سلم و تبیینه.

۷- إنزال القرآن الکریم و تلقینه للنبی صلی اللّه علیه و سلم مرتلا- (مجوّدا منجّما)، و وجوب ترتیله علی النبی صلی اللّه علیه و سلم علی الهیئة ذاتها التی رتله بها جبریل علیه السلام.

۸- تهیئة مراجعة یومیة للقرآن الکریم فی قیام اللیل أو غیره «۲».

۹- تهیئة مراجعة سنویة للقرآن الکریم فی کل رمضان یعارض فیها النبی صلی اللّه علیه و سلم و جبریل علیه السلام- کل منهما الآخر- ألفاظ القرآن الکریم متضمنة النظر فی ألفاظه من حیث أصل اللفظ و من حیث الأداء. (۱) انظر: دلالات حدیث المعالجة فی المبحث السادس من هذا الفصل ص ۱۱۳، و ما سیأتی- إن شاء اللّه تعالی- فی الفصل الخامس.

(۲) انظر: المبحث الثامن من هذا الفصل ص ۱۷۱.

تلقی النبی ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۹۹

الفصل الرابع الأصول العامة فی تلقی النبی صلی اللّه علیه و سلم ألفاظ القرآن الکریم و فیه خمسة مباحث

اشارة

تظاهرت الأدلة علی إلزامیة تلقی النبی صلی اللّه علیه و سلم ألفاظ القرآن من جبریل علیه السلام و حفظها و مراجعتها، و حفها بالعوامل التی تجعل الاعتناء بها واجبا یومیا لا- یترک و لا ینسی، و جعل تلقیها، ثم تبلیغها فی غایة الدقة تحقیقا لألفاظها، و بیانا لمخارج حروفها، و إتقانا لأدائها؛ و قد عقد هذا الفصل لیدرس الأصول العامة التی توضح ما سبق، و تعضده، فی أمور حیاة النبی صلی اللّه علیه و سلم مما یتعلق بموضوع التلقی من قریب أو من بعید؛ و لبیان العلاقة بین معلم النبی صلی اللّه علیه و سلم جبریل علیه السلام و بین النبی صلی اللّه علیه و سلم، و الصحبة الحمیمة بینهما، و لذلک ینقسم هذا الفصل إلی خمسة مباحث:

المبحث الأول: اللمحات العامة فی تلقی النبی صلی اللّه علیه و سلم ألفاظ القرآن من جبریل علیه السلام.

المبحث الثانی: دقة جبریل علیه السلام فی النقل العام.

المبحث الثالث: العلاقة العامة (الصحبة) بین جبریل علیه السلام و النبی صلی اللّه علیه و سلم، و أثرها فی تلقی ألفاظ القرآن الکریم.

المبحث الرابع: التوقیفیة فی غیر أداء القرآن.

المبحث الخامس: الواجبات التی کانت علی النبی صلی اللّه علیه و سلم بالنظر إلی تلقی لفظ القرآن الکریم.

تلقی النبی ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۰۰

المبحث الأول: اللمحات العامة فی تلقی النبی صلی اللّه علیه و سلم ألفاظ القرآن من جبریل علیه السلام:

اشارة

یدرس هذا المبحث اللمحات العامة فی تلقی النبی صلی اللّه علیه و سلم ألفاظ القرآن الکریم من جبریل علیه السلام، و المراد بذلک جملة حقائق تجلت بها عملیة التلقی، تحمل فی مطلبین:

المطلب الأول: من حیث مصدر التلقی.

المطلب الثانی: من حیث مؤشرات فی طریقة التلقی.

المطلب الأول: من حیث مصدر التلقی:

و المراد به تثبیت بدهیة الإسناد فی بیان مصدر تلقی القرآن الکریم؛ حیث صار إسناد رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم عن جبریل علیه السلام عن رب العالمین فی نقل ألفاظ القرآن الکریم بصفة خاصة من بین سائر أنواع الوحی بدیهة «۱» یذکرها الصحابة، لبیان أقصی درجات علم الیقین فی نقل نصوص ألفاظ المعلومات التی تصل إلی البشر، و إبرازا لدلیل الصدق فی النقل و تطمینا، و محافظة علی الإسناد، و بیانا للطریقة التعلیمیة الصحیحة فی تلقی القرآن، و تصییرا لتوقیفیة المتلقی مسلمة لا تناقش فی أذهان المسلمین ... و هذه المواقف تجلی هذه الحقیقة:

۱- فعن زاذان أبی عمر عن ابن مسعود رضی اللّه عنه قال له: یا أخی! إن لنا مجلسا فائتنا فأقبلت إلیه فی مجلسه، فتعلمت منه سبعین سورة. فقال لی عبد اللّه: أخذتها من فی رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم نزل بها جبریل علیه السلام من عند رب العالمین عزّ و جل «۲». (۱) و لعل ذلک عائد إلی ما یشیر إلیه الأصولیون من مسألة ورود اجتهاده صلی اللّه علیه و سلم فی السنّة النبویة لا وضعا، بل اجتهادا فی أحوال خاصة کما هو معلوم، انظر: نهایة السول ۴/ ۴۳۷، مرجع سابق.

(۲) المعجم الکبیر ۹/ ۷۷، مرجع سابق.

تلقی النبی ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۰۱

۲- مر عمر بن الخطاب رضی اللّه عنه برجل و هو یقول: السابقون الأولون من المهاجرین و الأنصار و الذین اتبعوهم بإحسان رضی اللّه تعالی عنهم و رضوا عنه إلی آخر الآیة، فوقف علیه عمر، فقال: انصرف! فلما انصرف، قال له عمر: من أقرأک هذه الآیة؟ قال: أقرأنیها أبی بن کعب. فقال: انطلقوا بنا إلیه! فانطلقوا إلیه، فإذا هو متکئ علی وسادة، یرجل رأسه، فسلم علیه، فرد السلام، فقال: یا أبا المنذر! قال: لبیک! قال: أخبرنی هذا إنک أقرأته هذه الآیة، قال: صدق تلقیتها من رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم. قال عمر: أنت تلقیتها من رسول اللّه. قال: نعم! أنا تلقیتها من رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم ثلاث مرات، کل ذلک یقوله و فی الثالثة و هو غضبان: نعم؛ و اللّه لقد أنزلها اللّه علی جبریل علیه السلام، و أنزلها علی محمد صلی اللّه علیه و سلم فلم یستأمر فیها الخطاب و لا ابنه. فخرج عمر و هو رافع یدیه و هو یقول: اللّه أکبر اللّه أکبر «۱».

۳- و عن ابن عباس رضی اللّه عنه أن أبیا قال لعمر: یا أمیر المؤمنین! إنی تلقیت القرآن ممن تلقاه أو ممن یتلقاه من جبریل علیه السلام و هو رطب «۲».

۴- و عن زر بن حبیش قال: قلت لأبی بن کعب: إن ابن مسعود کان لا یکتب المعوذتین فی مصحفه؟ فقال: أشهد أن رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم أخبرنی أن جبریل علیه السلام قال له: قل (۱) المستدرک علی الصحیحین ۳/ ۳۴۵، مرجع سابق. و ینتبه فیها إلی أمور:

* التلقی و التأکید علیه، و التسلیم به عند ثبوته عند أهله و مراجعه، و هذا لا یعنی عدم انتشاره بین الأمة ...

* أن هذه الروایات لا یثبت بها قراءة، إذ کثیر منها مروی بالمعنی، و انظر- مثلا- إلی حدیث: (لو کان لابن آدم و ادیان ...) البخاری

۵/ ۲۳۶۴، مرجع سابق، مسلم ۲/ ۷۲۵، مرجع سابق ... ففيه تباين فى ألفاظ ما قيل أنها آية و لعل رواتها تساهلوا فى نقل القراءة الواردة فيها بدقة لهذه العلة، أى لعدم ثبوت القراءة بها، و لا يعترض على ذلك باستنكار أن يقرأ أبى بما لا نقرأ به الآن؛ لأن هذا يرجع إلى الاكتفاء بقراءة واحدة فى المصر و نحوه كما هو مشاهد الآن، على تفصيل فى مسألة ما تطلق عليه بعض الروايات (آية) أو (قراءة) ... و هذه كلمة عابرة لا مكان هاهنا لتفصيلها.

(۲) مسند الإمام أحمد بن حنبل ۵/ ۱۱۷، مرجع سابق.

أعوذ برب الفلق فقلتها، فقال: قل أعوذ برب الناس فقلتها فنحن نقول ما قال النبى صلى اللّه عليه و سلم «۱».

۵- و عن ثابت قال: قال لى أنس بن مالك: يا ثابت! خذ عنى؛ فإنك لم تأخذ عن أحد أوثق منى، إنى أخذته عن رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم عن جبريل عليه السلام، و أخذه جبريل عليه السلام عن اللّه تعالى «۲».

۶- و عن زر قال: قرأ رجل على عبد اللّه طه مفتوحة، فأخذها عليه عبد اللّه طه مكسورة، فقال له الرجل: إنما يعنى مفتوحة. فقال عبد اللّه: هكذا قرأها رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم و هكذا أنزلها جبريل عليه السلام، و فى لفظ: فقال عبد اللّه: و اللّه لهكذا علمنيها رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم «۳».

و لذا كان صلى اللّه عليه و سلم يصرح أحينا بواسطته عن ربه فى الوحى مع أنها معلومة ضرورة كما فى مسند الشهاب سمعت جابر بن عبد اللّه يقول: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم: قال جبريل عليه السلام: قال اللّه سبحانه و تعالى: (هذا دين أرتضيه لنفسى، و لن يصلحه إلا السخاء و حسن الخلق فأكرموه بهما ما صحبتموه) «۴». (۱) مسند الإمام أحمد بن حنبل ۵/ ۱۲۹، مرجع سابق.

(۲) سنن الترمذى ۵/ ۶۸۲، مرجع سابق، و قال ":هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث زيد بن حباب، "و قال الألبانى تعليقا ":ضعيف الإسناد."

(۳) المستدرك على الصحيحين ۲/ ۲۶۸، مرجع سابق، قال الحاكم ":هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه، "قال الذهبى فى التلخيص ":صحيح."

(۴) (القضاعى) أبو عبد اللّه محمد بن سلامة بن جعفر ت ۴۵۴ ه: مسند الشهاب ۲/ ۳۲۹، تحقيق حمدى عبد المجيد السلفى، ط ۲، ۱۴۰۷ ه- ۱۹۸۶ م، مؤسسة الرسالة، و نحوه ما فى المعجم الأوسط ۹/ ۱۳۹، مرجع سابق عن أنس بن مالك عن صلى اللّه عليه و سلم عن جبريل عن اللّه سبحانه و تعالى قال: (من أهان لى وليا فقد بارزنى بالمحاربة ...)، و أصله فى صحيح مسلم ۱/ ۴۳۲، مرجع سابق.

و إنما أراد صلى اللّه عليه و سلم من ذلك أن تصير هذه الحقيقة ضرورة فى حياة الأمة؛ لتغدو فى قلبها، و على ألسنة أبنائها بدهية لا تحتاج إلى نظر أو استدلال، و هو ما يلمس من النصوص السابقة.

المطلب الثانى: من حيث مؤشرات فى طريقة التلقى:

أولا: التعليم المباشر للبدايات و النهايات و مواضع الآيات

اشارة

و مسلك جبريل عليه السلام فى تعليم النبى صلى اللّه عليه و سلم هذه الناحية يأتى على وجهين:

وجه خاص:

بالتنصيص على مكان الآية، و نهاية السورة، كحديث عثمان بن أبى العاص رضى اللّه عنه قال: كنت عند رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم جالسا، إذ شخص ببصره، ثم صوبه حتى كاد أن يلزقه بالأرض- قال-: ثم شخص ببصره، فقال: (أتانى جبريل عليه السلام فأمرنى أن أضع هذه الآية بهذا الموضع من هذه السورة إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَ الْإِحْسانِ وَ إِيتاءِ ذِى الْقُرْبى وَ يَنْهى عَنِ الْفَحْشاءِ وَ الْمُنْكَرِ وَ الْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ "النحل/ ۹۰) «"۱».

وجه عام:

بأن يضع له علامة لابتداء السورة، أو انتهائها، أو الفصل بين السورتين؛ كما فى حديث ترجمان القرآن ابن عباس «۲» رضى اللّه عنه قال: كان جبريل عليه السلام ينزل على رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم الوحى فإذا قال: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ، افتتح سورة أخرى «۳». (۱) مسند الإمام أحمد بن حنبل ۴/ ۲۱۸، مرجع سابق.

(۲) كثرت الأحاديث عن ابن عباس فى كتب علوم القرآن، و قد شهد له النبى صلى اللّه عليه و سلم فى هذا الباب بخصوصه كما ذكر فى ترجمته، و قال ابن مسعود: نعم ترجمان القرآن ابن عباس، و قال: لو أدرك ابن عباس أسناننا ما عشره منا أحد، و روى ابن أبى خيثمة بسند فيه جابر الجعفى أن ابن عمر كان يقول: ابن عباس أعلم أمة محمد بما أنزل على محمد، و روى ابن سعد بسند صحيح: أن أبا هريرة قال لما مات زيد بن ثابت: مات اليوم جبر الأمة، و لعل اللّه أن يجعل فى ابن عباس خلفا منه ... تهذيب التهذيب ۷/ ۶۷، مرجع سابق.

(۳) رواه الطبرانى فى المعجم الكبير ۱۲/ ۸۲، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۰۴

و عنه رضى اللّه عنه قال: إن النبى صلى اللّه عليه و سلم كان إذا نزل جبريل عليه السلام فقال: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ، علم أنها سورة «۱».

ثانيا: التوسط فى كمية المنزل:

الذى يعلمه جبريل عليه السلام للنبى صلى اللّه عليه و سلم و يوضح ذلك الحديث الذى رواه الحاكم: عن ابن عباس رضى اللّه عنه قال: (فصل القرآن من الذكر فوضع فى بيت العزة فى السماء الدنيا، فجعل جبريل عليه السلام ينزله على النبى صلى اللّه عليه و سلم و رتلناه ترتيلا) قال سفيان- أحد رجال إسناد الحديث-: خمس آيات، و نحوها «۲».

و عن أبى العالية قال: قال عمر بن الخطاب رضى اللّه عنه: (تعلموا القرآن خمس آيات خمس آيات، فإن جبريل عليه السلام نزل به على محمد صلى اللّه عليه و سلم خمس آيات خمس آيات) «۳». و لا يخفى أن هذا وصف لحال الغالب، و إلا فقد ينزل ما هو أكثر من ذلك، و ما هو أقل.

ثالثا: مقارنة التلقين بالأمر بكتابة الوحى القرآنى على سبيل الفورية:

فقد جاء فى فضائل الصحابة: عن فاطمة بنت عبد الرحمن قالت: حدثتنى أمى أنها سألت عائشة، و أرسلها عمها فقال: إن أحد بنيك

يقرئـك السـلام، و يسألك عن عثمان بن عفان؛ فان الناس قـد شـتموه. فقالت: لعن اللّه من لعنه، فو اللّه لقـد كان قاعـدا عنـد نبى اللّه صلى اللّه عليه و سلم و إن رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم لمسند ظهره إلي و إن جبريل عليه السلام ليوحى إليه القرآن، أنه ليقول له: (اكتب يـا عثيم)، فما كان اللّه عزّ و جل لينزله تلك المنزلـة إلا و هو كريم على اللّه و رسوله «۴». (۱) المستدرك على الصحيحين ۲/ ۶۶۸، مرجع سابق، و قال ":هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه."

(۲) المستدرك على الصحيحين ۲/ ۶۶۷، مرجع سابق، و قال ":هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه."

(۳) (الخطيب البغدادى) أبو بكر أحمد بن على ۴۶۳ ه: تاريخ بغداد ۳۱/ ۲۸۸- دار الكتب العلمية، بيروت.

(۴) أخرجه (ابن أبى عاصم) أبو بكر عمرو بن أبى عاصم الضحاك بن مخلد الشيبانى (ت ۲۸۷ ه): كتاب السنة ۲/ ۵۹۲، حققه محمد ناصر الدين الألبانى، ط ۳، ۱۴۱۳ ه- ۱۹۹۳ م، المكتب الإسلامى- بيروت، و عبد اللّه ابن أحمد فى فضائل الصحابة ۱/ ۴۹۸.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۰۵

و كحديث عثمان بن أبى العاص المتقدم آنفا، و هذا مقتض تلقائى لوصف القرآن بالكتاب.

رابعا: التركيز:

من حيث توقيف اللّه عزّ و جـل لنبيه صـلى اللّه عليه و سـلم على الأوقات التى ينزل عليه الوحى فيها، و الأوقات التى يراجع فيها رسول اللّه صـلى اللّه عليه و سـلم القرآن (قيام الليل، رمضان)، إذ الاهتمام بهـذا الموضوع بلغ حد بيان الأوقات التى ينشـغل فيها قلب المرء و جوارحه بمـا لاـ يتعلق بالقرآن، حتى تهتبل الأوقات الأخرى المحـددة فى مراجعـة القرآن كما قال سـبحانه و تعالى: إِنَّ لَكَ فِي النَّهارِ سَبْحاً طَوِيلًا "المزمل/ ۷، "قال ابن زيـد ":فراغا طويلا لحوائجك، فافرغ لـدينك بالليل «"۱»، و لا يعنى التوقيف هنا نفى ما عـدا هذه الأوقات للقراءة أو المراجعة، بل المراد الوقوف على مدى العناية بالقرآن الكريم. (۱) التحرير و التنوير ۲۹/ ۲۶۵، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۰۶

المبحث الثانى: الدقة فى النقل العام:

اشارة

و إنما أورد هـذا الفصل بعـد حـديثى المعالجـة و المعارضة على سبيل الاستئناف البيانى، للرد على مسـتكثر على الشـريعة أن تتضـمن ألفاظها تلك الدقة التى جعلتنا نستخرج منها تلك المعانى، التى قد تخفى على عابر النظر؛ و أنى يستكثر ذلك ...

و الكلام هو كلام اللّه سـبحانه و تعالى المتلو المحفوظ بحفظه عزّ و جل له، و المعلّم له هو جبريل عليه السلام، و المتعلّم له هو محمد صلى اللّه عليه و سـلم خاتم الرسل؟ فقـد تميز نقل جبريل عليه السـلام بالدقـة فى غير القرآن، فيستصـحب هنا بين يـدى هـذا المبحث سؤال: فكيف إن كان المنقول كلام اللّه المتلو سبحانه و تعالى؟.

و من صور هذه الدقة:

۱- الدقة فى نقل الأحداث الواقعية:

كان جبريل عليه السلام يأتيه بأدق التفاصيل و الأوصاف للأحداث الواقعة الحاضرة و المستقبلية، حتى ما لا يترتب عليه حكم شرعى:

و من ذلـك ما جاء عن أنس رضـى اللّه عنه قال: بعث النبى صـلى اللّه عليه و سـلم أقواما من بنى سـليم إلى بنى عامر فى سـبعين، فلما قـدموا، قـال لهم خالى: أتقـدمكم، فإن أمّنونى حتى أبلغهم عن رسول اللّه صـلى اللّه عليه و سـلم و إلا كنتم منى قريبا، فتقـدم، فأمّنوه،

فبينما يحدثهم عن النبى صلى اللّه عليه و سلم إذا أومئوا إلى رجل منهم، فطعنه، فأنفذه، فقال: اللّه أكبر! فزت و رب الكعبة. ثم مالوا على بقية أصحابه، فقتلوهم إلا رجلا أعرج صعد الجبل، فأخبر جبريل عليه السلام النبى صلى اللّه عليه و سلم أنهم قد لقوا ربهم فرضى عنهم و أرضاهم ... الحديث «۱».

و عن جابر رضى اللّه عنه: غزونا مع رسول اللّه قوما من جهينة، فقاتلونا قتالا شديدا، فلما صلينا الظهر قال المشركون: لو ملنا عليهم ميلة لاقتطعناهم، فأخبر جبريل رسول اللّه بذلك ... الحديث «۲». (۱) صحيح البخارى ۳/ ۱۰۳۱، مرجع سابق.

(۲) صحيح مسلم ۱/ ۵۷۵، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۰۷

و خرج معاوية رضى اللّه عنه على حلقة فى المسجد، فقال: ما أجلسكم؟، قالوا: جلسنا نذكر اللّه، قال: آللّه ما أجلسكم إلا ذاك؟ قالوا: و اللّه ما أجلسنا إلا ذاك. قال: أما إنى لم أستحلفكم تهمة لكم، و ما كان أحد بمنزلتى من رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم أقل عنه حديثا منى، و إن رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم خرج على حلقة من أصحابه فقال: (ما أجلسكم؟) قالوا: جلسنا نذكر اللّه، و نحمده على ما هدانا للإسلام، و من به علينا. قال: (آللّه ما أجلسكم إلا ذاك؟) قالوا: و اللّه ما أجلسنا إلا ذاك. قال: (أما إنى لم أستحلفكم تهمة لكم، و لكنه أتانى جبريل فأخبرنى أن اللّه عز و جل يباهى بكم الملائكة) «۱».

فإذا تأمل القارئ نقل جبريل عليه السلام هاهنا، و شغل ذهنه بكيفية نقله للقرآن- أخبت قلبه لما سبق ذكره من الدقة البالغة فى تلقى النبى صلى اللّه عليه و سلم ألفاظ القرآن من جبريل عليه السلام، و تعليم جبريل عليه السلام إياه ذلك.

۲- الدقة فى نقل أحداث المستقبل:

فقد روت أم سلمة- رضى اللّه تعالى عنها- أن رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم اضطجع ذات ليلة للنوم، فاستيقظ و هو حائر، ثم اضطجع، فرقد، ثم استيقظ و هو حائر، دون ما رأيت به المرة الأولى، ثم اضطجع فاستيقظ و فى يده تربة حمراء يقلبها، فقلت: ما هذه التربة يا رسول اللّه؟ قال: (أخبرنى جبريل عليه السلام أن هذا يقتل بأرض العراق) للحسين- فقلت لجبريل: أرنى تربة الأرض التى يقتل بها فهذه تربتها) «۲».

و هل التربة الحمراء أهم من نقل أداء ألفاظ القرآن؟.

غير أن الدقة هى السمة الدائمة لعمل جبريل عليه السلام و تعليمه، حتى اتسعت لتعليم الصلاة عمليا: فعن ابن عباس رضى اللّه عنه قال: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم: (أمنى جبريل عليه السلام عند البيت (۱) صحيح مسلم ۴/ ۲۰۷۵، مرجع سابق.

(۲) المستدرك على الصحيحين ۴/ ۴۴۰، مرجع سابق، و قال ":هذا حديث صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه، و وافقه الذهبى ...".

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۰۸

مرتين، فصلى بى الظهر حين زالت الشمس و كانت قدر الشراك، و صلى بى العصر حين كان ظله مثله، و صلى بى يعنى المغرب حين أفطر الصائم، و صلى بى العشاء حين غاب الشفق، و صلى بى الفجر حين حرم الطعام و الشراب على الصائم، فلما كان الغد صلى بى الظهر حين كان ظله مثله، و صلى بى العصر حين كان ظله مثليه، و صلى بى المغرب حين أفطر الصائم، و صلى بى العشاء إلى ثلث الليل، و صلى بى الفجر فأسفر، ثم التفت إلى فقال: يا محمد! هذا وقت لأنبياء من قبلك و الوقت ما بين هذين الوقتين) «۱».

فكيف تعليمه القرآن؟، و ظاهر أن تعليم الصلاة عمليا يقرب أن تطلق عليه وجها أدائيا، فلأداء القرآن أعلى شأنا من بيان الهيئات التفصيلية للصلاة بأسلوب عملى، فما الذى يستنكره من شذ عن سائر المسلمين و قال: إن الأداء ليس متواترا، أو لم يعلمه جبريل رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم، على أن أهل المآرب اتخذوا ذلك ذريعة ليبطلوا أصل اللفظ.

و أقل الأحوال أن يكون أداء لفظ القرآن شأنه كشأن الهيئات التفصيلية للصلاة، فيظهر عند ذاك برهان عدم المبالغة فى ذلك عند ما تجد القرآن ذاته يتكلم عن الهيئات التفصيلية لتلقى القرآن و تلقينه و أدائه، و لا يوجد ذلك لتفصيل أمور الصلاة. (۱) سنن أبى داود ۱/ ۱۰۷، مرجع سابق، قال الشيخ الألبانى ":حسن صحيح، "و أصله فى صحيح البخارى ۱/ ۱۹۵ مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۰۹

المبحث الثالث: العلاقة العامة بين جبريل عليه السلام و النبى صلى اللّه عليه و سلم و أثرها فى تعليم ألفاظ القرآن:

اشارة

و هذا المبحث كالاستعراض لمظاهر صحبة جبريل عليه السلام للنبى صلى اللّه عليه و سلم، و بيان العلاقة الحميمة التى تربط المعلّم الملقى عليه السلام بالمتعلّم المتلقى صلى اللّه عليه و سلم، مع أن هذه المعانى قد بثّت ثناياها فيما سبق، فما أورد هنا فهو لزيادة التبيين فى هذه الناحية الخاصة، و ينقسم هذا المبحث إلى ثلاثة مطالب متدرجا من العموم إلى خصوص المتابعة التعليمية:

المطلب الأول: صلة هذا المبحث بموضوع البحث العام.

المطلب الثانى: نماذج من العلاقة العامة.

المطلب الثالث: التعاهد و الاستدراك.

المطلب الأول: صلة هذا المبحث بموضوع البحث العام:

اشارة

إن بحث هذه المسألة يستلزم الاستقلال فى الدراسة عن غيرها، لكنها ذكرت فى هذا المكان مختصرة، لا نافلة قول، بل لتحقيق غايات خادمة لموضوع البحث، و من ذلك:

أ- التنبيه بالأدنى على الأعلى:

و عليه اعتمد الباقلانى- رحمه اللّه تعالى- فى الرد على من نسب إلى ابن مسعود رضى اللّه عنه إنكار المعوذتين، فقال ":و لو كان قد أنكر- يعنى عبد اللّه ابن مسعود- السورتين على ما ادعوا- لكانت الصحابة تناظره على ذلك، و كان يظهر و ينتشر، فقد تناظروا فى أقل من هذا، أمر يوجب التكفير و التضليل، فكيف يجوز أن يقع التخفيف فيه «"۱». (۱) (الباقلانى) أبو بكر بن الطيب: إعجاز القرآن ص ۳۶۵، قدم له و شرحه و علق عليه: الشيخ محمد شريف سكر، بيروت دار إحياء العلوم، ط ۱، ۱۴۰۸ ه- ۱۹۸۸ م. و هذا الدليل من أعظم الأدلة التى تبين فقه المتفقه و دقيق

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۱۰

و إذا كان التكليف بالأمور العبادية الفرعية مثلا قد بلغ مستوى من الدقة فى التوقيف تعجم كل من يريد التهوين من اللفظ القرآنى، فتحيل ما أعجمه مهملا، فكذلك نقل كلام اللّه عزّ و جل ... و من نماذج ذلك أن النبى صلى اللّه عليه و سلم جاءه جبريل عليه السلام فى أول ما أوحى إليه فأراه الوضوء و الصلاة، فلما فرغ من الوضوء أخذ غرفة من ماء، فنضح بها فرجه «۱».

و لا يعلّمه هذا المستوى من الدقة فى الأمور العبادية التى اصطلح على تسميتها بالفرعية، و يفقر أصل أصول الشريعة من المماثلة فى دقة التعامل، بل كان مستوى الدقة فى لفظ القرآن بالغا غاية لا يصدقها عقل بشرى، لو لا أنها نقلت ... و إنما قيل: لا يصدقها عقل

بشـرى؛ لأنها لا تخطر على باله من حيث هذه الضخامة فى تتبع قراءة النبى صلى اللّه عليه و سلم حرفا حرفا، كنقلهم عدد شعرات النبى صلى اللّه عليه و سلم «۲»، و لنقل حروف القرآن أخطر و أجل.

ب- بيان رقى الصحبة بين المعلّم عليه السلام و المتعلّم صلى اللّه عليه و سلم

التى تؤدى إلى المتابعـة المتميزة التى كـان النبى صـلى اللّه عليه و سـلم يحظى بهـا من جبريـل عليه السـلام بـأمر اللّه عزّ و جل، و ذى المتابعة تعطى خصوصـية للمعلّم عليه السـلام و المتعلم صـلى اللّه عليه و سـلم هنا، لا توجد بين غيرهما، لا جرم أن قول اللّه سـبحانه و تعـالى ... فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنا " ...الطور/ ۴۸، "مفسّـِر لتلـك العلاقـة التى بلغت ذروتهـا، حتى يكاد جبريل عليه السـلام لا يفارق رسول اللّه صلى اللّه عليه و سـلم إلا فيما نـذر أمرا من ربه عزّ و جل، مع المعية العامة و الخاصة للّه سـبحانه و تعالى ... و ذا بصـره ... و تراه يذكر مبثوثـا فى كتب أصول الفقه بأسـماء متعـددة منهـا: القيـاس الأولوى، و العموم المعنوى، و نحو ذلك ... و من أجل هـذه الأهميـة التى يكتسـبها هذا الدليل نبه عليه ابن رشد- رحمه اللّه تعالى- فى مقدمة كتابه الفقهى الفريد: بداية المجتهد، انظر: (ابن رشد) القاضى أبو الوليـد محمـد بن أحمـد بن رشد الحفيد ت ۵۹۵ ه: بدايـة المجتهـد و نهايـة المقتصد- المقدمة ۱/ ۵، تحقيق و تعليق: محمد صـبحى حسن حلاق، الطبعة الأولى ۱۴۱۵ ه- مكتبة ابن تيمية- القاهرة.

(۱) (الكسـى) أبو محمـد عبـد بن حميد بن نصـر ت ۲۴۹ ه: المنتخب من مسـند عبـد بن حميـد، مراجعة: صـبحى البدرى السامرائى- محمود محمـد خليل الصـعيدى، ۱۴۰۸ ه- ۱۹۸۸ م، مكتبـة السـنة- القـاهرة، و رواه ابن ماجـة ۱/ ۱۵۷، مرجع سـابق. و قـال الألبانى": صحيح."

(۲) إشارة إلى حديث أنس رضى اللّه عنه عند الترمذى ۴/ ۴۳۵، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۱۱

كله يعطيك مؤشرا واضحا على المتابعة التى كانت ألفاظ القرآن تحظى بها، و استحالة تطرق الخلل لأداء اللفظ، بله اللفظ ...

ج- تثبيت ما سبق

من تحليـل فى تعليم جبريـل عليه السـلام لرسول اللّه صـلى اللّه عليه و سـلم لفظ القرآن، و أن ما ذكر ليس مبالغـة اسـتهوتها الزخارف اللفظية، و العاطفة المجردة مما قد يزعم زاعم أن البحث صدر منها.

و ليشـرع الحديث عن صـحبة النبى صـلى اللّه عليه و سـلم لجبريل عليه السـلام أشرعته ... و حقّ لحديث كهذا الحديث أن تعروه هزة الذكرى، و حمرة الحياء ... فلتغتفر زلة التقصير فيه بداية ...

حدّث عن القوم، فالألفاظ ساجدة ... خلف المحاريب، و الأوزان تبتهل.

المطلب الثانى: نماذج من العلاقة العامة بين جبريل عليه السلام و النبى صلى اللّه عليه و سلم:

أولا: فى المسائل الشخصية:

اشارة

يظهر جبريل عليه السلام غاديا رائحا فى أمور تتعلق بخصوصيات النبى صلى اللّه عليه و سلم الأسرية، و من ذلك:

۱- زواجه من عائشهٔ- رضى اللّه تعالى عنها-:

و فيهـا يظهر أن جبريل عليه السـلام قـد يسـتخدم وسائل متعـددهٔ و ربما غير معهودهٔ لإخبار النبى صـلى اللّه عليه و سـلم و تعليمه، فعن عائشهٔ- رضى اللّه تعالى عنها- قالت:

قال لى رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم: (رأيتك فى المنام يجىء بك الملك فى سرقهٔ من حرير، فقال لى:

هـذه امرأتـك، فكشـفت عن وجهك الثوب، فإذا هى أنت، فقلت: إن يك هـذا من عنـد اللّه يمضه) «۱»، و التصـريح بأن الملك هو جبريل عليه السـلام قد وقع عند ابن حبان عنها قالت: (جاء بى جبريل عليه السلام إلى رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم فى خرقهٔ حرير، فقال: هذه زوجتك فى الدنيا و الآخرهٔ) «۲». (۱) البخارى ۲/ ۹۰۰، مرجع سابق.

(۲) صحيح ابن حبان ۳/ ۳۲۴، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۱۲

فإن كان ذا فى أمر غير ذى بال عند مقارنته بأداء القرآن الكريم، فكيف بالقرآن الكريم؟.

۲- مراجعته لحفصهٔ- رضى اللّه تعالى عنها-:

فقـد طلق النبى صـلى اللّه عليه و سـلم حفصهٔ بنت عمر، فدخل عليها خالاها قدامهٔ و عثمان ابنا مظعون فبكت، و قالت: و اللّه ما طلقنى عن شـبع. و جـاء النبى صـلى اللّه عليه و سـلم فقـال: (قال لى جبريل عليه السـلام راجع حفصـهٔ فإنها صوامـهٔ قوامـهٔ و إنها زوجتك فى الجنهٔ) «۱».

۳- زواج ابنته:

فعن أبى هريرهٔ رضـى اللّه عنه أن رسول اللّه صـلى اللّه عليه و سلم لقى عثمان بن عفان رضى اللّه عنه و هو مغموم فقال: (ما شأنك يا عثمان؟) قال: بأبى أنت يا رسول اللّه و أمى! هل دخل على أحد من الناس ما دخل على؟ توفيت بنت رسول اللّه صـلى اللّه عليه و سلم رحمهـا اللّه، و انقطع الصـهر فيمـا بينى و بينك إلى آخر الأبـد. فقال رسول اللّه صـلى اللّه عليه و سـلم: (أ تقول ذلك يا عثمان و هـذا جبريـل عليه السـلام يأمرنى عن أمر اللّه عز و جل أن أزوجك أختها أم كلثوم على مثل صـداقها و على مثل عـدتها فزوجه رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم إياها) «۲».

۴- إخباره بأسرار بيته:

كان صـلى اللّه عليه و سـلم لا يـدرك بعض أموره العائليهٔ مما غيبها واقع فى الأرض، كخبر ابنه إبراهيم حتى يأتيه جبريل عليه السـلام بالوحى، كما فى المسـتدرك عن أنس رضـى اللّه عنه قال: لما ولد إبراهيم ابن النبى صـلى اللّه عليه و سـلم أتاه جبريل فقال: (السـلام عليك يا أبا إبراهيم) «۳»، فذا فى خبر الأرض، فكيف يكون فى خبر السـماء؟ و إنما يكثر البحث من الأمور الدقيقهٔ؛ لاستقلال البعض أن يكون ثمّ اهتمام شـرعى بأمور الأداء فى اللفظ القرآنى، فيقرن هذا بهذا ليعلم الأمر. (۱) المستدرك على الصحيحين ۴/ ۱۶، مرجع سـابق، و فى صـحهٔ الحـديث نظر بـائن، و قـد بين البـاحث فى المقدمـهٔ أنه قـد تـذكر بعض الأحـاديث الضـعيفهٔ استئناسـا لا اسـتدلالا

للأحكام.

(۲) المستدرک على الصحيحين ۴/ ۵۴، مرجع سابق.

(۳) المستدرک على الصحيحين ۶۶۰/ ۲، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۱۳

ثانيا: فى المسائل البدنية:

مما يعود على الناس بمصالح فى أبدانهم: فقد روى أبو الحكم البجلى و هو عبد الرحمن بن أبى نعم قال: دخلت على أبى هريرة رضى اللّه عنه و هو يحتجم فقال لى:

يا أبا الحكم احتجم- قال- فقلت: ما احتجمت قط. قال: أخبرنى أبو القاسم صلى اللّه عليه و سلم (أن جبريل عليه السلام أخبره أن الحجم أفضل ما تداوى به الناس هذا) «۱».

فكيف يبلغ الظن بمتابعة جبريل عليه السلام للنبى صلى اللّه عليه و سلم فى مسائل الوحى عامة، ثم فيه حين يكون قرآنا بصفة خاصة؟.

ثالثا: الوزير:

فقد كان جبريل عليه السلام وزير رسول اللّه الأول من أهل السماء؛ إذ روى الحاكم: عن أبى سعيد الخدرى رضى اللّه عنه قال: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم: (وزير اى من أهل السماء جبريل و ميكائيل و من أهل الأرض أبو بكر و عمر) «۲»، و لئن اشترك ميكائيل عليه السلام فى وزارته مع جبريل عليه السلام، فإن جبريل عليه السلام يتميز فى علاقته بالنبى صلى اللّه عليه و سلم بأمور أخرى ... حسبه منها أن يكون المكلّف بإبلاغه و تعليمه وحى السماء، و لئن كان فى الحديث نظر فإن قرائن الحال السابقة و التالية مما ذكر فى البحث شاهدة بصدق معناه، قال ابن الأثير- رحمه اللّه تعالى-:

و فيه (أميرى من الملائكة جبريل عليه السلام) أى صاحب أمرى، و وليّى، و كل من فزعت إلى مشاورته و مؤامرته فهو أميرك «"۳».

و كونه كان فى مقام الوزير، لا يعنى أنه الوزير المنفذ المتلقى للأوامر، بل كان كثيرا ما يكون المشير الآمر شأن المعلم مع المتعلم، فقد كان ابن عباس رضى اللّه عنه يحدث أن (۱) المستدرک على الصحيحين ۴/ ۲۳۲، مرجع سابق، و قال ":صحيح على شرط الشيخين، و لم يخرجاه، "و قال الذهبى:

"على شرط البخارى و مسلم."

(۲) سنن الترمذى ۵/ ۶۱۶، مرجع سابق، قال الترمذى ":حسن غريب، "قال الألبانى ":ضعيف، "المستدرک على الصحيحين، قال": هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه. "و قد تمثلت هذه الوزارة فى مظاهر كثيرة: منها:

اشتراكهما فى تغسيل قلبه، و معالجته من مرضه، و السياحة به فى عالم البرزخ ...

(۳) النهاية فى غريب الأثر ۱/ ۶۵، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۱۴

اللّه- تبارک و تعالى- أرسل إلى نبيه صلى اللّه عليه و سلم ملكا من الملائكة و معه جبريل، فقال الملك: (إن اللّه يخيرک بين أن تكون عبدا نبيا، و بين أن تكون ملكا، فالتفت رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم إلى جبريل عليه السلام كالمستشير فأشار جبريل بيده أن تواضع، فقال رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم: (بل أكون عبدا نبيا، قال فما أكل بعد تلك الكلمة طعاما متكئا) «۱».

رابعا: الناصح ابتداء:

فلم یقتصر دور جبریل علیه السلام علی المتابعة، بل کان یقوم بنصحه ابتداء: فعن سهل بن سعد رضی اللّه عنه قال: جاء جبریل علیه السلام إلی النبی صلی اللّه علیه و سلم فقال: (یا محمد! عش ما شئت فإنک میت، و أحبب من أحببت فإنک مفارقه، و اعمل ما شئت فإنک مجزی به، ثم قال: یا محمد! شرف المؤمن قیام اللیل، و عزه استغناؤه عن الناس) «۲». و هذه نصائح ابتدائیة، کما هی متابعة فی أبواب الزهد و الرقائق توضح العلاقة المثالیة للمعلم بتلمیذه.

خامسا: و تجری بینهما المناقشة و المباحثة:

عن معاذ بن رفاعة بن رافع الزرقی عن أبیه رضی اللّه عنه- و کان أبوه من أهل بدر- قال: جاء جبریل علیه السلام إلی النبی صلی اللّه علیه و سلم فقال: (ما تعدون أهل بدر فیکم؟ قال: من أفضل المسلمین- أو کلمة نحوها- قال و کذلک من شهد بدر من الملائکة) «۳».

سادسا: علاقة حب:

اشارة

و جبریل علیه السلام رفیقه الأثیر، کما قال فی مرض موته صلی اللّه علیه و سلم: (مع الرفیق الأعلی، مع الذین أنعم اللّه علیهم من النبیین و الصدیقین و الشهداء إلی قوله رفیقا) «۴»، و فی روایة: فقال: (أسأل اللّه الرفیق الأعلی الأسعد مع جبریل و میکائیل و إسرافیل) «۵» ... فبدأ بجبریل علیه السلام. (۱) السنن الکبری للنسائی ۴/ ۱۷۱، مرجع سابق.

(۲) المستدرک علی الصحیحین ۴/ ۳۶۰، مرجع سابق، و قال ":هذا حدیث صحیح الإسناد، و لم یخرجاه، "و قال الذهبی: "صحیح."

(۳) صحیح البخاری ۴/ ۱۴۶۷، مرجع سابق.

(۴) مسند أحمد ۶/ ۷۴، مرجع سابق، و أصله فی صحیح البخاری ۳/ ۱۳۴۱، مرجع سابق.

(۵) فی روایة أبی بردة عن أبی موسی عن أبیه عند النسائی فی السنن الکبری ۵/ ۲۳، مرجع سابق.

تلقی النبی ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۱۵

و علاقة الحب علاقة متبادلة بینهما، فقد روی عبد بن حمید من طریق عکرمة- رحمه اللّه تعالی- قال: (أبطأ جبریل علیه السلام فی النزول أربعین یوما فقال له النبی صلی اللّه علیه و سلم یا جبریل ما نزلت حتی اشتقت إلیک قال: أنا کنت أشوق إلیک) «۱».

و کان صلی اللّه علیه و سلم ینقبض و یضیق إذا تأخر علیه جبریل علیه السلام حتی اشتد علی النبی صلی اللّه علیه و سلم فیما روته عائشة- رضی اللّه تعالی عنها- و فی یده عصا فألقاها من یده و قال: (ما یخلف اللّه وعده و لا رسله) «۲»، و فی حدیث میمونة عند مسلم نحو حدیث عائشة، و زاد فیه ابن حبان: (أنه أصبح واجما) «۳».

و تجری بینهما المناقشة و الأخذ و الرد دون أن یکون مکان جبریل علیه السلام عائقا عن ذلک رد فعن عمرو بن العاص رضی اللّه عنه: أن النبی صلی اللّه علیه و سلم تلا قوله سبحانه و تعالی فی إبراهیم: رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ کَثِیراً مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِی فَإِنَّهُ مِنِّی وَ مَنْ عَصانِی فَإِنَّکَ غَفُورٌ رَحِیمٌ "إبراهیم/ ۳۶: "و قال عیسی علیه السلام إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبادُکَ وَ إِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّکَ أَنْتَ الْعَزِیزُ الْحَکِیمُ "المائدة/ ۱۱۸ "فرفع یدیه، و قال: (اللهم أمتی أمتی)، و بکی، فقال اللّه عزّ و جل: (اذهب إلی محمد- و ربک أعلم- فسله ما

يبكيـك؟) فأتـاه جبريـل صـلى اللّه عليه و سـلم فسـأله فـأخبره- و اللّه بمـا قال أعلم- فقال اللّه: (يا جبريل اذهب إلى محمـد، فقل: إنا سنرضيك فى أمتك و لا نسوؤك) «۴».

و نحو ما فى البخارى عن ابن عباس رضـى اللّه عنه أن النبى صـلى اللّه عليه و سـلم: (عرضت علىّ الأمم، فأجـد النبى يمر معه الأمة، و النبى يمر معه النفر، و النبى يمر معه العشرة، و النبى يمر معه الخمسة، و النبى يمر وحده، فنظرت فإذا سواء كثير، قلت: يا جبريل! هؤلاء أمتى؟ ...) «۵». (۱) المنتخب من مسند عبد بن حميد ۳۴۵، مرجع سابق، و انظر: فتح البارى ۸/ ۴۲۹، مرجع سابق.

(۲) صحيح مسلم ۳/ ۱۶۶۴، مرجع سابق.

(۳) ابن حبان ۱۲/ ۴۶۵، مرجع سابق.

(۴) أخرجه مسلم ۱/ ۱۹۱، مرجع سابق.

(۵) أخرجه البخارى ۵/ ۲۳۹۶، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۱۶

و يرقيه صلى اللّه عليه و سلم:

فقد روى مسلم عن عائشة- رضى اللّه تعالى عنها- زوج النبى قالت: كان إذا اشتكى رسول اللّه رقاه جبريل، قال: (باسم اللّه يبريك، و من كل داء يشـفيك، و من شـر حاسد إذا حسد، و من شـر كل ذى عين) «۱»، و عنده: عن أبى رضـى اللّه عنه أن جبريل عليه السـلام أتى النبى صلى اللّه عليه و سلم فقال: (يا محمد! اشتكيت؟ قال: نعم! قال: باسم اللّه أرقيك ...) «۲».

و يقاتل عنه صلى اللّه عليه و سلم:

فقد روى مسـلم فى باب: (قتال جبريل و ميكائيل- عليهما السـلام- عن النبى صـلى اللّه عليه و سـلم يوم أحد) ... عن سـعد رضـى اللّه عنه: رأيت عن يمين رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم و عن شماله أحد رجلين عليهما ثياب بيض ما رأيتهما قبل و لا بعد، يعنى جبريل و ميكائيـل- عليهمـا السـلام- و فى لفظ له: يقاتلان عنه كأشـد ما يكون القتال «۳ "» ...و لا ـ غرو! فتقطيع الأيـدى لا وقع له عنـد رؤية يوسف عليه السلام.

و كان يواسيه صلى اللّه عليه و سلم:

فعن أنس رضـى اللّه عنه قـال: جاء جبريل عليه السـلام ذات يوم إلى رسول اللّه صـلى اللّه عليه و سـلم و هو جالس حزين قـد خضـب بالدماء، الحديث سيأتى «۴».

كما أن النبى صلى اللّه عليه و سلم ينشغل عمن سواه:

فعن ابن عباس رضـى اللّه عنه قال: كنت مع أبى عند رسول اللّه صـلى اللّه عليه و سـلم و عنده رجل يناجيه، فكان كالمعرض عن أبى، فخرجنـا من عنـده، فقـال لى أبى: أى بنى! أ لـم تر إلى ابن عمـک كـالمعرض عنى؟ فقلت: يـا أبت! إنه كـان عنـده رجل يناجيه. قال:

فرجعنا إلى النبى صلى اللّه عليه و سلم فقال أبى: يا رسول اللّه! قلت لعبد اللّه كذا و كذا، (۱) أخرجه مسلم ۴/ ۱۷۱۸، مرجع سابق.

(۲) أخرجه مسلم ۴/ ۱۷۱۸، مرجع سابق.

(۳) مسلم ۴/ ۱۸۰۲، و فى الديباج ۵/ ۳۱۷، مرجع سابق: قال النووى "فيه: أن رؤية الملائكة لا تختص بالأنبياء، بل يراهم الصحابة و الأولياء."

(۴) انظر: الحديث بتمامه ص ۲۱۹.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۱۷

فأخبرنى أنه كان عندك رجل يناجيك فهل كان عندك أحد؟ فقال رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم: (و هل رأيته يا عبد اللّه؟) قال: قلت: نعم! قال: (فإن ذاك جبريل و هو الذى شغلنى عنك) «۱».

سابعا: و هو صاحبه فى الدنيا و الآخرة:

اشارة

فعن أبى بكر الصديق رضى اللّه عنه فى حديث الشفاعة، قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم و هو يحكى قول عيسى عليه السلام: (... و لكن انطلقوا إلى سيد ولد آدم فإنه أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة انطلقوا إلى محمد صلى اللّه عليه و سلم فيشفع لكم إلى ربكم عز و جل، قال:

فينطلق فيأتى جبريل عليه السلام ربه فيقول اللّه عزّ و جل: ائذن له و بشره بالجنة. قال: فينطلق به جبريل فيخر ساجدا قدر جمعة، و يقول اللّه عزّ و جل: ارفع رأسك يا محمد! و قل يسمع و اشفع تشفع قال: فيرفع رأسه، فإذا نظر إلى ربه عزّ و جل خر ساجدا قدر جمعة أخرى، فيقول اللّه عزّ و جل: ارفع رأسك و قل يسمع و اشفع تشفع. قال: فيذهب ليقع ساجدا فيأخذ جبريل عليه السلام بضبعيه فيفتح اللّه عز و جل عليه من الدعاء شيئا لم يفتحه على بشر قط) «۲» الحديث.

و يمكن أن يجرى بينه و بين ربه الكلام و النقاش بواسطته: فعن أبى سعيد رضى اللّه عنه أن رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم قال: (أتانى جبريل فقال: إن ربى و ربك يقول لك: كيف رفعت ذكرك؟ قال: اللّه أعلم قال: إذا ذكرت ذكرت معى) «۳».

و قد يأتيه بوسيلة غير معتادة فى ذلك الوقت للتعليم:

فعن عائشة- رضى اللّه تعالى عنها- قالت: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم: (أريتك فى المنام مرتين إذا رجل يحملك فى سرقة حرير فيقول هذه امرأتك فأكشفها فإذا هى أنت فأقول إن يكن هذا من عند اللّه يمضه) «۴». (۱) مسند الإمام أحمد بن حنبل ۱/ ۲۹۳، مرجع سابق.

(۲) مسند الإمام أحمد بن حنبل ۱/ ۴، مرجع سابق.

(۳) صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان ۸/ ۱۷۶، مرجع سابق، صححه ابن حبان، و قال شعيب الأرناءوط ":إسناده ضعيف."

(۴) صحيح البخارى ۵/ ۱۹۵۳، مرجع سابق، و فى رواية للبخارى ۵/ ۱۹۶۹، يجئ بك الملك، و فى رواية لابن حبان- رحمه اللّه تعالى "-:جاء بى جبريل، "و ذلك كله يؤكد ما قرر سابقا من أن جبريل واسطته الوحيدة من الملائكة، و أنه لو كنى عن الموجى إليه بقوله (رجل)، أو (ملك) فقد عنى به جبريل عليه السلام.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۱۸

و يداعب المعلّم عليه السلام المتعلم صلى اللّه عليه و سلم:

فعن عبد اللّه بن عمرو بن العاص رضـى اللّه عنه قال: نزل جبريل عليه السلام إلى النبى صلى اللّه عليه و سلم فى أحسن صورة لم ينزل فى مثلها قط ضاحكا مستبشرا فقال:

(السلام عليك يا محمد! قال: و عليك السلام يا جبريل. قال: إن اللّه بعثنى إليك بهدية كنوز العرش أكرمك اللّه بهن قال: و ما تلك الهدية يا جبريل؟ فقال جبريل؟ قل يا من أظهر الجميل ...) «۱» الحديث.

و يقعد عند النبى صلى اللّه عليه و سلم:

فقد روى ابن حبان عن ابن عباس رضـى اللّه عنه: بينما جبريل عند النبى صـلى اللّه عليه و سـلم سـمع نقيضا من فوق، فرفع رأسه فقال: (هـذا باب من السـماء فتـح اليوم لم يفتح قط إلا اليوم، فنزل منه ملك فقال: هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل قط إلا اليوم. فسـلم، و قال: أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبى قبلك: فاتحة الكتاب و خواتيم سورة البقرة لن تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته) «۲».

- و يتخلف عنه لغرض مناف لمقتضيات الوحى كتخلفه عنه لوجود كلب «۳».

و كان لجبريل عليه السلام مكان مميز عرف باسمه (مقاعد جبريل):

فعن عائشة- رضـى اللّه تعالى عنها- أنها لما توفى سـعد بن أبى وقاص أرسل أزواج النبى صـلى اللّه عليه و سـلم أن يمروا بجنازته فى المسجد فيصلين عليه، ففعلوا فوقف به على حجرهن يصلين عليه، ثم أخرج به من باب الجنائز الذى كان إلى المقاعد ... الحديث «۴»، و ورد التصـريح بالاسم فى حديث أنس ابن مالك عليه السـلام قال: صلى رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم يوما الظهر بالمدينة ثم أتى المقاعد التى كان يأتيه عليها جبريل فقعد عليها صـلى اللّه عليه و سلم فجاء بلال فنادى بالعصر «۵»، و عن حارثة ابن النعمان رضى اللّه عنـه قـال: مررت على رسـول اللّه صـلى اللّه عليه و سـلم جبريـل عليه السـلام جـالس فى المقاعـد فسـلمت عليه (۱) المسـتدرك على الصحيحين ۱/ ۷۲۹، مرجع سابق.

(۲) و فى صحيح ابن حبان ۳/ ۵۷، مرجع سابق، و قوله: (أبشر بسورتين): دال على إطلاق السورة على ما دونها.

(۳) انظر: المبحث الثالث من الفصل الثانى.

(۴) صحيح مسلم ۲/ ۶۶۸، مرجع سابق.

(۵) صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان ۱۴/ ۴۸۱، مرجع سابق، و قال شعيب الأرناءوط ":إسناده صحيح على شرط مسلم."

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۱۹

ثم أجزت، فلما رجعت و انصرف النبى صلى اللّه عليه و سلم قال: (هل رأيت الذى كان معى؟). قلت: نعم قال: (فإنه جبريل و قد ورد عليك السلام) «۱».

و من ذا العرض يفهم سر نعى فاطمة- رضى اللّه تعالى عنها- أباها إلى جبريل عليه السلام دون غيره من الملائكة و سائر الخلق:

فعن أنس رضـى اللّه عنه قال: لما ثقل النبى صـلى اللّه عليه و سـلم جعل يتغشاه، فقالت: فاطمة- رضى اللّه تعالى عنها- و اكرب أبتاه!، فقـال لها: (ليس على أبيك كرب بعـد اليوم)، فلما مات، قالت: (يا أبتاه! أجاب ربا دعاه، يا أبتاه! من جنـة الفردوس مأواه، يا أبتاه! إلى جبريل ننعاه)، فلما دفن قالت فاطمة- رضـى اللّه تعالى عنها-: (يا أنس! أطابت أنفسكم أن تحثوا على رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم التراب؟) «۲».

لا! ...- يا ابنت رسول اللّه! لم تطب ... و إنما نعته إلى جبريل عليه السلام لأنه معلّمه و صاحبه، و خليله، و وزيره ... فإليه ينعى ... و أما اللّه- جل ذكره- فقدر موته، و إليه المرجع و المآب.

المطلب الثالث: التعاهد و الاستدراک:

أولا: التعاهد:

اشارة

من حيث ارتباطه بموضوع البحث، فإن نماذجه تنقسم إلى قسمين: عام و خاص:

١- التعاهد العام، و هو من حيث كون جبريل عليه السلام شيخ الرسول صلى اللّه عليه و سلم و معلمه:

يصل تعاهد جبريل عليه السـلام للنبى صـلى اللّه عليه و سـلم حد المواساة و التثبيت له فى شخصه، فكيف فى أصل رسالته؟ فعن أنس بن مالك رضـى اللّه عنه قال: جاء جبريل عليه السـلام إلى النبى صـلى اللّه عليه و سلم ذات يوم و هو (١) مسند الإمام أحمد بن حنبل ۵/ ۴۳۳، مرجع سابق، و واضح أنه ما قال: معه جبريل إلا بعد أن أعلمه النبى صلى اللّه عليه و سلم.

(۲) صحيح البخارى ۴/ ۱۶۱۹، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ٢٢٠

حزين جالس، قـد ضـربه بعض أهل مكـة، فقال: (فعل بى هؤلاء و فعلوا) قال: تحب أن أريک آية؟ فنظر إلى شـجرة من وراء الوادى، فقـال: ادع تلـك الشـجرة. فـدعاها. فجاءت تمشـى حتى قامت بين يـديه فقال لها: ارجعى. فرجعت حتى عادت إلى مكانها فقال النبى صلى اللّه عليه و سلم حسبى) «۱».

بل يبلغ أن يسـمع من الأمور الغيبية مما لا يترتب عليه كبير أمر عند عامة الأمة، عن أبى سـعيد الخدرى رضى اللّه عنه قال: سمع رسول اللّه صـلى اللّه عليه و سلم صوتا هاله، فأتاه جبريل عليه السلام، فقال رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم: (ما هذا الصوت يا جبريل؟ فقال: هذه صـخرة هوت من شفير جهنم من سبعين عاما، فهذا حين بلغت قعرها فأحب اللّه أن يسمعک صوتها فما روى رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم بعد ذلک اليوم ضاحكا ملء فيه حتى قبضه اللّه) «۲».

فهذا لأمر غيبى ... فكيف ترى الاهتمام كائنا فى أصل أصول الشرع الإسلامى؟

بل فى أصل معناه و هو اللفظ، مع شدة انتشاره، و عظيم احتياج الناس إليه.

و من ذلک: التعاهد من حيث حفظه من الأخطار الغيبية: فعن خالد بن الوليد رضـى اللّه عنه أنه شـكى إلى رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم فقـال: إنى أجـد فزعـا بالليـل فقال: (أ لا أعلمک كلمات علمنيهن جبريل عليه السـلام و زعم أن عفريتا من الجن يكيـدنى: أعوذ

بكلمات اللّه التامات التى لا يجاوزهن بر، و لا فاجر، من شر ما ينزل من السماء، و ما يعرج فيها، و من شر ما ذرأ فى الأرض، و ما يخرج منها، و من شر فتن الليل و فتن النهار، و من شر طوارق الليل و النهار، إلا طارقا يطرق بخير يا رحمن) «۳». (۱) مسند أبى يعلى ۶/ ۳۵۸، مرجع سابق، و قال المحقق ":إسناده على شرط مسلم، "و أخرجه ابن ماجهٔ ۲/ ۱۳۳۶، مرجع سابق، و صححه الألبانى.

(۲) المعجم الأوسط ۱/ ۲۴۸، مرجع سابق.

(۳) المعجم الكبير ۴/ ۱۱۴، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۲۱

۲- التعاهد الخاص، و هو من حيث استكمال متعلقات القرآن الكريم- لفظا- التتميمية:

اشارهٔ

فلئن تمثلت متعلقاته الضرورية و الحاجية فى إنزاله، و إقرائه على الهيئة التى أمر اللّه عزّ و جل، و المراجعة الدورية له خلال فترة الإنزال لتثبيت اللفظ، و تقويم هيئة أدائه، و غير ذلك ... فقد تمثلت متعلقاته التتميمية فى عدة مظاهر، منها:

إعداد مراجع الإقراء:

فى عهد النبى صلى اللّه عليه و سلم و بعده؛ إذ بلغ الحفظ الإلهى للقرآن الكريم أن تعاهد جبريل عليه السلام مراجع الإقراء من الصحابة الكرام، و المراد من متصدريهم فى هذا الباب، و من ذلك:

إعداد أبى بن كعب رضى اللّه عنه:

كما جاء فى البخارى عن أنس بن مالك رضى اللّه عنه قال النبى صلى اللّه عليه و سلم لأبى: (إن اللّه أمرنى أن أقرأ عليك لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ قال:

و سمانى؟ قال: (نعم!) فبكى، و فى لفظ له: (أن أقرئك القرآن)، قال: اللّه سمانى لك؟. قال:

(نعم!) قال: و قد ذكرت عند رب العالمين؟ «۱»، و التصريح باسم جبريل عليه السلام عند أحمد عن أبى حبة البدرى رضى اللّه عنه قال: لما نزلت لَمْ يَكُنِ قال جبريل عليه السلام: (يا محمد إن ربك يأمرك أن تقرئ هذه السورة أبى بن كعب) فقال النبى صلى اللّه عليه و سلم: (يا أبى إن ربى عز و جل أمرنى.

أن أقرئك هذه السورة) فبكى، و قال: ذكرت ثمة؟ قال: (نعم!) «۲»، و اتخذ هذا الأمر طابع العموم لكل القرآن: فعند أحمد عن أبى بن كعب رضى اللّه عنه قال: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم: (إن اللّه تبارك و تعالى أمرنى أن أعرض القرآن عليك) قال: و سمانى لك ربى تبارك و تعالى؟ قال:

(نعم!) الحديث «۳». (۱) أخرجه البخارى ۳/ ۱۳۸۵، مرجع سابق.

(۲) أخرجه أحمد بن حنبل فى مسنده ۳/ ۴۸۹، مرجع سابق.

(۳) أخرجه أحمد ۳/ ۴۹۰، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۲۲

و صار هذا الإسناد مشتهرا، فعن عبيد بن ميمون التبان المقرئ قال: قال لى هارون بن المسيب: بقراءة من تقرأ؟ فقلت: بقراءة نافع. قال: فعلى من قرأ نافع؟ فقلت:

خبرنـا نـافع أنه قرأ على الأـعرج عبـد الرحمن بن هرمز، و أن الأـعرج قال: قرأت على أبى هريرة، و قال أبو هريرة: قرأت على أبى ابن كعب، و قال أبى رضى اللّه عنه: عرضت على النبى صلى اللّه عليه و سلم القرآن فقال: (أمرنى جبريل أن أعرض عليك القرآن) «۱».

إعداد ابن عباس رضى اللّه عنه:

فعنـد أبى نعيم عن عبد اللّه بن بريدة رضـى اللّه عنه عن ابن عباس رضـى اللّه عنه قال: انتهيت إلى رسول اللّه صـلى اللّه عليه و سـلم و عنده جبريل عليه السلام، فقال له جبريل عليه السلام: (إنه كائن حبر هذه الأمة فاستوص به خيرا) «۲».

و هذان النموذجان يدلان دلالة واضحة على خلفية انتخاب النبى صلى اللّه عليه و سلم لعدد من أصحابه ليكونوا مراجع للإقراء.

و من ذلك حـديث (خـذوا القرآن من أربعـة ...) «۳»، و حـديث (مـن أحب أن يقرأ القرآن) «۴». (۱) المعجم الأوسط ۲/ ۸۸، مرجع سابق ... و فيه فوائد:

أولهـا: عـدم إرادة التحديـد عنـد ذكر الإسـناد، إذ قـد بـات من المعلوم أن نافعـا قرأ على سـبعين من التابعين، على أن قراءته هى قراءة المدنيين، فليس هو مدارها، و لا هو مبتدعها، أو منشؤها، إنما أريد المحافظة على الإسناد، ثم اشتهرت به.

و ثانيها: مرجعية القراءة إلى اللّه عزّ و جل المتكلم بالقرآن المجيد، فليس ثم اجتهاد بشرى، بل و لا غيره فى نقل ألفاظ القراءة.

و ثالثها: التأكيد على الإسناد بين جبريل عليه السلام و النبى صلى اللّه عليه و سلم.

(۲) تهذيب التهذيب ۵/ ۲۴۴، مرجع سابق.

(۳) أخرجه البخارى ۳/ ۱۳۸۵، مرجع سابق، مسلم ۴/ ۱۹۱۳، مرجع سابق.

(۴) السنن الكبرى للنسائى ۵/ ۷۱، مرجع سابق، سنن ابن ماجة ۱/ ۴۹، مرجع سابق، صحيح ابن حبان ۱۵/ ۵۴۳، مرجع سابق، مستدرك الحاكم ۲/ ۲۴۷، مرجع سابق، مسند أحمد ۴/ ۲۷۸، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۲۳

ثانيا: متابعة الاستدراک:

اشارة

إذ كـان الرسول تحت سـمع اللّه عزّ و جـل و بصـره حافظا له، و معينا و مؤيـدا، فأول أشـكال الحفظ: حفظه صـلى اللّه عليه و سـلم من الخطأ فى الفروع بله الأصول، و معلّم رسول اللّه جبريل عليه السـلام يتابعه فى صغائر أموره و دقائقها، فكيف جلائلها؟ فاستدراكه عليه بعد الإخبار، كإخباره بالوحى ابتداء، و قد كانت هذه المتابعة- من حيث الناس- خاصة بالنبى صـلى اللّه عليه و سـلم، و عامة للأمة- و من حيث الأمر الشرعى المتابع عليه- خاصة فى ألفاظ القرآن الكريم، و عامة فى سائر أمور الشرع:

أ- الخاصة من حيث المستدرک عليهم:

اشارة

فمن ذلك: ما أنزله اللّه على نبيه صـلى اللّه عليه و سـلم اسـتدراكا له على مجانبـة الصواب الشـرعى فى المسائل الحربيـة (أسـرى بـدر نموذجا) «۱»، و المسائل الدعويـة (قصة ابن أم مكتوم نموذجا) «۲»، و المسائل السياسـية (العفو عن المنافقين فى عام العسـرة نموذجا)

«۳»، و مسائل الفقه العملی (الصلاة علی المنافق نموذجا) «۴»، و لکن منهج البحث یرمی إلی ما فیه التصریح بوجود جبریل علیه السلام و نزوله بالوحی، فلتذکر نماذج من ذلک:

۱- استدراک جبریل علیه السلام فی الدلالة علی لیلة القدر:

فعن أبی سلمة قال: انطلقت إلی أبی سعید الخدری رضی اللّه عنه فقلت: أ لا تخرج بنا إلی النخل نتحدث؟ فخرج، فقال: قلت: حدثنی ما سمعت من النبی صلی اللّه علیه و سلم فی لیلة القدر قال: اعتکف رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم عشر الأول من رمضان و اعتکفنا معه، فأتاه جبریل فقال: إن الذی تطلب أمامک، فاعتکف العشر الأوسط فاعتکفنا معه، فأتاه جبریل فقال: إن الذی تطلب أمامک قام النبی صلی اللّه علیه و سلم خطیبا (۱) انظر تفصیلها فی صحیح مسلم ۳/ ۱۳۸۳، مرجع سابق.

(۲) انظر تفصیلها فی: سنن الترمذی ۵/ ۴۳۲، مرجع سابق، و قال الترمذی ":حدیث غریب، "قال الألبانی ":صحیح الإسناد."

(۳) انظر: سورة التوبة: عند قوله عزّ و جل: عَفَا اللَّهُ عَنْکَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ " ...التوبة/ ۴۳."

(۴) انظر: صحیح البخاری ۱/ ۴۵۹، مرجع سابق.

تلقی النبی ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۲۴

صبیحة عشرین من رمضان فقال: (من کان اعتکف مع النبی صلی اللّه علیه و سلم فلیرجع فإنی أریت لیلة القدر، و إنی نسیتها و إنها فی العشر الأواخر فی وتر، و إنی رأیت کأنی أسجد فی طین و ماء)، و کان سقف المسجد جرید النخل، و ما نری فی السماء شیئا، فجاءت قزعة، فأمطرنا، فصلی بنا النبی صلی اللّه علیه و سلم حتی رأیت أثر الطین و الماء علی جبهة رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم و أرنبته تصدیق رؤیاه «۱».

۲- استدراک جبریل علیه السلام فی هیئة الأکل:

فقد کان رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم یأکل متکئا، فنزل علیه جبریل علیه السلام فقال: انظروا إلی هذا العبد کیف یأکل متکئا! فجلس رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم «۲»، و عند البخاری: (لا آکل متکئا) «۳».

۳- استدراک جبریل علیه السلام فی الإفتاء:

فعن أبی قتادة رضی اللّه عنه أنه سمعه یحدث عن رسول اللّه: أنه قام فیهم، فذکر لهم أن الجهاد فی سبیل اللّه و الإیمان باللّه أفضل الأعمال، فقام رجل فقال: یا رسول اللّه! أ رأیت إن قتلت فی سبیل اللّه تکفّر عنی خطایای! فقال له رسول اللّه: (نعم! إن قتلت فی سبیل اللّه و أنت صابر محتسب مقبل غیر مدبر) ثم قال رسول اللّه:

(کیف قلت؟) قال: أ رأیت إن قتلت فی سبیل اللّه أ تکفر عنی خطایای؟ فقال رسول اللّه:

(نعم! و أنت صابر محتسب مقبل غیر مدبر إلا الدین فإن جبریل علیه السلام قال لی ذلک) «۴».

۴- استدراک جبریل علیه السلام فی اللباس:

فعن جابر بن عبد اللّه رضی اللّه عنه یقول: لبس النبی صلی اللّه علیه و سلم یوما قباء من دیباج أهدی له، ثم أوشک أن نزعه، فأرسل به إلی عمر بن الخطاب فقیل:

له قد أوشک ما نزعته یا رسول اللّه! فقال: (نهانی عنه جبریل) فجاءه عمر یبکی ...

الحدیث «۵». (۱) صحیح البخاری ۱/ ۲۸۰، مرجع سابق.

(۲) (الطحاوى) أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملک بن سلمة ت ۳۲۱ ه: شرح معانى الآثار ۴/ ۲۷۵، مرجع سابق.

(۳) صحيح البخارى ۵/ ۲۰۶۲، مرجع سابق.

(۴) صحيح مسلم ۳/ ۱۵۰۱، مرجع سابق.

(۵) صحيح مسلم ۳/ ۱۶۴۴، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۲۵

۵- استدراک جبريل عليه السلام فى الفروع:

و ذلک إن لم تستدرک عليه صلى اللّه عليه و سلم الأمة بعد أن يكون قد أبلغها:

فعن أبى سعيد الخدرى رضى اللّه عنه قال: بينما رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم يصلى بأصحابه إذ خلع نعليه فوضعهما عن يساره، فلما رأى ذلک القوم ألقوا نعالهم، فلما قضى رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم صلاته قال: (ما حملكم على إلقائكم نعالكم؟) قالوا: رأيناک ألقيت نعليک فألقينا نعالنا. فقال رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم: (إن جبريل عليه السلام أتانى فأخبرنى أن فيها قذرا و قال إذا جاء أحدكم إلى المسجد فلينظر فإن رأى فى نعليه قذرا أو أذى فليمسحه و ليصل فيهما) «۱»، و عن خلاد بن السائب الأنصارى رضى اللّه عنه عن أبيه أن رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم قال: (أتانى جبريل عليه السلام فأمرنى أن آمر أصحابى و من معى أن يرفعوا أصواتهم بالإهلال) أو قال (بالتلبية) يريد أحدهما «۲».

۶- استدراک جبريل عليه السلام لتكرار العمل الفرعى فكيف القرآن

فعن عائشة- رضى اللّه تعالى عنها- عن النبى صلى اللّه عليه و سلم قال: (ما زال يوصينى جبريل بالجار حتى ظننت أنه سيورثه) «۳»، و عن أبى أمامة رضى اللّه عنه أن رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم قال: (ما جاءنى جبريل عليه السلام قط إلا أمرنى بالسواک لقد خشيت أن أحفى مقدم فى) «۴».

۷- استدراک جبريل عليه السلام فى هيئة الوعظ:

أبا هريرة رضى اللّه عنه يقول: مر رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم على رهط من أصحابه و هم يضحكون، فقال: (لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا و لبكيتم كثيرا)، فأتاه جبريل فقال: (إن اللّه يقول لک لم تقنط عبادى؟) قال- فرجع إليهم، فقال: (سددوا و قاربوا و أبشروا) «۵». (۱) سنن أبى داود ۱/ ۱۷۵، مرجع سابق، قال الشيخ الألبانى ":صحيح."

(۲) سنن أبى داود ۲/ ۱۶۲، مرجع سابق، و أصله فى صحيح البخارى، و قال الألبانى ":صحيح."

(۳) صحيح البخارى ۵/ ۲۲۳۹، مرجع سابق.

(۴) مسند الإمام أحمد بن حنبل ۵/ ۲۶۳، مرجع سابق.

(۵) صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان ۱/ ۳۱۹، مرجع سابق، قال الشيخ شعيب الأرناءوط ":إسناده صحيح على شرط مسلم، "و قال ابن حبان- رحمه اللّه تعالى ("-:سددوا) يريد به: كونوا مسددين، و التسديد: لزوم طريقة النبى صلى اللّه عليه و سلم

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۲۶

ب- العامة من حيث المستدرک عليهم:

و المراد المتابعة و الاستدراك على الأخطاء التى تقع فيها أمته: فعن ثوبان رضى اللّه عنه قال:
اجتمع أربعون رجلا من الصحابة ينظرون فى القدر و الجبر، فيهم أبو بكر و عمر فنزل الروح الأمين جبريل عليه السلام فقال: (يا محمد! أخرج على أمتک فقد أحدثوا). فخرج عليهم فى ساعة لم يكن يخرج عليهم فيها، فأنكروا ذلک منه، و خرج عليهم ملتمعا لونه متوردة وجنتاه كأنما تفقأ بحب الرمان الحامض، فنهضوا إلى رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم حاسرين أذرعهم ترعد أكفهم و أذرعهم فقالوا: تبنا إلى اللّه و رسوله. فقال: (أولى لكم، إن كدتم لتوجبون، أتانى الروح الأمين فقال أخرج على أمتک يا محمد فقد أحدثت) «۱».
بل يتولى جبريل عليه السلام تصويب المسلمين و تسديدهم أحيانا، نحو ما قالت عائشة:
فسمعت رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم يقول لحسان: (إن روح القدس لا يزال يؤيدک ما نافحت عن اللّه و رسوله) «۲».

ج- الخاصة من حيث الأمر الشرعى:

و هو متابعة ألفاظ القرآن الكريم، فقد تجلى فى المعارضة السنوية، و هو أنموذجه البارز، و تقدم «۳».

د- العامة من حيث الأمر الشرعى:

فكما سلف.
فإن جمع ما ذكر هاهنا إلى ما ذكر فى الاتصال المطلق لجبريل عليه السلام بالنبى صلى اللّه عليه و سلم، و وضع فى المسلمات أن الغاية من ذلک كله تلقى كلام اللّه سبحانه و تعالى، و المحافظة عليه و تبليغه للأمة، علمت أن كلام اللّه عزّ و جل أعلى من أن يتطرق إليه قول البشر، و اجتهاد البشر، و لذا تفرد رب البشر سبحانه و تعالى بالمحافظة عليه، فيثبت فى الذهن بذا كله أن الأداء للفظ القرآنى لا و اتباع سنته، و قوله (و قاربوا) يريد به لا تحملوا على الأنفس من التشديد ما لا تطيقون، (و أبشروا)، فإن لكم الجنة إذا لزمتم طريقتى فى التسديد، و قاربتم فى الأعمال."
(۱) المعجم الكبير ۲/ ۹۵، مرجع سابق.
(۲) صحيح مسلم ۴/ ۱۹۳۶، مرجع سابق.
(۳) انظر: المبحث التاسع من الفصل الثالث ص ۱۷۷.
تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۲۷
يتطرق إليه اجتهاد بشرى، و إلا فما فائدة هذه المتابعة الدقيقة الهائلة؟، و يحصل اليقين باستحالة تطرق الوهم، أو الضياع، أو التضييع لكلام اللّه العظيم، فأين متابعة كهذه المتابعة؟! فإن جمع إلى هذا ما هو مسلم من المتابعة الربانية و أنه كما قال ربه عنه ... فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنا "...الطور/ ۴۸ ... "فلا يكون للخطأ مدخل لأدائه صلى اللّه عليه و سلم لكلام ربه عزّ و جل.
و قد كان جبريل عليه السلام يأمر رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم ببعض الهيئات الجانبية التى لا تعلق لها بالقراءة لا وضعا، و لا محلا، و لا أداء، فيحافظ عليها ... فكيف ما له تعلق بها؟، و من ذلک ما اشتهر فى علم المصطلح بالأحاديث المسلسلة بالأفعال المختلفة.
و من بعيد نراک- يا نبى الأمة و سيدها صلى اللّه عليه و سلم- ... نراک هائمين محبين ... ليس الهيام بک و جبريل لشخصيكما فحسب- و إن كان ذلک الهيام هو الشرف الأرفع-، و لا الحب لصحبتكما- و إن كان ذلک الحب هو السنى الأعلى- ... إنما الهيام و الحب- مع ذلک- لاتصال أهل الأرض بخبر السماء ... فيا لوعتاه على انقطاعه- و إن كان الرءوف الرحيم لم يتركنا بعد كما عالة ...

فعن أنس رضی اللّه عنه قال: قال أبو بکر رضی اللّه عنه- بعد وفاة رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم- لعمر: انطلق بنا إلی أم أیمن نزورها، کما کان رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم یزورها، فلما انتهینا إلیها بکت. فقالا لها: ما یبکیک؟! ما عند اللّه خیر لرسوله صلی اللّه علیه و سلم.

قالت: ما أبکی أن لا أکون أعلم أن ما عند اللّه خیر لرسوله صلی اللّه علیه و سلم، و لکن أبکی أن الوحی قد انقطع من السماء ... فهیجتهما علی البکاء، فجعلا یبکیان معها «۱».

أرقت فبات لیلی لا- یزول ... و لیل أخی المصیبة فیه طول و أسعدنی البکاء، و ذاک فیما ... أصیب المسلمون به قلیل فقد عظمت مصیبته، و جلت ... عشیة قیل قد قبض الرسول و تصبح أرضنا مما عراها ... تکاد بنا جوانبها تمیل فقدنا الوحی و التنزیل فینا ... یروح به و یغدو جبرئیل (۱) مسلم ۴/ ۱۹۰۷، مرجع سابق.

تلقی النبی ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۲۸

المبحث الرابع: التوقیفیة فی غیر أداء القرآن:

اشارة

یرمی هذا المبحث إلی ذکر نماذج من التوقیفیة الإلهیة فی غیر أداء القرآن الکریم، مما هو أقل شأنا من أداء اللفظ القرآنی، أو مماثل له فی أقل الأحوال؛ و ذلک تأییدا للتوقیفیة فی أداء اللفظ:

و اشتد حرص البحث هاهنا علی ما سبق من منهج البحث من أنه لا یورد إلا ما فیه ذکر لجبریل علیه السلام بجامع أن کلا من الأمرین (أداء اللفظ القرآنی، و غیره من أمور الدین) معلمه هو جبریل علیه السلام:

أولا: التوقیفیة فی تفسیر آی القرآن:

و مع أن حیاته کلها قولا، و فعلا، و هیئة تفسیر للقرآن، إلا أن ذلک کله بإلهام من اللّه و توفیق، و توقیف إلا فیما ندر مما یتبعه الوحی استدراکا، أو تأییدا «۱» ... و علی الرغم من هذا کله؛ فإن تأویله للقرآن لم یکن إلا تعلیم من جبریل علیه السلام له فعن عائشة- رضی اللّه تعالی عنها- (أن النبی صلی اللّه علیه و سلم کان لا یفسر شیئا من القرآن برأیه، إلا آیا بعدد علمهن إیاه جبریل) «۲».

و روی الطبری مرسلا، و ابن مردویه موصولا- من حدیث جابر رضی اللّه عنه: لما نزلت خُذِ الْعَفْوَ وَ أْمُرْ بِالْعُرْفِ وَ أَعْرِضْ عَنِ الْجاهِلِینَ "الأعراف/ ۱۹۹ "سأل جبریل علیه السلام فقال:

(لا- أعلم حتی أسأله) ثم رجع، فقال: (إن ربک یأمرک أن تصل من قطعک، و تعطی من حرمک، و تعفو عمن ظلمک) «۳». (۱) و قد قال عبد اللّه بن عمرو بن العاص رضی اللّه عنه للرسول صلی اللّه علیه و سلم: أکتب عنک ما سمعت؟، قال: (نعم!)، قال: قلت: فی الغضب و الرضی؟ قال: (نعم! فإنه لا ینبغی لی أن أقول فی ذلک إلا حقا)، انظر: صحیح ابن خزیمة ۴/ ۲۶، مرجع سابق.

(۲) مسند أبی یعلی ۸/ ۲۳، مرجع سابق، و قال محقق الکتاب سلیم حسین أسد ":إسناده ضعیف."

(۳) فتح الباری ۸/ ۳۰۶ و ۱۳/ ۲۵۹، مرجع سابق.

تلقی النبی ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۲۹

فإن کان ذا فی التفسیر، فکیف یکون الأمر فی ما یتوقف علیه التفسیر و هو تلقی اللفظ الذی یراد تفسیره؟.

ثانیا: التوقیفیة فی الدعاء:

بل تعدى الأمر ذلك إلى التوقيفية فى طريقة الدعاء، فعن كعب بن عجرة رضى اللّه عنه قال: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم حضروا المنبر)، فحضرنا، فلما ارتقى درجة، قال: (آمين)، فلما ارتقى الدرجة الثانية قال: (آمين)، فلما ارتقى الدرجة الثالثة قال: (آمين)، فلما نزل قلنا: يا رسول اللّه! لقد سمعنا منك اليوم شيئا ما كنا نسمعه، قال: (إن جبريل عرض لى فقال: بعدا لمن أدرك رمضان فلم يغفر له، قل: آمين، قلت: آمين، فلما رقيت الثانية قال: بعدا لمن ذكرت عنده فلم يصل عليك، قل: آمين، قلت: آمين، فلما رقيت الثالثة قال: بعدا لمن أدرك أبواه الكبر عنده أو أحدهما فلم يدخلاه الجنة، قل: آمين، قلت: آمين) «۱».

ثالثا: التوقيفية فى المسائل العملية الفرعية:

... فعن الحارث بن عبد اللّه رضى اللّه عنه أخبره أن رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم سئل عن ميراث العمة و الخالة فسكت، فنزل عليه جبريل عليه السلام فقال:

(حدثنى جبريل أن لا ميراث لهما) «۲».

و عن أبى هريرة رضى اللّه عنه أن النبى صلى اللّه عليه و سلم قال: (جاءنى جبريل فقال: يا محمد! إذا توضأت فانتضح) «۳».

و عن ابن عباس رضى اللّه عنه قال: جاء جبريل إلى رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم فذهب به ليريه المناسك، فانفرج له ثبير «۴» فدخل منى، فأراه الجمار، ثم أراه عرفات، فتتبع الشيطان النبى صلى اللّه عليه و سلم عند الجمرة، فرماه بسبع حصيات حتى ساخ، ثم تبع له فى الجمرة الثانية، فرماه بسبع حصيات حتى ساخ، ثم تبع له فى جمرة العقبة، فرماه بسبع حصيات حتى ساخ، فذهب) «۵». (۱) المستدرك على الصحيحين ۴/ ۱۷۰، مرجع سابق، و قال ":هذا حديث صحيح الإسناد، و لم يخرجاه."

(۲) المستدرك على الصحيحين ۴/ ۳۸۱، مرجع سابق.

(۳) الجامع الصحيح سنن الترمذى ۱/ ۷۱، مرجع سابق، و قال الترمذى: حديث غريب، قال الشيخ الألبانى: "ضعيف."

(۴) اسم جبل.

(۵) صحيح ابن خزيمة ۴/ ۳۱۵ مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۳۰

بل كان لا يحدث شيئا يتصل بالدين من تلقاء نفسه، حتى فيما يمكن دخوله فى النصوص العامة، فعن رافع بن خديج رضى اللّه عنه قال: كان رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم بأخرة إذا اجتمع إليه أصحابه، فأراد أن ينهض قال: (سبحانك اللهم و بحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك، و أتوب إليك، عملت سوءا، و ظلمت نفسى، فاغفر لى؛ إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت) قال- فقلنا: يا رسول اللّه! إن هذه كلمات أحدثتهن؟ قال: (أجل! "جاءنى جبريل عليه السلام فقال: يا محمد! من كفارات المجلس) «۱»، فإحداثه لهن ليس أمرا من عند نفسه كما ظهر.

و كان صلى اللّه عليه و سلم يأبى الإجابة على سؤال فرعى حتى يستأمر جبريل عليه السلام فيه، كما سبق، و عن جبير ابن مطعم رضى اللّه عنه أن رجلا أتى النبى صلى اللّه عليه و سلم فقال: يا رسول اللّه! أى البلدان شر؟

فقال: (لا أدرى)، فلما جاءه جبريل عليه السلام قال: (يا جبريل! أى البلدان شر؟ قال: لا أدرى حتى أسأل ربى عزّ و جل، فأنطلق جبريل، فمكث ما شاء اللّه، ثم جاء، فقال: يا محمد! إنك سألتنى أى البلدان شر، فقلت: لا أدرى، و إنى سألت ربى عزّ و جل: أى البلدان شر، فقال: أسواقها) «۲».

فإن كان يأبى أن يفسر القرآن إلا بوحى و هو فرع اللفظ، فليكن كذلك فيما هو فرع أقرب للفظ من المعنى، و هو أداء ذلك اللفظ.

و إن كان يأبى إحداث ذكر يناسب الحال، و هو فرع تعقل المعنى فى النصوص العامة، فكيف بفرع ألفاظ هذه النصوص العامة مما لا مجال فيه للعقل، و هو أداؤها؟.

و إن كان لا يحدث شيئا من تلقاء نفسه فى التكليفات الفرعية، فليكن الأمر كذلك فى فروع الألفاظ، و جامع كل أنه فرع. (۱) السنن الكبرى للنسائى ۶/ ۱۱۳، مرجع سابق.

(۲) مسند أبى يعلى ۱۳/ ۴۰۰، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۳۱

و هذا عند فقدان نصوص توقيفية الأداء، فكيف و قد اتسعت هذه النصوص حتى شملت الهيئة الشخصية للمتلقى؟ «۱».

و لا يعترض بأن هذا تهويل لما يجانبه التهويل؛ إذ ليس خطب أداء اللفظ كخطب ما قيس عليه، لأنه يجاب بأن أداء اللفظ يحيل المعنى غالبا، إذ إن إدغام النون فى الصاد من (صنوان) لتصير صوان محيل لمعناها من الصنو إلى غيره، و إبدال الهمز فى رئيا لتصير ريا ملبس معناها برى الظمآن، بعد أن كانت صريحة فى الرؤية، و كلها وجوه أدائية كما هو مقرر عند علماء القراءات ...؟ فلا تهويل ثمّ، بل هو وضع للأمور فى نصابها «۲». (۱) انظر: تحليل حديث المعالجة فى المبحث السادس من الفصل الثالث ص ۱۱۳.

(۲) و قد ذكر فى المبحث الثامن من الفصل الثالث ص ۱۶۵ أن أداء اللفظ ينقسم إلى قسمين: أصلى، و فرعى فالأصلى يحيل تغيره المعنى قطعا، و الفرعى قد يحيل المعنى كما فى الأمثلة المذكورة أعلاه، و قد لا يحيل كتعاقب الفتح و الإمالة على الكلمة.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۳۲

المبحث الخامس: الحفظ فى الصدر:

اشارة

للأهمية البالغة التى نالها حفظ القرآن فى الصدر من بين مفردات تلقى النبى صلى اللّه عليه و سلم ألفاظ القرآن على جبريل عليه السلام؛ فقد لزم إفراد هذا الموضوع بمبحث مستقل يسير غوره، و يحلل بعض جوانبه، و لذا انعقد هذا المبحث متألفا من مقدمة و ثلاثة مطالب:

المقدمة: الواجبات التى كانت على النبى صلى اللّه عليه و سلم بالنظر إلى لفظ القرآن.

المطلب الأول: تأصيل لفظة (الحفظ).

المطلب الثانى: متضمّنات الحفظ.

المطلب الثالث: هل كان الحفظ واجبا على النبى صلى اللّه عليه و سلم؟

المقدمة: الواجبات التى كانت على النبى صلى اللّه عليه و سلم بالنظر إلى لفظ القرآن: هى كما يلى بناء على ما سبق:

۱- سماعه صلى اللّه عليه و سلم ألفاظ القرآن من جبريل عليه السلام.

۲- قراءته صلى اللّه عليه و سلم كما قرأه جبريل عليه السلام (لفظا و أداء).

۳- الحفظ للفظ القرآن الكريم.

۴- العرض السنوى (أن يعرض هو صلى اللّه عليه و سلم على جبريل عليه السلام ألفاظ القرآن).

۵- المراجعة (التعاهد).

۶- التبليغ: كما قال سبحانه و تعالى إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلاغُ "الشورى/ ۴۸."

۷- الإقراء: و هو أخص مطلقا من التبليغ، و مثاله ما ثبت عن عبد اللّه ابن مسعود رضى اللّه عنه قال: قرأت على رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم سبعين سورة «۱»، و تقدم حديث أبى بن كعب رضى اللّه عنه: (أمرت أن أقرأ عليك) ...، و ذلك تطبيقا لقول اللّه سبحانه

و تعالى (۱) قال الهيثمى فى مجمع الزوائد ۲/ ۲۸۸ ":هو فى الصحيح."

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۳۳

إِنَّما أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِی حَرَّمَها وَ لَهُ کُلُّ شَیْءٍ وَ أُمِرْتُ أَنْ أَکُونَ مِنَ الْمُسْلِمِینَ (۹۱) وَ أَنْ أَتْلُوَا الْقُرْآنَ "النمل/ ۹۱،" اتْلُ ما أُوحِیَ إِلَیْکَ مِنَ الْکِتابِ "العنکبوت/ ۴۵، ... "حَتَّی یَسْمَعَ کَلامَ اللَّهِ " ...التوبة/ ۶."

و بعض هذه الواجبات قد تقدم تفصيله و ذلك الواجب الأول، و الثانى، و الرابع، و الخامس، و بعضها ليس من مدار البحث تبيينه، و ذلك التبليغ و الإقراء «۱» ...

فليقتصر كلام البحث هنا على الحفظ:

المطلب الأول: تأصيل كلمة (الحفظ)

: إن أول أسس نقل القرآن الكريم هو الرواية القرائية التى تعتمد فى ثبوتها ثم فى قبولها على أصلين: الحفظ فى الصدر (قرآن)، و الحفظ فى السطر (كتاب) ... مع أن الثانى تابع للأول، لا يستقل بذاته بخلاف الأول، و لذا كانت تسمية القرآن بالقرآن أشهر من تسميته بالكتاب.

و هذا الأساس فى نقل القرآن الكريم هو غاية الأسس المنهجية لتعليم جبريل عليه السلام النبى صلى اللّه عليه و سلم ألفاظ القرآن، ثم أضحى حفظ القرآن فى الصدر يعد الأساس الأول فى جواز نقل القرآن الكريم و إقرائه، و لذا قال أبو موسى الأشعرى رضى اللّه عنه: (احفظوا عنا؛ كما حفظنا) «۲».

و قد ورد لفظ الحفظ صريحا موصوفا به إيداع القرآن فى الذاكرة فى حديث أبى الدرداء رضى اللّه عنه أن النبى صلى اللّه عليه و سلم قال: (من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال) «۳». (۱) انظر: هيئة قراءة النبى صلى اللّه عليه و سلم على جبريل عليه السلام من حيث الأمر الشرعى و الواقع التطبيقى المبحث الثامن من الفصل الثالث ص ۱۴۴، ففيها تفصيل لما ذكر إلا الحفظ و التبليغ، فأما الحفظ فمحل ذكره هاهنا، و أما التبليغ فليس داخلا فى نطاق البحث، و أما الإقراء فأشير إليه هناك إشارة؛ إذ ليس مدارا للبحث.

(۲) أخرجه ابن عبد البر فى جامع بيان العلم و فضله ۱/ ۲۸۲، و صحح محققه إسناده.

(۳) صحيح مسلم ۱/ ۵۵۵، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۳۴

و ورد موصوفا به الغاية من عملية تلقى القرآن فى حديث ابن عباس رضى اللّه عنه فى نزول آيات القيامة «۱»، و هو معنى الجمع الوارد فى سورة القيامة؛ إذ تفسيره بالحفظ هو قول جميع المفسرين حقيقة أو حكما، و استخدم المسلمون هذه اللفظة فيما يثبت فى الذاكرة، فعن عمر رضى اللّه عنه قال: (قام فينا النبى صلى اللّه عليه و سلم مقاما، فأخبرنا عن بدء الخلق حتى دخل أهل الجنة منازلهم، و أهل النار منازلهم حفظ ذلك من حفظه، و نسيه من نسيه) «۲».

و قد صار الحفظ يطلق على ذلك، فصار حقيقة عرفية لدى العلماء، و لذا بوب ابن حبان- رحمه اللّه تعالى- فقال ":ذكر استحقاق الإمامة بالازدياد من حفظ القرآن على القوم، و إن كان فيهم من هو أحسب و أشرف منه «۳»"، ثم شاع بعد ذلك حتى صار حقيقة عرفية عند عامة المسلمين، فإن أطلق لفظ (حافظ) أو (حفظ) لم ينصرف لغير حفظ القرآن، و إن أريد به غير القرآن لم يرد على ألسنة الخاصة و العامة إلا مقيدا، فرسخ بذلك مفهوم الحفظ فى الصدر عندهم كمرادف للقراءة من الذاكرة فى خصوص القرآن الكريم، و لذا دعا الرسول صلى اللّه عليه و سلم إلى حضهم على القراءة من المصحف التى أطلق عليها مؤخا مصطلح (القراءة نظرا)، فقال: (من سره أن يحب اللّه و رسوله، فليقرأ فى المصحف) «۴». و لعل إطلاق الحفظ على القرآن المودع فى الذاكرة للربط حفظ اللّه للقرآن

بحفظ العبد له، و أن حفظ العبد له بالمفهوم السالف الذكر مستقى منه.

و لأجل ما يحتويه مصطلح (حفظ) فى هـذا الباب من متضـمّنات ربما لم يلتفت إليها قوم، و ربما قل من شأنها آخرون؛ فقد وجب أن نخوض غمارهـا لنعلم سـر الاختيـار القـدرى لهـا لترتبـط بألفاظ القرآن؛ ففيه يتضـح لنا دقـة نقل ألفاظ القرآن إلينا، و تعليم (۱) انظر: حديث المعالجة فى المبحث السادس من الفصل الثالث ص ۱۱۳.

(۲) رواه البخارى ۳/ ۱۱۶۶، مرجع سابق.

(۳) صحيح ابن حبان ۵/ ۴۹۹، مرجع سابق.

(۴) (أبو نعيم) أحمد بن عبد اللّه الأصبهانى ت ۴۳۰ ه: حلية الأولياء و طبقات الأصفياء ۷/ ۲۰۹، ۱۴۰۵ ه، دار الكتاب العربى- بيروت، و صححه الألبانى فى صحيح الجامع الصغير ۲/ ۲۳۴، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۳۵

جبريل عليه السلام للنبى صـلى اللّه عليه و سـلم و هو الرابط بين اسـتقصاء هـذه المسألة و بين غاية البحث، على أن تحليلنا لها إنما هو كائن من حيث متعلّقها البشرى لا من حيث متعلّقها الإلهى، كما سبق فى تأصيلها من حيث اللفظ.

المطلب الثانى: متضمنات الحفظ:

اشارة

يتضمن (الحفظ) من حيث حقيقته اللغوية و الاصطلاحية مجموعة دلالات تنحصر فى التالى:

۱- الاستظهار «۱»:

اشارة

و هى المرحلة الأولى من مراحل الحفظ، و تكون بوعى النص من حيث اللفظ، و اسـتبطانه بإيـداعه فى الـذاكرة، و ينطوى الاسـتظهار على أمرين:

أ- التدرج فى الاستظهار:

ففى (مختار الصحاح "):تحفّظ الكتاب: استظهره شيئا بعد شىء «"۲».

ب- استظهاره كما هو:

فلا يعتريه خلل فى محلّه، و لا ترتيبه، و إلا لم يصدق عليه الحفظ له، بل لغيره.

۲- الحراسة «۳»:

و هى المرحلة الثانية من مراحل الحفظ، و تكون بتثبيته و حمايته من التفلت، و هى تقرب من المراجعة للمحفوظ، إلا أنها تعتبر بينها و بين مرحلة الاستظهار، و الحراسة تقتضى المراقبة، و المراقبة جزء من الحقيقة اللغوية لمادة حفظ، و الحراسة و المراقبة ترتبط أعظم الارتباط بمفهوم الأمانة، و لأن القرآن المحفوظ بالصدر أمانة؛ فإن لفظ (الحفظ) قد اتسع مفهومه ليشمل كلّ أمانة، و لذا بوب الإمام البخارى- رحمه اللّه تعالى-:

"باب حفظ المرأة زوجها فى ذات يده و النفقة «"۴». (۱) مختار الصحاح ص ۱۷۸، مرجع سابق، ففيه: و حفظه أيضا استظهره، و انظر: فتح البارى شرح صحيح البخارى ۸/ ۵۶۷، مرجع سابق.

(۲) مختار الصحاح ص ۱۷۸، مرجع سابق.

(۳) مختار الصحاح ۱۷۸، مرجع سابق ففيه: حفظ الشيء بالكسر حفظا حرسه.

(۴) صحيح البخارى ۵/ ۲۰۵۲، مرجع سابق، و بوّب أيضا: باب حفظ السر.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۳۶

و ارتبط مفهوم الحفظ بحراسة المحفوظ من أن يعتريه خلل، أو يلج إليه دخل صغر أو كبر؛ و لذا بوب البخارى- رحمه اللّه تعالى "-: باب حفظ اللسان «"۱»، و أورد أبو داود- رحمه اللّه تعالى- مجموعة أحاديث فى ذلك، و من حيث لفظ القرآن، فإن حفظه بهذا المعنى (الحراسة) يعنى التثبت من دقائق اللفظ، و من ذلك ما رواه عروة بن الزبير- رحمه اللّه تعالى- فى حديث قبض العلم: فقالت- عنى عائشة- يا ابن أختى! انطلق إلى عبد اللّه فاستثبت لى منه الذى حدثتنى عنه، فجئته، فسألته، فحدثنى به، كنحو ما حدثنى، فأتيت عائشة، فأخبرتها، فعجبت، فقالت: (و اللّه لقد حفظ عبد اللّه بن عمرو) «۲».

۳- شموله للكلى و التفصيلى من حيث اللفظ:

ففى قوله سبحانه و تعالى وَ إِنَّ عَلَيْكُمْ لَحافِظِينَ (۱۰) كِراماً كاتِبِينَ (۱۱) يَعْلَمُونَ ما تَفْعَلُونَ "الانفطار/ ۱۰- ۱۲، "فضمّن يَعْلَمُونَ معنى يكتبون؛ إذ تلك مهمتهم الأساسية «۳»، و مسلم شمول ذلك للتفصيلي و الإجمالى من الاسم الموصول الدال على العموم فى قوله ما، و استقرار هذا العموم مقتض أن يشمل هذا الحفظ أصل اللفظ و طريقة أدائه، و ما خرج عن هذا فالمفتاح فى المخرج له، و من ثم فادعاء خروج الأداء عن الحفظ، أو عن تبليغ القرآن ادعاء يفتقر إلى الدليل.

المطلب الثالث: هل كان الحفظ واجبا على صلى اللّه عليه و سلم؟:

اشارة

و يبقى بعد ما تقدم من تحليل لمدلول الحفظ: أن يجاب عن سؤال فى هذا الباب هو:

هل كان الحفظ لألفاظ القرآن واجبا على النبى صلى اللّه عليه و سلم؟.

الجواب نعم، كان واجبا على النبى صلى اللّه عليه و سلم وجوبا مقطوعا به، و الدليل على ذلك::

اشارة

(۱) صحيح البخارى ۵/ ۲۳۷۶، مرجع سابق، و من ذلك حديث سنن أبى داود ۱/ ۱۲۷، مرجع سابق: (فإذا قال ذلك قال الشيطان

حفظ منى سائر اليوم)، و كذلك حديث سنن أبى داود ۳/ ۲۹۸، مرجع سابق: (فقضى أن حفظ الحوائط بالنهار على أهلها، و أن حفظ الماشية بالليل على أهلها، و أن على أهل الماشية ما أصابت ماشيتهم بالليل).

(۲) صحيح البخارى ۶/ ۲۶۶۵، مرجع سابق.

(۳) لمعنى فى غاية الأهمية هو أنهم يعلمون ما يكتبونه من مثقال الذر من خير أو شر، فليست كتابتهم كتابة عمياء يمكن معها خداعهم.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۳۷

۱- أول سورة نزلت عليه هى سورة اقرأ باسم ربک «۱»:

فبدايتها اقْرَأْ، فأنى له بالقراءة و قد قال ربه عزّ و جل عنه: ما كُنْتَ تَدْرِى مَا الْكِتابُ وَ لَا الْإِيمانُ "الشورى/ ۵۲، "و ذاك موجب قراءته من حفظه، فقوله سبحانه و تعالى: اقْرَأْ أمر بالقراءة، و القراءة نطق بكلام معين مكتوب، أو محفوظ عن ظهر قلب، و الأمر بالقراءة مستعمل فى حقيقته من الطلب لتحصيل فعل فى الحال أو الاستقبال، فالمطلوب أن يقرأ ما سيقرأ عليه، و فى حديث عائشة- رضى اللّه تعالى عنها- فى بدء الوحى: (فرجع بها رسول اللّه يرجف فؤاده) «۲» أى فرجع بالآيات التى قرئت عليه ليحفظها لا ليكتبها أى رجع متلبسا بها، أى بوعيها، و هذا يدل أن رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم تلقى ما أوحى إليه، و قرأه حينئذ، و يزيد ذلك إيضاحا قولها فى الحديث ذاته (فانطلقت به خديجة إلى ورقة بن نوفل، فقالت له خديجة: يا ابن عم اسمع من ابن أخيك) أى: اسمع القول الذى أوحى إليه، و هذا ينبئ بأن رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم عند ما قيل له بعد الغطة الثالثة اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الآيات الخمس كان قد قرأها ساعتئذ، كما أمره اللّه سبحانه و تعالى، أو حفظها على الأقل، و رجع من غار حراء إلى بيته يقرؤها، و على هذا يكون قول الملك له فى المرات الثلاث اقْرَأْ إعادة للفظ المنزل من اللّه عزّ و جل، إعادة تكرير للاستئناس بالقراءة التى لم يتعلمها من قبل «۳»، و لم يذكر لفعل اقْرَأْ مفعول؛ إما لأنه نزّل منزلة اللازم، و أن المقصود أوجد القراءة، و إما لظهور المقروء من المقام، و تقديره: اقرأ ما سنلقيه إليك من القرآن «۴».

فإن اعترض بأن: القراءة تتحقق بكلمة و كلمتين، و آية و آيتين، و سورة و سورتين، فأين وجوب قراءته عليه كله، و من ثم فأين وجوب حفظه عليه كله؟. (۱) هذا هو الاسم المشهور عند علماء التفسير، و كذلك على ألسنة الصحابة.

(۲) صحيح البخارى ۱/ ۳، مرجع سابق.

(۳) و هذا المعنى لا ينافى غيره من المعانى التى لا تتضاد.

(۴) انظر: التحرير و التنوير ۳۰/ ۴۳۴، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۳۸

فالجواب مما سيأتى:

۲- أميته صلى اللّه عليه و سلم:

فهو الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ "...الأعراف/ ۱۵۷، "و قد قال صلى اللّه عليه و سلم:

(إنا أمة أمية لا نكتب و لا نحسب، الشهر هكذا و هكذا، يعنى مرة تسعة و عشرين، و مرة ثلاثين) «۱» و من كان ذا شأنه فهو يحفظ، فلو لم يؤمر بالقراءة لكانت أميته كافية فى وجوب الحفظ عليه.

و لذا كانوا يعتمدون على حفظهم للسنن النبوية؛ فقد دخل زيد بن ثابت رضى اللّه عنه على معاوية رضى اللّه عنه فسأله عن حديث، فأمر إنسانا يكتبه، فقال له زيد: (إن رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم أمرنا أن لا نكتب شيئا من حديثه فمحاه) «۲»، فما هم فاعلون فى كلام رب البرية عزّ و جلّ؟.

۳- مقتضى إرساله، و حقيقة وظيفته صلى اللّه عليه و سلم و هو التبليغ

و رأس ما يبلغه صلى اللّه عليه و سلم القرآن، و قد قال ربه سبحانه و تعالى: ... بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ " ...المائدة/ ۶۷ ... "إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلاغُ " ...الشورى/ ۴۸، "و لا يكون مبلغا رسالة ربه و هو لم يحط بالقرآن حفظا، أنى، و قد قال ربه عزّ و جل: ... وَ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَما بَلَّغْتَ رِسالَتَهُ " ...المائدة/ ۶۷ ..."

و قول اللّه سبحانه و تعالى: ... وَ أُوحِيَ إِلَيَّ هذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَ مَنْ بَلَغَ " ...الأنعام/ ۱۹ "قاطع لكل خطيب فى هذه المسألة.

۴- قوله عزّ و جل: ... وَ إِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ " ...التوبة/ ۶:"

و بين هذا الدليل و بين الدليل الثانى عموم و خصوص مطلق، فلا يرد عليه التكرار.

۵- قوله سبحانه و تعالى سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنْسى الأعلى/ ۶"

، فإنه مقتض إعانة اللّه عزّ و جل له على الحفظ، المستلزم وجوبه عليه، و تزداد قوة الحفظ كلما ازدادت أهمية المحفوظ، (۱) صحيح البخارى ۲/ ۶۷۵، مرجع سابق.

(۲) سنن أبى داود ۳/ ۳۱۸، مرجع سابق، و فى مسألة النهى عن كتابة حديث الرسول صلى اللّه عليه و سلم، انظر: تدريب الراوى ۲/ ۲۳۴، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۳۹

و ليس هناك ما هو أكثر أهمية فى حياة المسلم من أهمية القرآن الكريم له المسلم الأول بله الرسول صلى اللّه عليه و سلم، و قد قال ابن عباس رضى اللّه عنه: (إنما يحفظ الرجل على قدر نيته) «۱»، فكيف لو جمعت هذا إلى ما تكفل اللّه سبحانه و تعالى به من جمع القرآن فى صدر النبى صلى اللّه عليه و سلم فأى حافظة تلك التى سترى؟.

۶- قوله تعالى إِنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ "القيامة/ ۱۷: "و معنى الجملتين إِنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ: إن علينا جمع الوحى، و أن تقرأه، و فوق ذلك أن تبينه للناس بلسانك، أى نتكفل لك بأن يكون جمعه و قرآنه بلسانك، أى عن ظهر قلبك لا بكتابة تقرؤها، بل أن يكون محفوظا فى الصدور، مبينا لكل سامع، لا- يتوقف على مراجعة، و لا على إحضار مصحف من قرب أو بعد. فالبيان هنا بيان ألفاظه ليس بيان معانيه لأن بيان معانيه ملازم لورود ألفاظه «۲» ...

فبعد إلقاء جبريل عليه السلام القرآن على النبى صلى اللّه عليه و سلم يكون النبى صلى اللّه عليه و سلم قد حفظه فى صدره، و يسهل إدراك أن قوله سبحانه و تعالى فاتّبع قرآنه بمعنى أن تقرأه «۳»، لا يراد منه القراءة من الأوراق، و لا من المصحف بل يعنى القراءة من المحفوظ فى الصدر؛ إذ لم يقرأ النبى كتابا، و ليس بقارئ، و ما كان يدرى ما الكتاب، و كذلك فإن جمعه فى صدره يعنى الحفظ فى الصدر.

و هذه حقيقة من حقائق الاصطلاح الشرعى فى هذا الباب: أن القراءة فى حق الرسول صلى اللّه عليه و سلم تعنى قراءته من محفوظه، كما يظهر مما سبق. (۱) الجامع لآداب الراوى و السامع ۲/ ۳۱۲، مرجع سابق.

(۲) انظر: التحرير و التنوير ۲۹/ ۳۵۰، مرجع سابق، و انظر: تحليل آيات القيامة فى المبحث السادس من الفصل الثالث ص ۱۱۶.

(۳) تقدم شرح الآية فى حديث المعالجة فى المبحث السادس من الفصل الثالث ص ۱۱۶.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۴۰

فإن اعترض بأن: ذا كان جائزا أول الأمر قبل التبليغ، أما استمرار حفظه بعد فلا؟.

فالجواب: إن لم يجب استمرار الحفظ، فكيف يكون التذكير الذى هو جزء من ماهية التبليغ؟ و قد قال اللّه- تعالى ذكره- فى معرض حصر مهمة النبى صلى اللّه عليه و سلم: فَذَكِّرْ إِنَّما أَنْتَ مُذَكِّرٌ "الغاشية/ ۲۱."

و عند النظر فى الشريعة يستبين أن من أهم أسماء القرآن (الذكر)، و الذكر عام للناس كلهم ... وَ أَنْزَلْنا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ ما نُزِّلَ إِلَيْهِمْ " ...النحل/ ۴۴، "و خاص للمؤمنين ... فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخافُ وَعِيدِ "ق/ ۴۵، "و ذلك كله مستلزم للتذكير بما يريده اللّه سبحانه و تعالى المقتضى لاستمرارية الحفظ ... و لذا كان جبريل عليه السلام يدارس النبى صلى اللّه عليه و سلم القرآن كل عام، فإن لم يكن هذا دليلا على وجوب الاستمرار لحفظ القرآن فعلى ما ذا يدل هذا؟.

۷- قوله عزّ و جل: وَ إِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ "ق/ ۹:"

و الحفظ لا يتم للقرآن خارج النواميس الإلهية، و ذلك أمران:

أ- ما يتم بالقدرة الإلهية المحضة، و هو مشاهد ملموس؛ إذ قد أحاط بالكتاب الكريم من المكر الكبار ما كادت أن تميد منه الجبال، و لا تكفى القدرة الإسلامية، المتمحض بشريتها لصده، خاصة فى فترات الاستضعاف ... و على الرغم من ذلك يظل الكتاب الكريم محتفظا بثبات لفظه، و ازدياد رسوخ نصه.

ب- ما شرفت الأمة بالتكليف به؛ إذ هى وارثة الكتاب، و قد قال اللّه سبحانه و تعالى: ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنا مِنْ عِبادِنا" ... فاطر/ ۳۲، "و لئن استحفظ أهل الكتاب السابقين على ما نزل إليهم، لذاك كائن أوجب فى حقنا، و قد قال الصاوى- رحمه اللّه تعالى ... "-:سيما، و قد جعل اللّه له خدمة من البشر يحفظونه «"۱»، و قال صاحب (۱) حاشية الصاوى و بهامشه تفسير الجلالين ۲/ ۳۱۴، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۴۱

التحرير و التنوير ":حتى حفظته الأمة عن ظهور قلوبها من حياة النبى صلى اللّه عليه و سلم «۱»، بيد أن هذه الأمة المشرفة قد ميزها اللّه سبحانه و تعالى بتوليه حفظ الكتاب بذاته، و واضح عدم المنافاة بين ذلك و إيجاب حفظه على الأمة، بل وجوب حفظه على الأمة هو أول أدلة واقعية الحفظ الإلهى له ...

و قد اتضح وجه الدلالة: من الآية على وجوب حفظ النبى صلى اللّه عليه و سلم للقرآن هو: دخوله فى الأمة دخولا أوليا «۲».

۸- قوله تعالى: ... وَ لا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَ قُلْ رَبِّ زِدْنِى عِلْماً "طه/ ۱۱۴."

وجه الدلالة: حرصه صلى اللّه عليه و سلم على حفظ القرآن، مع تكليفه بالرسالة، يستلزم وجوب حفظ القرآن عليه ...

۹- بقاؤه صلى اللّه عليه و سلم أميا «۳»:

و ذا دال على وجوب ملازمة حفظه لكتاب اللّه سبحانه و تعالى، للزوم استظهاره، و استدعائه متى لزم الأمر، لأداء رسالة اللّه عزّ و جل تبليغا أو تذكيرا، حتى لو كان (۱) التحرير و التنوير ۱۴/ ۲۰، مرجع سابق.

(۲) و ذلك بغض النظر عن الخلاف فى القاعدة الأصولية فى دخول النبى صلى اللّه عليه و سلم فى خطاب أمته، و تأتى الإشارة إليها بعد ق ليل.

(۳) و ما ذهب إليه البعض من تعلمه الكتابة بعد نبوته فشذوذ قد نهى أولوا النهى من طلبة العلم عن تتبعه، على أن كثيرا من الشذوذ لا يروى على وجهه، بل ينقل على الهوى العقلى أو العاطفى لناقله. و يوضح ذلك من حيث خصوص موضوعنا ما قاله ابن كثير فى تفسيره ۳/ ۴، مرجع سابق ":و هكذا كان رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم دائما، إلى يوم الدين لا يحسن الكتابة، و لا يخط سطرا، و لا حرفا بيده بل كان له كتاب يكتبون بين يده الوحى و الرسائل إلى الأقاليم، و من زعم من متأخرى الفقهاء كالقاضى أبى الوليد الباجى و من تابعه أنه عليه السلام كتب يوم الحديبية: هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد اللّه، فإنما حمله على ذلك رواية فى صحيح البخارى ":ثم أخذ فكتب، "و هذه محمولة على الرواية الأخرى ":ثم أمر فكتب، "و لهذا اشتد النكير من فقهاء المشرق و المغرب على من قال بقول الباجى، و تبرءوا منه، و أنشدوا فى ذلك أقوالا و خطبوا به فى محافلهم، و إنما أراد الرجل- أعنى الباجى- فيما ظهر عنه أنه كتب ذلك على وجه المعجزة، لا أنه كان يحسن الكتابة، كما قال صلى اللّه عليه و سلم إخبارا عن الدجال (مكتوب بين عينه كافر)، و فى رواية (ك ف ر يقرؤها كل مؤمن)، و ما

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۴۲

مخدعه أو مرتعه، أو مدخله أو مطلعه، أو مسكنه، أو مربعه ... و لا يعترض على هذا بأن اللّه سبحانه و تعالى قد كفاه ذلك بالكتاب الذى كان يكتبه صحبه من كتبة الوحى؛ إذ محال أن يصطحب الكتاب و الكتّاب فى كل مكان ... يريد فيه التبليغ و الدعوة ... لا لعزتها آنها، بل لخصوصية احتياجه إلى الدعوة و التبليغ ضرورة كونه نبيا ... و من يفترضها هنا، يفترض المحال ...

۱۰- قوله سبحانه و تعالى: وَ ما كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتابٍ وَ لا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذاً لَارْتابَ الْمُبْطِلُونَ (۴۸) بَلْ هُوَ آياتٌ بَيِّناتٌ فِى صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَ ما يَجْحَدُ بِآياتِنا إِلَّا الظَّالِمُونَ

... يعنى أنك لم تكن تقرأ كتابا حتى يقول أحد: هذا القرآن الذى جاء به هو مما كان يتلوه من قبل ثم نفى الكتابة عنه، و المقصود نفى حالتى التعلم (بالقراءة و الكتابة) استقصاء فى تحقيق وصف الأمية، و قوله عزّ و جل بَلْ هُوَ آياتٌ بَيِّناتٌ فِى صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ "أى بل القرآن آيات فى صدر النبى صلى اللّه عليه و سلم «۱». أورده بعضهم من الحديث أنه لم يمت صلى اللّه عليه و سلم حتى تعلم الكتابة فضعيف لا أصل له، قال اللّه تعالى: وَ ما كُنْتَ تَتْلُوا "العنكبوت/ ۴۸ "أى تقرأ مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتابٍ لتأكيد النفى وَ لا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ تأكيد أيضا، و خرج مخرج الغالب، كقوله تعالى وَ لا طائِرٍ يَطِيرُ بِجَناحَيْهِ "الأنعام/ ۳۸، "و قوله تعالى إِذاً لَارْتابَ الْمُبْطِلُونَ أى لو كنت تحسنها لارتاب بعض الجهلة من الناس، فيقول إنما تعلم هذا من كتب قبله، مأثورة عن الأنبياء، مع أنهم قالوا ذلك مع علمهم بأنه أمى لا يحسن الكتابة وَ قالُوا أَساطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَها فَهِيَ تُمْلى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَ أَصِيلًا "الفرقان/ ۵ "قال اللّه سبحانه و تعالى قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِى يَعْلَمُ السِّرَّ فِى السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ "الفرقان/ ۶ "الآية، و قال هاهنا: بَلْ هُوَ آياتٌ بَيِّناتٌ فِى صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ "العنكبوت/ ۴۹ "أى هذا القرآن آيات بينة واضحة فى الدلالة على الحق أمرا و نهيا و خيرا، يحفظه العلماء، يسره اللّه عليهم حفظا و تلاوة و تفسيرا، كما قال عزّ و جل وَ لَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ "القمر/ ۱۷، "و قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و

سلم: (مـا من نبى إلا و قـد أعطى ما آمن على مثله البشـر، و إنما كان الـذى أوتيته وحيا أوحاه اللّه إلىّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا . "...)و الحديث الأخير رواه البخارى ۶/ ۱۶۰۷، مرجع سابق.

(۱) انظر: التحرير و التنوير ۲۱/ ۱۲، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۴۳

و لا يعترض بأنه قد ورد فى تفسـير الذين أوتوا العلم: أصـحاب النبى صـلى اللّه عليه و سـلم، لأن أول الذين أوتوا العلم هو النبى صلى اللّه عليه و سلم.

۱۱- حديث عياض بن حمار المجاشعى رضى اللّه عنه

أن رسول اللّه صـلى اللّه عليه و سلم قال ذات يوم فى خطبته: (ألا أن ربى أمرنى أن أعلمكم ما جهلتم، مما علمنى يومى هذا: كل مال نحلته عبـدا حلال، و إنى خلقت عبـادى حنفـاء كلهم، و إنهم أتتهم الشـياطين فاجتالتهم عن دينهم، و حرمت عليهم ما أحللت لهم، و أمرتهم أن يشركوا بى ما لم أنزل به سلطانا، و إن اللّه نظر إلى أهل الأرض، فمقتهم عربهم و عجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب، و قال: إنما بعثتك لأبتليك و أبتلى بك، و أنزلت عليك كتابا لا يغسله الماء، تقرؤه نائما و يقظانا ...) الحديث «۱».

قال ابن كثير ":أى لو غسل الماء المحل المكتوب فيه، لما احتيـج إلى ذلك المحل، لأنه قـد جاء فى الحـديث الآخر: (لو كان القرآن فى إهـاب مـا أحرقته النار)، و لأنه محفوظ فى الصـدور، ميسـر على الألسـنة، مهيمن على القلوب، معجز لفظا و معنى، و لهـذا جاء فى الكتب المتقدمة فى صفة هذه الأمة أناجيلهم فى صدورهم «"۲».

و قـال النووى ":أى محفوظـا فى الصـدور، لا يتطرق إليه الـذهاب بل يبقى على ممر الزمان، (تقرؤه نائما و يقظانا): أى يكون محفوظا لك فى حالتى النوم و اليقظة، و قيل تقرؤه فى يسر و سهولة «"۳».

و هذا نص فى أنه صلى اللّه عليه و سلم يحفظه أمرا و إخبارا عن الواقع.

۱۲- ما كان النبى صلى اللّه عليه و سلم يجهد نفسه فيه عند تلقيه الوحى:

كما تقدم فى روايات حديث المعالجة «۴»، و فيها: (يحرك لسانه) يريد أن يحفظه ... يعجل بقراءته ليحفظه، و لابن أبى حاتم: (يتلقى أوله، و يحرك به شفتيه خشية أن ينسى أوله، قبل أن يفرغ من آخره)، (۱) صحيح مسلم ۴/ ۲۱۷۹، مرجع سابق.

(۲) تفسير ابن كثير ۳/ ۴۸، مرجع سابق.

(۳) شرح صحيح مسلم ۱۷/ ۱۸۹، و نقلها السيوطى فى الديباج ۶/ ۲۲۲، مرجع سابق.

(۴) انظر: المبحث السادس من الفصل الثالث ص ۱۱۳.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۴۴

و فى مسند الحميدى: (يعجل به يريد أن يحفظ)، و الحفظ منصرف هنا للفظ إذ لو كان المراد المعنى لما احتاج لذاك الاجتهاد.

۱۳- و مما يدل على وجوب حفظ النبى صلى اللّه عليه و سلم للقرآن، حفه بالعوامل المساعدة على الحفظ

اشارة

مثل تنجيم القرآن، و ترتيله؛ و هو ما صرح به صاحب التحرير و التنوير حيث قال فى فوائد الترتيل ":و فائدة هذا: أن يرسخ حفظه، و يتلقاه السامعون، فيعلق بحوافظهم، و يتدبر قارئه، و سامعه معانيه، كى لا يسبق لفظ اللسان عمل الفهم «"۱»، و هو تصريح بأن عمل النبى صلى اللّه عليه و سلم ضبط الاثنين: لفظ اللسان، و عمل الفهم.

و من هذه العوامل المساعدة على الحفظ:

التنبيه ابتداء على صعوبة المحفوظ من حيث اشتماله على معان غير متوقعة، و لا معتادة فى تفاصيلها، لئلا يدور بخلد الذى يريد الحفظ و هو (النبى) صلى اللّه عليه و سلم أولا أنها معتادة فاللسان لن يضيعها؛ فيتأهب له، و يقدره حق قدره، كما قال عزّ و جل إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا "المزمل/ ۵، "و الثقل الموصوف به القول ثقل مجازى لا محالة مستعار لصعوبة حفظه؛ لاشتماله على معان ليست من معتاد ما يجول فى مدارك قومه، فيكون حفظ ذلك عسيرا على الرسول صلى اللّه عليه و سلم الأمى، تنوء الطاقة عن تلقيه، فقد مهد لهذه الحقيقة بأوامر هى وسائل لتحقيق مقتضاها: من قيام ليل، و ترتيل قرآن، فقوله سبحانه و تعالى: إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا" المزمل/ ۵ "تعليل للأمر- بقيام الليل «۲».

۱۴- الترهيب من نسيان القرآن:

و إن لم يصح فى عقوبة ذلك حديث مرفوع «۳»، فقد دخل فى عموم قوله سبحانه و تعالى: (۱) التحرير و التنوير ۲۹/ ۳۱۷، مرجع سابق.

(۲) انظر: التحرير و التنوير ۲۹/ ۱۶۴، مرجع سابق، و لا ينافى هذا تيسير القرآن للذكر؛ إذ هو كذلك بالنظر إلى أنه الحق الصالح برغم صغر حجمه لكل زمان و مكان هاديا فى كل مجال، و هو كذلك بالنظر إلى من اتبع قواعده فى أسلوب حفظه، و لذا أمر النبى صلى اللّه عليه و سلم بتعاهده فهو أشد تفلتا من الإبل فى عقلها.

(۳) لكن قال الحافظ ابن حجر فى فتح البارى ۹/ ۸۶، مرجع سابق ":قد أخرج بن أبى داود من وجه آخر مرسل نحوه و لفظه: (... أعظم من حامل القرآن و تاركه) فى معرض التهديد بأكبر الذنوب- و من طريق أبى العالية موقوفا: (كنا

قالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمى وَ قَدْ كُنْتُ بَصِيراً (۱۲۵) قالَ كَذلِكَ أَتَتْكَ آياتُنا فَنَسِيتَها وَ كَذلِكَ الْيَوْمَ تُنْسى طه/ ۱۲۴- ۱۲۵ «"۱»، و قال ابن حجر فى قول البخارى- رحمه اللّه تعالى "-:باب نسيان القرآن، و هل يقول نسيت آية كذا و كذا ":"كأنه يريد أن النهى عن قول نسيت آية كذا و كذا ليس للزجر عن هذا اللفظ، بل للزجر عن تعاطى أسباب النسيان المقتضية لقول هذا اللفظ «"۲».

و النبى صلى اللّه عليه و سلم أول من يدخل فى الخطاب بذلك على راجح أقوال الأصوليين «۳».

و بعد هذا الاستعراض لبعض أدلة وجوب حفظ النبى صلى اللّه عليه و سلم لألفاظ القرآن الكريم، فإن الكلام على هذه المسألة غمط لها، و التعريف بوجوب الحفظ على النبى صلى اللّه عليه و سلم لألفاظ القرآن تعريف بما هو كالضرورة، بل إنّ هذه المسألة مما تصورها كاف فى بدهية الحكم عليها، و الاستدلال عليها تضييع لها ... إنما أريد الإشارة المجردة؛ ليعلم الذين آمنوا كم أحيط بألفاظ هذا الكتاب الكريم من رعاية. نعد من أعظم الذنوب أن يتعلم الرجل القرآن، ثم ينام عنه حتى ينساه) و إسناده جيد، و من طريق ابن سيرين بإسناد صحيح فى الذى ينسى القرآن: (كانوا يكرهونه، و يقولون فيه قولا شديدا)، و لأبى داود عن سعد بن عبادة مرفوعا: (من قرأ القرآن ثم نسيه لقى اللّه و هو أجذم) و فى إسناده أيضا مقال، و قد قال به من الشافعية أبو المكارم الرويانى، و احتج بأن الإعراض عن التلاوة يتسبب عنه نسيان القرآن، و نسيانه يدل على عدم الاعتناء به، و التهاون بأمره ...

(۱) و انظر فی هذا الموضوع: تفسیر ابن کثیر ۴/ ۱۱۸، و القرطبی ۱۶/ ۳۰، مرجعان سابقان، و بین أن المراد "النسیان الکامل "واصلا حد الترک لا النسیان الذی یغلب، و مصنف ابن أبی شیبهٔ ۶/ ۱۲۴، و الترغیب و الترهیب ۲/ ۲۳۲، و فتح الباری ۹/ ۸۰، مرجع سابق، و نیل الأوطار ۲/ ۱۶۰.

(۲) فتح الباری ۹/ ۸۵، مرجع سابق.

(۳) انظر: نثر الورود علی مراقی السعود ۱/ ۱۸۸، مرجع سابق عند قول الناظم فی باب الأمر:

و آمر بلفظهٔ تعمّ هل دخل قصدا، أو عن القصد اعتزل،

و فی ۱/ ۲۶۱ عند قول الناظم فی باب العام:

و ما یعم یشمل الرسولا و قیل لا، و لنذکر التفصیلا

حیث ذکر الشارح فی المسألهٔ ثلاثهٔ أقوال.

تلقی النبی ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۴۶

الفصل الخامس دمغ الباطل و فیه مبحثان

اشارهٔ

و فیه یذکر الباحث بعض العوامل المقدوح بها فی دقهٔ تلقی النبی صلی اللّه علیه و سلم ألفاظ القرآن الکریم من جبریل علیه السلام من منظور البحث و زاویته، فبعد ما توافرت عوامل الإیجاب علی تحریر متعلقات موضوع تلقی النبی صلی اللّه علیه و سلم ألفاظ القرآن من جبریل علیه السلام، وجبت الإشارهٔ إلی نفی عوامل السلب عن ذلک التلقی من حیث خصوص هذا الموضوع، فکان هذا الفصل منعقدا لهذه الغایهٔ.

و دحض ما یقدح به فی هذا الموضوع داخل ضمن ما سبق، فبمجرد معرفهٔ طبیعهٔ الوحی القرآنی، و إنزاله، و تعلیمه، و تعلّمه بین النبی صلی اللّه علیه و سلم و جبریل علیه السلام تدحض کل شبههٔ، و لکن مرضی العقول، و سقمهٔ القلوب قد تعتریهم نفثات الشیاطین، فیورون زند الشبههٔ، لیوقعوا غیرهم فی البلبلهٔ و الاضطراب التصوری لحقائق القضایا الاعتقادیهٔ، و لیس الأمر مع الصنف الأول مستلزما النقاش لفساد الأصل الذی یتکئون علیه، إلا أن النقاش یکون مع من یتأثر بعقابیل أقوالهم، و خبال زللهم ... و مجموع الشبه الواردهٔ فی باب تلقی النبی صلی اللّه علیه و سلم ألفاظ القرآن من جبریل علیه السلام مردّها إلی جهتین:

تلقی النبی ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۴۷

جههٔ تأثیر العوامل الخارجیهٔ: علی تلقی النبی صلی اللّه علیه و سلم من حیث أن جبریل علیه السلام ینتمی إلی العالم الغیبی، فقد یزعم أن الموحی له قد یکون ساحرا، أو جنا، أو یؤثر هذان فی النبی صلی اللّه علیه و سلم حال تلقّیه الوحی، فیحسب الکلمهٔ من جبریل علیه السلام و هی من غیره، فجماع هذه العوامل هو الاتهام بالتخیل لعدم الثقهٔ بکون الملقی بالوحی هو جبریل علیه السلام لاحتمالیهٔ کونه غیره.

وجههٔ تأثیر العوامل الداخلیهٔ: و یراد بها ما یعتری الإنسان من ضعف، و قصور یؤثران علی استیعابه للفظ القرآن الکریم؛ إذ لم یخرج النبی صلی اللّه علیه و سلم عن طبیعته البشریهٔ و هو یتلقی الوحی القرآنی، و النسیان و القصور البشری أنموذجان لهذا النوع من العوامل، فیتألف هذا الفصل من مبحثین:

المبحث الأول: العوامل الخارجیهٔ.

المبحث الثانی: العوامل الداخلیهٔ.

على أن شرط البحث فى الكلام عن هذا الموضوع ألا- يتطرق للعوامل الأخرى التى قذف بها المشركون، و لا تعلق لها بالتلقى من جبريل عليه السلام، كالاتهام بكونه صلى اللّه عليه و سلم شاعرا «۱»، أو كذابا، تنزه عما يقول الظالمون، أو اتهام المسلمين بضياع شيء من القرآن «۲» ...؛ إذ الخوض فى ذلك مخرج للبحث عما هو له ... و لذا فإن حركة البحث هاهنا ستنحصر فى هذا الشرط دون غيره. (۱) و لأن الشعر لا يعود إلى التخيل الملبس لشخصية جبريل عليه السلام بغيره، و كذلك لم يتكلم عن الكهانة لأنها ترجع إلى التخيل بسبب الجن أو السحر، فتكلّم عن أصلها.

(۲) انظر فى هذا الباب: نكت الانتصار للباقلانى، مرجع سابق، فقد أنشأه مؤلفه لمثل ذلك.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۴۸

المبحث الأول: دفع العوامل الخارجية:

اشارة

يجمع العوامل الخارجية المقدوح بها فى صحة تلقى اللفظ (التخيل)، و تنقسم إلى خمسة أقسام من حيث درؤها عن صحة تلقى النبى صلى اللّه عليه و سلم، و يمكن إرجاعها إلى أمرين: عام و خاص من حيث درؤها عن دقة تلقى النبى صلى اللّه عليه و سلم فضلا عن صحة تلقيه، يكونان مطلبى المبحث:

المطلب الأول: دفع تهمة التخيل فى تلقى ألفاظ القرآن بصفة عامة.

المطلب الثانى: دفع تهمة التخيل فى تلقى ألفاظ القرآن من حيث تفصيل العوامل المظنون إحداثها التخيل.

المطلب الأول: دفع تهمة التخيل فى تلقى ألفاظ القرآن بصفة عامة:

اشارة

يرجع هذا الدفع إلى جميع أركان تلقى اللفظ القرآنى: من اللفظ فى ذاته، و طرفى الاتصال، و طبيعة الدين الإسلامى، و ينحصر ذلك الدفع فيما يلى:

۱- بالضمان الإلهى بالحفظ لكتابه:

و هذا ضمان عام، إثباتا للقرآن، و نفيا لما عداه عنه، و مستنده قوله سبحانه و تعالى إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَ إِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ "الحجر/ ۹." و تقدم أن الحفظ يقتضى الحراسة و المراقبة «۱»، و هو مدلوله هنا ... و فى هذه الآية جيء بالجملة الاسمية مؤكدة بتوكيدين، و نسب فيها الحفظ المحذوف متعلّقه إفادة للعموم إلى ضمير العظمة، و فى ذلك من الدلالة على الاعتناء بأمر القرآن ما فيه «۲».

۲- بالضمان الإلهى بعدم تطرق شائبة من الباطل إليه:

اشارة

و هذا ضمان خاص يدحر عوامل السلب، بعد الضمان العام بالمحافظة الشاملة لإثبات كلام اللّه سبحانه و تعالى فى كتابه، و نفى (۱) انظر: المبحث الخامس من الفصل الرابع ص ۲۳۵.

(۲) انظر: روح المعانى ۱۴/ ۱۲، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۴۹

أن يتطرق إليه غيره، فكـان هـذا الضـمان تأكيـدا ثانيا على نفى عوامل السـلب من أن تتطرق لكتاب اللّه عزّ و جل، كما قال سـبحانه و تعالى وَ إِنَّهُ لَكِتابٌ عَزِيزٌ لا يَأْتِيهِ الْباطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ لا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ "فصلت/ ۴۱- ۴۲، "و المراد استمرار النفى، لا نفى الاستمرار «۱».

و إثبات هذا النفى يعتمد على إحدى مقدمتين:

إما أن يثبت للمدعو صدق الرسول صلى اللّه عليه و سلم فى دعوى الرسالة بغير بينة القرآن الكريم، ليصدّق- بعد- فى هذا الضمان، و إمـا أن يثبت للمـدعو كون القرآن بلفظه، أو بمعناه، أو بهما معا ليسا من بشـر، بل من اللّه عزّ و جل من خلال بضع حـديث من القرآن يتلى، فيصدّق الرسول صلى اللّه عليه و سلم فى بقية القرآن ...

و قد تحققت كلا المقدمتين «۲».

۳- بمعرفة طبيعة الوحى القرآنى:

إذ حقيقته كلام اللّه عزّ و جل الذى أنزل إلى الأرض لينذر به من حضـر، و من بلغ، و هذا يقتضـى الديمومة و البقاء و الهيمنة ... و إذا كـانت هـذه ماهيته، فيسـتحيل طروء تغيير فيه من خارج مكان إنزاله، و لـذا مورد فى سورة التكوير الربط بين نفى ما وجه إلى الرسول الأكرم صـلى اللّه عليه و سـلم و بين طبيعـة الوحى إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعالَمِينَ "التكوير/ ۲۷، "و كـذلك فى سورة النجم حيث نفى طعن الطاعنين فى الوحى الذى يتلوه رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم بقوله سبحانه و تعالى ما ضَلَّ صاحِبُكُمْ وَ ما غَوى وَ ما يَنْطِقُ عَنِ الْهَوى النجم/ ۲- ۳، "ثم بيّن طبيعـة الوحى بقوله عزّ و جل إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحى النجم/ ۴، "فدعوى التخيل فيه مضاد لطبيعته، و هذا التقرير يكون لمن يسلم بالوحى ابتداء، (۱) انظر: روح المعانى ۱۷/ ۲۷۱، مرجع سابق.

(۲) راجع مثلا: القاضـى عياض بن موسـى اليحصبى: الشـفا تعريف حقوق المصـطفى، دار الكتب العلميـة، بيروت- لبنان، و غيرها من كتب السيرة أو الإعجاز القرآنى البيانى و العلمى و التشريعى ...

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۵۰

ثم يعتريه إرجاف المرجفين؛ إذ لو اسـتجاب للشـبهة لوصل إلى خلف من القول: بأن يسلم بالوحى القرآنى و يعرف طبيعته، ثم ينقضه بقبول المرجفات حوله.

و مـا سـبق كـان حفظا للمنزل، و نفيا لأى دخل من خلال القرآن الملقى، فتصوره كاف فى نفى ما يظنه المتخرص رجما بالغيب، و ثمّ حفظ للنازل به، و المنزل عليه، و نفى لأى قدح فى صحة تلقى اللفظ القرآنى، و دقته من خلال ذلك، و هو ما يأتى:

۴- بتأكيد الاتصال الحسى بين جبريل عليه السلام و النبى صلى اللّه عليه و سلم

و هو ما تراه فى قوله سبحانه و تعالى: ما كَذَبَ الْفُؤادُ ما رَأى أَ فَتُمارُونَهُ عَلى ما يَرى النجم/ ۱۱- ۱۲."

فالكـذب يطلق على التخيل و التلبيس من الحواس، كما يقال: كـذبته عينه «۱»، و هم ولجوا له من بـاب التخيل مجادلـة أو جحودا، إذ قراءة فَتُمارُونَهُ «۲» من المراء و هى المجادلة، و قراءة تمرونه من مراه إذ جحده، كأنه قال: بعضكم يجادله، و بعضكم يجحده، كما هو

المعتاد فی توزیع الأدوار المخطط أو التلقائی فی عالم المعاندین.

فالأظهر أن قوله تعالی ما کَذَبَ الْفُؤادُ ما رَأی النجم/ ۱۱، "تدور حول معنیین:

أحدهما: أن هذا رد لتکذیب من المشرکین فیما بلغهم من الخبر عن رؤیة النبی صلی اللّه علیه و سلم الملک جبریل علیه السلام، و هو الـذی یـؤذن به قـوله- بعـد- أ فَتُمـارُونَهُ عَلی مـا یَری و ال فی قـوله الْفُـؤادُ عـوض عن المضـاف إلیه، أی فـؤاده، و علیه فیکون تفریع الاستفهام فی قوله أ فَتُمارُونَهُ عَلی ما یَری استفهاما إنکاریا لأنهم ما رووه. (۱) التحریر و التنویر ۲۶/ ۹۹، مرجع سابق.

(۲) قرأ (تمارونه) بإثبات الألف أبو عمرو و ابن کثیر و نافع و ابن عامر و أبو جعفر و عاصم من العشـرة، و البقیـة بحـذف الألف. انظر: طیبة النشر فی القراءات العشر، مرجع سابق، عند قول الناظم فی سورة النجم: (تمروا تماروا حبر عم نصنا).

تلقی النبی ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۵۱

و الآخر: أن یکون ما کَذَبَ الْفُؤادُ ما رَأی تأکیدا لمضـمون قوله فَکانَ قابَ قَوْسَیْنِ أَوْ أَدْنی لرفع احتمال المجاز فی تشبیه العرب، أی هو قرب حسـی، و لیس مجرد اتصال روحانی، فیکون الاسـتفهام فی قوله أ فَتُمارُونَهُ مسـتعملا فی الفرض، و التقدیر: أ فستکذبونه فیما یری بعینیه، کما کذبتموه فیما بلغکم عن اللّه سبحانه و تعالی «۱».

و المعنی: رآه بعینه، و عرفه بقلبه، و لم یشـک فی أن مـا رآه حق «۲»، و یمکن للباحث أن یقول: إن قراءة التشدیـد کَذَّبَ تفید یقینه مما رآه، و قراءة التخفیف کَذَبَ تفید صدقه فیما نقل «۳» ... و فی ذلک تنویه بمدی الدقة، و طمأنینة بحقیقة الواقع المحکی ...

و تعدیـة الفعل بحرف الاسـتعلاء لتضـمنه معنی الغلبـة أی: هبکم غالبتموه علی عبادتکم الآلهة، و علی الإعراض عن سـماع القرآن، و نحو ذلک، أ تغلبونه علی ما رأی ببصره «۴»، فهذا المقطع یؤکد تلقی الرسول صلی اللّه علیه و سلم عن جبریل علیه السلام تلقی رؤیة، و تمکن و دقـة، لا رؤیـة قلب، و عین فحسب، و خص الفؤاد؛ لأن رؤیـة الفؤاد لا یتأتی معها تخیل، بخلاف رؤیـة (۱) انظر: التحریر و التنویر ۲۶/ ۹۹، مرجع سابق.

(۲) انظر: البحر المحیط ۸/ ۱۵۸، مرجع سابق، و قد قیل: إن المرئی هو اللّه عزّ و جل، و یکفیه ضـعفا حدیث عائشة- رضـی اللّه تعالی عنها- المتقدم لفظه فی المبحث الأول من الفصل الثالث ص ۷۷ و ما قبلها-، و الحدیث فی صحیح مسلم ۱/ ۱۵۹، مرجع سابق.

لا جرم أن نقدم خبر عائشة علی تأویل ابن عباس؛ فترجیحه ظاهر من حیث أنها سألت رسول اللّه صـلی اللّه علیه و سـلم، أما ابن عباس فظاهر کلامه أنه مجرد استنتاج، فتطرق الاحتمال إلی روایات غیرها لا إلی حدیثها کما هو ظاهر، و انظر:

البحر ۸/ ۱۵۸، مرجع سابق، تفسیر ابن کثیر ۴/ ۲۱۰، مرجع سابق، و انظر: المبحث الأول فی الفصل الثالث.

(۳) قرأ بالتثقیل هشام عن ابن عامر، و أبو جعفر من العشرة، و بقیة العشرة بالتخفیف ... انظر: (ابن الجزری) محمد بن محمد بن علی ت ۸۳۳ ه: طیبة النشر فی القراءات العشر ص ۹۷، مرجع سابق، عند قول الناظم: (کذب الثقیل لی ثنا)

(۴) انظر: حاشـیة الصاوی ۴/ ۱۷۵، مرجع سـابق، التحریر و التنویر ۲۶/ ۹۹، مرجع سـابق، و قیـل: إن المراد أمر الإسـراء و المعراج، و السیاق و سبب السورة یبعدان ذلک، و تقدم نوع إشارة لذلک، انظر: المبحث الأول من الفصل الثالث ص ۷۲.

تلقی النبی ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۵۲

العین التی قد تخدع خداع نظر «۱»، و قد تقدم مرارا «۲» أن رؤیة النبی صلی اللّه علیه و سلم لجبریل علیه السلام و سماعه له حال إلقاء الوحی یکون متصلا بمرکز السمع و البصر فی الفؤاد مباشرة.

۵- برؤیة النبی صلی اللّه علیه و سلم لجبریل علیه السلام فی صورته التی خلقه اللّه عزّ و جل علیها عیانا

اشارة

كما قال سبحانه و تعالى:

وَ لَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ "التكوير/ ۲۳، "و قال: وَ لَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرى النجم/ ۱۳: "أى إن كنتم تجحدون رؤيته صلى اللّه عليه و سلم لجبريل عليه السلام فى الأرض، فلقد رآه رؤية أعظم من حين يأتى إليه للوحى إذ رآه فى العالم العلوى ... و أكد ذلك بالقسم، فضمير الرفع فى رآه عائد إلى صاحبكم، و ضمير النصب عائد إلى جبريل عليه السلام، و أكد ذلك بقوله ما زاغَ الْبَصَرُ وَ ما طَغى النجم/ ۱۷، "أى: رأى جبريل عليه السلام رؤية لا خطأ فيها، و لا زيادة على وصف، أى لا مبالغة فيها «۳».

و من حكم رؤية النبى صلى اللّه عليه و سلم لجبريل عليه السلام فى هيئته التى خلق عليها: أن يطمئنّ فى ذاته إلى ملائكية جبريل عليه السلام فرآه على هيئة الحقيقية مرتين، و أكد ذلك بالقسم؛ إذ اللام فى قوله وَ لَقَدْ موطّئة للقسم، أى: و باللّه لقد رآه «۴».

فالمرة الأولى: بالأفق المبين

قيل: بعد أمر غار حراء، حين رآه على كرسى بين السماء و الأرض له ستمائة جناح «۵»، و الأفق: الفضاء الذى يبدو للعين من الكرة الهوائية بين طرفى مطلع الشمس و مغربها من حيث يلوح ضوء الفجر و يبدو شفق الغروب، و هو يلوح كأنه قبة زرقاء، و المعنى: رآه بين السماء و الأرض، و قيل فى معنى الأفق غير ذلك «۶» ... و أيا كان فوصفه ب الْمُبِينِ أى الأفق الواضح البين، و المقصود: نعت الأفق الذى (۱) انظر: ظلال القرآن ۶/ ۳۴۰۵، مرجع سابق.

(۲) انظر- مثلا-: المبحث الأول من الفصل الثالث ص ۷۷.

(۳) انظر: التحرير و التنوير ۲۶/ ۱۰۰، مرجع سابق.

(۴) روح المعانى ۳/ ۱۰۶، مرجع سابق.

(۵) انظر: البخارى ۱/ ۳، مرجع سابق.

(۶) انظر: التحرير و التنوير ۲۶/ ۱۰۰، مرجع سابق، و الغير المذكور ليس المراد منه المغايرة الكلية (التباين) بل من حيث الخصوص، أى اختلف فى تحديد مكان جهة الأفق.

تراءى فيه جبريل عليه السلام للنبى صلى اللّه عليه و سلم بأنه أفق واضح بين لا تشتبه فيه المرئيات، و لا يتخيل فيه الخيال، و جعلت تلك الصفة علامة على أن المرئى ملك، و ليس بخيال؛ لأن الأخيلة التى يتخيلها المجانين إنما يتخيلونها على الأرض تابعة لهم على ما تعودوه من وقت الصحة «۱»، و قد وصف النبى صلى اللّه عليه و سلم الملك الذى رآه عند نزول سورة المدثر بأنه على كرسى بين السماء و الأرض «۲»، و لهذا تكرر ذكر ظهور الملك بالأفق فى سورة النجم فى قوله سبحانه و تعالى عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوى (۵) ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوى (۶) وَ هُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلى إلى أن قال- أَ فَتُمارُونَهُ عَلى ما يَرى وَ لَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرى ... الْمَأْوى النجم/ ۵- ۱۸."

و المرة الأخرى عند سدرة المنتهى «۳»

، و تكرار الرؤية للتأكيد؛ لئلا يكون للوهم سبيل إلى نفسه و سائر من بلغ من الخلق أجمعين، و قد كانت الأخرى فى مكان لا يشكّ فيه، و لا يزيغ البصر عنده، و لا يطغى.

۶- عصمته صلى اللّه عليه و سلم

من التقول علی اللّه سبحانه و تعالی عمدا، أو خطأ، أو سهوا، و کل ذلک محال فی حقه صلی اللّه علیه و سلم، و قد اجتمعت الأمهٔ علی عصمته فیما طریقه البلاغ من الأقوال، و أنه معصوم عن الإخبار عن شیء منها بخلاف ما هو به لا قصدا، و لا عمدا، و لا سهوا، و لا غلطا «۴»، و لذا قال الحلبی- رحمه اللّه تعالی- فی سیرته ":علم و تقرر فی النفوس من عصمهٔ الأنبیاء من الشیطان، و اختص نبینا صلی اللّه علیه و سلم من بین سائر الأنبیاء- علیهم الصلاهٔ و السلام- بالختم «۵» فی المحل المذکور مبالغهٔ فی حفظه من الشیطان، و قطع أطماعه «"۶». (۱) التحریر و التنویر ۳۰/ ۱۵۹، مرجع سابق.

(۲) انظر: البخاری ۱/ ۳، مرجع سابق.

(۳) راجع: البحر المحیط ۸/ ۴۳۵، مرجع سابق.

(۴) الشفا تعریف حقوق المصطفی ینظر ۲/ ۲۰ و ما بعدها، مرجع سابق.

(۵) یعنی الخاتم الذی کان بین کتفیه صلی اللّه علیه و سلم المعروف بخاتم النبوهٔ.

(۶) (الحلبی) علی بن برهان الدین ت ۱۰۴۴ ه: السیرهٔ الحلبیهٔ فی سیرهٔ الأمین المأمون ۱/ ۱۶۱، دار المعرفهٔ- بیروت ۱۴۰۰ ه، و قد ألف فی عصمهٔ الأنبیاء: الإمام شمس الأئمهٔ الکردری الحنفی المتوفی سنهٔ ۶۴۲ ه، ببخاری

تلقی النبی ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۵۴

و لا یعنی ذلک نفی سهوه، أو نسیانه مطلقا، بل یحدث ذلک منه لمکان الاقتداء بما یترتب علی سهوه، أو نسیانه، لکنّ المنفی بقاء ذلک بما لا تحکم معه کلمات اللّه سبحانه و تعالی، و ذا شبیه بما کان یصدر منه صلی اللّه علیه و سلم من السهو فی الصلاهٔ، فکذلک سهوه فی قراءهٔ القرآن بعد الإبلاغ، و مکان التفصیل فی ذلک بعد قلیل- إن شاء اللّه تعالی- «۱».

۷- تدخل القدرهٔ الإلهیهٔ

مباشرهٔ عند حصول تقول من النبی صلی اللّه علیه و سلم سهوا، أو عمدا مع عدم من یستطیع إثبات ذلک التقول، و هذا تنزلا و إلا فهو غیر واقع، و لا- متوقع، و دلیله قوله سبحانه و تعالی أَمْ یَقُولُونَ افْتَری عَلَی اللَّهِ کَذِباً فَإِنْ یَشَإِ اللَّهُ یَخْتِمْ عَلی قَلْبِکَ وَ یَمْحُ اللَّهُ الْباطِلَ وَ یُحِقُّ الْحَقَّ بِکَلِماتِهِ " ...الشوری/ ۲۴. "و قد شمل قوله عزّ و جل وَ لَوْ تَقَوَّلَ عَلَیْنا بَعْضَ الْأَقاوِیلِ (۴۴) لَأَخَذْنا مِنْهُ بِالْیَمِینِ (۴۵) ثُمَّ لَقَطَعْنا مِنْهُ الْوَتِینَ (۴۶) فَما مِنْکُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حاجِزِینَ "الحاقهٔ/ ۴۴- ۴۷، "حالهٔ التقول عمدا، أو سهوا، و هو ما عبر عنه الشیخ إبراهیم الکورانی- رحمه اللّه تعالی- بقوله ":السلطان المنفی عن العباد المخلصین، هو الإغواء أعنی التلبیس المخل بأمر الدین، و هو الذی الإجماع علی أن النبی صلی اللّه علیه و سلم معصوم منه."

۸- استحالهٔ تغییر هیئهٔ من هیئات أدائه صلی اللّه علیه و سلم

فضلا عن حرف من حروفه؛ لقوله سبحانه و تعالی وَ إِذا تُتْلی عَلَیْهِمْ آیاتُنا بَیِّناتٍ قالَ الَّذِینَ لا یَرْجُونَ لِقاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَیْرِ هذا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ ما یَکُونُ لِی أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقاءِ نَفْسِی "یونس/ ۱۵، "و للأمر الإلهی المقترن بالوعد فی قوله سبحانه و تعالی إِنَّ عَلَیْنا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ "القیامهٔ/ ۱۷، "کما تقدم «۲». کتاب ":تأسیس القواعد، "قال حاجی خلیفهٔ ":و هو کتاب عصمهٔ الأنبیاء "انظر: کشف الظنون لحاجی خلیفهٔ ۱/ ۳۳۳، مرجع سابق، و فی ۲/ ۱۱۴۱ ":عصمهٔ الأنبیاء "لفخر الدین الرازی، و "عصمهٔ الأنبیاء و تحفهٔ الاصفیاء "للشیخ أحمد بن الشیخ مصلح الدین الشهیر بالمرکز و ابن السیف الکرمیانی مبوبهٔ علی أبواب ثلاثهٔ، و مفصلهٔ علی ستین فصلا، کل باب یحتوی عشرهٔ فصول.

(۱) انظر: المبحث الثانی من هذا الفصل ص ۲۷۵.

(۲) انظر: المبحث السادس من الفصل الثالث ص ۱۱۳.

تلقی النبی ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۵۵

۹- بحراسة الرسول صلى اللّه عليه و سلم من أن يأتيه عدو غيبى يناله بسوء فى نفسه أو وحيه:

هذه الحراسة تثبّت قلب النبى صلى اللّه عليه و سلم، و تزيد المؤمنين إيمانا، و تدحر تخرصات المشركين، و ذلك كما قال سبحانه و تعالى: عالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلى غَيْبِهِ أَحَداً (۲۶) إِلَّا مَنِ ارْتَضى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ مِنْ خَلْفِهِ رَصَداً (۲۷) لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسالاتِ رَبِّهِمْ وَ أَحاطَ بِما لَدَيْهِمْ وَ أَحْصى كُلَّ شَيْءٍ عَدَداً "الجن/ ۲۶- ۲۸."

فقوله سبحانه و تعالى: فَإِنَّهُ عائد إلى اللّه عزّ و جل، يَسْلُكُ و هو لا محالة عائد إلى اللّه عزّ و جل، كما عاد إليه ضمير فَإِنَّهُ، و الثالث و الرابع ضميرا مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ مِنْ خَلْفِهِ و هما عائدان إلى رَسُولٍ، أى فإن اللّه يسلك، أى يرسل للرسول رَصَداً من بين يدى الرسول و من خلفه، أى ملائكة يحفظون الرسول صلى اللّه عليه و سلم من إلقاء الشياطين إليه ما يخلط عليه ما أطلعه اللّه عزّ و جل عليه من غيوبه، و المراد ب مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ مِنْ خَلْفِهِ الكناية عن جميع الجهات، و المراد من تلك الكناية السلامة من التغيير و التحريف.

و الرصد: اسم جمع، و نصب على أنه مفعول به للفعل يَسْلُكُ، و يتعلق لِيَعْلَمَ بقوله يَسْلُكُ أى يفعل اللّه سبحانه و تعالى ذلك ليبلغ الغيب إلى الرسول، كما أرسل إليه لا يخالطه شيء مما يلبس عليه الوحى، و يعلم اللّه سبحانه و تعالى أن الرسل أبلغوا ما أوحى إليهم، كما بعثه دون تغيير.

و فهم من قوله أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسالاتِ رَبِّهِمْ أن الغيب المتحدث عنه هو الغيب المتعلق بالشريعة و أصولها من البعث و الجزاء، و رأس ذلك الوحى القرآنى، و قوله عزّ و جل وَ أَحاطَ بِما لَدَيْهِمْ وَ أَحْصى كُلَّ شَيْءٍ عَدَداً الواو واو الحال فالجملة حالية، أو أن الجملة اعتراضية، لأن مضمونها تذييل لجملة أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسالاتِ رَبِّهِمْ أى أحاط بجميع ما لدى الرسل من تبليغ و غيره، و أحاط بكل شيء مما عدا ذلك، فقوله عزّ و جل وَ أَحاطَ بِما لَدَيْهِمْ تعميم بعد تخصيص ما قبله بعلمه، و تبليغهم ما أرسل إليهم، و قوله

تلقی النبی ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۵۶

وَ أَحْصى كُلَّ شَيْءٍ عَدَداً تعميم أشمل بعد تعميم. و عبّر عن العلم بالإحصاء على طريقة الاستعارة تنبيها بعلم الأشياء بمعرفة الأعداد، و ذلك دال على دقة و شمول العلم الإلهى «۱».

و هذا الحفظ يشمل الرسول الملكى، و الرسول البشرى لعموم مِنْ رَسُولٍ، و الضمير فى لِيَعْلَمَ صالح لمعنى آخر: هو العودة على الرسل، أى ليعلم الرسل، و المراد هنا زيادة اطمئنانهم بأن ما أمروا بتبليغه هو ذاته ما بلّغوه لم يستطع أحد أن يزيد فيه أو ينقص للحراسة الغيبية من العالم الغيبى المعادى، كما يصلح الضمير لمعنى ثالث هو العودة على المشركين، و التقدير: ليعلم أهل الشرك أن الرسل قد أبلغوا رسالات ربهم ... «۲».

۱۰- (و هو كلية لما قبله) بتفصيل صفات الرسول

الذى يحمله، و الرسول الذى يبلّغه و التأكيد عليها: إذ يلزم عنها لذاتها نفى تسرب الخلل و هما، أو تخيلا نقصا أو زيادة، و قد تقدمت مؤهلات المعلم التى يلزم عنها لذاتها نفى كل ريب، و دحر كل وسواس «۳»، كما تقدمت التهيئة الخاصة بالرسول صلى اللّه عليه و سلم «۴».

۱۱- (و هو كلية لما قبله أيضا) إكمال الدين

فقد قال عزّ و جل الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكَمْ دِينَكَمْ "المائدة/ ٣، "و هو كاف فى منع الزيادة أو النقصان فى اللفظ، و من ثم فلا مجال لزيادة آيۀ أو نقصانها فى القرآن إلا ما جاء من قائل هذه الآيۀ، أى من اللّه سبحانه و تعالى مما نزل بعد تلك الآيۀ، و التعبير بالإكمال للدين دون لإتمام فيه مزيد مزيۀ لأنه يعنى الإكمال المطلق، أما التمام فهو التمام الإضافى النسبى. (١) انظر: التحرير و التنوير ٢٩/ ١۵۴، مرجع سابق.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير ۴/ ٣۶٧، مرجع سابق.

(٣) انظر: الفصل الأول من هذه الدراسۀ ص ١۴.

(۴) انظر: المبحث الأول من الفصل الثانى من هذه الدراسۀ ص ۵٠.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ٢۵٧

١٢- إجمال لنفى جميع العوامل:

بأن يقال: الخلل المقدوح به فى تلقى اللفظ القرآنى:

إما أن يكون تخيلا دائما، أو طارئا، فالأول و هو التخيل الدائم باطل برؤيۀ المشركين و شهادتهم؛ إذ لم ير المشركون له ندا فى عقله أ فيتهمونه بعد إذ بلغ أشده، و بلغ أربعين سنۀ؟ «١».

و الثانى و هو التخيل الطارئ: إما أن يكون غير متعمد، و إما إن يكون متعمدا، فالأول و هو الطارئ غير المتعمد فليس إلا الجنون، أو الضلال فى التفكير، فأما الجنون فهو ما قالوه مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ "الدخان/ ١۴، "نفاه اللّه سبحانه و تعالى عنه فى سورۀ التكوير، و يأتى ذكره بأكثر من هذا بعد قليل «٢»، و أما الضلال فى التفكير فنفاه عنه فى سورۀ النجم؛ إذ قال:

ما ضَلَّ صاحِبُكُمْ، و بينهما تقارب؛ لأن المجنون لا يهتدى إلى وسائل الصواب، و هو معنى ضَلَّ، و الثانى و هو الطارئ المتعمد: فإما أن يكون الشعر؛ كما قالوا أَمْ يَقُولُونَ شاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ "الطور/ ٣٠، "و إما أن يكون السحر؛ كما قالوا إِنْ هذا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ "المدثر/ ٢۴، "و إما أن يكون الكذب؛ كما قالوا إِنْ هذا إِلَّا اخْتِلاقٌ "ص/ ٧، "و كلها زعمه المشركون المبطلون فى رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم فنفاها اللّه سبحانه و تعالى صراحۀ على وجه الخصوص فى غير ما موضع كما قال عزّ و جل إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (۴٠) وَ ما هُوَ بِقَوْلِ شاعِرٍ قَلِيلًا ما تُؤْمِنُونَ (۴١) وَ لا بِقَوْلِ كاهِنٍ قَلِيلًا ما تَذَكَّرُونَ "الحاقۀ/ ۴٠- ۴٢، "و على (١) و فى ذلك قال النضر بن الحارث- و هو من ألد المشركين عداوۀ للنبى صلى اللّه عليه و سلم "-:يا معشر قريش! قد نزل بكم أمر ما أتيتم له بحيلۀ بعد، قد كان محمد فيكم غلاما حدثا: أرضاكم فيكم، و أصدقكم حديثا، و أعظمكم أمانۀ ... حتى إذا رأيتم فى صدغيه الشيب، و جاءكم بما جاءكم به قلتم ساحر! لا و اللّه ما هو بساحر، و قلتم كاهن! لا و اللّه ما هو بكاهن! و قلتم شاعر! لا و اللّه ما هو بكاهن، و قلتم مجنون! لا و اللّه ما بمجنون ... يا معشر قريش! فانظروا فى شأنكم، فإنه قد نزل بكم أمر عظيم. "انظر: أنساب الأشراف للبلاذرى ١/ ١٣٩.

(٢) انظر ص ٢۶٠ من هذه الدراسۀ.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ٢۵٨

وجه العموم بإرجاعها إلى أصلها؛ إذ السحر و الكذب ضلال و غوايۀ فنفاه فى سورۀ النجم، و الشعر المتعارف بينهم غوايۀ كما قال عزّ و جل وَ الشُّعَراءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغاوُونَ "الشعراء/ ٢٢۴ "أى يحبذون أقوالهم لأنها غوايۀ «١» ... فقد نفى عموما و خصوصا، و شرد بهم آراءهم، و قذف الشياطين فى عقولهم.

ثم دحض أساس المتعمد بأنواعه بالتزكيۀ له و لما ينطق به، فقال: وَ ما يَنْطِقُ عَنِ الْهَوى النجم/ ٣؛ "فإن المراد استمرار نفى النطق لا نفى استمرار النطق «٢»، و هنا نأخذ صراحۀ التوقيف فى القراءۀ؛ فقد قال قتادۀ- رحمه اللّه تعالى- فى معناها ":أى ما ينطق بالقراءۀ عن

هواه «"۳».

و الهوی میل النفس إلی ما تحبه أو تحب أن تفعله دون أن تقتضیه العقل السلیم ...

و نفی النطق عن هوی یقتضی نفی جنس ما ینطق به عن الاتصاف بالصدور عن هوی سواء کان القرآن أو غیره، و لکن القرآن هو المقصود لأنه سبب هذا الرد علیهم «۴».

المطلب الثانی: دفع تهمة التخیل فی تلقی ألفاظ القرآن من حیث تفصیل العوامل المتهمة بإحداث التخیل: و هی أربعة عوامل:

أولا: دفع تهمة التخیل بسبب الضلالیة التفکیریة:

اشارة

إذ ربما قال قائل: إن اعتکافه و تحنثه صلی اللّه علیه و سلم، ثم اعتزاله لعوائد قریش قد أوصله إلی خطوط ضالة فی التفکیر، و إن قصد الخیر ورام الحسن، فیبدأ بکلام حسن لینتهی بعده إلی (۱) انظر: التحریر و التنویر ۲۶/ ۹۳، مرجع سابق.

(۲) انظر: تفسیر أبی السعود ۵/ ۲۱۸، مرجع سابق.

(۳) انظر: الشوکانی ۵/ ۱۳۰، مرجع سابق.

(۴) التحریر و التنویر ۲۶/ ۹۳، مرجع سابق.

تلقی النبی ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۵۹

ما لا یرتضی، أو ربما سولت له عزلته طرقا غویا یحسّن ابتداءه بما یقول من بدیع الکلم، ثم یستبین عوج سیره بعوج قصده ... لذا کان القسم فی سورة النجم کالاستئناف البیانی بعد أن ذکر فی سورة الطور اتهامهم إیاه بما تصوره کاف فی إبطاله، فکأن بعض القلوب قد مالت إلی النبی صلی اللّه علیه و سلم ثم اعتراها التفکیر المسطّر قبل قلیل، فکان الجواب علی وسوستها:

۱- ما ضَلَّ صاحِبُکُمْ وَ ما غَوی

فالضلالة عدم الاهتداء إلی الطریق الموصل إلی المقصود، و هو مجاز فی سلوک ما ینافی الحق، و الغوایة: فساد الرأی و تعلقه بالباطل «۱»، و فی تفسیر الجلالین ":الغوی جهل عن اعتقاد فاسد «"۲».

۲- ببیان طبیعة الوحی:

کما فی سورة التکویر و سورة النجم، ففی سورة التکویر بیّن طبیعة الوحی ببیان غایته، فقال: إِنْ هُوَ إِلَّا ذِکْرٌ لِلْعالَمِینَ "التکویر/ ۲۷، "و فی سورة النجم بین طبیعته من حیث أن الذکر الحق مطلقا الذی لا شائبة ضلال فیه، و لا غوایة تعتریه لا یکون إلا عن وحی إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْیٌ یُوحی النجم/ ۴، "و هو استئناف بیانی لجملة وَ ما یَنْطِقُ عَنِ الْهَوی النجم/ ۳؛ "کأنه قیل بعد نفی الضلال، و الغوایة، و نفی النطق عن الهوی: فما هو الإثبات؟ ما ذا هو کائن إن لم یکن مفتری، أو سحرا، أو اختلاقا، أو أساطیر الأولین ...؟ فقال: إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْیٌ یُوحی فالضمیر فی هُوَ عائد إلی المنطوق به المأخوذ من فعل ینطق کما فی قوله عزّ و جل اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوی أی العدل المأخوذ من فعل اعْدِلُوا «۳»، و وضح الشوکانی- رحمه اللّه تعالی- ذلک بقوله:

"يُوحى صفة ل- وَحْيٌ تفيد الاستمرار التجددى، و تفيد نفى المجاز، أى هو وحى حقيقة لا مجرد التسمية «"۴». (۱) انظر: التحرير و التنوير ۲۶/ ۹۲، مرجع سابق.

(۲) تفسير الجلالين، و بهامشه حاشية الصاوى ۴/ ۱۷۵، مرجع سابق، و قال الشنقيطى ۷/ ۷۰۱ ":الضلال يقع من الجهل بالحق، و الغى هو العدول عن الحق مع معرفته، أى ما جهل من الحق، و ما عدل عنه، بل هو عالم متبع له."

(۳) كما فى التحرير و التنوير ۲۶/ ۹۴، مرجع سابق.

(۴) انظر: الشوكانى ۵/ ۱۳۰، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۶۰

و قد حدث نوع تكرار هاهنا لما سبق فى رقم (۳) من المطلب الأول، فإنما ارتكب ذلك للأهمية ... على أن المكرر هو فحوى الفكرة، لا تفصيلها.

ثانيا: دفع تهمة التخيل بتأثير الجنون:

شهادة الخصم للرسول صلى اللّه عليه و سلم كافية لدحض هذه التهمة: حيث قال عزّ و جل نافيا لهذه التهمة وَ ما صاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ" التكوير/ ۲۲: "ففى التعرض لعنوان الصحبة مضافة إلى ضميرهم تكذيب لهم بألطف وجه؛ إذ هو إيماء إلى أنه صلى اللّه عليه و سلم نشأ بين أظهرهم من ابتداء أمره إلى الآن، فأنتم أعرف به، و بأنه صلى اللّه عليه و سلم أتم الخلق عقلا، و أرجحهم قيلا، و أكملهم وصفا، و أصفاهم ذهنا، فلا يسند إليه الجنون إلا من ركّب من الحمق و الجنون، و بهذا أبطل قولهم إبطالا مؤكدا و مؤيدا، فتأكيده بالقسم و زيادة الباء بعد النفى، و تأييده بما أومأ اللّه سبحانه و تعالى إليه، و وصفه بأنّ الذى بلّغه صاحبهم صلى اللّه عليه و سلم، و الصاحب حقيقته ذو الصحبة، و هى الملازمة فى أحوال التجمع و الانفراد للمؤانسة، و الموافقة، و منه قيل للزوج: صاحبة، و للمسافر مع غيره: صاحب ... و قد يتوسعون فى إطلاقه على المخالط فى أحوال كثيرة، و لو فى الشر «۱»، و لما سبق عدل عن اسم العلم إلى وصفه صلى اللّه عليه و سلم ب صاحِبُكُمْ، و قد تقرر هذا أيضا فى مقام إثبات طبيعة القرآن المجيد، و أنه منزل من عند اللّه عزّ و جل فى سورة النجم، حيث قال تعالى عنه ما ضَلَّ صاحِبُكُمْ وَ ما غَوى النجم/ ۲."

ثم نفى أن تكون وسوسة ذاتية لأن الخلل إما من الرسول الذى حمله، أو الذى تلقاه، أو من أمر خارجى قذفه غيرهما بينهما، و هو الشيطان لا- غير، أو من تخيلات ذاتية طرأت على التلقى من البشر، فنفى كل ذلك، و فى قوله وَ ما صاحِبُكُمْ ... و المعنى: ليس (۱) انظر: روح المعانى ۳۰/ ۱۰۵، و نحوه عند أبى السعود ۵/ ۴۸۹، و الشوكانى ۵/ ۴۸۱، و التحرير و التنوير ۳۰/ ۱۵۷، مراجع سابقة.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۶۱

القرآن من وساوس المجانين، فسلامة مبلّغه من الجنون تقتضى سلامة قوله عن أن يكون وسوسة «۱».

و دفعت هذه التهمة ببيان طبيعة الوحى؛ كما قال سبحانه و تعالى عنهم مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ "الدخان/ ۱۴، "فأجاب عزّ و جل فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كانُوا صادِقِينَ "الطور/ ۳۴، "فالمجانين يمكن تقليد كلامهم حتى على الصبيان.

ثالثا: دفع تهمة التخيل بتأثير الجن:

و أصل هذه الشبهة فى عقول أصحابها: عائد إلى أمرين:

۱- أن الجن عالم غيبى كالملائكة

فیحتمل عندهم أن یکون ملک الوحی من الجن لا من الملائکة لاستواء الاحتمالین؛ إذ هما غیب بالنسبة للبشر، و لذا أورد ابن الأثیر- رحمه اللّه تعالی- روایة لحدیث بدء الوحی، قالت فیها خدیجة- رضی اللّه عنها: (أخاف أن یکون عرض له: أی عرض له الجنّ، أو أصابه منهم مسّ) «۲».

۲- تشبیه حالة الوحی الشدیدة بحالة الکهان

قال ابن خلدون- رحمه اللّه تعالی-:

"و لأجل هذه الغایة فی تنزّل الوحی کان المشرکون یرمون الأنبیاء بالجنون، و یقولون له رئی أو تابع من الجن، و إنما لبس علیهم بما شاهدوه من ظاهر تلک الأحوال، و من یضلل فما له من هاد «"۳»، و لذا فبعد وصف القرآن الکریم للرسول الملقی، و الرسول الملقی علیه القرآن بصفاتهما اللائقة التی تزیل وطأة الشبهة المستحکمة لکل ذی عقل- نفی طروء تدخل خارجی یضیّع علی الملک علیه السلام تأدیة أمانته، و علی الرسول صلی اللّه علیه و سلم تبلیغ وحی ربه، و لا یکون ذلک فی الإنس لأنهم أضعف من أن یحصل منهم التدخل؛ إذ حوکموا إلی قوانینهم (۱) انظر: التحریر و التنویر ۳۰/ ۱۵۷، مرجع سابق.

(۲) النهایة فی غریب الحدیث ۳/ ۲۱۱، و لم یعثر الباحث علی مخرج الحدیث بهذا اللفظ بعد لأی.

(۳) مقدمة ابن خلدون ص ۹۲، مرجع سابق.

تلقی النبی ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۶۲

و مواضعاتهم فعجزوا، و ذاک إذعان للقرآن الکریم «۱»، فالتدخل الخارجی لا یکون إلا من الجن.

و دفع هذا العامل یکون بما سبق، بالإضافة إلی الآتی:

۱- التأکید علی صدق الرؤیة و الاتصال الحسی بین النبی صلی اللّه علیه و سلم و معلمه الملائکی جبریل علیه السلام:

و قد تمثل هذا التأکید فی عدة مظاهر تثبیتا لقلب النبی صلی اللّه علیه و سلم، و درءا لتکذیب المکذبین، و وسوسة المتخرصین، و هذه المظاهر تجمل فی الآتی:

أ- بیان مکانة جبریل علیه السلام عند اللّه سبحانه و تعالی، و استعداده الفطری و الفعلی لأداء رسالة الوحی، و قد مضی تفصیل ذلک «۲».

ب- النفی المؤکد المتکرر لأن یکون الوحی القرآنی کلام شیطان، ذلک بأن تدخل العالم الغیبی المقابل للملائکة- و هو الشیاطین- آت من کونهم عالما غیبیا، و لأنهم کذلک فطریق علمهم مصدر العلم الغیبی لا ریب- و هو النقل- حیث قال سبحانه و تعالی: وَ ما هُوَ بِقَوْلِ شَیْطانٍ رَجِیمٍ "التکویر/ ۲۵، "و قال فی الشعراء: وَ ما تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّیاطِینُ (۲۱۰) وَ ما یَنْبَغِی لَهُمْ وَ ما یَسْتَطِیعُونَ "الشعراء/ ۲۱۰- ۲۱۱."

و کما فی قوله عزّ و جل: وَ ما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِکَ مِنْ رَسُولٍ وَ لا نَبِیٍّ إِلَّا إِذا تَمَنَّی أَلْقَی الشَّیْطانُ فِی أُمْنِیَّتِهِ "...الحج/ ۵۲- ۵۴، "و لتؤخذ هذه الآیات فی سورة الحج نموذجا لبیان عناصر هذا النفی، المزیل للشبهة المثبت لفؤاد المبلغ، و من ثمّ لفؤاد أتباعه و طالبی الحق من بعده، و ذلک بعد إکمال بقیة بنود الدفع لهذه الشبهة حتی لا تنفصم عری الأفکار المتسلسلة.

۲- بقوله تعالی: وَ ما تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّیاطِینُ (۲۱۰) وَ ما یَنْبَغِی لَهُمْ وَ ما یَسْتَطِیعُونَ (۲۱۱) إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ "الشعراء/ ۲۱۰- ۲۱۱:"

و فیها منعهم منعا (۱) و لما نسبوا شبهتهم إلی وضع البشر، أتوا بما أضحک علیهم الصبیان وَ لَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ یَقُولُونَ إِنَّما یُعَلِّمُهُ بَشَرٌ

لِسانُ الَّذِی یُلْحِدُونَ إِلَیْهِ أَعْجَمِیٌّ وَ هذا لِسانٌ عَرَبِیٌّ مُبِینٌ "النحل/ ۱۰۳."

(۲) انظر: الفصل الأول ص ۱۴، فهو معقود لذلک.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۶۳

جازما من قربان الإلقاء فی القرآن، و نحو قوله عزّ و جل: وَ ما هُوَ بِقَوْلِ شَیْطانٍ رَجِیمٍ "التکویر/ ۲۵ "أی: إنما هو ملک لا مثل الذی یتراءی للکهان «۱».

۳- قوله صلی اللّه علیه و سلم: (من رآنی فی المنام فقد رآنی فإن الشیطان لا یتمثل فی صورتی) «۲»

و لیس منع الشیطان أن یأتی بصورة النبی صلی اللّه علیه و سلم إلا لمکان خصوصیة کونه مصدر نقل الوحی من بین البشر، فمصدر نقل الوحی السماوی أولی بالمنع، و لذا قال الآلوسی- رحمه اللّه تعالی-:

"و إذا لم یتمثل مناما؛ فلأن لا یتمثل یقظة من باب أولی، و علله الشراح بلزوم اشتباه الحق بالباطل «"۳».

۴- ما قاله القاضی عیاض- رحمه اللّه تعالی-:

لا یصح أن یتصور الشیطان بصورة الملک و یلبس علیه، و اعلم أن الأمة مجتمعة علی عصمة النبی صلی اللّه علیه و سلم من الشیطان و کفایته منه «" ...۴»، و قیده الشیخ إبراهیم الکورانی- رحمه اللّه تعالی-: بأن لا یلبس علیه تلبیسا قادحا «۵»، و لم یقع استقراء، و قال ابن العربی ":تصور الشیطان فی صورة الملک ملبسا علی النبی صلی اللّه علیه و سلم کتصوره فی صورة النبی ملبسا علی الخلق «"۶»، و قیده الکورانی بما قید به کلام القاضی عیاض، و لا یظهر لتقیید الکورانی وجه نظر؛ إذ من البدهی إن کان الشیطان لا یستطیع التصور بصورة النبی صلی اللّه علیه و سلم ألا یستطیع التصور بصورة من هو أعلی منه من حیث (۱) انظر: البحر المحیط ۸/ ۴۳۰، مرجع سابق.

(۲) صحیح البخاری ۱/ ۵۲، مرجع سابق.

(۳) روح المعانی ۱۷/ ۲۷۴، مرجع سابق، و هو بحث طویل الذیل محله أصول الفقه، و منه قرر العلماء أن الإلهام لیس مصدرا للأحکام عند غیر النبی صلی اللّه علیه و سلم، راجع نهایة السول ۴/ ۴۵۷، مرجع سابق، قسم الأدلة المختلف فیها، و کذلک: نثر الورود ۲/ ۲۲۵، مرجع سابق.

(۴) الشفا ۲/ ۱۱۷، مرجع سابق.

(۵) روح المعانی ۱۷/ ۲۶۵، مرجع سابق، و أراد أن غیر القادح مثله کالنسیان الطارئ کما سیأتی تقریره- إن شاء اللّه- فی المبحث الثانی من هذا الفصل ص ۲۷۵.

(۶) (ابن العربی) أبو بکر محمد بن عبد اللّه: أحکام القرآن ۳/ ۱۲۹۹، تحقیق: علی محمد البجاوی- دار الجیل- بیروت.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۶۴

مکان تلقی الوحی لا من حیث الأفضلیة «۱»، و لذا لا یتصور أن یأتی الشیطان بصورة ملک؛ إذ لا تعرف حقیقة صورة الملک، فضلا عن رب العزة جلّ جلاله «۲».

فإن اعترض بأنه: قد عرف النبی صلی اللّه علیه و سلم الهیئة الحقیقیة لجبریل علیه السلام، فلا یمتنع مجیء الشیطان بها، فالجواب: یمتنع مجیئه من باب القیاس الأولوی علی النبی صلی اللّه علیه و سلم کما سبق.

۵- و مما یدفع به توهم الإلقاء الشیطانی فی لفظ القرآن الکریم: فردانیة الملک الموکل بالوحی، و هو جبریل علیه السلام

اشارة

فليس ثم ملك آخر يأتى إلى النبى صلى اللّه عليه و سلم إلا عبره. و قد تقدم هذا «۳».

و من أعظم مقتضياته المنهجية:

أمن أن يأتى الشيطان متقمصا شخصية الملك، و يزعم أنه ملك ... فيصدق لعدم اطلاع النبى صلى اللّه عليه و سلم على كامل العالمين الغيبين الآخرين، و لذا فالصحيح الذى لا لبس فيه أنه لم يقترن به ملك آخر غير جبريل عليه السلام كما مضى «۴». (۱) فلا يرد على الكلام هنا بحث مسألة تفضيل الملائكة و البشر، و انظرها فى: شرح العقيدة الطحاوية ص ۳۰۱، مرجع سابق.

(۲) و يكثر فى أحاديث القصّاص المتأخرين عن القرون الفاضلة ذكر لرؤية اللّه جلّ جلاله ... و ليس القصّاص مصدرا من مصادر المعرفة فى هذا الباب، و انظر كلام الكورانى بإسهاب فى: روح المعانى ۱۷/ ۲۶۹، مرجع سابق.

(۳) راجع: المبحث الرابع من الفصل الأول ص ۴۰.

(۴) و تذكر بعض الأخبار أنه قد قرن به ملك آخر غير جبريل عليه السلام، ففى الطبقات الكبرى ۱۹۰/ ۱، مرجع سابق، عن عامر رضى اللّه عنه أن رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم أنزلت عليه النبوة، و هو ابن أربعين سنة، و كان معه إسرافيل ثلاث سنين، ثم عزل عنه إسرافيل، و قرن به جبريل عشر سنين بمكة، و عشر سنين مهاجره بالمدينة، فقبض رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم و هو ابن ثلاث و ستين سنة. قال محمد بن سعد- رحمه اللّه تعالى "-:فذكرت هذا الحديث لمحمد بن عمر- يعنى الواقدى-، فقال: ليس يعرف أهل العلم ببلدنا أن إسرافيل قرن بالنبى صلى اللّه عليه و سلم و إن علماءهم، و أهل السيرة منهم يقولون: لم يقرن به غير جبريل عليه السلام من حين أنزل عليه الوحى إلى أن قبض صلى اللّه عليه و سلم."

و يكفى فى الدلالة على بطلانها: قصة عبد اللّه بن سلام رضى اللّه عنه حين سأل اليهود رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم عن صاحبه من الملائكة، فأخبره أنه جبريل عليه السلام، و لو كان ثم متسع لذكر غيره لذكره لنفرة يهود من جبريل عليه السلام، و لا يعنى هذا أن تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۶۵

فإن اعترض بما أورده ابن الأثير- رحمه اللّه تعالى- فى النهاية؛ إذ قال ":و فيه- أى فى الحديث- (يأتينى أنحاء من الملائكة) أى ضروب منهم، واحدهم نحو يعنى أن الملائكة كانوا يزورونه سوى جبريل عليه السلام «"۱»، فهذا يدل على تعدد الملائكة الذين يأتون النبى صلى اللّه عليه و سلم.

فالجواب: هذا الحديث رواه ابن خزيمة من حديث أبى سعيد رضى اللّه عنه و فيه ... ":وقعنا فى تلك البقلة الثوم، فأكلنا أكلا شديدا- قال- و ناس جياع، ثم قمنا إلى المسجد، فوجد رسول اللّه الريح، فقال: (من أكل من هذه الشجرة الخبيثة فلا يقربنا فى مسجدنا) فقال الناس:

حرمت حرمت. فبلغ ذلك رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم فقال: (يا أيها الناس إنه ليس لى تحريم ما أحل اللّه، و لكنها شجرة أكره ريحها، و إنه يأتينى أنحاء من الملائكة فأكره أن يشموا ريحها) «۲»، فالشأن أولا فى صحته، و قد سكت عليه ابن حجر فى التلخيص الحبير مع أن أورده عرضا لا غرضا، و ثانيا: لا مراء فى أنه كان يأتيه غير جبريل عليه السلام لكن مدار النزاع فى أنه كان يأتيه من يأتيه من الملائكة دون واسطة جبريل عليه السلام فمن زعم ذلك فليبرز الدليل، فإنه قاطع للتأويل، و تقدم ما يشير لتعريف جبريل عليه السلام النبى صلى اللّه عليه و سلم بالملائكة الذين يأتونه «۳»، كقوله (فنزل منه ملك لم ينزل ...)، و قوله (و أنا جبريل، و هذا ميكائيل) «۴» ... و سرّ هذا الامتناع عن مجىء الملائكة دون تعريف جبريل عليه السلام بهم: أن الملائكة عالم غيبى كذلك الشياطين، و قد جعل اللّه عزّ و جل لكل قدرة على التصور و التشكل، و ما قامت الدلائل على ملائكية غير جبريل عليه السلام عند رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم إذ استقر فى قلبه العلم اليقينى على ملكيته بعد أن لم يكن كذلك أول لقاء، فصار وسيطه إلى العالم الغيبى حتى

لاـ يختلط عليه الملک بالشيطان. لا زائر له من الملائكـة سوى جبريل عليه السـلام، بل تأتيه الملائكـة لكن وسـيطه فى التعرف عليهم جبريل عليه السـلام كما تقـدم فى الفصل الأول من هـذه الدراسـة ص ۴۳، و نفى الآلوسـى- رحمه اللّه تعـالى- فى روح المعـانى ۱۹/ ۲۶۳، مرجع سابق صدق اقتران إسرافيل عليه السلام فى روح المعانى، فقال ":و ذلک لم يثبت أصلا."

(۱) النهاية فى غريب الأثر ۵/ ۳۰، مرجع سابق.

(۲) رواه ابن خزيمة ۲/ ۳۴۵، مرجع سابق.

(۳) راجع: الفصل الأول من هذه الدراسة خصوصا ص ۴۳.

(۴) صحيح البخارى ۱/ ۴۶۶، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۶۶

فرع: تحليل آيات سورة الحج:

اشارة

و هى قوله جـل جلالـه وَ مـا أَرْسَـلْنا مِنْ قَبْلِکَ مِنْ رَسُولٍ وَ لا نَبِيٍّ إِلَّا إِذا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطانُ فِى أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَـخُ اللَّهُ ما يُلْقِى الشَّيْطانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيـاتِهِ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (۵۲) لِيَجْعَـلَ مـا يُلْقِى الشَّيْطـانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَ الْقاسِـيَةِ قُلُوبُهُمْ وَ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِى شِقاقٍ بَعِيـدٍ (۵۳) وَ لِيَعْلَـمَ الَّذِيـنَ أُوتُـوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَـقُّ مِنْ رَبِّکَ فَيُؤْمِنُـوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُـوبُهُمْ وَ إِنَّ اللَّهَ لَهـادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلى صِـراطٍ مُسْتَقِيمٍ "الحج/ ۵۲- ۵۴."

تتجلى العناصر التى تؤخذ من هذه الآيات ردا لشبهة قذف الجن بما يلى:

أ- سننية هذه الشبهة فى الأمم:

فهى سـنة ماضـية من سـنن اللّه عزّ و جـل فيمن خلاـ و من تلا، و ذلک أنه لم يسـلم نبى من الأنبياء، و لا رسول من الرسل من محاولة قذف الشـيطان فى سـعيه الحثيث لأسلمة الأمة لرب العالمين، فهى شنشنة الأمم الظالمة، و عادة فعل الشيطان، و ذا معنى قوله عزّ و جل وَ ما أَرْسَـلْنا مِنْ قَبْلِکَ مِنْ رَسُولٍ وَ لا نَبِيٍّ إِلَّا إِذا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطانُ فِى أُمْنِيَّتِهِ، فقوله نَبِيٍّ، رَسُولٍ نكرة فى سياق النفى فأفادت العموم، ثم أكّـد عمومها ثانيا بحرف الجر الزائـد، ف (من) مزيدة لاسـتغراق الجنس، فصارت نصا مؤكّدا للعموم، ثم أكّد ذلک ثالثا من حيث شمول ذلک لأصـناف المكلفين من اللّه جلّ جلاله بإصلاح أمور قومهم سواء كانوا أنبياء أو رسل «۱»، ثم أكّد ذلک رابعا من القصر المسـتفاد من النفى و الاستثناء، فهو قصر موصوف على صفة، و هو قصر إضافى، أى دون أن نرسل أحدا منهم فى حال الخلو من إلقاء الشيطان و مكره «۲»، و الآية مسوقة لتسـلية النبى صـلى اللّه عليه و سلم بأن السعى فى إبطال الآيات أمر معهود، و أنه لسعى مردود «۳».

(۱) اختلف فى الفرق بين النبى و الرسول على أقوال: من أظهرها أن الرسول من جاء بشـريعة جديـدة ناسـخة، و النبى من جاء مجـددا للشريعة السابقة. راجع: التحرير و التنوير ۱۷/ ۲۹۶، روح المعانى ۱۷/ ۲۵۶، تفسير أبى السعود ۴/ ۳۵ فتح القدير ۳/ ۵۷۷ مجموع فتاوى شيخ الإسلام ۳/ ۳۶۵، مراجع سابقة.

(۲) التحرير و التنوير ۱۷/ ۲۹۹، مرجع سابق.

(۳) انظر: التحرير و التنوير ۱۷/ ۲۹۹، مرجع سابق، و روح المعانى ۱۷/ ۲۵۷، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۶۷

و يرى المتأمـل فى الآيـة أن هـذا التتـابع للمؤكـدات من أعظم وسائـل ترسـيخ اليقين بكلاـم رب العـالمين؛ إذ يقع فى فؤاد المتحمس

استلزام أن تنقطع أفئدة المعاندين عن إظهار العناد على الأقل فى كلام اللّه سبحانه و تعالى، إما لضرورة غيرة اللّه سبحانه و تعالى على كلامه، أو لضئلة مكرهم بالغا ما بلغ إزاء جبروت اللّه عزّ و جل ... فتتالت المؤكدات إمعانا فى ترسيخ سنن اللّه جلّ جلاله الخاصة بهذه الدار التى لا تزن عند اللّه سبحانه و تعالى جناح بعوضة «۱».

ب- الوصف الدقيق لهيئة إفساد الشيطان عقول القوم و قلوبهم عند ما يريد الأنبياء إصلاحهم:

إذ إن إصلاح الناس أمر عزيز عسير المنال فسماه اللّه عزّ و جل أمنية «۲»، ثم إن الأنبياء عند ممارسته يضادهم الشيطان فى سعيه الحثيث لإعدام الخير، أو الحيلولة بينه و بين الناس يلقى وسوسة فى نفوس الناس تفسد محاولة الإصلاح، و رشح استعارة الإلقاء- و يكون للأمر المحسوس- للأمر غير المشاهد شدّة فعله، و قوة تأثيره حتى كأنه أمر محسوس، و تقدير الآية: أدخل الشيطان فى نفوس الأقوام ضلالات تفسد ما قاله الأنبياء من الإرشاد، و معنى إلقاء الشيطان فى أمنية النبى و الرسول: إلقاء ما يضادها، كمن يمكر فيلقى السم فى الدسم، فإلقاء الشيطان بوسوسته: أن يأمر الناس بالتكذيب و العصيان، و يلقى فى قلوب أئمة الكفر مطاعن يبثونها فى قومهم، و يروج الشبهات بإلقاء الشكوك التى تصرف نظر العقل عن تذكر البرهان، و ذلك هو الصبر على الآلهة المذكور فى قوله جلّ جلاله وَ انْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَ اصْبِرُوا عَلى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هذا لَشَيْءٌ يُرادُ "ص/ ۶، "و قال الآلوسى- رحمه اللّه تعالى "-:إذا قرأ شيئا من الآيات ألقى الشيطان الشبه و التخيلات فيما يقرؤه النبى صلى اللّه عليه و سلم على أوليائه ليجادلوه بالباطل، و يردوا ما جاء به كما قال سبحانه و تعالى ... وَ إِنَّ الشَّياطِينَ لَيُوحُونَ إِلى أَوْلِيائِهِمْ لِيُجادِلُوكُمْ " ...الأنعام/ ۱۲۱، "وَ كَذلِكَ جَعَلْنا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَياطِينَ الْإِنْسِ وَ الْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً ..

"الأنعام/ ۱۱۲ «"۳». (۱) إشارة إلى الحديث المشهور، أخرجه: البخارى ۴/ ۱۷۵۹، مرجع سابق، و مسلم ۴/ ۲۱۴۷، مرجع سابق.

(۲) عند الآلوسى ۱۷/ ۲۵۷ ":التمنى نهاية التقدير، "قال ":و الأمنية الصورة الحاصلة فى النفس من التمنى."

(۳) روح المعانى ۱۷/ ۲۵۷، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۶۸

ج- الإلقاء الشيطانى معنوى و ليس لفظيا:

و ذلك ببث الشبهات، و تضخيم الوساوس، و ينفى الإلقاء اللفظى لضعف مقدرة الجن فى حالتهم الغيبية عن إظهار ألفاظ يسمعها البشر فى الحالات المعتادة «۱»، لا إذا تمثلوا فى هيئة إنسية، فإن فعلوا فالإلقاء اللفظى عليهم أعز و أعسر من حيث خضوعهم لقوانين الطبيعة البشرية، و ها هم أشد الناس عنادا لرسول اللّه جلّ جلاله لم يستطيعوا فعل ذلك مع حرصهم كل الحرص.

و إذ قد تقرر أن الإلقاء معنوى، فلا مكان له فى القدرة على الخلط فى ألفاظ القرآن، و يرشح هذا بقوله جلّ جلاله وَ لَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنا بَعْضَ الْأَقاوِيلِ (۴۴) لَأَخَذْنا مِنْهُ بِالْيَمِينِ "الحاقة/ ۴۴- ۴۵."

د- الوسائل الوقائية و الاجتثاثية لإلقاء الشيطان المعنوى فى عقول الناس:

۱- المعية العلمية الإلهية الحاكمة:

إذ ليست الساحة للشيطان ليصول فيها كما يشاء، بل وجوده فيها طارئ نسبى إذا ما قورن بعلم اللّه عزّ و جل، ثم إن الأمر كله للّه جلّ جلاله فهو بحكمته و تدبيره سبحانه و تعالى مكّن الشيطان من إلقاء تلك الشبهة، ثم فى حكمته فى أسلوب إزالة آثاره، و من هنا يظهر سر التذييل بقوله عزّ و جل وَ اللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ "الحج/ ۵۲، "كما أن إظهار اسم الجلالة فى مقام الإضمار دال على التأكيد على إرادة ذلك، و وصفه جلّ جلاله بوصف (فعيل) مبالغة فى العلم بكل ما من شأنه أن يعلم، و من جملته ما صدر عن العباد من قول و

فعل، عمدا أو خطأ «۲».

۲- إزالة آثار الشبهة الشيطانية بالقدرة الإلهية المباشرة:

و ذلك إذا تعلق الأمر بكتاب اللّه عزّ و جل، فاللّه جلّ جلاله بهديه، و بيانه ينسخ ما يلقى الشيطان، أى يزيل الشبهات التى يلقيها الشيطان ببيان اللّه سبحانه و تعالى الواضح، و يزيد آيات دعوة رسله بيانا، و ذلك هو إحكام (۱) أما فى غير الحالات المعتادة فقد يستطيع الشيطان إسماع الإنسان، انظر: رفاعى سرور: عند ما ترعى الذئاب الغنم ص ۱۱۴، ط ۶۱۴۱۲ ه- ۱۹۹۲، مكتبة الحرمين للعلوم النافعة.

(۲) تفسير أبى السعود ۴/ ۳۴، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۶۹

آياته، أى تحقيقها و تثبيت مدلولها و توضيحها بما لا شبهة بعده إلا لمن رين على قلبه «۱»، قال الآلوسى- رحمه اللّه تعالى "-:فيبطل ما يلقيه من تلك الشبه، و يذهب به بتوفيق النبى صلى اللّه عليه و سلم لرده، أو بإنزال ما يرده «"۲»."

۳- إحكام اللّه جلّ جلاله آياته:

فيزيد عزّ و جل آيات دعوة رسله بيانا، و إحكام الآيات أهم من نسخ ما يلقى الشيطان؛ إذ بالإحكام يتضح الهدى، و يزداد ما يلقيه الشيطان نسخا، و صيغة المضارع فى الفعلين للدلالة على الاستمرار التجددى.

۴- بيان حكمة اللّه جلّ جلاله من تمكين الشيطان من ترويج شبهاته

حتى يبقى المؤمنون على ثقة بمعية اللّه سبحانه و تعالى، و ذلك ما بينه فى قوله جلّ جلاله لِيَجْعَلَ ما يُلْقِي الشَّيْطانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَ الْقاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقاقٍ بَعِيدٍ؛ مما يزيد إيمان المؤمنين، و إخبات المخبتين.

۵- تكفل اللّه جلّ جلاله بالهداية الدائمة للمؤمنين، و بعصمة نبيهم من الخطأ فى الأمر المعنوى الحال فضلا عن الأمر اللفظى الدائم التلاوة

و عصمة مجموع الأمة عن الخطأ ... يبعد التمكّن من قذف أى تخيل يحاوله الشيطان فى ما يتلوه النبى صلى اللّه عليه و سلم من الوحى؛ و من هنا كان التذييل بقوله جلّ جلاله ... وَ إِنَّ اللَّهَ لَهادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيم، و لا يقدح فى ذلك بقاء الشبهة تفعل فعلها فى نفوس الذين فى قلوبهم مرض و القاسية قلوبهم؛ إذ لا يزال ترددهم باقيا إلى أن تأتيهم الساعة بغتة، أو يأتيهم عذاب يوم عقيم، و لا يخل شكهم هذا بالوثوق بالقرآن عند الذين آمنوا و الذين أوتوا العلم. (۱) انظر: التحرير و التنوير ۱۷/ ۲۹۹، مرجع سابق، و راجع لتفصيل خارطة عمل الشيطان: عند ما ترعى الذئاب الغنم ص ۲۳، مرجع سابق.

(۲) روح المعانى ۱۷/ ۲۵۷، مرجع سابق.

فائدة: و استبعاد كثير من العلماء وقوع الشبهة اللفظية فى القرآن الكريم دال على مدى أهمية الألفاظ فى مقابل المعانى فى القرآن الكريم، و ذلك لأن التحريف إن وقع فى اللفظ فقد وقع فى أصل المعنى.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۷۰

[الاشارة الى تخافت قصة الغرانيق

و بهذا التأويل يظهر مقدار جلالة السلك البديع الذى انتظمت فيه هذه الآيات «۱»، و هى ما أولع به بعض المفسرين الذين يميلون

إلی الإکثار من الغرائب من إیراد قصة الغرانیق ... مع أنّ ضعفها واضح سندا و متنا «۲»، فلا یشتغل البحث بإیرادها، مکتفیا بالإحالة علی موارد ذلک فی الهامش «۳»، و لیس فی هذا اتهام للمفسرین الذین أوردوا هذه القصة؛ لأنه لیس کلهم أورد هذه القصة، و وقوع بعضهم فی الغلط (۱) و هو التفسیر الذی رجحه بل فسر به هذه الآیات عدد من المفسرین منهم: الطاهر بن عاشور ۱۷/ ۲۹۹، مرجع سابق، و الآلوسی ۱۷/ ۲۵۷، مرجع سابق، و أبو حیان ۶/ ۳۸۲، مرجع سابق، و نحوه أبو السعود ۴/ ۳۴، مرجع سابق.

(۲) علی أنه یقال تنزلا: لو صحت هذه القصة فإنه یسری علیها ما ذکر هاهنا من وسائل الاجتثاث للأمر المعنوی، إذ سریانه علی الأمر اللفظی أولوی، کما یکون الجواب عنها بما ذکر قبل و بعد، و بما أجاب به عنها من قالوا بصحتها.

(۳) انظر: التحریر و التنویر ۱۷/ ۳۰۶، مرجع سابق، و ردها البیهقی و قال ":هذه القصة غیر ثابتة من جهة النقل، "و رده القاضی عیاض فی الشفا ۲/ ۱۱۷، مرجع سابق، و قال ":و إنما أولع به و بمثله المفسرون و المؤرخون المولعون بکل غریب، المتلقفون من الصحف کل صحیح و سقیم، "و قال الآلوسی ۱۷/ ۲۶۳، مرجع سابق ":و فی کتاب (الأتقیاء) لأبی منصور الماتریدی: أن قوله (تلک الغرانیق العلی) من جملة إیحاء الشیطان إلی أولیائه من الزنادقة حتی یلقوا بین الضعفاء و أرقاء الدین، لیرتابوا فی صحة الدین، و حضرة الرسالة بریئة من هذه الروایة، "و ذکر الآلوسی أوجه ردها، بعد أن فسرها بما یشبه التفسیر الذی ارتضاه الباحث، و أورد هذه القصة: ابن حجر فی فتح الباری ۸/ ۴۴۱، مرجع سابق کالمؤید لثبوت أصلها؟! و قال ":و کلها سوی طریق سعید بن جبیر إما ضعیف، و إما منقطع، لکن کثرة الطرق تدل علی أن للقصة أصلا، ... "ورد علی عیاض و ابن العربی إبطالهما لأصل القصة، و قال فی نقدهما لها": و جمیع ذلک لا یتمشی علی القواعد، فإن الطرق إذا کثرت و تباینت مخارجها دل ذلک علی أن لها أصلا، و قد ذکرت أن لها ثلاثة أسانید منها علی شرط الصحیح، و هی مراسل یحتج بمثلها من یحتج بالمرسل، و کذا من لا یحتج به لاعتضاد بعضها ببعض ... ثم تأول من ظاهرها- بعد أن سلم بأن لها أصلا- ما یستحیل کقولهم فیها: ألقی الشیطان علی لسانه ...

و هذا فیه غرابة من حیث عدم تطبیق موازین المتن بعد تطبیق موازین السند، و القصة أوردها ساکتا بل مقررا السیوطی- الذی یجعل ابن حجر مثله الأعلی- فی شرح سنن ابن ماجة، و ابن الأثیر فی النهایة ۳/ ۳۶۴، و ابن قتیبة فی تأویل مختلف الحدیث ص ۱۷۹، مرجعان سابقان، قال الآلوسی- رحمه اللّه تعالی "-:و ذهب إلی صحة القصة أیضا خاتمة المتأخرین الشیخ إبراهیم الکورانی ثم المدنی، "ثم قال تعقیبا علی کلام الکورانی ":لکن إثبات صحة الخبر أشد من خرط القتاد ... و تأویل جمیع الظواهر الکثیرة لقول شرذمة قلیلة بصحة الخبر المنافی لها مع قول جم غفیر بعد الفحص التام بعدم صحته مما لا یمیل إلیه القلب السلیم و لا یرتضیه ذو الطبع المستقیم ...- ثم قال-: و توسط جمع فی أمر هذه القصة فلم یثبتوها کما أثبتها الکورانی، و لم ینفوها بالکلیة، و إلیه أمیل "و قال ابن کثیر ۳/ ۲۰۴، مرجع سابق ":و لم أرها مسندة بوجه صحیح. "و قال الشوکانی فی فتح القدیر ۳/ ۵۷۷، مرجع سابق ":و لم یصح شیء من هذا، و لا ثبت بوجه من

تلقی النبی ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۷۱

یوجبه النظر الشرعی و العقلی، و ولع البعض فی فترة بالغرائب أمر متقرر لدارسی علم تأریخ العلوم، و محاولة العدو الدسّ فی عقائد المسلمین فضلا عن تراثهم فی المجالات الأخر، قد بدأ فی فجر الإسلام، علی أنه لم یستطع أن یمس لفظ القرآن، و لذا حاول الإکثار من وضع الآثار، و الأخبار التی یتلقفها فاضل و غیره، ثم تتناقل فی حدود الغفلة الأصلیة أو الطارئة عن موازین نقل الأخبار الصارمة «۱».

رابعا: دفع التخیل بشبهة السحر:

هذه مجموعة أسس بین یدی هذه المسألة:

۱- لم ترتفع صبغهٔ البشریهٔ عن النبی صلی اللّه علیه و سلم بعد نبوته

بل ظلت هی الأصل فیه، و لکنه کان یرتفع عن الصبغهٔ البشریهٔ فی أوقات محدودهٔ بتهیئهٔ خاصهٔ من اللّه سبحانه و تعالی له فیما یتمیز فیه عن البشر و هو الوحی، و هذا معلوم من الدین بالضرورهٔ، و من أدلهٔ ذلک قوله عزّ و جل قُلْ إِنَّما أَنَا بَشَرٌ مِثْلُکُمْ "الکهف/ ۱۱۰،" ثم بین الجزئیهٔ التی تمیز بها یُوحی إِلَیَّ أَنَّما إِلهُکُمْ إِلهٌ واحِدٌ و کقوله صلی اللّه علیه و سلم (فمن رغب عن سنتی فلیس منی) «۲» فی معرض بوجه صحیح. "و قال الشوکانی فی فتح القدیر ۳/ ۵۷۷، مرجع سابق ":و لم یصح شیء من هذا، و لا ثبت بوجه من الوجوه، و مع عدم صحته بل بطلانه فقد دفعه المحققون بکتاب اللّه سبحانه، قال تعالی وَ لَوْ تَقَوَّلَ عَلَیْنا بَعْضَ الْأَقاوِیلِ (۴۴) لَأَخَذْنا مِنْهُ بِالْیَمِینِ (۴۵) ثُمَّ لَقَطَعْنا مِنْهُ الْوَتِینَ "الحاقهٔ/ ۴۴- ۴۶، "و قوله وَ ما یَنْطِقُ عَنِ الْهَوی (۳) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْیٌ یُوحی النجم/ ۳- ۴، "و قوله وَ لَوْ لا أَنْ ثَبَّتْناکَ لَقَدْ کِدْتَ تَرْکَنُ إِلَیْهِمْ شَیْئاً قَلِیلًا "الإسراء/ ۷۴، "فنفی المقربهٔ للرکون فضلا عن الرکون، و قال إمام الأئمهٔ ابن خزیمهٔ: إن هذه القصهٔ من وضع الزنادقهٔ، "و قال أبو حیان ۶/ ۳۸۲، مرجع سابق ناقدا إیراد المفسرین لها ":و قد ذکر المفسرون فی کتبهم ما لا یجوز وقوعه من آحاد المؤمنین منسوبا إلی المعصوم صلوات اللّه علیه ... و هی قصهٔ سئل عنها محمد بن إسحاق جامع السیرهٔ فقال: هذا من وضع الزنادقهٔ، و صنف فی ذلک کتابا، "و قد ألف الشیخ الألبانی کتابا فی هذا الباب هو ":نصب المجانیق لنسف قصهٔ الغرانیق."

(۱) و أنی یستغرب ذلک و قد درجت مجموعهٔ غیر قلیلهٔ من أفاضل المفسرین علی إیراد خبر فضائل القرآن الشهیر المنسوب إلی أبی ابن کعب رفعه، مثل: الکشاف للزمخشری، و کتفسیر البیضاوی، و الخازن.

(۲) صحیح البخاری ۵/ ۱۹۴۹، مرجع سابق.

الإنکار علی من عد طبعه مختلفا عن طباع البشر. و لو لا هذه الحقیقهٔ لما کان محطا للاقتداء صلی اللّه علیه و سلم.

۲- و إذا کانت هذه مسلّمهٔ دینیهٔ

؛ فإن النبی صلی اللّه علیه و سلم یعتریه ما یعتری البشر من المرض و النصب و الوصب و الهم و الحزن، بما لا یقدح فی نبوته، و لا یمس ما أمر به أن یبلغه، و هذا داخل فی عموم قوله جلّ جلاله: وَ اللَّهُ یَعْصِمُکَ مِنَ النَّاسِ "المائدهٔ/ ۶۷."

۳- لیس مقام البحث مقاما صالحا لمناقشهٔ مسألهٔ سحر النبی صلی اللّه علیه و سلم من حیث الإثبات و النفی

و قصاری القول فی هذا المقام أن تدحض شبهٔ تأثیر السحر فی الوحی القرآنی علی قول من یثبت أن النبی صلی اللّه علیه و سلم قد سحر «۱».

۴- من أثبت ذلک یتفق مع النفاهٔ فی عصمت النبی صلی اللّه علیه و سلم

و هو یلقی الوحی الإلهی قرآنا کان أو غیره من تطرق تأثیر السحر علیه، و استدلوا بما رواه البخاری: عن عائشهٔ- رضی اللّه تعالی عنها- قالت: سحر النبی صلی اللّه علیه و سلم حتی کان یخیل إلیه أنه یفعل الشیء و ما یفعله، حتی کان ذات یوم دعا و دعا، ثم قال: (أشعرت أن اللّه أفتانی فیما فیه شفائی، أتانی رجلان فقعد أحدهما عند رأسی، و الآخر عند رجلی فقال أحدهما للآخر: ما وجع الرجل؟ قال: مطبوب، قال:

و من طبه؟ قال: لبید بن الأعصم. قال: فی ما ذا؟ قال: فی مشط، و مشاطهٔ، و جفّ طلعهٔ ذکر. قال:

فأین هو؟ قال: فی بئر ذروان). فخرج إلیها النبی صلی اللّه علیه و سلم ثم رجع، فقال لعائشهٔ حین رجع: (نخلها کأنه رءوس الشیاطین،

فقلت: استخرجته؟ فقال: لا، أما أنا فقد شفانى اللّه، و خشيت أن يثير ذلك على الناس شرا ثم دفنت البئر) «۲».
و ذكر الإسماعيلى مدة ذلك فروى: أنه أقام أربعين ليلة، و عند أحمد: ستة أشهر، و يمكن الجمع بأن تكون الستة أشهر من ابتداء تغير مزاجه و الأربعين يوما من استحكامه «۳». (۱) انظر فى هذا الباب: تأويل مختلف الحديث ص ۱۸۲، مرجع سابق.
(۲) صحيح البخارى ۳/ ۱۱۹۲، مرجع سابق، و انظر: تفسير ابن كثير ۴/ ۵۷۵، مرجع سابق.
(۳) فتح البارى ۱۰/ ۲۲۳، مرجع سابق.
تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۷۳

۵- السحر الذى وقع عليه صلى اللّه عليه و سلم تسلط على جسده فقط

اشارة

كما كانت الحمى تتسلط عليه، و السم الذى سمته به يهود ... و تسلّط السحر على جسده ظهر فى عدة مظاهر، منها:

أ- كان يخيل إليه أنه يفعل الشىء و لا يفعله:

كما فى هذه الرواية، و صرّح بمدلول ذلك فى رواية أخرى للبخارى، و لفظها: (حتى كان يرى أنه يأتى النساء و لا يأتيهن)، و فى لفظ: (أنه يأتى أهله و لا يأتيهم) «۱»، قال المازرى ":و هذا كثيرا ما يقع تخيله للإنسان فى المنام، فلا يبعد أن يخيل إليه فى اليقظة."
و معنى (يرى)، قال الداودى: (يرى) بضم أوله: أى يظن، و قال ابن التين:
ضبطت يرى بفتح أوله، و هو من الرأى لا من الرؤية، فيرجع إلى معنى الظن «۲».

ب- التسلط على بصره:

ففى مرسل يحيى بن يعمر عند عبد الرزاق: سحر النبى صلى اللّه عليه و سلم:
(حتى أنكر بصره)، و عنده فى مرسل سعيد بن المسيب: (حتى كاد ينكر بصره) «۳»، قال عياض- رحمه اللّه تعالى "-:فظهر بهذا أن السحر إنما تسلط على جسده، و ظواهر جوارحه لا على تمييزه و معتقده «"۴».

ج- نوع مرض جسدى:

فإن صون النبى صلى اللّه عليه و سلم من الشياطين لا يمنع إرادتهم كيده فقد جاء فى الصحيح: (أن شيطانا أراد أن يفسد عليه صلاته فأمكنه اللّه جلّ جلاله منه)، فكذلك السحر لم ينله من ضرره ما يدخل نقصا على ما يتعلق بالتبليغ، بل هو من جنس ما كان يناله من ضرر سائر الأمراض من ضعف عن الكلام، أو عجز عن بعض الفعل، أو حدوث تخيل لا يستمر، بل يزول و يبطل اللّه سبحانه و تعالى كيد الشياطين، و استدل ابن القصار على أن الذى أصابه كان من جنس المرض بقوله فى آخر الحديث: (أما أنا فقد شفانى اللّه)، و فى الاستدلال بذلك نظر لكن يؤيد المدعى أن فى رواية عمرة عن عائشة عند البيهقى فى الدلائل: (فكان (۱) صحيح البخارى ۵/ ۲۱۷۵، مرجع سابق.
(۲) انظر ما سبق فى: فتح البارى ۱۰/ ۲۲۷، مرجع سابق.
(۳) انظر فى تخريج الآثار السابقة: فتح البارى ۱۰/ ۲۲۶، مرجع سابق.
(۴) الشفا ۲/ ۱۴۷، مرجع سابق.
تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۷۴

يدور، و لا يدرى ما وجعه)، و فى حديث ابن عباس رضـى اللّه عنه عند ابن سـعد: مرض النبى صلى اللّه عليه و سلم و أخذ عن النساء و الطعام و الشـراب، فهبط عليه ملكان ... لحديث، قال المازرى ":أنكر بعض المبتدعة هذا الحديث، و زعموا أنه يحط منصب النبوة و يشـكك فيها، قالوا: و كل ما أدى إلى ذلك فهو باطل، و زعموا أن تجويز هذا يعدم الثقة بما شـرعوه من الشرائع؛ إذ يحتمل على هذا أن يخيل إليه أنه يرى جبريل عليه السلام و ليس هو ثم، و أنه يوحى إليه بشىء، و لم يوح إليه بشىء، قال المازرى: و هذا كله مردود؛ لأن الدليل قد قام على صدق النبى صـلى اللّه عليه و سلم فيما يبلغه عن اللّه عزّ و جل، و على عصمته فى التبليغ، و المعجزات شاهدات بتصـديقه، فتجويز ما قام الـدليل على خلافه باطل، و أما ما يتعلق ببعض أمور الـدنيا التى لم يبعث لأجلها، و لا كانت الرسالة من أجلها فهو فى ذلك عرضـة لما يعترض البشـر كالأمراض، فغير بعيـد أن يخيل إليه فى أمر من أمور الدنيا ما لا حقيقة له مع عصـمته عن مثل ذلك فى أمور الدين «"١».

و قال ابن قتيبة ":و أما قول اللّه سبحانه و تعالى لا يَأْتِيهِ الْباطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ لا مِنْ خَلْفِهِ "فصلت/ ۴۲ "فإنه جلّ جلاله لم يرد بالباطل أن المصاحف لا يصـيبها ما يصيب سائر الأعلاق و العروض، و إنما أراد أن الشيطان لا يستطيع أن يدخل فيه ما ليس منه قبل الوحى و بعده «۲».

هـذا كلام اللّه الحق ... و ذا رسول اللّه صـلى اللّه عليه و سـلم المبلغ لكلامه ... و ذا حفظ اللّه- تعالى ذكره- لكلامه ... و روح القدس جبريل عليه السلام هو الواسطة؟ فأين- فى الدنيا- كهذا، و ذا، و ذا ...؟

و قال اللّه: قـد أرسـلت عبدا ... يقول الحق ليس به خفاء و قال اللّه: قد يسـرت جندا ... هم الأنصار عرضـتها اللقاء و جبريل رسول اللّه فينا ... و روح القدس ليس له كفاء (١) فتح البارى ١٠/ ٢٢٧، مرجع سابق.

(٢) تأويل مختلف الحديث ٣١٠، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ٢٧٥

المبحث الثانى: دفع العوامل الداخلية (الذاتية):

اشارة

عالج القرآن الكريم العوامل الإنسانية الذاتية التى تؤدى إلى تغيير اللفظ كإجراء ضـرورى للحفاظ على نصه سالما من يمسه التغيير فى أدائه فضلا عن جوهر لفظه ...،

و كانت معالجـة الكتاب الكريم لهـذه المشـكلة مبكّرة، تناسب تبكيرها مع حـدوث التلقى الأول للقرآن الكريم فى الأرض من جبريل إلى النبى صـلى اللّه عليه و سـلم و يأخذ المبحث نموذجين ينتميان لهذه العوامل، للنظر فى كيفية معالجة القرآن الكريم لهما فى تلقى النبى صلى اللّه عليه و سلم من جبريل ألفاظ القرآن الكريم، و يشكل النموذجان مطلبى هذا المبحث، و هما:

المطلب الأول: معالجة مشكلة النسيان.

المطلب الثانى: معالجة مشكلة التهمة بقصور العاطفة البشرية و التفكير البشرى.

المطلب الأول: معالجة مشكلة النسيان:

اشارة

النسـيان: ضـد الذكر و الحفظ «١»، و هو عـدم خطور المعلوم السـابق فى حافظـة الإنسـان برهـة، أو زمانا طويلا «٢»، و قال الزركشـى- رحمه اللّه تعالى "-:قيل السهو: الذهول عن المعلوم، و ظاهر كلام اللغويين ترادفه مع النسيان «"٣»، و قال ابن قتيبة- رحمه اللّه تعالى-

:

"النسيان ضد الحفظ، كقوله تعالى: ... فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ " ...الكهف/ ۶۳، "و قال:

... لا تُؤاخِذْنِي بِما نَسِيتُ " ...الكهف/ ۷۳، "و النسيان الترک، کما قال جلّ جلاله: وَ لَقَدْ عَهِدْنا إِلى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ " ...طه/ ۱۱۵ "أی فترک، و قوله فَذُوقُوا بِما نَسِيتُمْ لِقاءَ يَوْمِكُمْ هذا " ...الجاثية/ ۳۴ "أی بما ترکتم الإیمان بلقاء هـذا الیوم ... إِنَّا نَسِيناكُمْ ... أی ترکناکم، و قوله ... وَ لا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ " ...البقرة/ ۲۳۷ "أی و لا تترکوا ذلک «۴». (۱) انظر: لسان العرب ۱۴/ ۱۳۲، مرجع سابق.

(۲) التحریر و التنویر ۳۰/ ۲۸۰، مرجع سابق.

(۳) البحر المحیط ۱/ ۸۰، مرجع سابق.

(۴) تأویل مشکل القرآن ص ۳۹۰، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۷۶

فقد جعل ابن قتيبة النسيان فی حقيقته اللغوية نوعين بعد الشيوع:

ضـد الحفظ، و هو المعنى الأصلی، و الترک «۱» الـذی يجعل المتروک كالمنسـی، فهو ترک كلی فقد صار فی حقيقته نسـيانا بعلاقة الغياب، إلا أن الغياب فی النسـيان مؤقت، و الغياب فی الترک كلی من حيث التـذكر للمنسـی لا من حيث الوجود فی الحافظـة، و عند إضافة مفهوم كلام اللغويين إلى ذلک نجد أن النسيان لا يكون إلا فی شیء معلوم.

و يكمن دفع هـذا العامـل فی لفظ القرآن، و أدائه عن تلقی الرسول صـلى اللّه عليه و سـلم فيما تلقاه من جبريل عليه السـلام فی البنود التالية:

۱- قد اتضح من خلال ما سبق أن معالجة هذه المشكلة ظهر من أول نزول القرآن الكريم

كما مر ذلک عنـد تحليل حـديث المعالجـة و غيره، فقـد كانت المعالجـة لقضـية النسـيان فی المرحلة المكية ... و لبدهية هذه الحقيقة اسـتدل على أن سورة الأعلى مكية بورود ما يدل على معالجة مشـكلة النسـيان فيها، و هو قوله جلّ جلاله سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنْسى الأعلى/ ۶؛ "إذ إن مـا اشـتملت عليه من المعـانی يشـهد لكونهـا مكيـة "و حسـبک بقوله تعالى سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنْسى «۲»، فقـد صارت الآيات المعالجة لهذه المشكلة مقياسا لمعرفة المكی و المدنی.

۲- من أبرز الآيات التی عالجت هذه المشكلة آيات سورة الأعلى

و كتقرير للحقيقـة السابقـة فسورة الأعلى ثامنـة بحسب ترتيب النزول عنـد جـابر بن زيـد، و روی عن ابن عباس و عكرمـة و الحسن- رضی اللّه تعالى عنهم- أنها سابعة «۳».

۳- لأن مشكلة النسيان مشكلة فطرية تتعلق بخلق الإنسان فقد ربط القرآن الكريم

بينها و بين القوانين التی وضعها خالق الإنسان فی الكون، ثم فی الإنسان، و من هنا ندرک (۱) و انظر فتح الباری ۹/ ۸۰، مرجع سابق.

(۲) التحریر و التنویر ۳۰/ ۲۷۲، مرجع سابق.

(۳) انظر: الإتقان ص ۲۱، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۷۷

سرا من أسرار الاستهلال فى سورة الأعلى بجذب النظر إلى الآيات الكونية، و خلق اللّه سبحانه و تعالى لها، ثم تحكمه بها، فمتى ما شاء اطردت تلك القوانين، و متى ما شاء منعها من الاطراد، و عطلها عن السريان؛ فإذا أراد الإنسان التخلص من مشكلة النسيان، فليسبح باسم ربه الأعلى الذى بيده مقاليد أمر الخلق، و أسبابه، و قوانينه، و الذى تعالى عن أن يحكمه شىء، أو يعجزه أمر؛ إذ يغدو القضاء على مشكلة النسيان آية فى ذاته تخالف قوانينها، القوانين المألوفة عند البشر، و إن كانت تسير وفق قوانين أخرى فى ذاتها «۱»؛ و إذ هى كذلك آية فلا بد لتحقيقها من إذن اللّه جلّ جلاله الذى يشمل أمره الابتدائى و إذنه المستمر وَ ما كانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ " ...غافر/ ۷۸، "و الافتتاح بأمر النبى صلى اللّه عليه و سلم بأن يسبح اسم ربه بالقول، يؤذن بأنه سيلقى إليه عقبه بشارة و خيرا له، و ذلك قوله عزّ و جل سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنْسى الآيات، ففيه براعة استهلال «۲»، و فيه قال القرطبى ":و هذه بشرى من اللّه تعالى، بشره بأن أعطاه آية بينة، و هى أن يقرأ عليه جبريل عليه السلام ما يقرأ عليه من الوحى، و هو أمى لا يقرأ، و لا يكتب، فيحفظه و لا ينساه «"۳ "»و هى بشرى لأمته من ورائه، تطمئنّ بها إلى أصل هذه العقيدة؛ فهى من اللّه عزّ و جل، و اللّه كافلها و حافظها فى قلب نبيها «"۴»..

و فى هذا تأكيد على المصدرية الإلهية.

۴- و لإزالة أى آثار تشكيكية نابعة من احتمال نسيان الرسول صلى اللّه عليه و سلم لشىء من الوحى

اشارة

فقد قطّعت أنواط هذه المشكّكات بتقعيدين: عام و خاص: (۱) قرر الإمام الشاطبى فى الموافقات أن الخوارق ليست خارجة عن جملة قوانين الكون، و إن كانت خارجة عن مألوف القوانين المعروفة لنا، انظر الموافقات ۱/ ۳۷۴، مرجع سابق عند كلامه على الأحكام الوضعية.

(۲) انظر: التحرير و التنوير ۳۰/ ۲۷۲، مرجع سابق.

(۳) تفسير القرطبى ۲۰/ ۱۸، مرجع سابق، و نحوه فى الكشاف ۴/ ۲۰۴، مرجع سابق.

(۴) ظلال القرآن ۶/ ۳۸۹۲، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۷۸

فأما العام فهو: عصمة الشرع الإسلامى المطهر من غوائل النقص، و التغيير، و النسيان

، من حيث كونه شرعا إلهيا خاتما تكفل منزله بالحفاظ عليه، ثم من حيث كونه شرعا ميسرا، و من أهم أوجه تيسيره: تيسير المحافظة عليه، و لذا قال جلّ جلاله:

وَ نُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرى الأعلى/ ۸، "فاشتمل الكلام على تيسيرين:

تيسير ما كلّف به النبى صلى اللّه عليه و سلم أى جعله يسيرا مع وفائه بالمقصود، فمما ذكره القرطبى فى تأويلها قوله ":أى نهون عليك الوحى، حتى تحفظه و تعمل به «"۱».

و تيسير النبى صلى اللّه عليه و سلم للقيام بما كلّف به، حيث قال الآلوسى ":نوفقك توفيقا مستمرا للطريقة اليسرى فى كل باب من أبواب الدين، علما، و تعليما، و اهتداء، و هداية، فيندرج فيه تيسير تلقى طريقى الوحى «"۲» ...

فقوله سبحانه و تعالى: وَ نُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرى الأعلى/ ۸:"

مستعار للتهيئة، و التسخير، أى نهيئك للأمر اليسير فى أمر الدين، و عواقبه من تيسير حفظ القرآن لک، و تيسير الشريعة ...

أو يكون المعنى: و نيسر لك اليسرى على القلب، و فى وصفها باليسرى إيماء إلى أنها يسرى من حيث ذاتها، فلم يبق إلا حفظه من الموانع التى يشق معها تلقى اليسرى ...

۵- و أما التقعيد الخاص

فهو الوسيلة التى تقضى قضاء مبرما على مشكلة نسيان الرسول صلى اللّه عليه و سلم للقرآن الكريم بعد أن يلقيه على جبريل عليه السلام قبل أن يبلغه، إذ تكفل اللّه سبحانه و تعالى بتعطيل قانون النسيان فى ذات الرسول صلى اللّه عليه و سلم فى هذه المرحلة، و فى المعجم الكبير للطبرانى ما يزيد حديث ابن عباس رضى اللّه عنه فى المعالجة إيضاحا فى هذا الموضوع، فقد قال ابن عباس رضى اللّه عنه:

(كان النبى صلى اللّه عليه و سلم إذا أتاه جبريل عليه السلام بالوحى لم يفرغ حتى يزمل «۳» من الوحى، حتى يتكلم (۱) تفسير القرطبى ۲۰/ ۱۸، مرجع سابق.

(۲) روح المعانى ۳۰/ ۱۹۲، و انظر الكشاف ۴/ ۲۰۴، مرجع سابق.

(۳) زمل يزمل زمالا: عدا و أسرع معتمدا على أحد شقيه رافعا جنبه الآخر، انظر: لسان العرب ۶/ ۸۱، مرجع سابق.

النبى صلى اللّه عليه و سلم بأوله مخافة أن يغشى عليه)، فقال له جبريل: لم تفعل ذلک؟ قال: مخافة أن أنسى فأنزل اللّه عزّ و جل سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنْسى ، و لذا قرر الشوكانى أن ":السهو و النسيان فيما طريقه البلاغ غير جائز «"۱»، و قد سبق تعميم هذه الجزئية فى عصمته صلى اللّه عليه و سلم «۲».

و فى قوله عزّ و جل سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنْسى الفاعل ضمير مستتر تقديره نحن يعود على اللّه عزّ و جل، و فى ذلک فوائد:

أولها: التكفل بإقرائه صلى اللّه عليه و سلم، و ذلک ضمان بأن يصل إلى النبى صلى اللّه عليه و سلم كما أراد اللّه جلّ جلاله أن يصل لا كما تتحمله قوى البشر، فإيثار وصف الْأَعْلَى فى هذه السورة لأنها تضمنت التنويه بالقرآن و التثبيت على تلقيه.

و ثانيها: دفع فطرة النسيان الخلقى فى الرسول صلى اللّه عليه و سلم فى فترة إلقاء القرآن عليه إلى أن يبلغه، فهذا موقع البيان الصريح بوعده بأنه سيعصمه من نسيان ما يقرئه، فيبلغه كما أوحى إليه و يحفظه من التفلت عليه «۳».

و ثالثها: أن التكفل بالأمرين تكفل إلهى مباشر ليس لجبريل عليه السلام فيه شىء إلا قراءة القرآن عليه لحكمة عظيمة هى تثبيت مبدأ التلقين فى نقل القرآن الكريم، و قد مضت الإشارة إليها «۴»، أما إقراؤه بمعنى جمع القرآن فى صدره، و دفع النسيان عنه فى الفترة المذكورة فأمر إلهى محض، و دليله ما سبق «۵»، و الضمير فى قوله جلّ جلاله سَنُقْرِئُكَ، و ما ذكر فى تحليل آيات سورة القيامة «۶»، و مبدأ استشعار المصدرية الإلهية. (۱) فتح القدير ۳/ ۵۷۹، مرجع سابق.

(۲) انظر: المبحث الأول من هذا الفصل ص ۲۵۳.

(۳) انظر: التحرير ۳۰/ ۲۷۹، مرجع سابق.

(۴) انظر: المبحث السابع من الفصل الثالث ص ۱۳۵ و ما بعدها.

(۵) انظر: حديث المعالجة فى المبحث السادس من الفصل الثالث ص ۱۱۳.

(۶) انظر: المبحث السادس من الفصل الثالث ص ۱۱۶.

فقد تعين أن قوله جلّ جلاله سَنُقْرِئُکَ فَلا تَنْسى الأعلى/ ۶ "وعد من اللّه عزّ و جل بعونه على حفظ جميع ما يوحى إليه «۱»، و افتتاح سورة الأعلى بقوله الَّذِی خَلَقَ فَسَوَّى (۲) وَ الَّذِی قَدَّرَ فَهَدى الأعلى/ ۲- ۳ "مؤذن بتقرير الحقيقة السابقة من حيث كمال التقرير "؛لأن لهذين الوصفين مناسبة بما اشتملت عليه السورة، فإن الذى يسوى خلق النبى صلى اللّه عليه و سلم تسوية تلائم ما خلقه لأجله من تحمّل أعباء الرسالة، لا يفوته أن يهيئه لحفظ ما يوحيه إليه، و تيسيره عليه، و إعطائه شريعة مناسبة لذلك التيسير «"۲»، و قال الإمام الآلوسى:

"سَنُقْرِئُکَ فَلا تَنْسى بيان لهدايته تعالى شأنه الخاصة برسوله، إثر بيان هدايته العامة لكافة مخلوقاته سبحانه، و هى هدايته لتلقى الوحى و حفظ القرآن «"۳» ... أى سنقرئك فلا تنسى أصلا من قوة الحفظ و الإتقان، مع أنك أمى لم تكن تدرى ما الكتاب، و ما القراءة، ليكون ذلك لك آية مع ما فى تضاعيف ما تقرأه من الآيات البينات «"۴».

۶- إذا كانت آيات سورة القيامة

قد أرست أساس جمع القرآن فى صدر النبى صلى اللّه عليه و سلم بأن يلقيه عليه جبريل عليه السلام و حددت له قواعد التلقين؛ فإن هذه الآيات ترسى أساس بقاء ذلك الملقى إلى حين أدائه تبليغا للناس، و إنما ابتدئ بقوله سَنُقْرِئُکَ تمهيدا للمقصود الذى هو فَلا تَنْسى و إدماجا، للإعلام بأن القرآن فى تزايد مستمر، فإذا كان قد خاف من نسيان بعض ما أوحى إليه على حين قلته؛ فإنه سيتتابع و يتكاثر فلا يخشى نسيانه، فقد تكفل له عدم نسيانه مع تزايده ... و السين علامة استقبال مدخولها ...

فهى دالة على أن الإقراء يستمر، و يتجدد ... و قوله ... فَلا تَنْسى خبر مراد به الوعد و التكفل له بذلك «۵». (۱) انظر: التحرير ۳۰/ ۲۷۹، مرجع سابق.

(۲) التحرير ۳۰/ ۲۷۹، مرجع سابق.

(۳) و قريب من هذا قرر الإمام الشوكانى فى فتح القدير ۴/ ۵۲۲، مرجع سابق، و الصاوى فى حاشيته ۴/ ۴۱۱، مرجع سابق، و تفسير أبى السعود ۵/ ۵۱۷، مرجع سابق.

(۴) روح المعانى ۳۰/ ۱۸۸، مرجع سابق، و لعله نقل هذه العبارات من أبى السعود ۵/ ۵۱۸، مرجع سابق.

(۵) انظر: التحرير و التنوير ۳۰/ ۲۸۰، مرجع سابق، و انظر: روح المعانى ۳۰/ ۱۸۸، مرجع سابق، فقد ذكر قولا غريبا فى معنى سَنُقْرِئُکَ هو تعلم النبى القراءة دون كتابة، ثم رده ... و قيل: إن قوله تعالى فَلا تَنْسى نهى، أو خبر أريد به النهى و هو قول ضعيف مردود، انظر: القرطبى ۲۰/ ۱۹، مرجع سابق، و روح المعانى ۳۰/ ۱۸۸ مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۸۱

على أنه يلمح من خلال الوعد بذلك الأمر بما تضمنه الوعد، و لعل هذا هو مراد من فسر الآية بالنهى، إذ الوعد لا ينفى الأمر بفعل الأسباب التى تؤدى إلى عدم النسيان بل هو مقتض له.

۷- و حتى لا يخرج الرسول صلى اللّه عليه و سلم عن صفاته البشرية بهذه الكفالة الإلهية

اشارة

فقد أخذت هذه الكفالة الإلهية قدرها الضرورى، و ذلك من وقت سماع النبى صلى اللّه عليه و سلم القرآن من جبريل عليه السلام إلى الانتهاء من تبليغه، و حفظه بوسائل الحفظ من قراءة، و كتابة بحيث لا يمكن نسيانه من مجموع الأمة لكفالة اللّه عزّ و جل لها

بالعصمة عن الخطأ، فإذا ما تم ذلک فإن النبی صلی اللّه علیه و سلم یعود إلی حالته الطبیعیة البشریة فیعتریه النسیان، و هذا هو معنی الاستثناء فی قوله سبحانه و تعالی: إِلَّا ما شاءَ اللَّهُ ... أی أن بعض القرآن ینساه النبی صلی اللّه علیه و سلم إذا شاء اللّه أن ینساه، و یدخل فی هذا: نوعان یرجعان إلی الحقیقة اللغویة لمادة "نسی»:

أولهما: النسخ فی العمل:

و سماه الآلوسی: (نفی نسیان المضمون)، فقال ":أی سنقرئک القرآن فلا تغفل عنه، فتخالفه فی أعمالک «"۱»، و قال القرطبی ":و قیل: النسیان بمعنی الترک، أی یعصمک من أن تترک العمل به، لا ما شاء اللّه أن تترکه لنسخه إیاه، فهذا نسخ فی العمل «"۲»، و قال به الجنید، و أقره ابن کیسان النحوی «۳»، و یجعل هذا المفهوم للنسیان فی حیز الثبات ما قرره أحمد بن یحیی ثعلب فی قول اللّه عزّ و جل ... نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ " ...التوبة/ ۶۳ ":"لا ینسی اللّه عز و جل، إنما معناه ترکوا اللّه فترکهم، فلما کان النسیان ضربا من الترک وضعه موضعه، و قوله تعالی ... فَنَسِيتَها وَ كَذلِكَ الْيَوْمَ تُنْسى طه/ ۱۲۶ ("۱) تفسیر روح المعانی ۳۰/ ۱۸۸، مرجع سابق، و انظر: تفسیر الطبری ۳۰/ ۱۵۴، مرجع سابق، فإنه أورد أسماء القائلین بالنسخ العملی.

(۲) تفسیر القرطبی ۲۰/ ۱۹، مرجع سابق.

(۳) لسان العرب ۱۴/ ۱۳۲، مرجع سابق.

تلقی النبی ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۸۲

أی ترکتها فکذلک تترک فی النار «"۱»، و مثله قوله تعالی ... نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ...، و قوله- تعالی ذکره- ... وَ لا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ "...البقرة/ ۲۳۷."

و یرسّخ هذا المفهوم فی معنی النسیان المستثنی مطابقته، لقوله- تعالی ذکره-: ما نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِها نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْها أَوْ مِثْلِها" البقرة/ ۱۰۶، "قال ابن منظور ":نُنْسِها أی نأمرکم بترکها، یقال أنسیته أی أمرت بترکه، و نسیته ترکته، ثم نقل عن الفراء نحوا من التقریر السابق «"۲».

و ثانیهما: ما یعرض نسیانه للنبی صلی اللّه علیه و سلم نسیانا مؤقتا:

کشأن عارض الحوافظ البشریة، ثم یقیض اللّه عزّ و جل له ما یذکره به، ففی صحیح البخاری عن عائشة- رضی اللّه تعالی عنها- قالت: سمع النبی صلی اللّه علیه و سلم رجلا یقرأ من اللیل بالمسجد فقال: (یرحم اللّه فلانا! لقد أذکرنی کذا و کذا آیة أسقطتهن، أو کنت أنسیتها من سورة کذا و کذا) «۳»، و فیه أیضا: أن رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم أسقط آیة فی قراءته فی الصلاة فسأله أبی بن کعب: أ نسخت؟ فقال: (نسیتها) «۴».

فدخل فی هذا قول من قال ":الاستثناء بمعنی القلة «"۵»، و تظهر بذلک مناسبة قوله عزّ و جل إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَ ما يَخْفى الأعلی/ ۷" تذییلا للجملة السابقة فی أن ما یقرؤه النبی صلی اللّه علیه و سلم من القرآن هو من قبیل الجهر فاللّه جلّ جلاله یعلمه، و ما ینساه فیسقطه هو من قبیل (۱) لسان العرب ۱۴/ ۱۳۲، مرجع سابق.

(۲) لسان العرب ۱۴/ ۱۳۲، مرجع سابق، و ذهب إلی أن معنی الآیة یشیر إلی النسخ قتادة و الحسن و غیرهما، انظر روح المعانی ۳۰/ ۱۸۸، مرجع سابق، و حکاه صاحب الکشاف قولا ۴/ ۲۰۴، مرجع سابق، و ارتضاه فی تفسیر الجلالین و أیده الصاوی فی حاشیته علیهما ۴/ ۴۱۱، مرجع سابق، و کذا فی البحر المحیط ۷/ ۴۵۸، مرجع سابق، و انظر تفصیل تلک الأقوال فی: فتح القدیر ۴/ ۵۲۳،

مرجع سابق.

(۳) رواه البخارى ۵/ ۲۳۴۵، مرجع سابق.

(۴) رواه البخارى ۵/ ۲۳۴۶، مرجع سابق.

(۵) راجع: التحرير و التنوير ۳۰/ ۲۸۱، مرجع سابق، و روح المعانى ۳۰/ ۱۹۰، مرجع سابق، و انظر: ابن كثير ۴/ ۴۲۸، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۸۳

الخفى، فيعلم اللّه عزّ و جل أنه اختفى فى حافظته حين القراءة، فلم يبرز إلى النطق به «۱»، و قال القرطبى ":الجهر ما حفظته من القرآن فى صدرك، و ما يخفى هو ما نسخ من صدرك «"۲».

و عدم جواز نسيانه على مجموع الأمة، هو ما عبر عنه القرطبى بعدم النسيان الكلى فى قوله ":و قيل إلا ما شاء اللّه أن ينسى، ثم يذكر بعد ذلك، فإذا قد نسى، و لكنه يتذكر و لا ينسى نسيانا كليا «"۳»، و قال عنه الآلوسى ":ثم إنه صلى اللّه عليه و سلم لا يقر على نسيانه القليل أيضا، بل يذكره اللّه تعالى أو ييسّر من يذكّره، ثم إن المراد من نفى نسيان شىء من القرآن: نفى النسيان التام المستمر مما لا يقر عليه صلى اللّه عليه و سلم «۴»، و قرر الإمام النووى ذلك فقال:

"قوله صلى اللّه عليه و سلم (كنت أنسيتها) دليل على جواز النسيان عليه صلى اللّه عليه و سلم فيما قد بلّغه إلى الأمة، و قال القاضى عياض ":جمهور المحققين: جواز النسيان عليه ابتداء، فيما ليس طريقه البلاغ، و اختلفوا فيما طريقه البلاغ و التعليم، و لكن من جوّز قال: لا يقر عليه، بل لا بد أن يتذكره، أو يذكره «"۵».

و قال الإسماعيلى ":النسيان من النبى صلى اللّه عليه و سلم لشىء من القرآن يكون على قسمين:

أحدهما: نسيانه الذى يتذكره عن قرب

و ذلك قائم بالطباع البشرية، و عليه يدل قوله صلى اللّه عليه و سلم فى حديث ابن مسعود رضى اللّه عنه فى السهو: (إنما أنا بشر مثلكم أنسى كما تنسون) «۶»، (۱) انظر: التحرير و التنوير ۳۰/ ۲۸۲، مرجع سابق.

(۲) تفسير القرطبى ۲۰/ ۲۱، و أشار الزمخشرى إلى نحو من ذلك ۴/ ۲۰۴، مرجع سابق.

(۳) تفسير القرطبى ۲۰/ ۱۹، مرجع سابق، و بهذا التقرير يجمع بين الأقوال المختلفة فى معنى قوله جلّ جلاله: إِلَّا ما شاءَ اللَّهُ ... حال كون هذه الجملة القرآنية تتسع لكل تلك التأويل، و تحتملها من حيث الأصيل الشرعى و اللغوى، و بذا لا يكون مبرر لاستظهار الإمام الطاهر بن عاشور- رحمه اللّه تعالى- لكون معنى الاستثناء ينصرف إلى النسخ فى التلاوة، انظر: التحرير و التنوير ۳۰/ ۲۸۰، مرجع سابق. و ثمّ قولان ضعيفان ذكرهما القرطبى فى آخر تأويل هذه الجملة ۲۰/ ۱۹، مرجع سابق.

(۴) روح المعانى ۲۰/ ۱۹۰، مرجع سابق.

(۵) شرح صحيح مسلم ۶/ ۳۲۳، مرجع سابق.

(۶) البخارى ۲/ ۹۰۰، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۸۴

و الثانى: أن يرفعه اللّه عن قلبه «۱» ...

فأما القسم الأول فعارض سريع الزوال لظاهر قوله جلّ جلاله إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَ إِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ "الحجر/ ۹، «"۲»، و قال ابن حجر": و فى الحديث حجة لمن أجاز النسيان على النبى صلى اللّه عليه و سلم فيما ليس طريقه البلاغ مطلقا، و كذا فيما طريقه البلاغ، لكن بشرطين: أحدهما أنه بعد ما يقع منه تبليغه، و الآخر أنه لا يستمر على نسيانه، بل يحصل له تذكره ... إما بنفسه، و إما بغيره، فأما قبل تبليغه فلا- يجوز عليه فيه النسيان أصلا، و زعم بعض الأصوليين و بعض الصوفية أنه لا يقع منه نسيان أصلا، و إنما يقع منه صورته ليسنّ- أى ليشرّع لمن بعده من المسلمين ما يصنعون إن وقع لهم النسيان- قال عياض: لم يقل به من الأصوليين أحد إلا أبو المظفر الأسفرايينى، و هو قول ضعيف «"۳».

فقد تضافرت «۴» عبارات العلماء على جواز النسيان غير الكلى على النبى صلى اللّه عليه و سلم، و إنما أكثر من إيرادها للأهمية.

و بهذا التقرير يجمع بين الأقوال المختلفة فى معنى قوله جلّ جلاله: إِلَّا ما شاءَ اللَّهُ حال كون هذه الجملة القرآنية تتسع لكل تلك التآويل، و تحتملها من حيث الأصيل الشرعى، و اللغوى، و بذا لا يكون مبرر لصاحب التحرير و التنوير- رحمه اللّه تعالى- لكون معنى الاستثناء ينصرف إلى النسخ فى التلاوة «۵». (۱) يعنى كنسخ العمل المذكور.

(۲) فتح البارى ۹/ ۸۶، مرجع سابق، و الذى قرأ بضم أوله من غير همزة هم الكوفيون و ابن عامر و نافع من السبعة، و قرأ أبو عمرو و ابن كثير بفتح أوله بهمزة ننسأها انظر: متن الشاطبية فى القراءات السبع، مرجع سابق عند قول الناظم فى فرش سورة البقرة: (و ننسخ به ضم و كسر كفى ... و ننسها مثله من غير همز ذكت إلى).

(۳) فتح البارى ۹/ ۸۶، مرجع سابق

(۴) فائدة: تضافر و تظافر و تظاهر بمعنى واحد هو التعاون و الاجتماع. انظر: لسان العرب ۸/ ۷۱، مرجع سابق.

(۵) انظر: التحرير و التنوير ۳۰/ ۲۸۰، مرجع سابق. و ثم قولان ضعيفان ذكرهما القرطبى فى آخر تأويل هذه الجملة ۲۰/ ۱۹، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۸۵

و على هذا التقرير يحمل قول الفراء- رحمه اللّه تعالى- فى وجه الاستثناء ":إِلَّا ما شاءَ اللَّهُ "...الأعلى/ ۷ "و هو لم يشأ أن تنسى شيئا، كقوله جلّ جلاله: خالِدِينَ فِيها ما دامَتِ السَّماواتُ وَ الْأَرْضُ إِلَّا ما شاءَ رَبُّكَ "...هود/ ۱۰۷، "و لا يشاء «۱»، و يقال فى الكلام: لأعطينك كل ما سألت إلا ما شئت، و إلا أن أشاء أن أمنعك، و النية على أن لا يمنعه شيئا، فعلى هذا مجارى الأيمان، يستثنى فيها، و نية الحالف التمام «"۲»، إذ لا وجه لنفى النسيان مطلقا «۳»، و قد ثبت من طريق صحيح، إلا على سبيل نفى النسيان الكلى كما سبق تقريره، و كما يحمل عليه قوله صلى اللّه عليه و سلم فى حديث بدء الوحى الذى رواه الحارث فى مسنده: (فما نسيت شيئا بعد) «۴».

و من أعظم فوائد الاستثناء و مقتضياته المنهجية فى تعليم القرآن الكريم

ما قرره الآلوسى من ":أن اللّه- تعالت قدرته- يعلم عباده بضعفهم و قدرته، حتى يعلم النبى صلى اللّه عليه و سلم أن عدم النسيان من فضله تعالى، و إحسانه لا من قوته، أى حتى يتقوى على ذلك جدا، أو ليعرف غيره ذلك «"۵».

و هو تأكيد على المصدرية الإلهية، و مقتضياتها. (۱) أظهر منه قوله تعالى: وَ لَئِنْ شِئْنا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنا إِلَيْكَ ثُمَّ لا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنا وَكِيلًا "الإسراء/ ۸۶، "و لم يشأ- سبحانه- ذلك، و صرّح بذلك من أئمة اللغة أبو إسحاق، ثم ذكر فى توجيه الآية قريبا مما قرّر هاهنا فقال:

"و يجوز أن يكون (إلا ما شاء اللّه) مما يلحق بالبشرية، ثم يتذكر بعد، ليس أنه على طريق السلب للنبى صلى اللّه عليه و سلم شيئا أوتيه من الحكمة. "انظر: لسان العرب ۱۴/ ۱۳۲، مرجع سابق، و انظر فى ورود كلام مستثنى منه و لا يقتضى التحقق: شرح العقيدة

الطحاوية ص ۴۲۵، مرجع سابق.

(۲) (الفراء) أبى زكريا يحيى بن زياد ت ۲۰۷ ه: معانى القرآن ۳/ ۲۵۶ دار السرور- تحقيق: أحمد يوسف نجاتى، محمد على النجار، و قريب منه قول من قال ":الاستثناء بمعنى القلة، و أريد بها النفى مجازا، و قيل الكلام عليه من باب:

و لا عيب فيهم غير أن سيوفهم " ...انظر: روح المعانى ۳۰/ ۱۹۰، مرجع سابق.

(۳) حتى أن الإمام أبا حيان- رحمه اللّه تعالى- فى البحر المحيط ۸/ ۴۵۸، مرجع سابق، نعى على من زعم أن الاستثناء غير مراد، و قال: يجعل الاستثناء كلا استثناء، و هذا لا ينبغى أن يكون فى كتاب اللّه، و لا فى كلام فصيح، "و هو كلام فصيح، و لكن يسّاقط تثريبه، ثم تثريب الآلوسى- رحمه اللّه تعالى- عليه بما جمع به بين تلك الأقوال فى التقرير أعلاه.

(۴) مسند الحارث ۲/ ۸۶۷، مرجع سابق.

(۵) انظر: روح المعانى ۳۰/ ۱۹۱، مرجع سابق، و انظر: البحر المحيط ۸/ ۴۳۰، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۸۶

المطلب الثانى: معالجة مشكلة التهمة بقصور العاطفة البشرية، و التفكير البشرى:

اشارة

أما العاطفة البشرية التى يحتمل اتهام الرسول صلى اللّه عليه و سلم بها فيمكن أخذ التهمة بالخوف من عدم قبول الكفار لبعض القرآن نموذجا؛ إذ قد يتهم بأن ذلك دفعه إلى كتم بعض القرآن، و هو ربما الذى دفع بعض القصّاص المتأخرين ليدبجوا مهازيل من الأحاديث بأن النبى صلى اللّه عليه و سلم كان يود ألا ينزل ما ينفر الكفار منه.

فيؤخذ هذا النموذج فى نفى هذه التهمة:

حيث يقول اللّه سبحانه و تعالى وَ ما هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ "التكوير/ ۲۴، "و قد ورد فى هذه الآية تأويلان بحسب القراءتين الواردتين فيها «۱»، و كل قراءة تتضمن معنى ثانيا بحسب النظر إلى حرف الاستعلاء (على)، فصارت هذه الكلمة نافية لأربعة معان، ترجع إلى الشبهة المذكورة فى المطلب بأعظم الأساليب إعجازا:

فالقراءة الأولى بِضَنِينٍ أى ببخيل ... بل هو مبلّغ الوحى كله، و بظنين بمتهم، فنفى اللّه جلّ جلاله عنه النقص، و اعتوار الشك فى الأمانة، تأكيدا لقوله أَمِينٍ إن كان المراد «۲» جبريل عليه السلام، و إن كان المراد النبى صلى اللّه عليه و سلم فكذلك، لا يبخل بالوحى، و لا يقصر فى التبليغ و التعليم.

أما الصفة الثانية المنفية فى قراءة الضاد فهى الحرص، و تلوح من بين ثنايا التعبير عن عدم التقصير بقوله بِضَنِينٍ أى ببخيل ... مع أنه أمكن أن يقول بمقصر؛ إذ إن (۱) قرأ ابن كثير و أبو عمرو و الكسائى و رويس عن يعقوب بالظاء، و قرأ الباقون بالضاد. انظر: طيبة النشر، مرجع سابق، عند قول الناظم: (بظنين الظار غد حبر غنا ...).

(۲) انظر: تفسير القرطبى ۱۹/ ۲۴۲، مرجع سابق، فقد ذكر أن أهل التأويل اختلفوا فى صاحب هذه الآية وَ ما هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ جبريل عليه السلام، أو محمد صلى اللّه عليه و سلم.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۸۷

البخيل إنما يبخل بما عنده نظير ما يزعمه مصلحة له إلى وقت الحاجة، فلو كان النبى صلى اللّه عليه و سلم لا يصرّح لهم بجميع الوحى بقصد المصلحة، فيتأول تأخير بعض الوحى لعدم حلول وقته كالبخيل، و مما يمكن التمثيل به: ما فيه تبكيت لهم، أو توبيخ له مما قد

يشينه فى قلوبهم (كما فى سورة عبس) ...، فقد يقال: للمعرفة بأن المصلحة الدعوية تقتضى كتم هذه الآيات خوف الفتنة- كما يطرأ على تفكير بعض الدعاة- فسيكتمها لذلك بفعل عاطفته البشرية ...، و لكن اللّه جلّ جلاله نفى عنه هذه العاطفة القاصرة ... فلا يبخل بالوحى لأجل المصلحة الظاهرة، فكيف لو عدمت؟. سواء كان هذا تتابعا فى وصف جبريل عليه السلام أو كان وصفا للرسول الجليل صلى اللّه عليه و سلم ... و يؤيد ما قرّر هاهنا: أن فعل البخل لا يتعدى بعلى إلا على تضمينه معنى الحرص و نحوه «۱»، و لذا قال ابن زيد فى هذه الآية ":الغيب القرآن الذى لم يضمن به على أحد من الناس ... أداه و بلغه، بعث اللّه به الروح الأمين جبريل عليه السلام إلى رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم فأدى جبريل عليه السلام ما استودعه اللّه عزّ و جل إلى محمد صلى اللّه عليه و سلم و أدى محمد صلى اللّه عليه و سلم ما استودعه اللّه سبحانه و تعالى و جبريل عليه السلام إلى العباد ليس أحد منهم ضنّ، و لا كتم، و لا تخرص" «۲».

و القراءة الثانية: بظنين بالظاء المشالة معناها: ما هو على الغيب بمتهم، تأكيدا لقوله أَمِينٍ، و التهمة مطلقة، و نفيها مطلق، فتشمل ما قيل فى معنى الظنة به:

تقصيرا، أو ضعف قوة على التبليغ «۳»، فكل ذلك منتف عنه.

و الصفة الثانية المنفية بقراءة الظاء هى التجرؤ: حيث يظهر تضمين بظنين "بالظاء المشالة "معنى المتجرئ عند عدم الرضا بالقرآن المنزل، بقرينة قيام عَلَى مقام (۱) و هو ما قال به الآلوسى- رحمه اللّه تعالى-، انظر: روح المعانى ۳۰/ ۱۰۷، مرجع سابق، و مثله قرر صاحب التحرير و التنوير ۳۰/ ۱۶۲، مرجع سابق، فى إحدى المعانى التى وجه بها الآية.

(۲) فيما خرجه ابن جرير فى تفسيره عنه ۳۰/ ۸۲ مرجع سابق.

(۳) انظر: روح المعانى ۳۰/ ۱۰۶، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۸۸

فى، و المعنى: ليس بمتهم فى أمر الغيب- و هو الوحى- و لا متجرئ عليه، فيقول من عند نفسه شيئا فيدعى أنه الوحى، بل ما بلغه هو الغيب لا ريب فيه، و لذا فعكسه يتعدى بعلى كقولك: ائتمنه على كذا.

و على ما ذكر فى تأويل القراءتين لا يظهر مسوّغ لترجيح الآلوسى هذه القراءة الأخيرة على الأولى بأنها أنسب بالمقام لاتهام الكفرة له صلى اللّه عليه و سلم «۱»؛ إذ قد ظهر ما فى القراءة الأولى من حكم بالغة بادى الرأى ... و ربما يظهر للمتأمل- بعد- أيضا فى هذه، و فى غيرها- ما لا تنقضى معه عجائب القرآن- على أن الطبرى رجح القراءة الأخرى بالضاد «۲».

كما يظهر فى هذه الآية: نفى تسرب شك فى ذات الملك من حيث التهمة أو من حيث الخلل "النقص "على قراءة بظنين، أو تسرب شك فى ذات النبى صلى اللّه عليه و سلم من الحيثية ذاتها، و هو الأقرب أن يكون المراد، لأن الملك معروف بطاعته لربه بلا دخل و لا خلل فطرة قد فطر عليها، و هذا معلوم حتى عند كفرة العرب، و كذلك من حيث سياق السورة.

و سبحان اللّه بحمده، سبحان اللّه العظيم، و الحمد للّه رب العالمين. (۱) روح المعانى ۳۰/ ۱۰۶، مرجع سابق.

(۲) انظر: تفسير الطبرى ۳۰/ ۸۳، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۸۹

ملحق مناقشة علمية لتعريف القرآن الكريم:

اشارة

يرمى هذا الملحق إلى بيان ماهية القرآن من حيث أصله اللغوى، و بيان حدوده فى الوضع الشرعى، من حيث لفظه؛ إذ إن القرآن هو

موضوع تلقى النبى صلى اللّه عليه و سلم من جبريل عليه السلام، و لذا يتألف هذا الملحق من مبحثين:
المبحث الأول: القرآن فى الوضع اللغوى، و مقتضياته.
المبحث الثانى: القرآن فى الوضع الاصطلاحى، و مقتضياته.

المبحث الأول: القرآن فى الوضع اللغوى، و مقتضياته:

اشارة

يهدف هذا المبحث إلى استخراج معطيات و ذاتيات الحقيقة اللغوية لمادة (قرأ) فى أصل الوضع اللغوى، و مقتضيات ذلك، و لذا فهو ينقسم إلى مطلبين:
المطلب الأول: أقوال العلماء فى الوضع اللغوى للقرآن.
المطلب الثانى: مقتضيات مادة (القرآن) لغة.

المطلب الأول: أقوال العلماء فى الوضع اللغوى للقرآن:

اشارة

اختلف فى أصل هذه اللفظة على قولين عامين:
قول جعله علما شخصيا غير مشتق، و قول جعله مشتقا، ثم اختلف القائلون باشتقاقه على أقوال خمسة فى أصل ذلك الاشتقاق، و تفصيل ذلك مبسوط فيما يلى «۱»: (۱) و سيلمس القارئ نوع تطويل فى هذا الملحق، و عذر الباحث أن ذلك مما استلزمه سبيل التحقيق العلمى فى هذه المسألة لربط ذلك بمحور البحث، و هو لفظ القرآن الكريم و كيفية تلقى النبى صلى اللّه عليه و سلم له.
تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۹۰

۱- فقيل: هو اسم غير مشتق خاص بكلام اللّه سبحانه و تعالى

اشارة

فهو غير مهموز، و الراء محركة بالفتح، و به قرأ ابن كثير «۱»، و هذا مروى عن الشافعى- رحمه اللّه تعالى- «۲»، قال الشافعى:
"و قرأت على إسماعيل بن قسطنطين، و كان يقول: القرآن اسم، و ليس بمهموز، و لم يؤخذ من قرأت، و لو أخذ من قرأت كان كلما قرئ قرآنا «۳»، و لكنه اسم للقرآن مثل التوراة و الإنجيل "و يهمز قرأت و لا يهمز القرآن، و اختار هذا القول الإمام السيوطى- رحمه اللّه تعالى- فى الإتقان «۴» ...؛ فالقرآن على هذا قد وضع علما مرتجلا «۵»، على هذا الكتاب الكريم كما أن التوراة علم على الكتاب الذى أنزل على موسى عليه السلام، و الإنجيل علم على الذى أنزل على عيسى عليه السلام.

- و ذهب الجمهور إلى أنه مشتق، ثم اختلفوا فى أصل اشتقاقه:

۲- فرجع الأشعرى- رحمه اللّه تعالى- أنه مشتق من قرنت الشىء بالشىء:

إذا ضـممت أحدهما للآخر، و سـمى القرآن بذلك لأنه تضم حروفه و كلماته بعضـها إلى بعض، كما تضم أحكامه فى العلم و العمل فلا تجزأ «۶». (۱) و حمزة وقفا.

(۲) (الحاكم) أبو عبـد اللّه محمد بن عبد اللّه ابن البيع النيسابورى (۳۲۱ ه، ت ۴۰۵ ه): المستدرك على الصحيحين ۲/ ۲۵۰، مراجعة: مصطفى عبد القادر عطا، ۱۴۱۱ ه- ۱۹۹۰ م، دار الكتب العلميـة- بيروت، الطبعة لم تذكر. و فيه عن: محمد بن إدريس الشافعى حدثنا إسـماعيل بن عبـد اللّه بن قسطنطين قـال: قرأت على شـبل، و أخبر شـبل أنه قرأ على عبـد اللّه بن كـثير، و أخبر عبـد اللّه أنه قرأ على مجاهـد، و أخبر مجاهـد أنه قرأ على ابن عبـاس رضـى اللّه عنه و أخبر ابن عبـاس رضـى اللّه عنه أنه قرأ على أبى بن كعب، و قال ابن عباس رضى اللّه عنه: قرأ أبى على النبى صلى اللّه عليه و سلم.

(۳) ليست هذه النتيجة مستلزمة للمقدمة ... إذ يصح أن يؤخذ من قرأت، و لا يسـمى كل ما قرئ قرآنا من حيث تخصـيص الشرع، أو العرف للعام، و إن بقى اسمه عاما.

(۴) الإتقان فى علوم القرآن ۱/ ۵۱، مرجع سابق. و انظر: لسان العرب ۱۱/ ۷۸، مرجع سابق.

(۵) العلم المرتجل: ما لم يسبق له استعمال قبل العلمية فى غيرها كسعاد و أدد. انظر: (ابن عقيل) بهاء الدين عبد اللّه ابن عقيل العقيلى (۶۹۸ ه، ۷۶۹ ه): شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ۱/ ۱۰۰، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد فى حاشيته عليه المسماة: منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل، لم تذكر الطبعة و لا الدار.

(۶) الإتقان فى علوم القرآن ۱/ ۵۱، مرجع سابق، و انظر: (أبو البقاء) أيوب بن موسـى الحسينى الكوفى الكليات ۷۲۱، ۱۴۱۲ ه- ۱۹۹۲ م، قابله على نسخة خطية، و أعده للطبع، و وضع فهارسه: د. عدنان درويش- محمد

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۹۱

و هذا هو القول الاشـتقاقى الأول «۱»، و يومئ له حـديث ابن مسـعود رضـى اللّه عنه: (إنا قد سـمعنا القراءة، و إنى لأحفظ القرناء التى كـان يقرأ بهـن النـبى صـلى اللّـه عليه و سـلم ثمـانى عشـرة سـورة من المفصـل، و سـورتين من آل حم) «۲» ... و قـد ينـازع فى هـذا الاستدلال.

۳- و قيل: أنه مشتق من القرينة

و أنه اسم جمع لها، و القرينة العلامة، قالوا: لأن آياته يصدّق بعضها بعضا، فهى قرائن على الصدق «۳»، و نسبه السيوطى للفراء- رحمه اللّه تعالى «۴».

و هذا هو القول الاشتقاقى الثانى:

و على كل الأقوال المتقدمة فإن [قرآن وزنه فعال، و نونه أصلية.

و على القولين الاشـتقاقيين السابقين: فإن أصلهما واحد هو القرن «۵»؛ إذ القرينة ترجع إليه، و منه: صدق فلان بقرينة كذا أى بضـميمة كذا، و المراد ما اقترن بصحة صدقه، و هذا هو المطلوب الأول «۶».

- و قيل بل هو مشـتق من قرأ ... ثم اختلف القائلون بذلك فى أصل المدلول اللغوى لكلمة قرأ ... المصـرى- مؤسـسة الرسالة- بيروت ط ۱، تفسـير التحرير و التنـوير ۱/ ۷۱، مرجع سـابق. ثم انظر إلى ذم القرآن لمن يجزئه فى قـوله تعـالى الَّذِينَ جَعَلُـوا الْقُرْآنَ عِضِـينَ" كالحجر/ ۹۱. "راجع فيها: فتح القدير ۳/ ۱۸۰، (الشوكانى) محمد بن على ابن محمد الشوكانى ۱۲۵۰ ه: فتح القدير الجامع بين الرواية و الدراية من التفسير ط ۱، ۱۴۱۵- ۱۹۹۵ م، اعتنى به، و راجع أصوله: يوسف الغوش- دار المعرفة بيروت.

(۱) و يظهر من صـنيع البخـارى- رحمه اللّه تعـالى- فى الصـحيح تأييـده، إذ أورد فى معنى القرآن ":سـمى القرآن لجماعـة السور، و

سميت السورة لأنها مقطوعة من الأخرى، فلما قرن بعضها إلى بعض سمى قرآنا: انظر: صحيح البخارى ۴/ ۱۷۷۰، مرجع سابق.

(۲) صحيح البخارى ۴/ ۱۹۲۴، مرجع سابق.

(۳) تفسير التحرير و التنوير ۱/ ۷۱، مرجع سابق.

(۴) الإتقان ۱/ ۵۱، مرجع سابق.

(۵) و منه اقترن قرانا و مقارنة. انظر لسان العرب ۱۱/ ۱۳۴، مرجع سابق.

(۶) في اصطلاح الباحث.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۹۲

۴- فقال قوم منهم الزجاج- رحمه اللّه تعالى "-:تدور كلمة (قرأ) على معنى الجمع و الضم.

اشارة

و منه قرأت الماء على الحوض أى جمعته «۱» ... قال ابن منظور- رحمه اللّه تعالى "-:قرأه يقرؤه و يقرؤه، الأخيرة عن الزجاج قرءا و قراءة، و قرآنا، الأولى عن اللحيانى فهو مقروء."

قال أبو إسحاق النحوى- رحمه اللّه تعالى "-:يسمى كلام اللّه سبحانه و تعالى الذى أنزله على نبيه صلى اللّه عليه و سلم كتابا و قرآنا و فرقانا، و معنى القرآن معنى الجمع، و سمى قرآنا؛ لأنه يجمع السور فيضمها «"۲"»، و إلى نحو ذلك مال ابن فارس- رحمه اللّه تعالى-، و قال أبو عبيدة ":لأنه جمع السور بعضها إلى بعض «"۳"»، و قال الراغب ":لأنه جمع ثمرات الكتب السالفة المنزلة، و قيل لأنه جمع أنواع العلوم كلها «"۴"».

و هذا هو القول الاشتقاقى الثالث

و على هذا فالقرآن مصدر بمعنى اسم الفاعل، أى الجامع «۵».

و قد غلط الزجاج القول السابق: باشتقاق القرآن من قرن، و قال ":هو سهو «"۶"»، مع أن التأمل قاض بأن الخلاف لفظى بين هذا القول، و القول الذى جعل اشتقاق القرآن من القرن من حيث أن حاصل كل منهما الضم و الجمع: فضم حرف إلى حرف، و ضم (۱) الإتقان ۱/ ۵۱، مرجع سابق.

(۲) لسان العرب ۱۱/ ۷۸، مرجع سابق، و انظر: (ابن فارس) أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا الرازى: معجم المقاييس فى اللغة ۲/ ۷۸، بتحقيق و ضبط عبد السلام هارون، ط ۱، ۱۴۱۱ ه- ۱۹۹۱ م، دار الجيل.

(۳) (أبو عبيدة) معمر بن المثنى التيمى: مجاز القرآن ۳، ط ۱، الخانجى الكتبى بمصر ۱۹۵۴ م. حققه د. محمد فؤاد سزكين.

(۴) (الراغب) أبو القاسم الحسين بن محمد الأصفهانى ت ۵۰۲ ه: المفردات فى غريب القرآن ۳۹۸، تحقيق محمد سيد كيلانى، دار المعرفة- بيروت.

(۵) (الشنقيطى) محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطى: نثر الورود على مراقى السعود ۱/ ۸۸- تحقيق و إكمال تلميذه الدكتور: محمد ولد سيدى ولد حبيب الشنقيطى- الناشر: محمد محمود محمد الخضر القاضى- دار المنارة جدة ط ۱، ۱۴۱۵- ۱۹۹۵ م.

(۶) الكليات ۱/ ۷۲۱، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۹۳

كلمة إلى كلمة، و ضم سورة إلى سورة ... يصدق عليه أن يجعل المصدر (قرن) مكان المصدر (ضم)، فإذا المعنى واحد، و هذا هو المطلوب الثانى:

فقد تحصل من المطلوب الأول و الثانى: أن القرآن مأخوذ من القرن أو الجمع، و هما آئلان إلى معنى واحد.

۵- و قال قوم: قرأ بمعنى تلا، و القرآن مصدر بمعنى اسم المفعول (المقروء أو المتلو)

زيدت فيه الألف و النون، كما زيدتا فى الغفران و الرجحان «۱». و إلى هذا المعنى مال رأى الإمام عبد الرحمن الثعالبى- رحمه اللّه تعالى-، و قدمه على المعنى الأول، قال ":و منه قول حسان رضى اللّه عنه:

ضحوا بأشمط عنوان السجود به يقطع الليل قرآنا و تسبيحا

أى قراءة «"۲».

و قد أيد هذا المعنى إمام المفسرين الطبرى- رحمه اللّه تعالى-، فقال ":و الواجب أن يكون تأويله على قول ابن عباس رضى اللّه عنه: التلاوة و القراءة «۳»، و كذا رجح هذا المعنى صاحب كتاب "النبأ العظيم «"۴».

و يؤيده أن أول ما بدئ به الرسول من الوحى القرآنى اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ ...

الآية، و قد قال تعالى وَ قُرْآناً فَرَقْناهُ لِتَقْرَأَهُ " ...الإسراء/ ۱۰۶، "فهمزة (قرآن) همزة أصلية «۵». (۱) نثر الورود ۱/ ۸۸، مرجع سابق، و انظر الكليات ص ۷۲۰، مرجع سابق.

(۲) (الثعالبى) عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الجزائرى: الجواهر الحسان فى تفسير القرآن ۱/ ۳۲، دار القلم، بيروت.

(۳) (الطبرى) أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى (ت ۳۱۰): تفسير الطبرى المسمى جامع البيان فى تأويل القرآن ۱/ ۴۱، ط ۳ ۱۳۸۸ ه- ۱۹۶۸ م، شركة مكتبة و مطبعة مصطفى البابى الحلبى و أولاده بمصر.

(۴) د. محمد عبد اللّه دراز: النبأ العظيم ص ۵، اعتنى به و خرج أحاديثه: عبد الحميد الدخاخنى ط ۱ ۱۴۱۷ ه- ۱۹۹۷ م، دار طيبة الرياض.

(۵) المراد بالأصلية هنا أنها ليست ساقطة سقوطا كاملا من الكلمة، لا المراد الصرفى، إذ يصدق على كونه مأخوذا من قراءة لا من القرن، و غاية البحث منصبة على جمع أصل التفكير فى أصل الكلمة على القولين.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۹۴

و هذا هو القول الاشتقاقى الرابع.

و قد جمع بعض العلماء المعاصرين «۱» بين المعنيين السابقين (القرن، أو الضم و هو ما ذكر فى حاصل المطلوب الأول و الثانى، و التلاوة و القراءة) فى معنى واحد: هو الجمع ذاته، فيكون أصل كلمة (قرأ) هو الجمع، ثم صار استعمال مصدر (القرآن)- بعد- مشتهرا فى التلاوة، و هى ضم الألفاظ بعضها إلى بعض فى النطق، كما أن استعمال الكتاب فى خصوص الرسم، و هو ضم الألفاظ بعضها إلى بعض فى الخط، و مادتا (كتب) و (قرأ) تدوران على معنى الجمع و الضم مطلقا، و بلمح هذا الأصل الأول يكون كل من اللفظتين ملاحظا فيه وصف الجمع، إما على معنى اسم الفاعل فيكون معناه (الجامع)، أو اسم المفعول فيكون معناه (المجموع)، و هذا اللقب لا يعنى فقط أن هذا المسمى جامع للسور و الآيات، أو أنه مجموع تلك السور و الآيات من حيث هى نصوص مؤلفة فى صفحات القلوب، أو من حيث هى نقوش مصفوفة فى المصحف و الألواح، أو من حيث هى أصوات مرتلة منظومة على الألسنة، بل يعنى شيئا أدق من ذلك كله، و هو أن هذا الكلام قد جمع فنون المعانى و الحقائق، و أنه قد حشدت فيه كتائب الحكم و الأحكام، كما قال عزّ و جل: وَ نَزَّلْنا عَلَيْكَ الْكِتابَ تِبْياناً لِكُلِّ شَيْءٍ "النحل/ ۸۹."

و أكـد أبو بكر الأنبـارى- رحمه اللّه تعالى- ذلك بقوله سبحانه و تعالى فَإِذا قَرَأْناهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ "القيامـة/ ۱۸، "إذ قـال فى معناه ":إذا ألفنا منه شيئا، فضـممناه إليك، فخذ به، و اعمل به، و ضمه إليك «"۲»؛ إذ إن التـأليف هو جمع كـائن هاهنا بالألفاظ و هو التلاوة، و بالنقوش و هو الكتابـة «۳»، و هـذا هو المطلوب الثالث. (۱) هو الـدكتور محمـد عبـد اللّه دراز ذاته فى كتابه النبأ العظيم ص ۶، مرجع سابق.

(۲) (الأنبـارى) أبو بكر محمـد بن القاسم: الزاهر فى معانى كلمات الناس ۱/ ۷۱، تحقيق: د. حاتم صالـح الضامن، اعتنى به: عز الدين البدوى النجار- ط ۱ ن ۱۴۱۲ ه- ۱۹۹۲ م، مؤسسة الرسالة- بيروت.

(۳) هذا استطراد- لا يذم- فى معنى كتب بجانب قرأ ليتضح معنى الكتاب إلى جانب القرآن من حيث دلالة قرأ على الجمع القرائى، و دلالة كتب على الجمع الخطى.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۹۵

و استلزام الجمع التلاوة فى مادة (قرأ) كاسـتلزام الجمع الكتابـة فى مادة (كتب)، و بـذا اجتمع على سـلك واحـد المعنى الذى ارتضاه الطبرى للقراءة و هو التلاوة، و المعنى الآخر الـذى نسبه إلى قتادة، و هو التأليف فلا يكون- بعـد- لقوله- رحمه اللّه تعالى "-:و لكلا القولين، أعنى قول ابن عباس رضـى اللّه عنه و قول قتادة اللـذين حكيناهما وجه صـحيح فى كلام العرب، غير أن أولى قوليهما بتأويل قول اللّه تعـالى إِنَّ عَلَيْنـا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ (۱۷) فَإِذا قَرَأْناهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ "القيامـة/ ۱۷- ۱۸، "قول ابن عباس رضـى اللّه عنه «۱»- مكان فى قوانين الترجيح؛ لأن أقل أحوال الترجيح أن يكون فرع التغاير؛ إذا كان الترجيح ترجيحا أولويا و لا تغاير هنا.

فقـد التقت المعانى الأربعـة (القرآن، القرينة، الضم، التلاوة) فى الجمع، لكنه قرن، و ضم، و جمع خاص بالحروف القرآنية و هو معنى التلاوة، فالمعانى الأولى باعتبار المعنى العام، و التلاوة باعتبار المعنى الخاص. و هذا واضح من المطلوبات الثلاثة.

و قد تحصل مما سـبق أن القرآن يعنى فى ذاته الجمع، و قد أريد به جمع مخصوص هو جمع الحروف فى النطق، و هو الذى اصـطلح على تسـميته بالتلاوة، و هى حالة خاصة من القراءة ترتبط غالبا بالقرآن الكريم، و لهذه النتيجة أهميتها البالغة كما سـيأتى- إن شاء اللّه تعالى- فى المطلب الثانى من هذا المبحث.

۶- و قال قطرب- رحمه اللّه تعالى "-:إنما سمى القرآن قرآنا لأن القارئ يظهره

و يبينه، و يلقيه من فيه أخذا من قول العرب: ما قرأت الناقة سلى قط، أى: ما رمت بولد «۲»، قال حميد ابن ثور:

أراها غلاماها الخلى فتشذرت مراحا، و لم تقرأ جنينا و لا دما

«۳» و هذا هو القول الاشتقاقى الخامس (القرآن: البيان، و الإظهار). (۱) تفسير الطبرى ۱/ ۴۲، مرجع سابق.

(۲) (التـبريزى) الإمـام الخطيب أبى زكريـا يحيى بن على التبريزى (ت ۵۰۲): شـرح القصائد العشر ص ۳۸۰- علق عليه: السـيد أحمد الخضر- مكتبة الثقافة الدينية- القاهرة. و انظر: الإتقان فى علوم القرآن ۱/ ۵۱، مرجع سابق.

(۳) الزاهر فى معانى كلمات الناس ۱/ ۷۲، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۹۶

المطلب الثانى: مقتضيات مادة (القرآن) لغة:

اشارة

بـالعودة المتأملـة إلى المقررات اللغويـة فى المطلب السـابق يمكن اسـتخراج ذاتيـات و معطيـات مادة (قرأ)، فما كان اختيار قـدرى لها

لتقترن بكلام رب العالمين علما عليه إلا لدلالات تضمنتها مادتها:

فأما أولا: فإن قاعدة التفكير فى الأصل اللغوى لكلمة (قرآن) هى:

أ- من حيث القولان العامان: أن لفظ (قرآن) هو مصدر (وصف مهموز) «۱»، من (قرأ) على ما ذهب إليه الجمهور، و لكنه نقل و جعل علما شخصيا على الكتاب الكريم، و من باب الاشتراك اللفظى فإنه يطلق على بعضه، أو على جميعه، و كونه صار علما شخصيا هو عين ما ذهب إليه الشافعى و محققو الأصوليين «۲».

و بذا لا يتعارض القولان العامان الواردان فى الأصل اللغوى للفظ (قرآن) من حيث أصل فكرتهما، بعد سلوك هذه السبيل التوفيقية فى الجمع بينهما.

فالقرآن على وزن فعلان، وزنة فعلان وردت فى المصادر مثل غفران، و شكران، و بهتان، كما وردت زيادة النون فى أسماء الأعلام، مثل عثمان و عدنان، و حسان. و اسم (قرآن) صالح للاعتبارين؛ إذ هو مشتق من معنى الضم و الجمع سواء كان أصل الاشتقاق قراءة، أو قرنا؛ لذا اتفق أكثر القراءة على قراءة لفظ (قرآن) مهموزا أنى وقع فى التنزيل، و لم يخالفهم إلا ابن كثير، و حمزة وقفا، حيث قرءاه بفتح الراء بعدها ألف و إسقاط الهمز على تخيف المهموز، و هى لغة حجازية، و الأصل توافق القراءات فى مدلول اللفظ المختلفة قراءته «۳»، و يؤكد هذا المعنى أن الإمام أبا عمرو المقرئ قد قرأ على ابن (۱) المراد شبيه بالوصف، لا ـ أنه وصف حقيقى و ذلك بمشابهة المصدر للوصف فى عمل الفعل و نحوه.

(۲) روح المعانى ۱/ ۶۲، مرجع سابق، النبأ العظيم ص ۷، مرجع سابق.

(۳) التحرير و التنوير ۱/ ۷۱، مرجع سابق. و إنما مال الشافعى إلى أنه علم خاص بالقرآن غير مشتق لأن سنده فى القراءات يتصل بابن كثير- رحمه اللّه- انظر: الكليات ص ۷۲۰، مرجع سابق، و لسان العرب ۱۱/ ۷۸، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۹۷

كثير، فهو من جملة شيوخ أبى عمرو فى القراءات، لكن اختياره المنقول إلى يومنا هو قراءة لفظ (القرءان) بالهمز «۱» ... و معلوم مكانه من النحو و اللغة، كما هى فى الإقراء، فلو لم يستقر عنده اتحاد المعنيين مهموزا، أو مخففا لكان أجدر أن ينقل الوجه الذى ارتضاه شيخه.

فقد تقرر أن لفظة (قرآن) مصدر مشتق من (قرأ، أو قرن) صار علما شخصيا على ذلك الكتاب الكريم «۲»، و هما القولان العامان.

كما تقرر على القول الاشتقاقى الأول، و الثانى، و الثالث، و الرابع أن القرآن مأخوذ فى أصل معناه من الجمع و الضم «۳» (و هو القرن)، لكنه جمع مخصوص لجملة (۱) خلافا لما نقله فى لسان العرب ۱۱/ ۷۸، مرجع سابق من أنه لا ـ يهمز ... انظر: (الشاطبى) أبو القاسم أو أبو محمد القاسم بن فيرة بن خلف بن أحمد الرعينى الشاطبى ت ۵۹۰ ه: حرز الأمانى و وجه التهانى (متن الشاطبية)، ط ۱، ۱۴۱۲ ه- ۱۹۹۲ م، المكتبة الثقافية- بيروت، عند قول الناظم فى فرش سورة البقرة: (و نقل (قرآن) و القرآن دواؤنا)، و انظر: (ابن الجزرى) محمد بن محمد بن محمد بن على ت ۸۳۳ ه: طيبة النشر فى القراءات العشر ص ۹۷، عند قول الناظم فى باب نقل الهمز: (كيف جاء القرآن دف)، ضبطه و صححه و راجعه: محمد تميم الزعبى، توزيع مكتبة دار الهدى، المدينة المنورة.

(۲) هاهنا إشكالان: أولهما: متعلق بصحة التعبير فى هذه الجملة؛ إذ لا يقال مصدر مشتق على مذهب البصريين السائد، مع اتفاقهم على أن المصدر جامد، و هو أصل المشتقات. قال الحريرى فى ملحة الإعراب:

و المصدر الأصل و أى أصل و منه يصح اشتقاق الفعل

إلا أن يراد بالاشتقاق هنا معنى أعم من الاشتقاق الاصطلاحى، و هو رد لفظة إلى لفظة ...

و ثانيهما: إن قررنا أن القرآن علم فكيف يجتمع ال و العلمية فى كلمة .. و يجاب عليه بأنه لا إشكال فقد قال ابن مالك:

و بعض الأعلام عليه دخلا للمح ما قد كان عنه نقلا

كالفضل و الحرث و النعمان فذكر ذا و حذفه سيان

انظر: نثر الورود ۱/ ۸۸- ۸۹، مرجع سابق.

(۳) و صرح ابن الأثير فى النهاية بذلك فقال ":قد تكرر فى الحديث ذكر القراءة، و الاقتراء، و القارئ، و القرآن، و الأصل فى هذه اللفظة الجمع، و كل شىء جمعته فقد قرأته، " ...انظر: (ابن الأثير) المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم ابن الأثير الجزرى: النهاية فى غريب الأثر ۳/ ۳۵۸ مراجعة طاهر أحمد الزاوى+ محمود محمد الطباخى، ۱۳۹۹ ه- ۱۹۷۹ م، دار الفكر- بيروت.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۹۸

أصوات خارجة من مخارجها، تصير بضمها و جمعها لبعضها قرآنا، و يسمى النطق بها تلاوة، فهى نوع خاص من القراءة، صارت مقترنة بالقرآن، و هذه الأحرف تخرج مظهرة، مبيّنة، محددة كما حددها الشارع «۱»، و هو القول الاشتقاقى الخامس.

و بهذا يكون أصل التفكير فى الأصل اللغوى لكلمة (قرآن) قد اتحد، و إن اختلفت عبارات المعبرين عنه، و هو معنى الجمع و الضم، و لكن بعضهم عبر عن ذلك بما يؤول إليه جمع الحروف، و قرنها ببعضها عند نطق القارئ بها فى خصوص القرآن فسماه تلاوة، و بعضهم نظر إلى أن حروف القرآن لا تكون كذلك حال التلفظ بها إلا أن تخرج محددة مبيّنة مظهرة، فجعل الاشتقاق آتيا من ذلك.

و لمعرفة الأصل التفكيرى فى اشتقاق هذه الكلمة أهمية بالغة، كان ما سبق أول ملامحها.

و أما ثانيا: فإن كون الخطاب الشرعى واردا بأصل الوضع العربى

فتفهم مفرداته من خلال مقتضيات الدلالة فى اللغة العربية «۲» ... يسوغ لنا- إن لم يحتم علينا- أن ننظر فى مقتضيات الدلالة اللغوية لمادة (قرأ)، و نعتمد تلك الدلالات كحقائق ما لم يخصصها- تعديلا أو إلغاء- قرين شرعى.

فمن ذلك: أن كون (قرآن) قد صارت علما شخصيا يحتم قراءة ألفاظها، وفق خصوصيتها، و لا تصح فيها كل قراءة يطلق عليها قراءة.

و أما ثالثا: فإن كلمة (قرآن) تدل فى أصل معناها على الجمع

كما سبق، و هذا يقتضى أن تكون الحروف مجموعة فى كلمتها حال النطق، فلا يجوز نطق كل حرف فى الكلمة مستقلا عن قرينه فى الكلمة ذاتها، كما لا بد من قدر من اجتماع الكلمات أثناء (۱) هذا هو أصل فكرة التوقيف.

(۲) انظر: الموافقات فى أصول الشريعة ۲/ ۸۹، مرجع سابق، عند الكلام على مقاصد الشريعة فى وضع الشريعة للإفهام.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۹۹

التلاوة، و يحدّد هذا القدر التلقين الشرعى الذى هو أساس الأداء القرائى، و يبنى على هذا أن قراءة القرآن حرفا حرفا- على معنى الحرف الهجائى- أى لكل حرف على حدة باطلة، و كذا القراءة لكل كلمة على حدة باطلة- من حيث هى قراءة للقرآن- إلا أن تصح لصارف خارجى «۱»؛ إذ لا يسمى ذلك قرآنا لمنافاته المقتضى اللغوى لمادة (قرآن).

و صرح بما يشبه هذه النكتة الإمام التفتازانى- رحمه اللّه تعالى- فقال ":يدخل فى الحد- يعنى تعريف القرآن- الحرف، أو الكلمة، و لا يسمى قرآنا فى عرف الشيوع «"۲»، ذلك بأنه لم يجمع إلى غيره.

و من جهة أخرى فإن لفظة الجمع، و معنى (الجامع) و (المجموع) على ما تقرر سابقا يقتضى بطلان قراءة الآيات أو الكلمات معكوسة حروفها إذ لم تنزل- من حيث هى قرآن- إلا بهذه الهيئة المعينة من الجمع فجمعها على غير ذلك مبطل لكونها قرآنا، و جاز تقديم بعض السور على بعض لأنها قد أنزلت كذلك مقدما بعضها على بعض، ثم تلقيت عن الرسول صلى اللّه عليه و سلم مع جواز تقديم

بعضها على بعض نقلا، بخلاف الآيات أو الكلمات.

و أما رابعا: فإن قراءة القرآن غير كائنة فى حقيقتها قراءة للقرآن

إلاـ إذا اقترنت باللفظ ... و ذا يستلزم الصوت، فكان لاـ بدّ من الصوت فى قراءة القرآن سواء كان خفيا (۱) كأن تكون الكلمة آية بأكملها مُدْهامَّتانِ "الرحمن/ ۶۴، "و المراد بالكلمة هاهنا: الكلمة العرفية، و هى ما التصقت حروفه، لا المعنى النحوى ...

(۲) (التفتازانى) سعد الدين مسعود بن عمر الشافعي- ت ۷۹۲ ه: التلويح على التوضيح لمتن التنقيح فى أصول الفقه- ضبطه، و خرج آياته، و أحاديثه: الشيخ زكريا عميرات ط ۱، ۱۴۱۶ ه- ۱۹۹۶ م، دار الكتب العلمية، بيروت، و تزيد الثقة بصحة هذا المستنتج بتصريح العلماء بنظيره فى الناحية المعنوية، حيث قالوا: لم يسم قرآنا إلا لجمعه ثمرات الكتب السالفة، و قال ابن الأثير: لأنه جمع القصص، و الأمر، و النهى، و الآيات، و السور بعضها، إلى بعض ...

فإن كان هذا فى الناحية المعنوية، فليكن كذلك من حيث اللفظ.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۳۰۰

أو جهريا. و أخذ هذا المستنتج مما أورده ابن منظور فى لسان العرب، حيث قال ":معنى قرأت القرآن: لفظت به مجموعا أى ألقيته" «۱».

و أما خامسا: فالقراءة الحقيقية للقرآن من حيث هى قراءة للقرآن

هى التى يكون الصوت فيها مجهورا مسموعا، و لا يرد على هذا الأصل ورود القراءة السرية فى الشرع؛ ذلك أنه لا إشكال فى تسميتها قراءة، لكن لا يطلق عليها هذا الإطلاق إلا و هى مقيدة به، أما مطلق القراءة دون قيد فتصرف إلى القراءة المجهور بها، و يدل على هذا الأصل حديث ابن عباس رضى اللّه عنه قال: قرأ النبى صلى اللّه عليه و سلم فيما أمر، و سكت فيما أمر ... وَ ما كانَ رَبُّكَ نَسِيًّا "مريم/ ۶۴ "لَقَدْ كانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ " ...الأحزاب/ ۲۱، "و أوله: (سمع قوما يتقارءون) «۲»، معناه: أنه كان لا يجهر فيها، أو لا يسمع نفسه قراءته، و قال ابن منظور ":كأنه رأى قوما يقرءون فيسمعون نفوسهم و من قرب منهم «"۳».

فأشعر الكلام بمنطوقه أن المخافتة فى قراءة القرآن ليست هى الأصل، بل تكون مقيدة بالمخافتة عند طلبها لتكون كذلك ... و يبقى هذا الاستنتاج بحاجة إلى غربلة و قوة بحث ليكون كسابقيه «۴»، من حيث قوة الثبوت «۵». (۱) لسان العرب ۲۲/ ۷۸، مرجع سابق، و فى ۱۱/ ۸۰ منه ":قال أبو إسحاق النحوى: و قرأت القرآن لفظت به مجموعا."

(۲) صحيح البخارى ۱/ ۲۶۸، مرجع سابق، و الذى عند ابن منظور لفظه: (كان لا يقرأ فى الظهر و العصر).

(۳) لسان العرب ۱۱/ ۷۹، مرجع سابق، و هو ما قرره ابن الأثير فى معناها، انظر النهاية ۳/ ۱۲۳، مرجع سابق.

(۴) لعل فى قوله سبحانه و تعالى وَ لا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَ لا تُخافِتْ بِها "الإسراء/ ۱۱۰ "إشارة إلى هذه المسألة. و غير خاف أن الجهر المتحدث عنه هو المعتدل لا المزعج المستقبح، ثم هو فى كل حال بحسبه. انظر: روح المعانى ۱۵/ ۲۷۸، مرجع سابق.

(۵) و تقدم فى الفصل الرابع ص ۲۳۲ أن أول أسس حفظ القرآن حفظه فى الصدر، و قد تقرر أن القراءة المجهورة هى المناسبة للفظ و الفهم، فى حين تقتصر القراءة الخفية على قدر من الفهم فحسب غالبا. انظر: مقال (ظاهرة النسيان) مجلة البيان، العدد ۱۰۵، جمادى الأولى ۱۴۱۷ ه.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۳۰۱

و أما سادسا: فمن المقتضيات اللغوية الهامة لمادة قرأ من حيث هى متعلقة بألفاظ القرآن الكريم:

حتمیهٔ البیان لیعتد بالخارج من الفم قرآنا، فلا یکفی اللفظ (مجرد التصویت) حتی یقترن بالبیان فی القراءهٔ، و هذا یستفاد لغهٔ من القول الاشتقاقی الخامس، و نقلا من قول ابن عباس رضی اللّه عنه فی قوله جلّ جلاله فَإِذا قَرَأْناهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ "القیامهٔ/ ۱۸ ":"فإذا بیناه لک بالقراءهٔ فاعمل بما بیناه لک «"۱»".

و هذا تقعید حسن للتجوید من حیث أنه مخارج و صفات ذاتیهٔ، أی من حیث إعطاء الحرف حقه، کما أنه رافد لاقتضاء لفظهٔ (القرآن) ذاتیا لأداء محدد من قبل الشارع، و قد تظاهرت عبارات أهل العلم علی دلالهٔ لفظ (القرآن) علی هذا المعنی، فأورد ابن القیم- رحمه اللّه تعالی- ذلک فی الفوائد المشوّق إلی علوم القرآن «۲»، و قال فی زاد المعاد ":و أما المهموز- عنی مادهٔ قرأ- فإنه من الظهور و الخروج علی وجه التوقیت و التحدید، و منه قراءهٔ القرآن؛ لأن قارئه یظهره و یخرجه مقدارا محدودا لا یزید و لا ینقص، و یدل علیه قوله سبحانه و تعالی إِنَّ عَلَیْنا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ "القیامهٔ/ ۱۷، "ففرق بین الجمع و القرآن، و لو کان واحدا لکان تکریرا محضا، ثم استدل بقول ابن عباس رضی اللّه عنه السابق «۳»، و هو الذی (۱) انظر حدیث المعالجهٔ فی المبحث السادس من الفصل الثالث، و انظر: لسان العرب ۱/ ۷۹، مرجع سابق.

(۲) انظر: (ابن القیم) شمس الدین أبی عبد اللّه محمد بن أبی بکر: الفوائد المشوقهٔ إلی علوم القرآن ۳۳۳، ۱۹۸۷ م، دار مکتبهٔ الهلال، بیروت. لکنه خص الإظهار و البیان لشیء معنوی هاهنا حیث قال ":البیان لأنه أظهر سائر العلوم المحتاج إلیها فی أمر الدین و الدنیا و جمع بینهما " ...فلیکن ذلک اللفظ حیث خصه بالمعنی دون مخصص ...

(۳) (ابن القیم) شمس الدین أبی عبد اللّه محمد بن أبی بکر: زاد المعاد فی هدی خیر المعاد ۵/ ۶۳۵، حقق نصوصه و خرج أحادیثه، و علق علیه، شعیب الأرناءوط، و عبد القادر الأرناءوط، ط ۸، ۱۴۰۵ ه- ۱۹۸۵ م، مؤسسهٔ الرسالهٔ، بیروت.

و یلاحظ أنه عتب علی أبی عبیدهٔ- قال "-:لزعمه أن القرآن مشتق من الجمع، "و لا عتب علی أبی عبیدهٔ و لا ملامهٔ؛ إذ إن تفریق ابن القیم بین (قری) المعتل و (قرأ) المهموز فیه نظر؛ فإن ابن فارس قد قال بعد کلامه عن المعتل ":فإذا همز هذا الباب فهو و الأول سواء. "انظر: معجم المقاییس ۲/ ۷۸، مرجع سابق، و لا شک فی تقدیم کلام ابن فارس- رحمه اللّه تعالی- من حیث هو فارس هذا المیدان فی هذا الشأن.

تلقی النبی ص ألفاظ القرآن، ص: ۳۰۲

ختم علیه الآلوسی- رحمه اللّه تعالی- بطابع التصدیق، فقال ":فمعنی القرآن: المقروء المتلو، أو المظهر المبرز «"۱»، و قرره فی (نشر الورود) بنحو هذه العبارهٔ «۲».

و أما سابعا: فإن القراءهٔ تستلزم حبس النفس، و ریاضهٔ الفک

قال أبو عمرو ابن العلاء- رحمه اللّه تعالی "-:دفع فلان جاریته تقرّئها: أی تمسکها حتی یتحقق الاستبراء «"۳».

و قبل الانتقال إلی التعریف الاصطلاحی للقرآن الکریم، فإن الناظر فیما سبق یتضح له سبب الاختیار القدری و الشرعی للفظهٔ (قرآن) لتقترن بکلام اللّه عزّ و جل، إذ کان بسبب تضمنها لمقتضیات ذاتیهٔ تجعل لفظها و هیئهٔ أداء هذا اللفظ توقیفیهٔ، و هو ما قام جبریل علیه السلام بتعلیمه للنبی صلی اللّه علیه و سلم بأمر من اللّه سبحانه و تعالی، لا فرق فی ذلک بین أصل اللفظ، و لا هیئهٔ أدائه، و قد رأیت أن أول أدلهٔ ذلک هو المقتضیات اللغویهٔ للفظهٔ (قرآن). (۱) روح المعانی ۱/ ۸۸، مرجع سابق.

(۲) انظر نشر الورود: ۱/ ۸۹، مرجع سابق.

(۳) لسان العرب ۱۱/ ۸۱، مرجع سابق.

تلقی النبی ص ألفاظ القرآن، ص: ۳۰۳

المبحث الثانی "القرآن "فی الوضع الاصطلاحی، و مقتضیاته:

اشارة

یرمی هذا المبحث إلی بیان المراد بالقرآن من حیث الوضع الاصطلاحی، و مقتضیات ذلک من حیث ألفاظه تحدیدا و تبیینا لهیئة القراءة ... و فیه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: بواعث تعریف القرآن اصطلاحا.

المطلب الثانی: أقوال العلماء فی الوضع الاصطلاحی لکلمة (قرآن).

المطلب الثالث: إشارات عامة حول علاقة التعریف الاصطلاحی بألفاظ القرآن الکریم.

المطلب الأول: بواعث تعریف القرآن اصطلاحا:

تناول العلماء تعریف القرآن لا بسبب الجهل به، أو عدم وضوحه للناس، بل لأمور:

أولها: ضبط ما تعبد به تلاوة.

ثانیها: ضبط ما تجوز به الصلاة و أقله، و ما لا تجزئ قراءته فیها.

ثالثها: ضبط الأدلة الشرعیة الکلیة، و التفصیلیة التی یستدل بها علی مواضعها من علوم الشرع، و جزئیات الحیاة العلمیة، و العملیة.

رابعها: تحدید القطعی ثبوتا و دلالة، و غیره من الوحی المنزل لیبنی علیه تفصیلات الاجتهاد العلمی، و طرائق التعادل و الترجیح.

تلقی النبی ص ألفاظ القرآن، ص: ۳۰۴

خامسها: بیان الحدود التی أذن للعقل البشری التصرف فیها من لفظة بحسب ما أنزل وجوبا أو جوازا، إلزاما أو اختیارا «۱» فی مادة اللفظ القرآنی و هیئته الصوتیة.

سادسها: بیان ما یکفّر به جاحده من لفظه، و ما لا یکفر بجحده.

سابعها: تحدید المعجز من لفظه و معناه، و غیره؛ إذ هو المعجزة التی لم تزل حجة قائمة علی العباد إلی قیام الساعة «۲».

و لشهرة القرآن الکریم، و وضوح حدوده اللفظیة الظاهرة لعامة الناس؛ فقد رأی البعض أنه من غیر المستساغ اللهث وراء الحدود المنطقیة لتبیان الماهیة، أو الممیزات الشخصیة فی القرآن للجمهور، و لذا یکفی للتعریف بالقرآن آنئذ أن یقال: هذا المصحف، أو أن یقال: القرآن الکریم هو القرآن الکریم ... حذو کل الواضحات التی یزیدها التعریف خفاء، و الحد المنطقی إلباسا، و لذا أعرض البعض عن تعریفه أو حدّه «۳»، و حدّه البعض بما لا حاصل تحته للمتخصص فضلا عن الجمهور إلا زیادة التأکید علی المعنی الذی یتبادر إلی ذهن المسلم فور سماعه لفظ (قرآن) «۴»، لکنه یستدرک علی هذا الرأی: بأن هذه الدراسة ترتبط ارتباطا لا یخفی بمسألة تعریف القرآن الکریم من حیث معالجتها المتخصصة لقضایا مصادره اللفظیة، و هیئات أدائها عند هذه المصادر، و من ثم (۱) وجوبا: کأداء لفظ السور فی هیکله الصوتی الأصلی، و جوازا کالاختیار بین الإتیان بالبسملة أو عدمها، إلزاما کالتزام مد تقوم به ذات الحرف فی المد الأصلی، و إلا أخل بطبیعة الحرف، و اختیارا کاختیار أحد القراءات لأداء لفظ القرآن أو أحد الأوجه من ثلاثة العارض للسکون مثلا.

(۲) أشار إلی بعض هذا صاحب التفسیر المنیر ۱/ ۱۴، لکن بغیر هذا البیان، انظر: د. و هبة الزحیلی: التفسیر المنیر، ط ۱، دار الفکر.

(۳) انظر الدراسات القرآنیة المتکاثرة حول القرآن الکریم التی لم تعر الحد المنطقی للقرآن الکریم بالا ... و فی مقدمتها:

تفسیر الطبری ۱/ ۴۰، مرجع سابق؛ إذ اکتفی بتأویل اسم القرآن من حیث اللغة.

(۴) کما عرفه أبو زهرة فی کتاب أصول الفقه ص ۳۰- و الأصل فی هذا الکتاب و نحوه أنه کتاب متخصص- بقوله:

"هذا الكتاب الذى نزل على النبى صلى اللّه عليه و سلم. تأليف: محمد أبو زهرة: أصول الفقه، دار الفكر العربى.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۳۰۵

وجب أن يسير البحث فى سبيل التعريف بالحدود المنطقية دون إيغال ... حتى يتحقق المراد، و تنجلى الأهداف المستقرأة من ذكر علماء علوم القرآن و أصول الفقه للتعريف المنطقى للقرآن الكريم «۱» المحدد لماهيته، و لذا فإن الطبيعة العلمية للبحوث بصفة عامة، و المنهجية لهذا البحث بصفة خاصة تفرض أن تذكر أقوال العلماء السابقين فى المسألة مناط البحث، ثم تحلّل و تنقّح، ثم تحقق.

المطلب الثانى: أقوال العلماء فى الوضع الاصطلاحى لكلمة (قرآن):

اشارة

و يتضمن هذا المطلب بعض الإشارات التفصيلية لعلاقة التعريف الاصطلاحى بألفاظ القرآن الكريم، و ذلك فيما يلى:

عرف الإمام الغزالى- رحمه اللّه تعالى- القرآن الكريم بقوله: ما نقل إلينا بين دفتى المصحف على الأحرف السبعة المشهورة نقلا متواترا «۲».

شرح التعريف:

ما: اسم موصول بمعنى الذى.

النقل: هو تحويل الشىء من موضع إلى موضع «۳»، و هو مطلق فيشمل النقل بالشفاه، و النقل بالكتابة، و إليه يشير تسمية القرآن باسم القرآن، و باسم الكتاب، (۱) سبق الإشارة إليها آنفا.

(۲) (الغزالى) حجة الإسلام أبو حامد محمد بن محمد الغزالى: المستصفى من علم الأصول ۱/ ۱۰۱، دار الفكر- بيروت.

و هذا الحد هو الحد ذاته الذى أورده صدر الشريعة فى التنقيح ۱/ ۴۶، بيد أنه لم يذكر قيد (على الأحرف السبعة المشهورة)، و هذا الأخير هو عين التعريف الذى أورده (ابن قدامة) موفق الدين أبى محمد عبد اللّه بن أحمد بن قدامة المقدسى الدمشقى (ت ۶۲۰ ه): روضة الناظر و جنة المناظر، مكتبة المعارف- الرياض. و هو قريب من تعريف التفتازانى الآتى، و هو التعريف الرابع عند (الشوكانى) محمد بن على بن محمد (ت ۱۲۵۵ ه): إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول ص ۲۶- دار المعرفة- بيروت.

(۳) لسان العرب ۱۴/ ۲۴۶، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۳۰۶

و لكن النقل بالشفاه هو المراد الأول من النقل هنا، و قد يعبر عنه بالسند القرائى، و على هذا فالمشافهة هى سبيل إقراء القرآن، و فى تحليل آيات سورة القيامة- كما تقدم- يتضح أن هذا المعنى هو السبيل الوحيد الذى قرأ به النبى صلّى اللّه عليه و سلّم على جبريل عليه السّلام.

الدفتان: الدّف و الدفة: الجنب من كل شىء بالفتح لا غير، و الجمع دفوف، و دفتا الرحل و السرج و المصحف: جانباه و ضماماته «۱»، و يقال: بات يتقلب على دفيه، و على دفتيه، و هما جانباه، و منه: رماك اللّه بذات الدف: أى ذات الجنب «۲».

المصحف: هو الجامع للصحف المكتوبة بين الدفتين، كأنما أصحف أى جعل جامعا للصحف المكتوبة بين الدفتين. قال أبو عبيدة": تميم تكسر الميم، و قيس تضمها، و لم يذكر من يفتحها «"۳».

و الصحف: جمع صحيفة و هى: التى يكتب فيها، و تجمع على صحائف و صحف أيضا. و تخالف الورقة فى أنها وجه؛ و لذا قيل فيها

هی ما أقبل علیه منه، و جعل الزمخشری- رحمه اللّه تعالی- من المجاز قولهم: صن صحیفة وجهک «۴».

و الفرق بین المصحف و الکتاب:

استلزام المصحف للدفتین، بخلاف الکتاب فهو حقیقة لغویة صادقة علی کل ما یکتب فیه صفحة کان أو أکثر؛ و لذا قال أبو عمرو ابن العلاء ":قال بعض العرب- و ذکر إنسانا-: فلان لعوب، جاءته کتابی فاحتقرها؟ فقلت:

أ تقول جاءته؟ قال: نعم! أ لیس بصحیفة «"؟۵». (۱) و الضمامة: ما تضم به شیئا إلی شیء. انظر: لسان العرب ۸/ ۸۸، مرجع سابق.

(۲) لسان العرب ۴/ ۳۷۴، مرجع سابق، و جعل الزمخشری- رحمه اللّه تعالی- (دفتی المصحف) من المجاز، مع أن الدف الجنب من کل شیء مصحفا، أو غیره، فهو فیه حقیقة لغویة، لا مجاز مستعمل، انظر: (الزمخشری) جار اللّه أبی القاسم محمود بن عمر: أساس البلاغة ص ۱۹۰، دار الفکر بیروت ۱۴۱۵- ۱۹۹۴ م.

(۳) لسان العرب ۷/ ۲۹۱، مرجع سابق.

(۴) أساس علم البلاغة ص ۳۴۹، مرجع سابق.

(۵) لسان العرب ۷/ ۲۹۱، مرجع سابق.

تلقی النبی ص ألفاظ القرآن، ص: ۳۰۷

فقد استبان أن لفظة (المصحف) عربیة صریحة «۱».

علی الأحرف السبعة المشهورة: عن الأحرف المذکورة فی حدیث (أقرأنی جبریل علی حرف فلم أزل أستزیده حتی أقرأنی مع سبعة أحرف).

متواترا: التواتر هو الخبر الثابت علی ألسنة قوم لا یتصور تواطؤهم علی الکذب «۲». و خرج به ما نقل بطریق الآحاد کقراءة ابن مسعود رضی اللّه عنه (و الذکر و الأنثی)، أو بطریق الشهرة العرفیة کقراءة ابن مسعود رضی اللّه عنه (فاقطعوا أیمانهما) و قد خرجتا بما سبق من قید، لکن استلزام مساواة المعرّف للمعرّف أوجب إیراده.

فإذا اعترض علی ذلک بأن علماء الأصول خاصة قد اعتدوا بتعریف الکتاب لا القرآن، فهل من فرق؟.

فیجاب: لا فرق، إنما هو تقلید درجوا علیه، فبعضهم یعرّف الکتاب تعریفا لفظیا بالقرآن، ثم یعرّف القرآن بعد؛ من باب تعریف الشیء بما هو أشهر منه «۳»، و بعضهم یجعل تعریف الکتاب هو القرآن و ما بعده؛ لأن القرآن علم أشهر من الکتاب.

و بناء علی ذلک: فهل یجوز إطلاق لفظ القرآن أو الکتاب علما علی غیر الکتاب الکریم؟.

أما مطلقا فلا یجوز ... و لذا یظهر نوع حصر أظهره القصر «۱» فی قوله عزّ و جل ذلِکَ الْکِتابُ "البقرة/ ۲؛ "إذ تعریف الطرفین مفید للقصر، لکأنه قال: ذلک الکتاب الکامل (۱) إنما أورد هذا لیکون بیانا أولیا دالا علی ضعف الروایات الواردة فی استیراد لفظة (مصحف) من الحبشة، و قد اتکأ بعض الکتاب علیها مصاحبا أسلوبه العلمی المزعوم بتجاهل مریب لضعف هذه الروایات، ثم ألزم الصحابة باستیراد هذه اللفظة من الحبشة. و سترد لفظة المصحف علی لسان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم، و یعنی بها القرآن.

(۲) (الجرجانی) علی بن محمد بن علی: التعریفات ص ۹۴، حققه، و قدم له، و وضع فهارسه: إبراهیم الأبیاری- دار الکتاب العربی- بیروت ط ۱، ۱۴۰۵ ه- ۱۹۸۵ م، تدریب الراوی ۲/ ۴۳، مرجع سابق.

(۳) انظر مثلا: شرح التلویح ۱/ ۴۶، مرجع سابق.

تلقی النبی ص ألفاظ القرآن، ص: ۳۰۸

الحقیق بأن یخص به اسم الکتاب لغایة تفوقه علی بقیة الأفراد فی حیازة کمالات الجنس «۲».

- أما إطلاق لفظة (الكتاب) مقيدة بقيد لفظى أو حالى «۳» فجائز ... و قول ابن منظور ":إذا أطلق الكتاب فالمراد به التوراة لقوله تعالى ... نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ كِتابَ اللَّهِ وَراءَ ظُهُورِهِمْ " ...البقرة/ ۱۰۱ «"۴» يصرف إلى إرادة نطق لفظة (كتاب) مقيدة بقيد حالى، هو كلام المسلمين عن غير المسلمين ... أو نحو ذلك من القيد الحالى.

فالكتاب من حيث الأصل صادق على كل ما كتب فيه، ثم صار علما شخصيا حال الإطلاق على القرآن الكريم، و لذا قال أبو البقاء": و الكتاب قد غلب فى العرف العام على جمع من الكلمات المنفردة بالتدوين «"۵»، فإيقاع اللبس مانع من إطلاق الكتاب على غير القرآن إلا بقرينة مذكورة أو مقدرة. فإن كان هذا فى الكتاب، فهو فى القرآن أولى بالتفصيل ذاته.

إيرادات على التعريف:

فإن اعترض على التعريف السابق بأنه: يلزمه الدور «۶»، لأنه عرّف القرآن بما نقل فى المصحف، فإذا سئل عن المصحف قالوا هو القرآن، فتوقف المعرّف على المعرّف، و هو الدور ذاته «۱». (۱) فى تعريف (القصر) فى علم المعانى و طرقه، انظر مثلا: العلامة أحمد الدمنهورى: حلية اللب المصون ۱۰۴، مكتبة اليمن الكبرى- صنعاء، الطبعة لم تذكر.

(۲) روح المعانى ۱/ ۱۷۴، مرجع سابق، و ما بعدها.

(۳) كنحاة يذكرون الكتاب، عنوا به "كتاب سيبويه."

(۴) لسان العرب ۱۲/ ۲۳، مرجع سابق.

(۵) الكليات ص ۶۱۰، مرجع سابق.

(۶) الدور هو: توقف الشىء على ما يتوقف عليه، و هو نوعان: مصرح، و مضمر، و الفرق بين الدور، و بين تعريف الشىء بنفسه هو: أنه فى الدور يلزم تقدمه عليها بمرتين إن كان صريحا، و فى تعريف الشىء بنفسه يلزم تقدمه على نفسه بمرتبة واحدة. انظر: التعريفات ص ۱۴۰، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۳۰۹

و الجواب «۱»: لا دور ... ذلك لأن المصحف معلوم عرفا، فلا يحتاج إلى تعريف.

و قال التفتازانى- رحمه اللّه تعالى "-:معرفة المصحف إنما تتوقف على القرآن، بمعنى المجموع المشخص، و هو معلوم معهود بين الناس يحفظونه و يتدارسونه، فلا يشتبه عليهم فلا دو «"۲»، و يمكن القول بأن اللام فى (المصاحف) للجنس، و لا يضر تعميمه لغير القرآن، لأن القيد الأخير يخرجه للعهد، و المعهود مصاحف القراء «۳».

و قال ابن قدامة ":و قيدناه بالمصاحف لأن الصحابة- رضى اللّه عنهم- بالغوا فى نقله، و تجريده عما سواه، حتى كرهوا التعاشير و النقط لكيلا يختلط بغيره، فنعلم أن المكتوب فى المصاحف هو القرآن، و ما خرج منه فليس منه؛ إذ يستحيل فى العرف و العادة مع توفر الدواعى على حفظ القرآن أن يهمل بعضه، فلا ينقل، أو يخلط ما ليس منه «"۴».

فإن اعترض بالقول: لم اقتصر على ذكر النقل فى المصاحف تواترا دون غير ذلك من الخصائص؟.

فالجواب: لأن ذلك لحصول الاحتراز به عن جميع ما عدا القرآن؛ إذ سائر الكتب السماوية و غيرها، و الأحاديث الإلهية و النبوية «۵» لم ينقل منها شىء بين دفتى المصاحف؛ لأنها اسم لهذا المعهود عند الناس حتى الصبيان «۶». (۱) أورد هذا الاعتراض الآلوسى- رحمه اللّه تعالى- فى روح المعانى ۱/ ۱۹- ۲۰، مرجع سابق، إرشاد الفحول ص ۲۶ مرجع سابق، (المحبوبى) عبد اللّه بن مسعود المحبوبى البخارى الحنفى: التوضيح لمتن التنقيح فى أصول الفقه، ۱/ ۴۶، ضبطه و خرج آياته و أحاديثه: الشيخ زكريا عميرات، ط ۱، ۱۴۱۶- ۱۹۹۶ م، دار الكتب العلمية- بيروت، (المهدى) أحمد بن يحيى بن المرتضى (۷۶۴ ه- ت ۸۴۰ ه): منهاج الوصول إلى معيار

العقول فى علم الأصول ط ۱ ۱۴۱۲ ه- ۱۹۹۲ م، دار الحكمة اليمانية- صنعاء، (الطبرى الزيدى) على بن صلاح بن على بن محمد: شفاء غليل السائل عما تحمله الكافل ط ۱، ۱۴۰۸ ه- ۱۹۸۸ م، مكتبة اليمن الكبرى- صنعاء.

(۲) شرح التلويح ۱/ ۴۶ مرجع سابق.

(۳) (ملاجيون) أحمد بن أبى سعيد بن عبيد اللّه الحنفى الصديقى الميهوى (ت ۱۱۳۰ ه): نور الأنوار و بهامشه كشف الأسرار ۱/ ۱۸، ط ۱ ۱۴۰۶ ه- ۱۹۸۶ م، دار الكتب العلمية- بيروت.

(۴) روضة الناظر ۱/ ۴۳، مرجع سابق.

(۵) و منسوخ التلاوة على قول من يثبه.

(۶) (الأسنوى) جمال الدين عبد الرحيم بن الحسن الشافعى: نهاية السول فى شرح منهاج الأصول ۲/ ۳- للقاضى ناصر الدين عبد اللّه بن عمر البيضاوى، عالم الكتب.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۳۱۰

فإن سئل عن هذا التعريف: هل هو حد أم رسم؟.

فالجواب: قد كاد منظرو المناطقة أن يجمعوا على أن تعريف القرآن لا يكون إلا رسما، و يتعذر حده؛ لأنه علم شخص فيمكن تشخيصه ببيان سماته المميزة لا ببيان ذاتياته «۱». و لذا لا سبيل إلى حده على طريقة الحدود المنطقية إلا بالإشارة إليه، أو باستحضاره معهودا فى الذهن، فيقال القرآن: هو هذا، أو يقال: القرآن هو بسم اللّه الرحمن الرحيم الحمد للّه ... إلى أن يصل إلى الجنة و الناس، فما يعرفه العلماء به إنما هو رسم «۲» لا حد.

و قد جرى على التعريف السابق ثلة من العلماء، و عليه دارت عباراتهم، و ثم تعاريف أخر ارتضاها ثلة أخرى من العلماء، و لكن أشهر تعريف يغاير التعريف السابق فى صيغته هو

تعريف الإمام الطبرى الزيدى فى شرح الكافل؛ إذ قال: هو الكلام المنزل على نبينا محمد صلّى اللّه عليه و سلّم للإعجاز بسورة منه «۳».

اشارة

(۱) سبب كونه علما شخصيا أحد أمرين: إما لأن جبريل عليه السّلام نزل به مشخصا، و إما لأنه عبارة عن هذه الكلمات المركبة تركيبا خاصا، سواء قرأه جبريل عليه السّلام أو زيد أو عمرو، و المركب تركيبا خاصا كالعلم الشاخص. انظر شرح التلويح ۱/ ۴۶، مرجع سابق.

(۲) الرسم: هو الذى لم يشتمل التعريف فيه على شىء من الذاتيات، أو اشتمل على شيء و لكن لم يكن به فصل الشيء المعرّف، و تمييزه عن غيره، و إنما اشتمل على عرضيات بها كان تعريف الشىء و تمييزه عن كل ما سواه، و ينقسم إلى: رسم تام: و هو ما كان تعريفا للشىء بذكر جنسه القريب مع خاصته اللازمة الشاملة، و رسم ناقص: و هو ما كان تعريفا للشىء بذكر خاصته اللازمة الشاملة وحدها.

تعريف الحد: هو الذى يشتمل على الذاتيات، و يكون شرح المفرد التصورى بها، و ينقسم إلى: حد تام: و هو ما كان تعريفا للشىء بذكر تمام ذاتياته، أى بذكر جنسه و فصله القريبين، و حد ناقص: و هو ما كان تعريفا للشىء بذكر البعض الذى بفصله عن غيره من ذاتياته، و سمى الحد حدا لأن الحد فى اللغة المنع، و الحد المنطقى يمنع من دخول غيره فيه. انظر: ضوابط المعرفة ص ۱۴۳، مرجع سابق، و انظر: جمال الدين الحسن بن الحسين بن القاسم بن محمد: شرح التهذيب فى علم المنطق ص ۴۰ مع الحاشية، ط ۱، ۱۴۰۵

ه- ۱۹۸۵ م، مركز الدراسات و البحوث- صنعاء.

(۳) انظر شفاء غليل السائل ۱/ ۳۰، مرجع سابق، و على هـذا التعريف دارت عبارات جماعة من العلماء فهو التعريف الذى أورده الإمام المهـدى فى معيار العقول و شـرحه ص ۲۳۹، مرجع سـابق، و هو الـذى أورده الإمام الزركشـى فى البحر إلا أنه قال "بآيـة منه، "و لم يذكر لفظ (نبينا)، و زاد المتعبد بتلاوته، و هو الذى أورده الحسين بن أمير المؤمنين المنصور

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۳۱۱

شرح التعريف:

الكلام: جنس دخل فيه سائر الكلام.

المنزل: فصل أول، خرج به الكلام غير المنزل فى السماء كالباقى فى اللوح المحفوظ، أو كلام الملائكة، أو فى الأرض ككلام الناس، أو الأحاديث النبوية على القول بأن لفظها لم ينزل، و كذا خرج الكلام النفسى عند القائلين به.

و يجوز فى هـذه اللفظـة (المنزل) التخفيف أى المنزل دفعة واحدة؛ لأن القرآن نزل دفعة واحدة من اللوح المحفوظ إلى السـماء الدنيا أولا، و يجوز أن يقرأ مشددا على أن نزوله فى الواقع قطعا قطعا، فى أزمنة مختلفة مدة النبوة «۱».

و قد يعترض بأن: الألفاظ لا تنزل؟.

فالجواب: لا تقبل الألفاظ حقيقة النزول حسا، و لكن المراد المجاز الصورى «۲»؛ لأنه نزل بها روح القدس بالحق من ربك.

على نبينا محمد صلّى اللّه عليه و سلّم: خرج ما نزل على غيره الأنبياء و التوراة و الإنجيل.

للإعجاز بسورة منه: خرج ما نزل عليه لا للإعجاز، كالأحاديث النبويـة و القدسـية، و قال البعض: بآيـة منه بدل بسورة منه لأن مقتضـى قوله تعالى فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ " ...الطور/ ۳۴ "حاكم بأن التحدى واقع بأقل من السورة «۳»، لكن الخطاب هاهنا محمول على العرف، فالتنوين فى قوله سـبحانه و تعالى بِحَـدِيثٍ إما عوض عن كلمة، أو جملة أى باللّه القاسم بن محمد فى هداية العقول إلى غاية السـئول فى علم الأصول ۱/ ۴۳۲، إلا أنه قال ":بسورة من جنسه، "و هو الذى أورده صاحب مراقى السـعود فى منظومته، إلا أنه قال: لفظ منزل على محمد ... لأجل الإعجاز و للتعبد، انظر:

نشر الورود ۱/ ۹۰، مرجع سابق، و هو تعريف (الأسنوى) جمال الدين عبد الرحيم ابن الحسين الأسنوى (۷۰۴ ه- ۷۷۲ ه): زوائد الأصول ص ۲۰۲، ط ۱ ۱۴۱۳- ۱۹۹۳ م، دراسة و تحقيق: محمد سنان سيف الجلالى، مكتبة الجيل الجديد- صنعاء.

(۱) نور الأنوار ۱/ ۱۸، مرجع سابق.

(۲) (الزركشى) بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد اللّه الشافعى: البحر المحيط ۱/ ۴۴۰، قام بتحريره عبد القادر عبد اللّه العانى، راجعه: د. عمر سليمان الأشقر- ط ۲، ۱۴۱۳ ه- ۱۹۹۲ م، دار الصفوة.

(۳) هكذا جاء فى: الحسـين بن أمير المؤمنين المنصور باللّه القاسم بن محمد، حواشـى هداية العقول إلى غاية السئول فى علم الأصول ۱/ ۴۳۱- لم تذكر بقية المعلومات.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۳۱۲

بحـديث يصـح أن يسـمى حـديثا، أو حـديث معهود بينكم تسـميته حديثا؛ إذ لا إعجاز بالكلمتين يقينيا مع صـحة إطلاق لفظة حديث عليه، فتحصل أن مقتضـى الآيـة ما يصـح تسـميته حـديثا كانت آية أو أكثر صدق عليها ذا اللفظ. كما أوردوا هذا القيد "سورة "لدفع إيهام أن الإعجاز بكل القرآن فقط «۱».

فإن اعترض بأن: الإعجاز ليس من خصائص المعرف لأنه علامة على صدق الرسول صـلّى اللّه عليه و سلّم لا على كون هذا الكلام من

عند اللّه عزّ و جل؛ إذ يتصور الإعجاز بما ليس بكتاب اللّه جلّ جلاله «۲».

فالجواب: ظاهر أنه لا يكون علامة على صدق الرسول إلا لكونه من عند اللّه سبحانه و تعالى؛ إذ هذه خاصة الإعجاز فيه، و بيان هذا أن يقال: قد ادعى الرسول صلّى اللّه عليه و سلّم أن علامة صدق كون هذا الكلام من عند اللّه جلّ جلاله، و برهانه عجز العالمين عن معارضته، فصحت الدعوى، و لم يكن القرآن علامة على صدقه إلا لكونه من عند اللّه عزّ و جلّ، فالإعجاز دال على خاصة هى أهم خصائص القرآن، و كون الإعجاز قد يحصل من غير القرآن غير قادح فى كون الإعجاز صفة ذاتية للقرآن، إذ الاشتراك العام لا ينفى الخصوصية الذاتية، و من أجل ذلك جىء بالجنس، ثم الفصل فى التعريفات.

فإن اعترض: بأن التعريف إنما يكون بالأجلى لا بالأخفى «۱»، و يخفى على العامة معرفة كونه معجزا، فتطرح هذه الصفة من التعريف «۲». (۱) السورة ":كلام مترجم من أوله و آخره توقيفا مسمى باسم خاص يتضمن آيات قرآنا كان أو غيره "فخرجت آية الكرسى بقوله يتضمن آيات، و يندفع ما قبل بأن السورة موقوفة على معرفة القرآن فيدور؛ إذ السورة عامة، و قد ذكر فى الكشاف أن فى الإنجيل سورة الأمثال، انظر: شفاء الغليل ۱/ ۳۰، مرجع سابق، كذا قال و هو ناقل عن شرح غاية السؤل ۱/ ۴۳۳، لكن آية الكرسى قد اختلف فى عدها إذ من علماء العدد من عدها آيتين، و هو العدد المكى، فتخرج على كلامه بشرط إرادة الجمع الحقيقى فى قوله" آيات ... "و يمكن اختصار ذلك بأن الحديث المراد السورة العرفية، فلا دور.

(۲) هذا إيراد الغزالى على التعريف فى المستصفى ۱/ ۱۰۱، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۳۱۳

فالجواب «۱»: بل الإعجاز من أوضح خصائص القرآن التى يجب ألا- يعرى تعريف القرآن عنها؛ ذلك لأن كون القرآن معجزا إما لازم بين بالمعنى الأعم؛ إذ من تعقل القرآن علم لزوم الإعجاز له قطعا «۲»، أو لازم بين المعنى الأخص؛ إذ من تعقل حقيقة الإعجاز علم لزوم الإعجاز للقرآن قطعا «۳»، فهذا أقل أحواله، و تمام هذا القول أن يقال: يوضح ذلك أن التحدى لعموم الثقلين لا استثناء فيه فقد صار عاما لا خاصا، فيكون من لوازمه التى يعرفه بها من بعد و من قرب.

ربط ما سبق بموضوع البحث:

و إنما كانت هذه الإطالة فى مناقشة ذاتية وصف الإعجاز للقرآن، ليعلم منه أن النقل بالمشافهة فى أداء لفظ القرآن أحق بتثبيت كونه ذاتيا للقرآن، إذ هو متفق عليه بين العلماء، بل يذكر فى أول التعريف، و لأن هذه بدهية عند العلماء، بل عند عامة المسلمين، فإن المراد هو تثبيت مقتضياتها من دخول النقل فى أصل اللفظ، و هيئة أدائه ... و هو ما يتجلى أكثر بدراسة كيفية تعليم جبريل عليه السّلام للنبى صلّى اللّه عليه و سلّم ألفاظ القرآن، و تلقى النبى صلّى اللّه عليه و سلّم لها.

فهذان هما التعريفان المشتهران عند العلماء ... «۴»، و يمكن الاستدراك على ما سبق من كلام بالآتى:

(۱) انظر شرح التهذيب ص ۴۳، و قد أصر على هذا الإيراد الآلوسى- رحمه اللّه تعالى- فى روح المعانى ۱/ ۳۰.

(۲) انظر: شرح الغاية ۱/ ۴۳۳، مرجع سابق، شفاء الغليل ۱/ ۳۰، مرجع سابق.

(۳) انظر: هداية العقول ۱/ ۴۳۳، مرجع سابق، شرح الكافل ۱/ ۳۰، مرجع سابق.

(۴) و ثم تعريفات أخر تجمل فيما يلى:

فمنها تعريف الإمام التفتازانى فى التوضيح شرح التلويح ۱/ ۴۰، مرجع سابق: الكتاب هو القرآن المنزل على الرسول، المكتوب فى المصاحف، المنقول إلينا نقلا متواترا بلا شبهة.

تلقی النبی ص ألفاظ القرآن، ص: ۳۱۴

۱- لا بـد فی التعریف من مساواة المعرّف للمعرّف، و لا مساواة هنا؛ إذ ثم خصائص للقرآن بارزة لم تذکر فیه، فقد أغفل البعض بیان الغایة من إنزال القرآن بشکل صریح، مع أنه قد جاء صریحا فی قوله تعالی: عَلی قَلْبِکَ لِتَکُونَ مِنَ الْمُنْذِرِینَ "الشعراء/ ۱۹۴؛ "إذ قدم بیـان الغایـة من إنزال القرآن علی اللسـان الـذی نزل به، و هـو دال علی الاعتنـاء به، و قـد یقـال قـد أشـیر إلی ذلـک ضـمنا فی قولهم للإعجاز، أو أن هـذه غایة و هم یتکلمون عن الأعراض الذاتیة فی التعریف، و ذا الأخیر مسـتبعد إذ یرد علیه إیراد غیر الأعراض الذاتیة کما هو واضح، کما یرد علیه عدم التسلیم بأن الإنذار لیس عرضا ذاتیا ... و الأمر ضائق عن الاسترسال فی ذا المجال.

و کمـا أغفـل البعض الغایـة التی یحملها القرآن فی ذاته، و هی جعل الرسول صـلّی اللّه علیه و سـلّم من المنـذرین، فقـد أغفل البعض وسیلتها، و هی التدبر و کلاهما صفتان ذاتیتان للقرآن «۱».

۲- لم یستبن من التعریف کیفیة قراءة هیئات اللفظ القرآنی؛ إذ لا یلمح من التعریف إلا مادة اللفظ لا هیئته، و غیر خاف الفرق بینهما؛ إذ المادة «۲» هی جوهر اللفـظ المحسوس، و قوله "الکتـاب "هو القرآن، تعریف للکتـاب بـالمرادف الأشـهر و هو المسـمی التعریف اللفظی، فمـا بعـده تعریف للقرآن لأـن المجموع تعریف الکتـاب، و هـذا علی جعـل القرآن علمـا و إلاـ فـإن کان بمعنی المقرون، أو المقروء فهو جنس و ما بعده فصل بلا تکلف. انظر: شرح الأنوار ۱/ ۱۷، مرجع سابق.

و ذکر الشوکانی جملة تعریفات، تقدم بعضـها، و منها ":أنه اللفظ العربی المنزل للتدبر و التذکر المتواتر، "و عرفه بعضهم ":بأنه کلام اللّه العربی فی اللـوح المحفوظ للإنـزال، "ثم ذکر تعریفه المختـار، فقـال: و الأـولی أن یقـال: هو کلاـم اللّه المنزل علی محمـد المتلو المتـواتر. "انظر: إرشـاد الفحول ص ۲۶، مرجع سـابق، و ذکر بـأن تعریفه المختـار لاـ ترد علیه الاعتراضـات المنطقیـة التی وردت علی سابقیه. و هو محط نظر فإن إیراد الـدور علیه بین؛ إذ یقال ما هو المتلو فیرد: القرآن، فاسـتلزم الدور فالنصف أن یجاب علی هذا الدور کمـا أجیب علی السـابق، و عرفه الطـاهر بن عـاشور فی التحریر و التنویر ۱۶/ ۳۱۴، مرجع سـابق: القرآن صار علما الغلبـة علی الوحی المنزل علی محمد صلّی اللّه علیه و سلّم بألفاظ معنیة، متعبدا بتلاوتها، یعجز الإتیان بمثل سورة منها.

(۱) و لم ترد إلا فیما أورده الشوکانی من تعریف.

(۲) و لینطق بتخفیف الهمز مثالاـ موضـحا: فقوله عزّ و جـل السَّماءُ نطقها المعتاد من مخارج الحروف هی المادة، أما الهمز ففیه لحمزة وقفا خمسـة أوجه: ثلاثـة أوجه الإبدال، و التسـهیل بالروم مع المد و القصـر ... فهل هی متواترة بالنقل أم جائزة القراءة من حیث إحالة القرآن ما لم یرد فی نطقه نص إلی العربیة، فیعمل فیه بقواعدها.

تلقی النبی ص ألفاظ القرآن، ص: ۳۱۵

و الهیئة هی حلیته الخارجیة الذاتیة و العرضـیة، و بتعبیر آخر: لم یظهر من التعریف تحدید مدی الاجتهاد السائغ فی أداء اللفظ المتواتر «۱». إلا أن یقال: إن تقیید الغزالی- رحمه اللّه تعالی- بقوله "علی الأحرف السـبعة المشـهورة "یشیر إلی ذلک. لکن السمة البارزة فی التعریف- عنـد العمل بعمومه و ظاهر لفظه- أنه جعل القرآن الکریم مقیـد اللفظ فی مادته و هیئته بالنقل، و هو ما یعطی الفکرة العامة عن النقل، کما أنه یمنع عنه تسرب الاجتهاد البشری، و للأهمیة البالغة لهذا الوصف الذاتی فی القرآن فقد ابتدأ التعریف بذکره.

المطلب الثالث: إشارات عامة حول علاقة التعریف الاصطلاحی بألفاظ القرآن الکریم:

و بعد هذه الجولة فی أقوال العلماء الواردة فی تعریف القرآن، تذکر جملة إشارات یختم بها هذا الملحق مما یتعلق بموضوع البحث:

أولا: تعقد فی هذا الملحق مسألة أصولیة علمیة بحتة لا یراد منها إلا وضع الأسـس العلمیة التی تحدد معاییر التعامل مع کتاب اللّه عزّ و جل فی نقل ألفاظه، و تحدیـد ما یطلق علیه کلام اللّه من غیره، و من ثم لزم بیان ماهیـة ألفاظه فی مادتها و هیئتها بدقة تضـطر الباحث إلی نبذ الإمام التقریبی الجماهیری بعیدا، متی ما کان عائقا عن الدقة المتوخاة «۲» للمتخصصین.

ثانيا: أرادت هـذه الدراسة- بعد التسليم بتواتر (يقينية) نقل كتاب اللّه دينا و واقعا- أن تكون مقدمة للوصول إلى تحقيق هذا الهدف- تحديد كيفية نقل كتاب اللّه عزّ و جل- من حيث مادته "اللفظ، "و من حيث صورة هذه المادة "خط اللفظ، "و من (۱) فاللفظ متواتر قطعا بموجب هذا القول، و بقيت الهيئة "الأداء "محل نظر ... و هذا الإيراد تمهيد لإقرار مدى أهمية إضافة قيد العربية فى التعريف.

(۲) قيل هذا إشارة إلى التقعيد البديع الذى وضـعه الإمام أبو إسحاق الشاطبى فى موافقاته حول طرائق وضع التعاريف ۱/ ۵۶، المقدمة السادسة.

حيث هيئـة المادة الصوتية "صوت اللفظ، "و هذه هى الصـفات الأصـلية للفظ، و من حيث الهيئة الصوتية الداخلية للحرف، و هذه هى صفاته العارضة مفردة أو مركبة، و الأخيران يشـكلان ما يعرف بالأداء، و من ثم تحديد ماهيته بشـكل دقيق، و هذا يحتم على الدراسة بذل جهد مضن مصـحوب باليقين باللّه سـبحانه و تعالى، متمسك بأهداب الحذر العلمى و العملى فى نقاش جزئيات المسائل المتعلقة بـالتعريف، و بعبـارة أخرى أكـثر إيضاحـا و تحديـدا: هـل القرآن الكريم هـو المقروء بقراءة واحـدة أو روايـة واحـدة، أو هـو مجموع القراءات و الروايات؟ فهـذا الجهـد المبـذول فى هـذه الرسالـة هو مقدمـة للجواب على ذلك السؤال الكبير، من حيث أن أول مقامات الجواب: معرفة كيف علم جبريل عليه السـلام الذى نقل القرآن من السماء النبى صلى اللّه عليه و سلم ألفاظ القرآن، لينقله النبى صلى اللّه عليه و سلم إلى كل الثقلين.

ثالثا: إن الهيئـة العامـة لنقل القرآن و هى المشافهـة، وصف ذاتى لمـدلول القرآن أو لازم له، فلا يتصور إقراء القرآن بغير هـذه الهيئـة، فالخط تابع للمشافهة، و الإجازة العامة تابعة لها أيضا، و من ثم فالاعتماد على خط المصـحف لمعرفة قراءة هيئة ألفاظ القرآن باطل إن لم يقترن بالمشافهـة. و لعـل من أسـرار بقاء المصـحف على خط مطور تطويرا داخليا فرعيا لا أساسـيا لخطه الأول، و لكنه مخالف نوع مخالفة ظاهرة للإملاء الحديث الإصرار على جعل النقل مشافهة هو أساس إقراء القرآن أو تعلمه «۱»، و تأكيدا لهذه المسألة فقد صرح العلماء أن السـند القرائى الـذى يقتضـى النقل مشافهـة- شـرط فى أن يسـمى ما يقرؤه القارئ قرآنا، و هو ما عبّر عنه الإمام الشوكانى- رحمه اللّه تعالى- بقوله ":المتلو «"۲»؛ إذ ينصرف هذا اللفظ انصرافا أوليا إلى تلاوة الشيخ على تلميذه أو التلميذ على شيخه.

رابعـا: لاـ نسـتطيع الآـن- كنتيجـة لمـا سـبق- وضـع التعريـف العلمى الـدقيق للقرآن الكريم من حيث مـادة لفظه، و صورتهـا، و هيئتها الصوتيـة، و لاـ يعـترض على هـذا البيـان بـأنه كلاـم من يريـد ركوب صـعب دونه قوله سـبحانه و تعـالى: إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الـذِّكْرَ وَ إِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ (۱) انظر: د. فضل حسن عباس: إتقان البرهان فى علوم القرآن ۱/ ۴۸۱، ط ۱- ۱۹۹۷ م، دار الفرقان.

(۲) انظر تعريفه المذكور قبل قليل.

"الحجر/ ۹؛ "إذ القرآن أشـهر من أن يعرف، و التعريف له تنكير بل ظلم، و اتهام، و طمس بالفم لشـعاع الشمس الساطع، و تنطع، قد أتت محـذّرات النهى عنه؛ لأـن البـاحث إنمـا عنى صـياغة تعريف يحـدّد معـالم الاتصـال بين القرآن الكريم و قراءته باعتبارهـا وجهه الناطق، و لفظـة المسـموع، و خطه المكتوب، و صـفاته الممثلـة لـذاته، و أعراضه الناتجة عن صـفاته، و قد سـبق بين يدى القارئ ذكر لأشـهر تعاريف العلماء للقرآن الكريم، و فيها إشارة إلى كيفيـة صورته اللفظيـة نطقا و خطا بعبارات مختلفة (مثل: النقل، المتواتر و هو يستلزم النقـل، المتلقى، المكتوب فى الصـحف)، و زاد الإمـام الغزالى- رحمه اللّه تعـالى- ذلـك تحديـدا، فـذكر اشتراطه النقل على الأحرف السـبعة المشـهورة، و فيه أنه تعريف للأجلى بالأخفى؛ إذ القراءات أشهر من الأحـرف السبعة، و أوضح و أكثر ذكرا لو ذكرها حتى انغرس فى ذهن العامة أنها هى القراءات السـبعة المشهورة، و فى قول القائل "الأحـرف السبعة "فى علوم القرآن نوع إبهام ما زال محـارة العلماء إلى يومنا «۱»، و من ثم فغير سـائغ أن تكون الأـحرف السـبعة فى قائمـة مشـخصات القرآن الكريم؛ إذ إن التعـبير بقول القائل (بقراءاته المنقولة بين المسلمين تواترا) أوضح.

و لا ـ يعترض على مـا حـدث فى هـذا الملحق من إطالـة غير معتادة «٢» فى بحث مثـال هـذه المسائـل، إذ الخـوض فى تعريف القرآن الكريم من المنظـار القرآنى أو الأصولى ليس ترفا (١) و المحارة ليست فى مراد الحـديث بل فى تحديـده، أما مراده العام فأوضح من أن يوضح، و لكن تحديد مفهوم العدد فى حديث الأحرف السـبعة هو المحارة لا تحديد مدلوله العام، و هذا أشبه بمسألة الصفات فى علم العقيـدة (الإيمان)، إذ مفهومها واضـح و إن كان تحديـد كيفيتها غير ممكن، و معلوم أن التشـبه لا يقتضـى تساوى طرفيه فى وجه الشبه، و على هذا التفصيل يحمل مراد السيوطى فى تصريحه بأن الحديث مشكل فى ألفيته فى مصطلح الحديث ص ٣٢، و ابن سعدان النحوى كما ذكره عنه أبو شامة، انظر: (أبو شامة) شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل ابن إبراهيم المقدسى:

المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز، حققه: طيار التى قولا ج ١٣٩٥- ١٩٧٥ م، دار صادر، بيروت.

و بنـاء على ذلـك يمكن القول بقبول التعريف بالأحرف السـبعة على إرادة المراد منها بغض النظر عن تحديـدها، إذ تـدخل القراءات فيها دخولا أوليا.

(٢) و قد تكرر الاعتذار لاحتياج الأمر لذلك.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ٣١٨

ثقافيا مسـتهلكا للوقت غايته إبراز العضـلة الكلاميـة، و القـدرة التنظيريـة، بل هو ذو خطر لا يقبل مرورا حـذو عابر السبيل؛ إذ به تحـدد معلم شخصية أصل الإسلام الأعظم من حيث توقيف نقله، و تواتر تلقيه، و أسس ذلك توقيفا أو اجتهادا، و يستدعى ذلك كله مكانته التى جعلته أعظم مركز تدار حوله البحوث، و تتجدد فى سبيل التبصير بحقائقه الدراسات.

خامسا: اشتراط التواتر يستلزم جملة أمور على ما هو معلوم فى كتب علوم القرآن «١»، و منها:

أ- النقل بالمشافهـة: و لـذا ينقطع التواتر الحـديثى بمجرد تـدوين كتاب الحديث غالبا؛ إذ يعتمد بعد ذلك على ثبوت الكتاب لمؤلفه، بخلاف أداء القرآن فباق تواتره أمة عن أمة لا يغنى وجود المصحف عنه، كما هو معمول به عند جميع المسلمين.

ب- اليقين فى النقـل: حيث تجمع الأمـة خلفـا عن سـلف، و لا ـ مجـال للانـفراد فى ذلـك، مما يجعل كل ما يثبت بهـذا الطريق متيقنا مجزوما به.

و هذا يقتضـى من حيث موضوع البحث أن يثبت أن اللّه تعالى قد حفّ نبيّه صـلى اللّه عليه و سـلم بسـمات جعلت تلقيه ألفاظ القرآن الكريم من جبريل عليه السلام و تعلمه عليه قائما مقام جهد الأمة بأسرها، كما تجلى ذلك فى الفصول السابقة.

(و إلى اللّه- تعالى ذكره- جزيل الضراعة و المنة بقبول ما منه لوجهه، و العفو عما تخلله من تزين و تصنع لغيره) «٢».

و صلى اللّه تعالى و سلم على نبينا محمد، و على آله و صحبه أجمعين.

و الحمـد للّه رب العـالمين. (١) انظر- مثلا-: الشـيخ طاهر الجزائرى الدمشـقى (١٢٦٨ ه- ١٣٢٨ ه): التبيـان لبعض المبـاحث المتعلقة بالقرآن على طريق الإتقان ص ١٠٢، اعتنى به عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية- حلب.

(٢) من خاتمة كتاب الشفا للقاضى عياض ٢/ ٣١٢، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ٣١٩

فهرس المصادر

اشارة

أبرز المراجع و المصادر الواردة فى هذا البحث بعد القرآن الكريم، هى:

١- (أبو حيان) محمد بن يوسف بن على بن يوسف بن حيان الأندلسى الغرناطى (۶۵۴- ٧۵۴ ه): البحر المحيط، ط ٢ ١٤١١ ه- ١٩٩٠

م، دار إحياء التراث العربى- بيروت.

۲- (أبو البركات) كمال الدين عبد الرحمن بن محمد الأنبارى (۵۱۳ ه ۵۷۷ ه): نزهة الألباء فى طبقات الأدباء، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ۱۹۶۷ م، دار نهضة مصر- القاهرة.

۳- (أبو البقاء) أيوب بن موسى الحسينى الكفوى الكليات، ۱۴۱۲ ه ۱۹۹۲ م، قابله على نسخة خطية، و أعده للطبع، و وضع فهارسه: د. عدنان درويش- محمد المصرى- مؤسسة الرسالة- بيروت ط ۱.

۴- (أبو بكر) محمد بن القاسم بن بشار الأنبارى (۲۷۱ ه- ۳۲۸ ه): كتاب.

إيضاح الوقف و الابتداء فى كتاب اللّه عزّ و جل، تحقيق محى الدين عبد الرحمن رمضان، ۱۹۷۱ م، مجمع اللغة العربية- دمشق.

۵- (أبو داود) سليمان بن الأشعث السجستانى الأزدى (۲۰۲ ه- ۲۷۵ ه):

سنن أبى داود، مراجعة: محمد محيى الدين عبد الحميد.

۶- (أبو شامة) شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل الدمشقى المقدسى: إبراز المعانى من حرز الأمانى، دار صادر- بيروت.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۳۲۰

۷- (أبو شامة) شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسى: المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز- حققه: طيار آلتى قولاج ۱۳۹۵ ه ۱۹۷۵ م، دار صادر، بيروت.

۸- (أبو عبيدة) معمر بن المثنى التيمى: مجاز القرآن، ط ۱، الخانجى الكتبى بمصر ۱۹۵۴ م- حققه د. محمد فؤاد سركين.

۹- (أبو العرب) محمد بن أحمد بن تميم: الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، القاهرة ۱۳۱۰ ه.

۱۰- (أبو الفتح) بن جنى: المحتسب فى تبيين وجوه شواذ القراءات و الإيضاح عنها تحقيق: على النجدى ناصف و آخرون، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ۱۴۱۵ ه- ۱۹۹۴ م، لجنة إحياء كتب السنة- القاهرة.

۱۱- (أبو نعيم) أحمد بن عبد اللّه الأصبهانى (ت ۴۳۰ ه): حلية الأولياء و طبقات الأصفياء، ۱۴۰۵ ه، دار الكتاب العربى- بيروت.

۱۲- أحمد بن شرف الدين، من علماء اليمن (لم تعرف ترجمته، لكن الكتاب متداول عند الأقدمين من علماء اليمن): حقائق علم العربية، نسخة خطية لدى الباحث.

۱۳- (ابن هشام) عبد اللّه بن يوسف الأنصارى النحوى (ت ۷۶۱ ه): مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا- بيروت، طبعة بدون ۱۴۰۷ ه- ۱۹۸۷ م.

۱۴- (ابن أبى داود): أبو بكر عبد اللّه بن سليمان بن الأشعث السجستانى (ت ۳۱۶ ه): كتاب المصاحف، ط ۱، ۱۹۳۶ م، صححه آرثر جفرى، المطبعة الرحمانية بمصر.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۳۲۱

۱۵- (ابن أبى العز) صدر الدين محمد بن علاء الدين على بن محمد الحنفى ت ۷۹۲ ه: شرح العقيدة الطحاوية، ط ۹، ۱۴۰۸ ه- ۱۹۸۸ م، خرج أحاديثها محمد ناصر الدين الألبانى، المكتب الإسلامى- بيروت.

۱۶- (ابن أبى عاصم) أبو بكر أحمد بن عمرو بن الضحاك الشيبانى (۲۰۶- ت ۲۸۷ ه): الآحاد و المثانى، مراجعة: د. باسم فيصل أحمد الجوابرة، ۱۴۱۱ ه- ۱۹۹۱ م، دار الراية الرياض.

۱۷- (ابن أبى عاصم) أبو بكر عمرو بن أبى عاصم الضحاك بن مخلد الشيبانى (ت ۲۸۷ ه): كتاب السنة، حققه: محمد ناصر الدين الألبانى، ط ۳، ۱۴۱۳ ه- ۱۹۹۳ م، المكتب الإسلامى- بيروت.

۱۸- (ابن الأثير) المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن الأثير الجزرى: النهاية فى غريب الأثر، مراجعة طاهر أحمد الزاوى+ محمود محمد الطباخى، ۱۳۹۹ ه ۱۹۷۹ م، دار الفكر- بيروت.

۱۹- (ابن الأثير) عز الدين على بن محمد الجزرى، أبو الحسن (۵۵۵ ه ۶۳۰ ه): أسد الغابة فى معرفة الصحابة ۲/ ۴۳۵، دار الفكر.

۲۰- (ابن الجزرى) شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد بن محمد: منجد المقرئين و مرشد الطالبين- دار زاهد المقدسى، تفضل بقراءته بعد طبعه: الشيخ محمد حبيب اللّه الشنقيطى، و الشيخ أحمد محمد شاكر.

۲۱- (ابن الجزرى) شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد بن محمد بن على ت ۸۳۳ ه: التمهيد فى علم التجويد، تحقيق غانم فدورى الحمد- ط ۳، ۱۴۰۹ ه- ۱۹۸۹ م مؤسسة الرسالة- بيروت.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۳۲۲

۲۲- (ابن الجزرى) محمد بن محمد بن محمد بن على ت ۸۳۳ ه: طيبة النشر فى القراءات العشر، ضبطه و صححه و راجعه: محمد تميم الزعبى، توزيع مكتبة دار الهدى، المدينة المنورة.

۲۳- (ابن الجزرى) أبو الخير محمد بن محمد بن محمد: غاية النهاية فى طبقات القراءة، بعناية ج. برجستراسر، دار الكتب العلمية- بيروت.

۲۴- (ابن العربى) أبو بكر محمد بن عبد اللّه: أحكام القرآن، تحقيق: على محمد البجاوى- دار الجيل- بيروت.

۲۵- (ابن القيم) أبو عبد اللّه شمس الدين محمد بن أبى بكر بن أيوب الزرعى (۶۹۱ ه- ۷۵۱ ه): تهذيب مدارج السالكين، ط ۵، ۱۴۱۴- ۱۹۹۴ م، و هذبه: عبد المنعم صالح العلى العزى- مؤسسة الرسالة، بيروت.

۲۶- (ابن القيم) شمس الدين أبى عبد اللّه محمد بن أبى بكر: زاد المعاد فى هدى خير المعاد، حقق نصوصه و خرج أحاديثه، و علق عليه: شعيب الأرناءوط، و عبد القادر الأرناءوط، ط ۸، ۱۴۰۵ ه- ۱۹۸۵ م، مؤسسة الرسالة، بيروت.

۲۷- (ابن القيم) شمس الدين أبى عبد اللّه محمد بن أبى بكر: الفوائد المشوق إلى علوم القرآن، ۱۹۸۷ م، دار مكتبة الهلال، بيروت.

۲۸- (ابن القيم) شمس الدين محمد بن أبى بكر بن أيوب الزّرعى الدمشقى: الروح، عالم الكتب- بيروت.

۲۹- (ابن المبارك) أبو عبد اللّه عبد اللّه بن المبارك بن واضح المروزى (۱۱۸- ۱۸۱ ه): كتاب الزهد، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمى، دار الكتب العلمية- بيروت.

۳۰- (ابن تيمية) أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ت ۷۲۸ ه، شيخ الإسلام: مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية، جمع و ترتيب: عبد الرحمن

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۳۲۳

ابن قاسم العاصمى النجدى الحنبلى، ۱۴۲۱- ۱۹۹۱ م، دار عالم الكتب الرياض.

۳۱- (ابن جنى) أبو الفتح عثمان (ت ۳۹۲ ه): سر صناعة الإعراب، تحقيق مصطفى السقا، ۱۹۵۴ م، مكتبة و مطبعة مصطفى البابى الحلبى.

۳۲- (ابن حجر) أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن على ابن حجر العسقلانى، تهذيب التهذيب، ۱۴۰۴ ه- ۱۹۸۴ م- دار الفكر- بيروت.

۳۳- (ابن حجر) أحمد بن على حجر العسقلانى: هدى السارى مقدمة فتح البارى، و الفتح، حقق أصولها: عبد العزيز بن باز رقم كتبها و أبوابها و أحاديثها محمد فؤاد عبد الباقى ط ۱، ۱۴۱۰ ه- ۱۹۸۹ م، دار الكتب العلمية- بيروت، لبنان.

الطبعة الأولى ۱۴۱۰ ه- ۱۹۸۹ م.

۳۴- (ابن حجر) شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلانى ت ۸۵۲ ه: الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة. حققه و قدم له: محمد سيد جاد الحق، دار الكتب الحديثة.

۳۵- (ابن حجر): المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، تحقيق المحدث الشيخ حبيب الرحمن الأعظمى.

۳۶- (ابن خزیمة) إمام الأئمة أبو بکر محمد بن إسحاق بن خزیمة السلمی (۲۲۳- ۳۱۱ ه): صحیح ابن خزیمة، مراجعة: د. محمد مصطفی الأعظمی (۱۳۹۰ ه- ۱۹۷۰ م)، المکتب الإسلامی- بیروت، عدد الأجزاء ۴.

۳۷- (ابن خلکان) أبو العباس شمس الدین أحمد بن محمد بن أبی بکر بن خلکان ۶۰۸ ه- ۶۸۱ ه: وفیات الأعیان و أنباء أبناء الزمان، حققه د. إحسان عباس، دار صادر، بیروت.

تلقی النبی ص ألفاظ القرآن، ص: ۳۲۴

۳۸- (ابن راهویه) إسحاق بن إبراهیم بن مخلد بن راهویه الحنظلی (۱۶۱، ت ۲۳۸ ه): مسند إسحاق بن راهویه، مراجعة: عبد الغفور بن عبد الحق البلوشی ۱۴۱۲ ه- ۱۹۹۱ م، مکتبة الإیمان، المدینة المنورة.

۳۹- (ابن سعد) محمد بن سعد بن منیع البصری الزهری (۱۶۸ ه- ت ۲۳۰ ه):

الطبقات الکبری، دار صادر بیروت، عدد الأجزاء ۸.

۴۰- ابن عطیة: المحرر الوجیز فی تفسیر الکتاب العزیز، تحقیق و تعلیق: عبد اللّه ابن إبراهیم الأنصاری، السید عبد العال السید إبراهیم، ط ۱، ۱۴۰۶ ه- ۱۹۸۵ م.

۴۱- (ابن عقیل) بهاء الدین عبد اللّه بن عقیل العقیلی (۶۹۸ ه- ۷۶۹ ه): شرح ابن عقیل علی ألفیة ابن مالک، تحقیق: محمد محیی الدین عبد الحمید فی حاشیته علیه المسماة: منحة الجلیل بتحقیق شرح ابن عقیل، لم تذکر الطبعة و لا الدار.

۴۲- (ابن فارس) أبو الحسین أحمد بن فارس بن زکریا الرازی: معجم المقاییس فی اللغة، بتحقیق و ضبط عبد السلام هارون، ط ۱، ۱۴۱۱ ه- ۱۹۹۱ م، دار الجیل.

۴۳- (ابن فارس): الصاحبی فی فقه اللغة و سنن العرب فی کلامها، ۱۹۱۰ م، المکتبة السلفیة- القاهرة.

۴۴- (ابن القاصح) أبو البقاء علی بن عثمان بن محمد (ت ۸۰۱ ه): تلخیص الفوائد و تقریب المتباعد فی شرح عقیلة أتراب القصائد، مراجعة الشیخ عبد الفتاح القاضی، ط ۱، ۱۹۴۹ م، مطبعة مصطفی البابی الحلبی بمصر.

۴۵- (ابن قتیبة) أبو محمد عبد اللّه بن مسلم بن قتیبة الدینوری ت ۲۷۳ ه: فی کتابه (تأویل مشکل القرآن)، شرحه و نشره السید: أحمد صقر، الطبعة لم تذکر، المکتبة العلمیة.

تلقی النبی ص ألفاظ القرآن، ص: ۳۲۵

۴۶- (ابن قتیبة) عبد اللّه بن مسلم بن قتیبة الدینوری ت ۲۷۶ ه: تأویل مختلف الحدیث، مراجعة: محمد زهری النجار، ۱۹۷۲ م- ۱۳۹۳ ه، دار الجیل- بیروت.

۴۷- (ابن قدامة) موفق الدین أبی محمد عبد اللّه بن أحمد بن قدامة المقدسی الدمشقی (ت ۶۲۰ ه): روضة الناظر و جنة المناظر، مکتبة المعارف- الریاض.

۴۸- (ابن کثیر) أبو الفداء عماد الدین إسماعیل بن کثیر القرشی الدمشقی (ت ۷۷۴):

تفسیر القرآن العظیم، تقدیم: محمد عبد الرحمن المرعشلی، إعداد: مکتب تحقیق دار إحیاء التراث العربی، أعد فهارسها: ریاض عبد اللّه عبد الهادی ط ۱، ۱۴۱۷- ۱۹۹۷ م، دار إحیاء التراث العربی- بیروت.

۴۹- (ابن ماجة) أبو عبد اللّه محمد بن یزید القزوینی (۲۰۷- ۲۷۵ ه): سنن ابن ماجة، مراجعة: محمد فؤاد عبد الباقی، دار الفکر- بیروت، عدد الأجزاء ۲.

۵۰- (ابن منظور) محمد بن مکرم بن علی، الإمام العلامة، (ت ۷۱۱ ه): لسان العرب، اعتنی بتصحیحها: أمین محمد عبد الوهاب، و محمد الصادق العبیدی، ط ۱، ۱۴۱۶ ه- ۱۹۹۵ م، دار إحیاء التراث العربی و مؤسسة التاریخ العربی- بیروت.

۵۱- العلامة أحمد الدمنهوری: حلیة اللب المصون، مکتبة الیمن الکبری- صنعاء، الطبعة لم تذکر.

۵۲- (الأزهری) أبو منصور محمد بن أحمد (۲۸۲ ه- ۳۷۰ ه): تهذیب اللغة، ۱۹۶۴ م- القاهرة.

۵۳- (الأسنوی) جمال الدین عبد الرحیم ابن الحسین الأسنوی (۷۰۴ ه- ۷۷۲ ه): زوائد الأصول، ط ۱ ۱۴۱۳- ۱۹۹۳ م، دراسة و تحقیق: محمد سنان سیف الجلالی، مکتبة الجیل الجدید- صنعاء.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۳۲۶

۵۴- (الأسنوی) جمال الدین عبد الرحیم بن الحسن الشافعی: نهایة السول فی شرح منهاج الأصول- للقاضی ناصر الدین عبد اللّه بن عمر البیضاوی، عالم الکتب.

۵۵- (الأصبهانی) إسماعیل بن محمد بن الفضل التیمی (ت ۴۵۷ ه- ۵۳۵ ه):

دلائل النبوة، تحقیق: محمد محمد الحداد، ۱۴۰۹ ه، دار طیبة- الریاض.

۵۶- (الألبانی) محمد ناصر الدین: صحیح الجامع الصغیر و زیادته، أشرف على طبعه:

زهیر الشاویش، ط ۳ ۱۴۰۸ ه- ۱۹۸۸ م، المکتب الإسلامی- بیروت.

۵۷- (الآلوسی) محمود شکری البغدادی، ۱۲۷۵ ه: روح المعانی فی تفسیر القرآن العظیم و السبع المثانی- دار الفکر- بیروت، ۱۴۱۷ ه- ۱۹۹۷ م- قرأه و صححه: محمد حسین العرب.

۵۸- (الأنباری) أبو بکر محمد بن القاسم: الزاهر فی معانی کلمات الناس، تحقیق: د.

حاتم صالح الضامن، اعتنى به: عز الدین البدوی النجار- ط ۱ ن ۱۴۱۲ ه- ۱۹۹۲ م، مؤسسة الرسالة- بیروت.

۵۹- (الأهدل) محمد بن أحمد بن عبد الباری: الکواکب الدریة، شرح: الشیخ محمد بن أحمد الرعینی الشهیر بالحطاب، ط ۱، ۱۴۱۰ ه- ۱۹۹۰ م- مؤسسة الکتب الثقافیة، بیروت.

۶۰- (الباقلانی) محمد بن الطیب ت ۴۰۳ ه: نکت الانتصار لنقل القرآن، تحقیق د.

محمد زغلول سلام، الناشر: منشأة المعارف بالإسکندریة.

۶۱- (الباقلانی) أبو بکر بن الطیب: إعجاز القرآن، قدم له و شرحه و علق علیه: الشیخ محمد شریف سکر، بیروت دار إحیاء العلوم، الطبعة الأولى ۱۴۰۸ ه- ۱۹۸۸ م.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۳۲۷

۶۲- (البخاری) أبو عبد اللّه محمد بن إبراهیم بن إسماعیل الجعفی (۱۹۴، ۲۵۶ ه):

خلق أفعال العباد، مراجعة: د. عبد الرحمن عمیرة، دار المعارف السعودیة- الریاض ۱۳۹۸ ه- ۱۹۷۸ م.

۶۳- (البخاری) أبو عبد اللّه محمد بن إسماعیل بن المغیرة الجعفی، (۱۹۴ ه- ت ۲۵۶ ه): صحیح البخاری، مراجعة د. مصطفى دیب البغا، ۱۴۰۷ ه- ۱۹۸۷ م، دار ابن کثیر، الیمامة، بیروت.

۶۴- (البقاعی) برهان الدین أبو الحسن إبراهیم بن عمر (ت ۸۸۵ ه): نظم الدرر فی تناسب الآیات و السور، ۱۴۱۳ ه، ۱۹۹۲ م، ط ۳، المکتبة التجاریة، مکة المکرمة.

۶۵- (البیهقی) أبو بکر أحمد بن الحسین بن علی بن موسى (۳۸۴ ه- ت ۴۵۸ ه):

سنن البیهقی الکبرى، مراجعة: محمد عبد القادر عطا، ۱۹۹۴ م- ۱۴۱۴ ه، مکتبة دار الباز- مکة المکرمة.

۶۶- بلا شیر: القرآن: نزوله، تدوینه، ترجمته، و تأثیره، نقله إلى العربیة: رضا سعادة، ط ۱، ۱۹۷۴ م، دار الکتاب اللبنانی- بیروت.

۶۷- (التبریزی) الإمام الخطیب أبی زکریا یحیى بن علی التبریزی (ت ۵۰۲): شرح القصائد العشر، علق علیه: السید أحمد الخضر، مکتبة الثقافة الدینیة- القاهرة.

۶۸- (الترمذی) أبو عیسى محمد بن عیسى السلمی (۲۰۹ ه- ۲۷۹ ه): الجامع الصحیح سنن الترمذی، مراجعة: أحمد محمد شاکر و

آخرون، دار إحياء التراث العربى- بيروت.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۳۲۸

۶۹- (التفتازانى) سعد الدين مسعود بن عمر الشافعى- ت ۷۹۲ ه: التلويح على التوضيح لمتن التنقيح فى أصول الفقه- ضبطه، و خرج آياته، و أحاديثه: الشيخ زكريا عميرات ط ۱، ۱۴۱۶ ه- ۱۹۹۶ م، دار الكتب العلمية، بيروت.

۷۰- (الثعالبى) عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الجزائرى: الجواهر الحسان فى تفسير القرآن، دار القلم، بيروت.

۷۱- (الجرجانى) الإمام عبد القادر بن عبد الرحمن الجرجانى: دلائل الإعجاز فى علم المعانى، صحح أصله الأستاذ محمد عبده، و الأستاذ محمد محمود التركزى، وقف على تصحيح طبعه: السيد محمد رشيد رضا- ۱۴۰۲ ه- ۱۹۸۲ م، دار المعرفة- بيروت.

۷۲- (الجرجانى) على بن محمد بن على: التعريفات، حققه، و قدم له، و وضع فهارسه:

إبراهيم الأبيارى، ط ۱، ۱۴۰۵ ه- ۱۹۸۵ م، دار الكتاب العربى- بيروت.

۷۳- (جولد تسهير): مذاهب التفسير الإسلامى، ترجمة عبد الحليم النجار، ۱۹۵۶ م، مكتبة الخانجى- مصر.

۷۴- (الجلالين) جلال الدين المحلى، و جلال الدين السيوطى: تفسير الجلالين، و بهامشه حاشية الصاوى، دار الفكر بيروت ۱۴۱۴ ه- ۱۹۹۳ م، قدم له و أشرف على تصحيحه: صدقى محمد جميل.

۷۵- جمال الدين الحسن بن الحسين بن القاسم بن محمد: شرح التهذيب فى علم المنطق مع الحاشية، ط ۱، ۱۴۰۵ ه- ۱۹۸۵ م، مركز الدراسات و البحوث- صنعاء.

۷۶- (حاجى خليفة) مصطفى بن عبد اللّه القسطنطينى الرومى الحنفى (۱۰۱۷ ه- ت ۱۰۶۷ ه-): كشف الظنون عن أسامى الكتب و الفنون، ۱۹۹۲ م- ۱۴۱۳ ه-، دار الكتب العلمية- بيروت.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۳۲۹

۷۷- (الحاكم) أبو عبد اللّه محمد بن عبد اللّه بن البيع النيسابورى (۳۲۱ ه-، ت ۴۰۵ ه-): المستدرك على الصحيحين، مراجعة: مصطفى عبد القادر عطا، ۱۴۱۱ ه- ۱۹۹۰ م، دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة لم تذكر.

۷۸- الحسين بن أمير المؤمنين المنصور باللّه القاسم بن محمد: حواشى هداية العقول إلى غاية السئول فى علم الأصول.

۷۹- حسن ضياء الدين عتر: المعجزة الخالدة، ط ۲، ۱۴۰۹ ه- ۱۹۸۹ م، مكتبة الطالب الجامعى- مكة.

۸۰- (الحلبى) على بن برهان الدين ت ۱۰۴۴ ه-: السيرة الحلبية فى سيرة الأمين المأمون، دار المعرفة- بيروت ۱۴۰۰ ه-.

۸۱- (الحميدى) أبو بكر عبد اللّه بن الزبير (ت ۲۱۹ ه-): مسند الحميدى، مراجعة:

حبيب الرحمن الأعظمى، ۱۳۸۱ ه-، دار الكتب العلمية- بيروت.

۸۲- (دكتور) عبد الصبور شاهين: تاريخ القرآن، دار القلم ۱۹۶۶ م.

۸۳- (دكتور) عبد الهادى الفضلى: القراءات القرآنية، ط ۲، دار القلم- بيروت.

۸۴- (دكتور) فضل حسن عباس: إتقان البرهان فى علوم القرآن، ط ۱، ۱۹۹۷ م، دار الفرقان.

۸۵- (دكتور) محمد عبد اللّه دراز: النبأ العظيم، اعتنى به و خرج أحاديثه: عبد الحميد الدخاخينى، ط ۱، ۱۴۱۷ ه- ۱۹۹۷ م، دار طيبة- الرياض.

۸۶- (دكتور) مصطفى ديب البغا: التحفة الرضية فى فقه السادة المالكية ۴۰، شرح و أدلة و تكملة متن العشماوية، ط ۱، ۱۴۱۲ ه- ۱۹۹۲ م، دار ابن كثير، دمشق- بيروت.

۸۷- (دكتور) و هبة الزحيلى: التفسير المنير، ط ۱، دار الفكر.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۳۳۰

۸۸- (دكتور) إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، ط ۴، ۱۹۷۱ م، مكتبة الأنجلو المصرية- القاهرة.

۸۹- (دكتور) عبده الراجحى: اللهجات العربية فى القراءات القرآنية، ۱۹۶۹ م، دار المعارف بمصر.

۹۰- (دكتور) صبحى الصالح: مباحث فى علوم القرآن، ط ۳، ۱۹۶۴ م، دار العلم للملايين- بيروت.

۹۱- (دكتور) عبد الفتاح إسماعيل شلبى: الإمالة فى القراءات و اللهجات العربية ط ۱، مكتبة نهضة مصر، القاهرة ۱۹۵۷ م.

۹۲- (الخطيب البغدادى) أبو بكر أحمد بن على- ميلاده ۳۹۳، وفاته ۴۶۳ ه-:

تاريخ بغداد، دار الكتب العلمية، بيروت.

۹۳- (الدار قطنى) أبو الحسن على بن عمر بن أحمد: ذكر أسماء التابعين و من بعدهم ممن صحت روايتهم عن الثقات عند البخارى و مسلم، دراسة و تحقيق: بوران الضناوى، و كمال يوسف الحوت، ط ۱، ۱۴۰۶ ه- ۱۹۸۵ م، مؤسسة الكتب الثقافية.

۹۴- (الدارمى) أبو محمد عبد اللّه بن عبد الرحمن (۱۸۱ ه- ۲۵۵ ه-): سنن الدارمى، تحقيق: أحمد فواز زمرلى، خالد السبع العلمى، ۱۴۰۷ ه-، دار الكتاب العربى- بيروت.

۹۵- (الدانى) أبو عمر و عثمان بن سعيد ت ۴۴۴ ه-: الأحرف السبعة، تحقيق د.

عبد المهيمن الطحان ۱۴۰۸ ه-، مكتبة المنارة، مكة المكرمة.

۹۶- (الدانى): التيسير فى القراءات السبع، صححه أوتوبرتزل.

۹۷- (الدانى): المحكم فى نقط المصاحف، تحقيق د. عزة حسن، ۱۹۶۰ م، مديرية إحياء التراث القديم، وزارة الثقافة و الإرشاد- دمشق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۳۳۱

۹۸- (الدانى) المقنع فى معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار، تحقيق محمد أحمد دهمان، ۱۹۴۰ م، مكتبة الدراسات الإسلامية- دمشق.

۹۹- (الدمياطى) الشيخ أحمد بن محمد الشهير بالبنا (ت ۱۱۱۷ ه-): إتحاف فضلاء البشر فى القراءات الأربع عشر، صححه على محمد الضّباع، ۱۳۵۹ ه- مطبعة عبد الحميد أحمد حنفى بمصر.

۱۰۰- (الذهبى) الإمام شمس الدين أبى عبد اللّه محمد بن أحمد بن عثمان: طبقات القراء للذهبى، تحقيق: د. أحمد خان ۱۴۱۸ ه- ۱۹۹۷ م، دار الفيصل.

۱۰۱- (الذهبى) شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت ۷۴۸ ه-): سير أعلام النبلاء، إشراف الشيخ شعيب الأرناءوط، ط ۲، ۱۴۰۴ ه- ۱۹۸۴ م، مؤسسة الرسالة.

۱۰۲- (الرازى) محمد بن أبى بكر بن عبد القادر ت ۷۲۱ ه-: مختار الصحاح، مراجعة: محمود خاطر، مكتبة لبنان بيروت ۱۴۱۵ ه- ۱۹۸۵ م.

۱۰۳- (الراغب) أبو القاسم الحسين بن محمد الأصفهانى ت ۵۰۲ ه-: المفردات فى غريب القرآن، تحقيق محمد سيد كيلانى، دار المعرفة- بيروت.

۱۰۴- رفاعى سرور: عند ما ترعى الذئاب الغنم، ط ۱۴۱۲ ه- ۱۹۹۲، مكتبة الحرمين للعلوم النافعة.

۱۰۵- (الزرقانى) الشيخ محمد عبد العظيم: مناهل العرفان فى علوم القرآن، ط ۳، ۱۹۴۳ ه، دار إحياء الكتب العربية.

۱۰۶- (الزركشى) بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد اللّه الشافعى: البحر المحيط ۱/ ۴۴۰، قام بتحريره عبد القادر عبد اللّه العانى، راجعه: د. عمر سليمان الأشقر- ط ۲، ۱۴۱۳ ه- ۱۹۹۲ م، دار الصفوة.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۳۳۲

۱۰۷- (الزركشى): البرهان فى علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط ۱، ۱۹۵۷ م، دار إحياء الكتب العربية- القاهرة.

۱۰۸- (الزركلى) خير الدين الزركلى: الأعلام، الطبعة العاشرة ۱۹۹۲ م.

۱۰۹- (الزمخشرى) أبو القاسم جار اللّه محمود بن عمر الخوارزمى (۴۶۷- ت ۵۳۸ ه-): الكشاف، دار المعرفة، بيروت.

۱۱۰- (الزمخشرى): الفائق فى غريب الحديث، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، على محمد البجاوى، ط ۲، توزيع دار الباز.

۱۱۱- (الزمخشرى): أساس البلاغة، ۱۹۲۲ م، دار الكتب المصرية- القاهرة.

۱۱۲- (الساعاتى) أحمد عبد الرحمن البنا: الفتح الربانى لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيبانى، مصر ۱۳۷۴ ه-.

۱۱۳- (السندى) أبو الحسن نور الدين بن عبد الهادى (۱۱۳۸ ه-)، حاشية السندى على النسائى، مراجعة: عبد الفتاح أبو غدة ۱۴۰۶ ه- ۱۹۸۶ م، مكتبة المطبوعات الإسلامية- حلب.

۱۱۴- (السيوطى) أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر، (۸۴۹ ه- ت ۹۱۱ ه-): تنوير الحوالك شرح موطأ مالك، ۱۳۸۹- ۱۹۶۹ م، المكتبة التجارية الكبرى- مصر.

۱۱۵- (السيوطى) أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر (۸۴۹- ۹۱۱ ه): الديباج على صحيح مسلم، مراجعة: أبو إسحاق الحوينى الأثرى- دار ابن عفان- الخبر- السعودية، عدد الأجزاء ۵.

۱۱۶- (السيوطى) جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر الشافعى، ت ۹۱۱ ه: الإتقان فى علوم القرآن، المكتبة الثقافية، بيروت.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۳۳۳

۱۱۷- (السيوطى) جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر ت ۹۱۱ ه-: المزهر فى علوم اللغة و أنواعها، الطبعة لم تذكر، المكتبة العصرية، صيدا- بيروت.

۱۱۸- (السيوطى) جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر ت ۹۱۱ ه-: تدريب الراوى فى تقريب النووى، ط ۴، حققه و راجع أصوله: عبد الوهاب عبد اللطيف الأستاذ المساعد بكلية أصول الدين- جامعة الأزهر، دار نشر الكتب الإسلامية.

۱۱۹- (السيوطى) جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر ت ۹۱۱ ه-: طبقات الحفاظ، ط ۱، ۱۴۰۳ ه- ۱۹۸۳ م، دار الكتب العلمية- بيروت.

۱۲۰- (السيوطى): لباب النقول فى أسباب النزول، ط ۶، ۱۴۰۸ ه- ۱۹۸۸ م، دار إحياء العلوم العربية- بيروت.

۱۲۱- (الشاطبى) أبو إسحاق إبراهيم بن موسى اللخمى الغرناطى المالكى ت ۷۹۰ ه: الموافقات فى أصول الشريعة، المقدمة الثالثة، توزيع عباس أحمد الباز، الطبعة لم تذكر.

۱۲۲- (الشاطبى) أبو القاسم أو أبو محمد القاسم بن فيرة بن خلف بن أحمد الرعينى الشاطبى ت ۵۹۰ ه-: حرز الأمانى و وجه التهانى (متن الشاطبية)، ط ۱، ۱۴۱۲ ه- ۱۹۹۲ م، المكتبة الثقافية- بيروت.

۱۲۳- (الشنقيطى) محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطى: نثر الورود على مراقى السعود- تحقيق و إكمال تلميذه الدكتور: محمد ولد سيدى ولد حبيب الشنقيطى- الناشر: محمد محمود محمد الخضر القاضى- دار المنارة جدة ط ۱، ۱۴۱۵- ۱۹۹۵ م.

۱۲۴- (الشنقيطى) محمد الأمين بن محمد المختار الجكنى: أضواء البيان فى إيضاح القرآن بالقرآن، عالم الكتب- بيروت.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۳۳۴

۱۲۵- (الشوكانى) محمد بن على بن محمد الشوكانى ۱۲۵۰ ه-: فتح القدير الجامع بين الرواية و الدراية من التفسير ط ۱، ۱۴۱۵- ۱۹۹۵ م، اعتنى به، و راجع أصوله: يوسف الغوش- دار المعرفة بيروت.

۱۲۶- (الشوكانى) محمد بن على بن محمد (ت ۱۲۵۵ ه-): إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، دار المعرفة- بيروت.

۱۲۷- (الشوكانى) محمد بن على ت ۱۲۵۰ ه-: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، دار المعرفة- بيروت.

۱۲۸- (الطاهر بن عاشور): التحریر و التنویر، بدون ذکر للدار و لا للطبعة.

۱۲۹- طاهر الجزائری الدمشقی (۱۲۶۸ ه- ۱۳۲۸ ه-): التبیان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن علی طریق الإتقان، اعتنی به عبد الفتاح أبو غدة، مکتب المطبوعات الإسلامیة- حلب.

۱۳۰- (الطبرانی) أبو القاسم سلیمان بن أحمد بن أیوب، مسند الدنیا، میلاده ۲۶۰ ه، ت ۳۶۰ ه-: مسند الشامیین، ۱۴۰۵ ه- ۱۹۸۴ م، مؤسسة الرسالة، بیروت، مراجعة: حمدی بن عبد المجید السلفی.

۱۳۱- (الطبرانی) أبو القاسم مسند الدنیا سلیمان بن أحمد بن أیوب: المعجم الکبیر، مراجعة: حمدی عبد الحمید السلفی، ۱۴۰۴ ه- ۱۹۸۳ م، مکتبة العلوم و الحکم، الموصل.

۱۳۲- (الطبرانی) مسند الدنیا أبو القاسم سلیمان بن أحمد بن أیوب (۲۶۰ ه- ت ۳۶۰): المعجم الأوسط، مراجعة: محمود الطحان، ۱۴۰۵- ۱۹۸۵، مکتبة المعارف- الریاض.

۱۳۳- (الطبری) محمد بن جریر الطبری: جامع البیان فی تأویل القرآن، ط ۳، ۱۳۸۸ ه- ۱۹۶۸ م، شرکة مکتبة و مطبعة مصطفی البابی الحلبی و أولاده بمصر.

تلقی النبی ص ألفاظ القرآن، ص: ۳۳۵

۱۳۴- (الطبری الزیدی) علی بن صلاح بن علی بن محمد: شفاء غلیل السائل عما تحمله الکافل، ط ۱، ۱۴۰۸ ه- ۱۹۸۸ م، مکتبة الیمن الکبری- صنعاء.

۱۳۵- (الطحاوی) أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة ۲۲۹ ه- ۳۲۱ ه-: شرح معانی الآثار، مراجعة محمد زهری النجار، ط ۱، ۱۴۱۰ ه- ۱۹۹۰ م، دار الکتب العلمیة- بیروت.

۱۳۶- عبد الرحمن بن خلدون ت ۸۰۸ ه-: مقدمة ابن خلدون، ضبط المتن و وضع الحواشی و الفهارس: خلیل شحادة، مراجعة: د. سهیل زکار، ط ۱۴۱۷ ه-، ۱۹۹۶ م- دار الفکر- بیروت.

۱۳۷- عبد الوهاب حمودة: القراءات و اللهجات، ط ۱، ۱۹۴۸ م، مکتبة النهضة المصریة- القاهرة.

۱۳۸- عبد المعطی محمد ریاض طلیمات: الحلقات القرآنیة، دراسة منهجیة شاملة، ط ۱، ۱۴۱۷ ه- ۱۹۹۷ م، إصدار برنامج تحفیظ القرآن الکریم- جدة.

۱۳۹- عیاض بن موسی الیحصبی: الشفا تعریف حقوق المصطفی، دار الکتب العلمیة، بیروت- لبنان.

۱۴۰- عیاض بن موسی الیحصبی السبتی، أبو الفضل: ترتیب المدارک، و تقریب المسلک لمعرفة أعلام مذهب مالک، تحقیق د. أحمد بکر محمود، الطبعة لم تذکر، دار مکتبة الحیاة، بیروت.

۱۴۱- عبد الفتاح القاضی: بشیر الیسر شرح ناظمة الزهر فی علم الفواصل للإمام الشاطبی، ۱۳۹۷ ه- ۱۹۷۷ م، مطبوعات الأزهر- مصر.

۱۴۲- عبد الفتاح القاضی ت ۱۰۳ ه: الوافی فی شرح الشاطبیة فی القراءات السبع، ط ۵- ۱۴۱۴ ه- ۱۹۹۴ م، مکتبة السوادی- جدة، مکتبة الدار- المدینة المنورة.

تلقی النبی ص ألفاظ القرآن، ص: ۳۳۶

۱۴۳- (العزی) عبد المنعم صالح العلی: أقباس من مناقب أبی هریرة، ط ۳، ۱۴۱۲ ه- ۱۹۹۱ م، دار المنطلق- الإمارات العربیة المتحدة.

۱۴۴- (العسکری) أبو هلال الحسن بن عبد اللّه بن سهل بن سعید ت بعد ۳۹۵ ه:

الفروق فی اللغة.

۱۴۵- غانم قدوری الحمد: رسم المصحف دراسة لغویة تاریخیة- ط ۱، ۱۴۰۲ ه- ۱۹۸۲ م.

۱۴۶- (الغزالی) أبو حامد محمد ت ۵۰۵ ه: المستصفی من علم الأصول، دار الفکر- بیروت.

۱۴۷ (الفراء) أبى زكريا يحيى بن زياد ت ۲۰۷ ه: معانى القرآن، دار السرور- تحقيق: أحمد يوسف نجاتى، محمد على النجار.

۱۴۸- (الفارسى) أبو على الحسن بن أحمد بن عبد الغفار (ت ۳۷۷ ه): الحجة فى علل القراءات السبع، تحقيق على النجدى ناصف، ود. عبد الحليم النجار، ود.

عبد الفتاح شلبى، دار الكتاب العربى، ۱۹۶۵ م، المجلد الأول.

۱۴۹- (القرطبى) أبو عبد اللّه محمد بن أحمد الأنصارى القرطبى: الجامع لأحكام القرآن، ۱۴۰۵ ه- ۱۹۸۵ م، دار إحياء التراث العربى- بيروت.

۱۵۰- (القضاعى) أبو عبد اللّه محمد بن سلامة بن جعفر ت ۴۵۴ ه: مسند الشهاب، تحقيق حمدى عبد المجيد السلفى، ط ۲، ۱۴۰۷ ه- ۲۹۸۶ م، مؤسسة الرسالة.

۱۵۱- (الكسى) أبو محمد عبد بن حميد بن نصر (ت ۲۴۹ ه): المنتخب من مسند عبد بن حميد، مراجعة: صبحى البدرى السامرائى- محمود محمد خليل الصعيدى، ۱۴۰۸ ه- ۱۹۸۸ م، مكتبة السنة- القاهرة.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۳۳۷

۱۵۲- (الكيا الهراسى) عماد الدين بن محمد الطبرى (ت ۵۰۴ ه): أحكام القرآن، ط ۱، ۱۴۰۳ ه- ۱۹۸۳ م، دار الكتب العلمية- بيروت.

۱۵۳- لبيب السعيد: الجمع الصوتى الأول للقرآن الكريم، دار الكتاب العربى- القاهرة.

۱۵۴- الإمام مالك بن أنس: موطأ الإمام مالك، مراجعة: محمد فؤاد عبد الباقى- دار إحياء التراث العربى، مصر.

۱۵۵- (المباركفورى) أبو العلا محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم: تحفة الأحوذى شرح سنن الترمذى، ط ۱، ۱۴۱۰ ه- ۱۹۹۰ م، دار الكتب العلمية- بيروت.

۱۵۶- (المحبوبى) عبد اللّه بن مسعود المحبوبى البخارى الحنفى: التوضيح لمتن التنقيح فى أصول الفقه، ضبطه و خرج آياته و أحاديثه: الشيخ زكريا عميرات، ط ۱، ۱۴۱۶- ۱۹۹۶ م، دار الكتب العلمية- بيروت.

۱۵۷- محمد محمد عبد اللطيف (يلقب نفسه بابن الخطيب): الفرقان، الطبعة لم تذكر- دار الكتب العلمية- بيروت.

۱۵۹- محمد الصادق عرجون عميد كلية أصول الدين، جامعة الأزهر: بحث علمى لنقد مزاعم حول قراءات القرآن فى رسالة: (أصوات المد فى القرآن الكريم) بكلية الآداب- جامعة الإسكندرية، اتحاد الطلاب بكلية أصول الدين، اللجنة الاجتماعية ۱۳۸۶ ه- ۱۹۶۶ م.

۱۵۹- محمد أبو زهرة: أصول الفقه، دار الفكر العربى.

۱۶۰- محمد عليان المزروقى الشافعى: حاشيته على الكشاف، دار المعرفة- بيروت.

۱۶۱- محمد بخيت المطيعى (ت ۱۳۵۴ ه): الكلمات الحسان فى الحروف السبعة و جمع القرآن، ط ۱، ۱۳۲۳ ه، المطبعة الخيرية- القاهرة.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۳۳۸

۱۶۲- (المزى) أبو الحجاج جمال الدين يوسف بن الزكى عبد الرحمن (۶۵۴ ه- ۷۴۲ ه): تهذيب الكمال، مراجعة: بشار عواد معروف، ۱۴۰۰ ه- ۱۹۸۰ م، مؤسسة الرسالة- بيروت.

۱۶۳- (مسلم): أبو الحسين بن الحجاج النيسابورى: صحيح مسلم، (۲۰۶ ه- ت ۲۶۱ ه) مراجعة: محمد فؤاد عبد الباقى، دار إحياء التراث العربى بيروت ۱۳۷۴ ه- ۱۹۵۴ م.

۱۶۴- (ملاجيون) أحمد بن أبى سعيد بن عبيد اللّه الحنفى الصديقى الميهوى (ت ۱۱۳۰ ه): نور الأنوار و بهامشه كشف الأسرار، ط ۱

۱۴۰۶ ه- ۱۹۸۶ م، دار الكتب العلمية- بيروت.

۱۶۵- (المقدسی) أبو عبد اللّه محمد بن عبد الواحد بن أحمد الحنبلی (۵۶۷ ه- ۶۳۴ ه): الأحاديث المختارة، تحقيق: عبد الملك بن عبد اللّه دهيش، ۱۴۱۰ ه، مكتبة النهضة الحديثة، مكة المكرمة.

۱۶۶- (المهدی) أحمد بن يحيى بن المرتضى (۷۶۴ ه- ت ۸۴۰ ه): منهاج الوصول إلى معيار العقول فی علم الأصول، ط ۱، ۱۴۱۲ ه- ۱۹۹۲ م، دار الحكمة اليمانية- صنعاء.

۱۶۷- (المهدی) أحمد بن يحيى المرتضى ت ۸۴۰ ه: البحر الزخار الجامع لمذاهب علماء الأمصار، و بهامشه: جواهر الأخبار و الآثار المستخرجة من لجة البحر الزخار للعلامة محمد بن يحيى بن بهران الصعدی ت ۹۵۷ ه، أشرف عليها: عبد اللّه محمد الصديق، و عبد الحفيظ سعد عطية، دار الكتاب الإسلامی- القاهرة.

۱۶۸- (الموصلی) أبو يعلى أحمد بن علی بن المثنى التميمی (۲۱۰- ت ۳۰۷ ه):

مسند أبی يعلى، مراجعة: حسين سليم أسد، ۱۴۰۴ ه- ۱۹۸۴ م، دار المأمون للتراث- دمشق.

تلقی النبی ص ألفاظ القرآن، ص: ۳۳۹

۱۶۹- (الميدانی) عبد الرحمن حسن حبنكة: ضوابط المعرفة و أصول الاستدلال و المناظرة، ط ۴، ۱۴۱۴ ه- ۱۹۹۳ م، دار القلم- بيروت.

۱۷۰- (النسائی) أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب (۲۱۵- ۳۰۳): السنن الكبرى مراجعة: د. عبد الغفار سليمان البنداری- سيد كسروی حسن، ۱۴۱۱ ه- ۱۹۹۱ م، دار الكتب العلمية- بيروت.

۱۷۱- (الهيثمی) الحافظ نور الدين: بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث، للحارث بن أبی أسامة، تحقيق د. حسين أحمد صالح الباكری، ۱۴۱۳ ه- ۱۹۹۲ م، مركز خدمة السنة و السيرة النبوية- المدينة المنورة.

۱۷۲- (الوزير) محمد بن إبراهيم الوزير ت ۸۴۰ ه: ترجيح أساليب القرآن على أساطير اليونان، و ما بعدها ط ۱، دار الكتب الثقافية- بيروت.

۱۷۳- (الواحدی) أبو الحسن علی بن أحمد النيسابوری (ت ۴۶۸ ه)، تعليق و تخريج:

د. مصطفى ديب البغا، ط ۱، ۱۴۰۸ ه- ۱۹۸۸ م، دار ابن كثير- دمشق.

۱۷۴- (اليمانی) عبد الباقی بن عبد المجيد: إشارة التعيين فی تراجم النحاة و اللغويين، تحقيق د. عبد المجيد دياب، ط ۱، ۱۹۸۶ م، الدار لم تذكر.

المجلات

: ۱۷۵- مجلة: جريدة الدستور ۸/ ۱۰/ ۱۹۹۷ م.

۱۷۶- مجلة: مجلة جامعة القرآن الكريم و العلوم الإسلامية، العدد الأول، ذو القعدة ۱۴۱۵ ه: د. يوسف الخليفة أبو بكر: البحث التربوی و اللغوی فی مجال تعليم القرآن الكريم.

۱۷۷- مجلة: مجلة البيان، العدد ۱۰۵، جمادى الأولى ۱۴۱۷ ه.

۱۷۸- مجلة: مجلة العربی، نوفمبر ۱۹۹۸ م.

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فی سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُم تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علیّ بْنُ موسَی الرِّضا – علَیهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْیَا أمْرَنَا... یَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا و یُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ کَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فی تلخیص بحار الأنوار، للعلاّمة فیض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُیونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشَّیخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائمیّة" الثّقافیّ بأصبَهانَ – إیرانَ: الشهید آیة الله "الشمس آباذی" – رَحِمَهُ اللهُ – کان أحداً من جَهابذة هذه المدینة، الذی قدِ اشتهَرَ بشَعَفِهِ بأهل بَیت النبیّ (صلواتُ اللهِ علَیهِم) و لاسیَّما بحضرة الإمام علیّ بن موسَی الرِّضا (علیه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرجَهُ الشَّریفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درایته، فی سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجریّة الشمسیّة (=۱۳۸۰ الهجریّة القمریّة)، مؤسَّسةً و طریقةً لم یَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَی و أحسَنِ مَوقِفٍ کلَّ یوم.

مرکز "القائمیّة" للتحرِّی الحاسوبیّ – بأصبَهانَ، إیرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریّة القمریّة) تحتَ عنایة سماحة آیة الله الحاجّ السیّد حسن الإمامیّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّیجی الحوزات العلمیّة و طلاب الجوامع، باللیل و النهار، فی مجالاتٍ شتّی: دینیّة، ثقافیّة و علمیّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشیعة و تبسیط ثَقافة الثّقَلَین (کتاب الله و اهل البیت علیهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزیز دوافع الشّباب و عموم الناس إلی التّحَرِّی الأدَقّ للمسائل الدّینیّة، تخلیف المطالب النّافعة – مکانَ البَلاتیثِ المبتذلة أو الرّدیئة – فی المحامیل (=الهواتف المنقولة) و الحواسیب (=الأجهزة الکمبیوتریّة)، تمهید أرضیّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافیّةٍ علی أساس معارف القرآن و أهل البیت –علیهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققین و الطّلاّب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِجِ العلوم الإسلامیّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهیل رفع الإبهام و الشّبُهات المنتشرة فی الجامعة، و...

- مِنها العَدالة الاجتماعیّة: التی یُمکِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحدیثة متصاعدةً، علی أنّه یُمکِن تسریعُ إبراز المَرافِق و التسهیلاتِ– فی آکناف البلد - و نشرِ الثّقافةِ الاسلامیّة و الإیرانیّة – فی أنحاء العالَم - مِن جِهةٍ اُخرَی.

- من الأنشطة الواسعة للمرکز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ کتبٍ، کتیبة، نشرة شهریّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقیقیّة و مکتبیة، قابلة للتشغیل فی الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثّلاثیّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّکة و... الأماکن الدینیّة، السیاحیّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتی "القائمیّة "www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخَرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضیّة، الخَطابات و... للعرض فی القنوات القمریّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمیّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعیّة، الاخلاقیّة و الاعتقادیّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسیم النظام التلقائیّ و الیدویّ للبلوتوث، ویب کشک، و الرّسائل القصیرة SMS

ح) التعاون الفخریّ مع عشراتِ مراکزَ طبیعیّة و اعتباریّة، منها بیوت الآیات العِظام، الحوزات العلمیّة، الجوامع، الأماکن الدینیّة کمسجد جَمکرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفید مشروع "ما قبلَ المدرسة" الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِکین فی الجلسة

ی) إقامة دورات تعلیمیّة عمومیّة و دورات تربیة المربّی (حضوراً و افتراضاً) طیلة السَّنَة

المکتب الرّئیسیّ: إیران/أصبهان/ شارع"مسجد سیّد/ "ما بینَ شارع"پنج رَمَضان "ومُفترَق"وفائی/"بنایة"القائمیّة"

تاریخ التأسیس: ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریة القمریّة)

رقم التسجیل: ۲۳۷۳

الهویّة الوطنیّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البرید الالکترونی: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتی: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاکس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مکتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التِّجاریّهٔ و المَبیعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمین ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظهٔ هامّهٔ:

المیزانیّهٔ الحالیّهٔ لهذا المرکز، شـَعبیّهٔ، تبرّعیّهٔ، غیر حکومیّهٔ، و غیر ربحیّهٔ، اقتُنِیَت باهتمام جمع من الخیّرین؛ لکنّها لا تُوافِی الحجمَ المتزاید و المتّسِعَ للامور الدّینیّهٔ و العلمیّهٔ الحالیّهٔ و مشاریع التوسعهٔ الثّقافیّهٔ؛ لهذا فقد ترجَّى هذا المرکزُ صاحِبَ هذا البیتِ (المُسمَّى بالقائمیّهٔ) و مع ذلک، یرجو مِن جانب سماحهٔ بقیّهٔ الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرَجَهُ الشَّریفَ) أن یُوفِّقَ الکلَّ توفیقاً متزائداً لِإعانتهم - فی حدّ التّمکّن لکلّ احدٍ منهم – إیّانا فی هذا الأمر العظیم؛ إن شاءَ اللهُ تعالی؛ و اللهُ ولیّ التوفیق.